الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية





كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

مخبر الجنوب الجزائري للبحث

في التاريخ و الحضارة الإسلامية

# النظم في بلاد المغرب الإسلامي من نهاية عصر الولاة إلى نهاية الموحدين – الإمامة أنموذجا –
# (140-668هـ/757-1270م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث (ل.م.د) في التاريخ الوسيط


إعداد الطالبة:

صديقي نصيرة

إشراف الأستاذ الدكتور:

* إبراهيم بكير بحاز


**أعضاء لجنة المناقشة**

| الرقم | الاسم و اللقب | الرتبة العلمية | الجامعة الأصلية | الصفة |
|---|---|---|---|---|
| 1 | يمينة بن صغير حضري | أستاذ | جامعة غرداية | رئيسا |
| 2 | إبراهيم بكير بحاز | أستاذ | جامعة غرداية | مقررا |
| 3 | طاهر بن علي | أستاذ | جامعة غرداية | ممتحنا |
| 4 | علاوة عمارة | أستاذ | جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة | ممتحنا |
| 5 | عبد الجليل ملاخ | أستاذ محاضر أ | جامعة غرداية | ممتحنا |
| 6 | حاج عيسى إلياس | أستاذ محاضر أ | المدرسة العليا للأساتذة الأغواط | ممتحنا |

السنة الجامعية: 2021/2020



# الإهداء

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وعلى آله ومن وفى

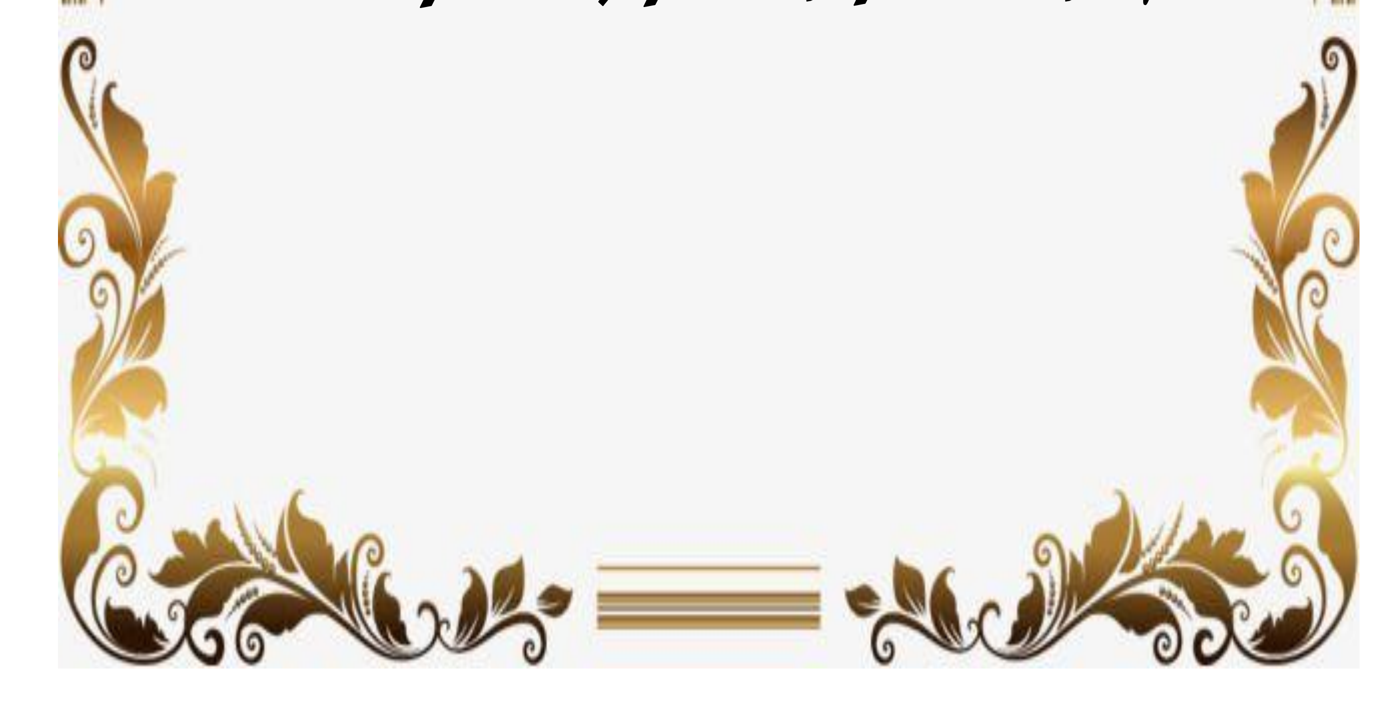
أما بعد:

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية

بأطروحتي هذه ثمرة الجهد والاجتهاد

بفضل الله تعالى وهي مهداة إلى روح والديّ الكريمين رحمة الله

عليهما وإلى كل عائلتي وإلى زملائي بجامعة غرداية



# شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والتقدير لأستاذي وموجهي

أ.د. إبراهيم بحاز ذاكرة أفضاله علي خصوصاً صبره الطويل وحلمه لإتمام

إنجاز هذه الأطروحة

والذي أعتبره سبباً بعد الله سبحانه وتعالى في إخراج هذه الرسالة إلى حيز

الوجود كما لا أنسى أن أشكر كل أساتذة وموظفي جامعة غرداية وأخص

بالذكر الأستاذ مدير جامعة غرداية وعميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

والأستاذ مونة عمر والأستاذة يمينة بن صغير حضري والأستاذ الطاهر بن علي

والأستاذ علاوة عمارة على كل ما قدموه لنا من نصائح وتوجيهات كما لا يفوتني أن أشكر
كل أساتذتي بجامعة ابن خلدون بتيارت

بسم الله الرحمن الرحيم

## المختصرات

د ت ............................................................ دون تاريخ

ت ............................................................ توفي

تح ............................................................ تحقيق

تر ............................................................ ترجمة

د ............................................................ الدكتور

ص ............................................................ الصفحة

ط ............................................................ الطبعة

ع ............................................................ عدد

م ............................................................ ميلادي

مج ............................................................ مجلد

هـ ............................................................ هجري

.../... ............................................................ الجزء/ الصفحة

# المقدمة

**المقدمة:**

برزت الإمامة عند المسلمين، بمجيء سيد الخلق محمد ﷺ، فكان عهده عصر نشأتها وتطورها ورأى المسلمون من خلاله صورة مثالية للإمام والقائد، كما قال عنه الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:128] وقال عنه الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه:"كان رسول الله ﷺ أشجع الناس، وأسمح الناس، وأحسن الناس"[1].

وبعد وفاة النبي ﷺ، كان من الطبيعي أن يختلف الناس في أمر الإمامة، إذ لا يوجد شخص بإمكانه أن يسدّ الفراغ الذي تركه الرسول ﷺ، وبدأت تلوح في الأفق بوادر الفرقة بين المسلمين، حيث تأكّد الافتراق بمقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه، وتطوّر في حرب الجمل وحرب صفين وفي النهروان، ثم تجذّر الافتراق بمقتل سيدنا الحسين رضي الله عنه في كربلاء.

**اختيار الموضوع:**

استغرقت عملية الفتح الإسلامي، لبلاد المغرب أكثر من نصف قرن، وتمت على يد الفاتح موسى بن نصير سنة 96هـ/715م، وأخذت تقصده المعارضة السياسية، التي شكّلت مذاهب جديدة وفق توجهاتها السياسية، فالتقت ثورة المشارقة بثورة المغاربة، حيث أن البربر أسلموا ولم يستسلموا وبقيت قناعاتهم التي تأصّلت فيهم منذ زمن بعيد، فاعتنقوا المذاهب الجديدة، وثاروا على الحكّام، ليس مخالفةً للإسلام، ولكن مخالفةً للخلافة القائمة في المشرق، وتبعاً لذلك أضحت الإمامة، مطلباً حيوياً ورئيسياً ليُكْمِلَ الإسلام رحلته في هذه الربوع، لأنها الحارسة لهذا الدين، ولها اليد الطولى لنشره، والذود عن حماه من طمع الطامعين وكيد الكائدين.

هذا وقد ساهمت بعض الدراسات، في إبراز الجوانب السياسية للمغرب الإسلامي، لكنها كانت في كثير من المواضع أحادية الرؤية، فهمّشت الأيمة المغاربة، إما بعدم ذكرهم أو بالافتراء عليهم، أما فيما يخصّ الباحثين المغاربة فلم يولوا كثير اهتمامهم بدراسة موضوع النظم والإمامة خاصة، ومن هنا رأى أستاذي المشرف بأن يكون موضوعي في النظم الإسلامية، واختار أهمّ فروعها، المتمثل في "**الإمامة**".

[1])- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، بيت الأفكار الدولية، الرياض، دس، ص272.

فالإمامة في الإسلام كما يقول ابن خلدون: "هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنوية الراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع، في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"[1]، فقوله **"**حمل الكافة**"** يدل على مكانة الإمامة في الإسلام، وأهميتها في إقامة الدين في الدرجة الأولى، ثم بناء المجتمع الإسلامي في الدرجة الثانية.

والإمامة في المغرب الإسلامي، هي المؤسسة السياسية الأولى في تاريخ المغرب، التي تمكّن المغاربة من خلالها تجسيد أهدافهم، المتمثلة في بناء دولة مستقلة، تملك حدوداً سياسية وجغرافية واقتصادية وفكرية خاصة بها، وتجمع جل القبائل البربرية المنتمية لهذا القطر أو ذاك.

والإمامة تعبّر عن ذلك الارتباط الوثيق بين السلطة والمجتمع المغربي، الذي تحوّل من سلطة القبيلة إلى سلطة الدولة التي تحكمها الشريعة الإسلامية.

والإمامة تراث وحضارة خلّفها الأجداد، لنذكرها ونحتفي بها، ونقدّمها في أحسن صورها، وهي ذلك الإمام الذي وفّقه الله وأيّده، لأن يكون خليفته في الأرض، فيسوس الناس وفق شريعته وسنة نبيّهﷺ، وحسب اجتهاده واجتهاد مذهبه.

لقد تم اختيار موضوع الإمامة، انطلاقا من هذه المعطيات، فضلاً عن أنه موضوع لم يُخَصِّصْ له الباحثون المغاربة دراسة حديثة، تضيء جوانبه المتعددة، التي لا يمكن أن نتوصل إليها، إلا بعد إنجاز كمٍّ معتبر من البحوث، فكان العنوان المختار كالتالي:

**النظم في بلاد المغرب الإسلامي من نهاية عصر الولاة إلى نهاية الموحدين –الإمامة أنموذجاً– (140– 668هـ/757– 1270م)**

[1]– ابن خلدون : **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تح. عبد الله محمد الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق، 1425هـ/2004م، ص–ص364–365.

## أهمية الموضوع:

كان اختياري لموضوع الإمامة في المغرب الإسلامي، رغبة مني لإظهار التطور المطّرد الذي حصل في الفكر السياسي للمغاربة، فوجدته موضوعاً جديراً بالدراسة لأهميته التاريخية، خاصة في ظل التقلبات السياسية والتغيرات العالمية في عصرنا هذا، الذي يشهد هذه الأيام حرباً روسيةً على أوكرانيا حليفة الغرب المسيحي، أما نحن فنقف موقف المتفرج على هذه المستجدات، والتي سيكون الخاسر الوحيد فيها هو العالم الثالث، حيث سترغمه القوى العظمى، على التخندق في إحدى الخنادق إما هذا الطرف وإما ذاك، ونظراً لانعدام الإمامة فإن العالم الإسلامي يُجر شرقاً وغرباً، وتلهو به القوى العظمى.

إن لموضوع الإمامة أهمية كبيرة، إذ أصبحت الدول والأوطان في حاجة ملحة إلى البحث العلمي في كافة مجالات الحياة، فتقاس عظمة وازدهار الدول، لما لديها من تطور في البحث العلمي وأدواته في شتى الميادين، وتبرز أهميته أيضاً في ارتباطه بأطراف عديدة، ساهمت في إنجاح هذا المشروع، منها جغرافية المغرب الإسلامي، والمذاهب، والقبائل، كما يقف وراء تحديد موضوع البحث هذا بشكل عام، تأثيره على الأشخاص والمجتمع، إذ لا زالت آثاره باقية إلى اليوم.

## إشكالية الموضوع:

إن هذا الموضوع بصيغة عنوانه المذكورة، يطرح الإشكالية التالية: هل عبّرت الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي عن النضوج الفكري والسياسي للمغاربة أم كانت إمتداداً ونتيجة حتمية للصراع على السلطة في المشرق الإسلامي؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية العامة عدة تساؤلات هي فروع تلك الإشكالية:

- ما مفهوم النظم والإمامة؟
- كيف قامت واستمرت كل الإمامات في بلاد المغرب الإسلامي؟
- ما هي مسوّغات نجاح الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي؟ وفيما تجلّت؟ وما أهم آثارها؟

**أهداف الدراسة:**

إن دراسة هذا الموضوع، من شأنها إضافة فائدة للبحث العلمي، بحيث يُسْتَفَادُ من الحقائق العلمية التي تمّ الوصول إليها، وإضافة إلى هذا، قد يفتح هذا البحث طرقاً ومسارات جديدة للأبحاث العلمية الجديدة.

وإضافة إلى كل ما سبق، مما قد يحققه هذا البحث على المستوى الشخصي، حيث سيفتح لي آفاقاً معرفية جديدة، مما يساهم في تحسين مهاراتي في الدقة والأمانة والموضوعية، ويعطيني أفكاراً جديدة في مجال البحث العلمي.

أما اختيار المغرب الإسلامي بالذات، فلأن الدراسات حوله قليلة، خاصة ما تعلق منها بالنظم، ونحن ننتمي إلى هذه الجغرافيا من العالم الإسلامي، ويفرض علينا الواجب بذل المزيد من العناية والجهد لاستجلاء كوامنه ورسم معالمه وضبط تاريخه، لفائدة الأجيال التي تأتي بعدنا.

**حدود الدراسة:**

اخترتُ فترة القرون من الثاني إلى التاسع للهجرة، ومن الثامن إلى الثالث عشر ميلادي (**140–668**هـ/**757–1269**م)، وضبطتُ ذلك بقيام الدولة المدرارية عام 140هـ/757م، لأنني رأيت أن تكون البداية في دراسة الإمامة، من أوّل إمامة أُعْلِنَتْ في المغرب الإسلامي بعد فترة حكم الولاة، إلى نهاية إمامة الموحدين، التي وحّدت المغرب كله والأندلس تحت رايتها، أما الحدود المكانية فكل المغرب الإسلامي، من برقة إلى المحيط الأطلسي.

**الدراسات السابقة:**

لقد بنينا قاعدة بحثنا في هذا الموضوع، على دراسات سبقنا أصحابها بطرح عناوين مشابهة أو قريبة منه، خلال فترات زمنية مختلفة، نذكر منها على سبيل الذكر:

"الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم" للأستاذ إبراهيم بحاز، حيث قام بدراسة مفصلة رصد فيها ملامح التطور في المجتمع الرستمي، وخصّ الإمامة الرستمية بالشرح والتفصيل، وهو ما أفادني في جزء مهم من بحثي، المتمثل في الإمامة الرستمية في تيهرت.

"مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد إمامة بني واسول" رسالة ماجستير لأبي هريرة عبد الله محمود يعقوب، وقد تطرق إلى تأسيس الإمامة الصفرية، المستقلة عن نفوذ الخلافة العباسية، ووصف الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه الإمامة، التي كانت فاتحة الإمامات في بلاد المغرب الإسلامي.

"دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي" وهي رسالة ماجستير لوفاء يعقوب جبريل برناوي، التي وصفت التحول الذي عاشه أهل سجلماسة، من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، بفضل الإمامة الصفرية.

"النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي" لبوبة مجاني، وهي دراسة في النظم الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، حيث تطرقت الأستاذة لموضوع الإمامة الفاطمية، حيث انتقلت من مجالها الفكري إلى المجال العملي، بالنص والتعيين والوصية، وقد أفادني الكتاب في فهم مكانة الإمامة عند الفاطميين وظروف نشأتها في المغرب الإسلامي.

"دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" لموسى لقبال وهي دراسة شملت التعريف بفروع كتامة وعلاقتهم بأهمّ القبائل البرنسية وبالإمارة الأغلبية، وتشرح جهود فروع كتامة في سبيل نشر الحركة الإسماعيلية، حتى نجاحهم بقيام الخلافة الفاطمية في رقادة، وترصد نشاط كتامة في ميادين التوسع والحياة المذهبية، وهو ما أفادني في جمع مادة علمية، حول ظروف نشأة الإمامة الفاطمية، ومعرفة أهم مراحل تطور هذه الإمامة في المغرب الإسلامي.

"الإمامة عند ابن تومرت" وهي رسالة ماجستير لعلي الهادي الإدريسي، الذي فصّل من خلالها مفهوم الإمامة عند محمد بن تومرت، وهو ما أفادني في بحثي، في شقه المتمثل في الإمامة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي.

أما الدراسة الثانية المهمة فهي رسالة دكتوراه لعبد المجيد النجار بعنوان "المهدي بن تومرت" مع عنوان فرعي:(حياته وآراؤه وثورته الفكرية ولاجتماعية أثره بالمغرب)، وهي دراسة شاملة لجذور حركة الموحدين، وتأثيرها في الفكر والاجتماع والسياسة، وهو ما خدم موضوعي خدمة جليلة.

**خطة الدراسة:**

لقد قسّمت دراستي إلى أربعة فصول وفصل تمهيدي، فبعد **المقدمة** عرضت أهم المصادر والمراجع، التي اعتمدتها وبيّنت فيما أفادتني، أما الفصل التمهيدي، فكان عنوانه: **"النظم والإمامة المفهوم والتعريف"** قسمته إلى أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول "مفهوم النظم لغةً واصطلاحاً" وفي المبحث الثاني تطرّقت إلى "مفهوم الإمامة ونشأتها"، وقد تضمن معنى الإمامة "لغةً واصطلاحاً"، ثم "نشأة الإمامة بعد وفاة الرسول ﷺ"، كما تناول مسألة "وجوب الإمامة".

أما في المبحث الثالث، قدمت النموذج الأمثل في التاريخ الإسلامي للإمامة، والمتمثل في إمامة الخلفاء الراشدين(11-41هـ/632-661م)، حيث بدأت بخلافة سيدنا أبي بكر الصديق، وخلافة سيدنا عمر بن الخطاب، ثم خلافة سيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب وخلافة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهم جميعاً.

أردت من خلال هذا الفصل، إعطاء شرح لمفهوم النظم والإمامة، في العصور الأولى للإسلام، وكيف كانت الإمامة في أول عهودها عصر الخلفاء الراشدين، لنتمكّن في نهاية البحث من ملاحظة التطور الذي طرأ على منصبّ الإمامة.

لأنتقل إلى الفصل الأول من البحث، الذي تناولت فيه موضوع **الإمامة الصفرية والإباضية في المغرب الإسلامي (140- 296هـ/757-909م)**، فبدأت "بالوضع السياسي للمغرب قبيل الإمامة المدرارية والرستمية"، ثم المبحث الثاني الذي ضمّ "ظهور المذهبين الصفري والإباضي في المشرق، وكيفية لجوؤهما إلى المغرب"، ثم شرحت في المبحث الثالث "مفهوم الإمامة في الفكر السياسي الصفري والإباضي"، وذكرت في المبحث الرابع "الأيمة المدراريون والرستميون"، وقد جمعت بينهما لتشابه إمامتيهما ووجودهما في نفس الفترة، وفي المبحث الخامس بينت "طرق البيعة والاستخلاف في الإمامة المدرارية والرستمية"، أما المبحث السادس، فقد تعرضت فيه "لمهام وسلطات الإمام"، ثم في المبحث السابع عدّدت "ألقاب الأيمة في الإمامتين"، وفي المبحث الثامن والأخير ذكرت "شارات الإمامة الرستمية".

أما الفصل الثاني، فقد تضمن **الإمامة الشيعية في المغرب الإسلامي من (172-362هـ/788-973م)**، وينقسم إلى عشر مباحث، كان المبحث الأول عن "الوضع السياسي في المغرب قبيل قيام الخلافة الفاطمية"، والمبحث الثاني عن "ظهور التشيع في الشرق الإسلامي وانتقاله إلى المغرب"، أما المبحث الثالث فتطرقت فيه إلى "مفهوم الوصاية والإمامة عند الشيعة الأدارسة والفاطميين"، ثم ذكرت "أيمة كلٍّ منهما" حسب التسلسل الزمني، والمبحث الخامس كان في معنى "الوِلاية وطاعة الإمام عند الشيعة".

ثم مررت إلى المبحث السادس، حيث تضمن "ولاية العهد عند الأدارسة والفاطميين"، أما المبحث السابع فكان في "كيفية البيعة أو العهد على الطاعة عند الشيعة"، والمبحث الثامن ضمّ "سلطات الإمام ووظائفه"، والمبحث التاسع عددت فيه "الألقاب الخلافية وشارات الملك في الخلافة الفاطمية"، ثم ختمت الفصل بالمبحث العاشر الذي كان عن "حاشية الخليفة الفاطمي".

والفصل الثالث، خصصته **للإمامة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي(524-668هـ/1130-1270م)**، فبدأته بالمبحث الأول الذي رصدت فيه "الأوضاع السياسية في المغرب قبيل ظهور صاحب الدعوة الموحدية محمد بن تومرت"، ثم خصصت المبحث الثاني لإلقاء الضوء على "حياة ابن تومرت إمام الموحدين"، من خلال ذكر مولده ونشأته ثم رحيله إلى المشرق لطلب العلم ثم عودته لإشهار دعوته، والمبحث الثالث، شرحت فيه "مفهوم الإمامة في عقيدة المهدي محمد بن تومرت"، ومررت للمبحث الرابع وبدأت الحديث عن "الخلافة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي"، التي تميزت بمرحلتين مرحلة الشورى ومرحلة الملك.

وعدّدت في المبحث الخامس "خلفاء عبد المؤمن بن علي"، أما المبحث السادس فتضمن "طريقة البيعة وولاية العهد عند الموحدين"، والمبحث السابع ذكرت فيه "سلطات الإمام الموحدي ووظائفه"، والمبحث الثامن خصصته "لألقاب الخلفاء الموحدين وشارات خلافتهم"، أما المبحث التاسع ضمّ "حاشية وأهل دار الإمام محمد بن تومرت والخليفة عبد المؤمن بن علي"، ثم ختمت الفصل بالمبحث العاشر الذي احتوى "أدب اللقاء مع الإمام والخليفة الموحدي".

وانتقلت إلى الفصل الرابع والأخير، الذي كان عنوانه: **مسوّغات نجاح الإمامة وأثرها على بلاد المغرب الإسلامي** وهو الفصل الذي وضعت فيه ملاحظاتي وما استخلصته، من نتائج حول موضوع

الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، حيث بدأت الفصل بالمبحث الأول، الذي رجعت فيه إلى "الأسباب والدوافع التي أدت إلى ظهور الأحزاب والمذاهب" بعد الفتنة الكبرى، ثم مررت إلى المبحث الثاني، الذي جعلته للحديث عن "سيكولوجية أو علم نفس القيادة، التي طبّقها الأيمة" وأدت إلى نجاحهم في هذه التجربة، والمبحث الثالث، خصصته "لدور القبائل البربرية، في إنجاح مشروع دولة الإمامة في المغرب الإسلامي"، ثم المبحث الرابع، الذي سجلت فيه "قيمة تجربة الإمامة في المغرب، ورصدت أهم آثارها على العباد والبلاد"، ثم ختمت الفصل بالمبحث الخامس، الذي جمعت فيه "أسباب ضعف وسقوط الإمامات المتعاقبة في بلاد المغرب الإسلامي".

وفي الخاتمة أبرزت أهم النتائج المتوصّل إليها في هذا البحث، منظمة ومرتبة نتيجة بعد نتيجة، وإتماماً للبحث ألحقت الدراسة بمجموعة من الملاحق، ضمت الحدود الجغرافية لبعض دول الإمامات، وأضفت أشكالاً للسكة في بعض هذه الدول.

**المنهج المتبع في الدراسة:**

إن هذا البحث لم أصل به إلى تمامه، بمنهج تاريخي بعينه، وإنما اتبعت مناهج عديدة، فبدأت بالمسح الكليّ للمادة الخبرية، التي كادت أن تكون عائقاً دون التحرير، وبعد تصنيف تلك المادة الغزيرة وتصفيفها، رأيت أن المنهج الوصفي، الذي يعتمد على دراسة الظواهر ووصفها كما تحدث تماماً وبشكل دقيق، والتعبير عنها بالكم والكيف، هو المنهج الأنسب للفصول الأربعة الأولى من البحث، أما الفصل الأخير، فاعتمدت على المنهج التحليلي الاستنتاجي والمنهج المقارن.

كما سطّرت لنفسي منهجاً رأيته مناسباً وضرورياً، في هذه المرحلة من التاريخ الإسلامي في المغرب وهو أن ألتزم الحياد في نقل المعلومات، وأن لا أتعصب أو أتحزب لأي مذهب من المذاهب، وأن أكون صادقة في نقل الأخبار، فكنت عبر مراحل هذا البحث صفريةً وإباضيةً ومالكيةً وفاطميةً وموحدية كما أراد ابن تومرت، لكي يكون بحثي بداية جديدة، في فصل التاريخ عن الإسلام، لأن الإسلام جاء من عند الله والتاريخ (الخلافة) صنعه البشر، يصيبون ويخطئون، وأحكامنا ونُقُول المؤرخين نبقى نقولاً بشرية لها ما لها وعليها ما عليها.

أما عن المشاكل التي اعترضتني في هذا البحث، فلعل أهمها في هذه السنوات الأخيرة، ظهور جائحة كورونا، التي كان من تداعياتها الحجر الصحي، الذي أعاق حركتنا كباحثين، فأقعدتنا دون ولوج المكتبات أو اللقاء بالمشرف، والمشكل الثاني تمثل في غزارة المادة العلمية، بالنسبة لبعض الإمامات كالرستمية والفاطمية والموحدية، وندرتها إلى حدّ التعجيز بالنسبة لإمامة المدراريين والأدارسة في المغرب الأقصى.

وإني وإن ذكرت ما حققته في هذا البحث، ونسبته لنفسي بضمير المتكلم، فإني لا أنسى دور أستاذي المشرف الدكتور إبراهيم بحاز، الذي أعتبره من جزيل نعم الله علي، أن وضعه في دربي فمهّد لي طريق العلم وأنار بمصابيح نصحه عتمة جهلي وتقصيري.

أقدّم امتناني وتقديري واعترافي له بالجميل، وأشكره الشكر الجزيل، وأدعو الله له بدوام الصحة لخدمة هذا الوطن، وخدمة البحث العلمي الجاد والرصين، كما لا يفوتني أن أشكر جامعة غرداية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، التي احتضنتنا طيلة هذه السنوات، وقدمت لنا التسهيلات في مجال التكوين والتأطير.

هذا وإن ما بذلته من جهد في هذا البحث، في سبيل تبيين حقيقة قيام الدول في بلاد المغرب الإسلامي الوسيط، أوصلني إلى نتائج أحسبها هامة ومفيدة، في إطار البحث العلمي للفكر السياسي بالمغرب، وفي إطار الكشف عن حقيقة التكامل بين الدين والسياسة، وبين الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي، ولكنها نتائج تظل في حاجة إلى التكميل والتطوير، على ضوء ما يجدّ من مؤلفات ومصادر، قد تظهر بعد هذا العمل.

والله أسأل السداد والتوفيق في الفكر والقول والعمل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

## 1- المصادر والمراجع عرض وتحليل:

تواجه الدارس للنظم في التاريخ الإسلامي، صعوبة جمّة لأن المصادر المشرقية والمغربية، قلما تشير إلى موضوع دراسته، ومن ثمّ فإن المادة التي يجمعها بعد عناءٍ بالغ، لا توازي الجهد الذي بذله، وإن صحّ هذا بالنسبة للتاريخ الإسلامي عامة، فإن مهمة الدارس لفترة تاريخية بعينها، ستكون أشق لا سيما إذا لم تحظ هذه الفترة بمصدر عن نظمها، لذلك لا يبقى أمامه إلا كتب التاريخ العام والجغرافية، وتزداد صعوبته وتتضاعف، إذا كانت المصادر التي كتبت في الفترة التي يدرسها قد فقدت.

لقد فُقِدَتْ كتب كثيرة صُنّفت عن الفترة الوسيطية، لتاريخ المغرب الإسلامي، بأقلام رجال عاصروا الدول وعاشوا في ظلها واشتركوا في أحداثها، وما يدفعنا لقول ذلك هو طبيعة قيام الدولة المغربية في ذلك العصر، والتي كان من شروط قيامها علم الإمام، فإذا كان الإمام فقيهاً عالماً، لا شك أنه سيسعى لأن تكون دولته قائمة على طلب العلم ونشر المعرفة، وهو المشكل الذي واجهْتُه في رصد أخبار الإمامتين، في سجلماسة وفاس.

وعند تصنيفي لمصادر ومراجع بحثي، ارتأيت أن أصنّفها إلى ثلاث مجموعات رئيسة، المجموعة الأولى خاصة بمصادر الإمامة في الفكر الإسلامي، والمجموعة الثانية خاصة بمصادر الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، والمجموعة الثالثة خاصة بموضوع البحث.

### 1-1 المجموعة الأولى: مصادر الإمامة في الفكر الإسلامي

لا يمكن معالجة مسألة الإمامة، دون تصفح كتاب "الأحكام السلطانية والولايات الدينية" لأبي الحسن علي بن محمد والمشهور بالماوردي (ت450هـ/1058م) نسبة إلى عمل عائلته بصناعة ماء الورد وبيعه، ولد بالبصرة عام 364هـ/972م، وأثرى الفكر الإسلامي بالكثير من الكتابات الدينية ككتب التفسير والفقه والحسبة، وكتب الاجتماع والسياسة، حيث لازمت شهرته كتاب (الأحكام السلطانية)، الذي لا يزال حتى اليوم كتاباً رائداً لا غنى عنه لكل من يبحث في علم السياسة عند المسلمين.

نال كتاب الأحكام السلطانية أهمية أكاديمية كبرى، لأنه يعتبر مدخلاً لفهم الفكر السياسي الإسلامي، فهو يرى وجوب عقد الإمامة، لأنها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به، وأنها فرض كفاية كالجهاد وطلب العلم، كما عدّد شروط الإمامة، ووجوب عقدها باختيار أهل الحل والعقد،

وقد ساعدني هذا الكتاب على ترتيب عناصر الموضوع، حسب الأهمية والتركيز على ما يخدم البحث، كما استعنت بكتاب "مآثر الأنافة في معالم الخلافة" للقلقشندي (ت821هـ/1418م)، المؤرخ والأديب والبحاثة، ولد بقلقشندة قرب القاهرة سنة 756هـ/1355م، وكتابه قدّم تفسيراً لكلمة الخلافة وتحدّث عن وجوب عقدها، ثم ذكر الخلفاء وكيف كانت تتم البيعة لهم، لذلك فقد أفادني هذا الكتاب أيضاً في مفهوم الإمامة وضرورة عقدها، عبر ذكر تاريخ الخلافة الإسلامية، كما استعنت بكتاب "الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية" لزين الدين عبد الرؤوف المناوي.

وبالإضافة إلى هذه المجموعة من الكتب، ركّزت على مصادر التاريخ الإسلامي العام، التي أفادتني في معرفة التواريخ وفي الأحداث التي سجلّتها، منها كتاب "تاريخ الأمم والملوك" للإمام المجتهد محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ/922م)، الذي ولد بآمل طبرستان سنة 254هـ/868م، واستوطن بغداد وأقام بها حتى وفاته، فكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات فقيهاً في أحكام القرآن.

وإلى جانب كتاب الطبري، استعنت بكتاب "الكامل في التاريخ" لأبي الحسن عز الدين بن الأثير الجزري (ت 630هـ/1233م)، المؤرخ والإمام من العلماء بالنسب والأدب، ولد سنة 555هـ/1160م، ونشأ في جزيرة ابن عمر وسكن الموصل، وتجوّل في البلدان لكنه عاد إلى الموصل فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء وتوفي بها، له العديد من المصنفات، وقد استفدت كثيراً من مصنفه هذا، الذي رتّبه على السنين إلى سنة 629هـ/1232م.

ويأتي بعد هذا الكتاب، كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لصاحبه أبي زيد ولي الدين عبد الرحمن، المشهور بابن خلدون (ت 808هـ/1406م)، الاشبيلي الأصل، ولد سنة 730هـ/1330م بتونس، حفظ القرآن وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث وتفقّه واعتنى بالأدب وأمور الكتابة والخط، جاب المغرب ورحل إلى الأندلس ثم عاد وتوجه إلى الديار المصرية التي توفي بها، لقد كانت الاستفادة من هذا الكتاب عظيمة وجليلة، من خلال المعلومات الغزيرة التي قدّمها في أجزاء هذا الكتاب وخاصة مقدمته.

## 2-1 المجموعة الثانية: مصادر الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية:

لمّا كان موضوعي مرتبطاً أشدّ الارتباط بموضوع المذاهب والفرق الإسلامية، نظراً لصلة المذاهب بموضوع الإمامة، وصلة الإمامة بإنشاء الدول في بلاد المغرب الإسلامي، كان لابد من إبراز هذه المذاهب التي نجحت في المغرب وأقامت كيانات سياسية لها.

كان للمذاهب الإسلامية اتجاهات مختلفة، فبعضها اختلف في العقيدة، ولم يكن الاختلاف في لبّها، كمسألة الجبر والاختيار وغيرها من المسائل، التي جرى حولها اختلاف علماء الكلام، مع اعتقاد الجميع بأصل الوحدانية، وهي لباب العقيدة الإسلامية، لا يختلف فيه أحد من أهل القبلة، ومنها مذاهب في السياسة، كالاختلاف في اختيار الخليفة، ومنها المذاهب الفقهية، التي نظّمت العلاقة بين الناس بعضهم ببعض، وبيّنت العلاقة بين العبد والمعبود في العبادات التي شُرِّعَتْ بالكتاب والسنّة[3].

وعلى ضوء ما سبق فإن المذاهب، التي جاءت إلى المغرب وأسست الدول، كانت مذاهب عقدية وسياسية لذلك لمعرفة أسباب ظهور هذه الفرق، وأمكنتها وتواريخها ومؤسسيها، اعتمدت على كتاب "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لابن حزم الظاهري الأندلسي(ت 456هـ/1064م)، وكتاب "الفرق بين الفرق" لعبد القاهر البغدادي (ت 469هـ/1077م). كما استفدت أيضاً من كتاب "الملل والنحل" لأبي الفتح الشهرستاني (ت 548هـ/1153م)، والذي ولد بشهرستان الواقعة شمال خرسان سنة 479هـ/1086م، يمتاز كتابه عن غيره من الكتب، في طريقته بتقديم تعريفاتٍ مختصرةٍ للأديان والفرق والمذاهب، فيها من الفائدة ما يغني عن طلب الاستزادة من كتب أخرى،

وإضافة إلى هذه المصادر، نقلت عن مصادر أخرى قريبة من المذاهب قيد الدراسة، لكي أصل إلى مفهوم الإمامة ومكانتها وحكمها في كل مذهب، لذلك اعتمدتُ في مذهب الإباضية على كتاب "المصنف" للكندي (ت557هـ/1171م)، وكتاب "العقود الفضية في أصول الإباضية" لسالم الحارثي، وكتاب "مقدمة التوحيد وشروحها" لأبي العباس أحمد الشماخي وأبي سليمان داود التلاتي، وكتاب "إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء" لسالم بن حمود السيابي السمائلي، هذا الكتاب الذي يشتمل على ذكر أيمة المذهب الإباضي وأصوله الصحيحة من الكتاب والسنة والاجماع، كما أكّد على ذلك صاحبه.

---

[3])- انظر مقدمة محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، دس.

أما فيما يتعلق بمذهب الزيدية، فاستعنت بكتاب "مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم" لأحمد بن محمد الرصّاص (ت621هـ/1224م) من علماء الزيدية، أما الكتاب فيعرف أيضاً بالثلاثين مسألة: عشر في التوحيد، وعشر في العدل، وعشر في الوعد والوعيد، وهي خلاصة عقيدة الزيدية المشابهة للمعتزلة، وكتاب "ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة" للحسين بن بدر الدين (ت 663هـ/1265م)، الذي تضمّن الحديث عن المذهب الزيدي، ومكانة الإمامة فيه، وكتاب "الأساس لعقائد الأكياس" للقاسم بن علي (ت 1029هـ/1620م) وهو من زيدية اليمن.

وأما عن مذهب الإسماعيلية، فقد اعتمدت على كتاب "دعائم الإسلام" للقاضي النعمان (ت363هـ/974م)، حيث يضم الكتاب دعائم الإسلام السبعة عند الفاطميين، وهو في جزأين: الأول جعله للعبادات، وتحدث فيه عن ضرورة الاعتقاد في الإمامة، ووجوب طاعة الإمام ورأي الإسماعيلية في الولاية، لذلك كانت الاستفادة من هذا الكتاب قيمة، كما استفدت من كتاب "المصابيح في إثبات الإمامة" لأحمد بن عبد الله كرماني (ت411هـ/1020م)، وهو من كرمان الفارسية، وتلقى علومه في مدارس الدعوة الفاطمية ثم رحل إلى القاهرة، والكتاب من أهم المصادر الفاطمية، التي عالجت موضوع الإمامة وقدمت البراهين العقلية والمنطقية لإثباتها ووجوبها، بالإضافة إلى كتاب, وكتاب "تلخيص الشافي" لجعفر الطوسي من طوس بخرسان (ت436هـ/1045م)، وكتاب "تجريد العقائد لنصير الدين الطوسي (ت672هـ/1274م).

وفي مذهب الموحدين، الذي هو مذهب محمد بن تومرت، اعتمدت على كتاب "أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى كل خير" لصاحبه محمد بن تومرت (ت524هـ/1130م)، وهو عبارة عن مجموع من الكتب والرسائل، في الأصول والفقه والتوحيد والحديث والسياسة والجهاد، ويشتمل على كل التعاليق والنصائح التي أملاها ابن تومرت على الموحدين، وقد استفدت من الكتاب في مسألة الإمامة، إذ شرحها ابن تومرت وبيّن كل المسائل المتعلقة بها.

## 1-3 المجموعة الثالثة: المصادر الخاصة بموضوع البحث

**مصادر المدراريين في سجلماسة:**

استفدت في هذا الجانب من كتاب "المسالك والممالك"، لأبي عبيد البكري (ت 487هـ/1094م)، وهو كاتب جغرافي وأديب، ولد بقرطبة سنة 432هـ/1041م، حيث يعتبر كتابه من أهم المصادر المغربية، وهو مهم في دراسة دولة بني مدرار، حيث يحتوي على معلومات كثيرة وقيّمة عن هذه الدولة وقبائلها ومدنها، مقارنة بغيره من الكتب، فقد استند عليه البحث في الكثير من المعلومات.

كما يعتبر كتاب "أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام" لصاحبه لسان الدين بن الخطيب (ت 776هـ/1375م)، الذي ولد بلوشة الأندلسية، فكان شغوفاً بالعلوم الطبية والفلسفية، وبفضل مهاراته عيّنه بنو الأحمر ملوك غرناطة على الوزارة، أما عن الكتاب فهو من المصادر المهمة أيضاً، خاصةً القسم الثالث منه، الذي كان في تاريخ المغرب الوسيط والأقصى، حيث تحدث عن حكّام دولة بني مدرار واحداً بعد الآخر، وذكر ظروف اعتلائهم الإمامة، كما تحدث عن المدن والقبائل التي أقامت الإمامة واحتضنتها، وقد قام بكتابة هذا القسم، عندما كان منفياً في بلاد المغرب إثر انقلاب حدث في مملكة غرناطة، مما ترتب عنه خلع السلطان محمد الغني بالله، وتولي أخيه مكانه، لذلك فرّ السلطان مع عدد من حاشيته ووزرائه، ومنهم لسان الدين بن الخطيب، إلى المغرب الأقصى والتجأ إلى سلطانها أبي سالم إبراهيم المريني.

**مصادر إمامة الرستميين في تيهرت:**

خلّفت الإمامة الرستمية الإباضية، تراثاً معتبراً في التاريخ والسير والعقائد، لا يزال الجزء الأكبر منه مخطوطاً، في حوزة الإباضية بمناطق وجودهم، بميزاب الجزائر أو جزيرة جربة بتونس أو جبل نفوسة بليبيا أو سلطنة عمان، إضافة إلى بعض المكتبات العامة كدار الكتب المصرية، ولعل ما ضاع منها بسبب الفتن، والتلف نتيجة إخفائها عن الأعين[4].

[4])- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية ( الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، ص23.

لذلك يعتبر كتاب "أخبار الأئمة الرستميين"، لصاحبه ابن الصغير المعاصر للرستميين، والذي أقام في عاصمتهم تيهرت يطلب العلم ويعمل بالتجارة[5]، والذي لم نجد له أي معلومات عن حياته الشخصية، إلا أنه عاش في أيام الإمام الرستمي أبي اليقظان بن أفلح بين 261-281هـ/875-894م، حيث بدأ ابن الصغير بكتابة أخبارٍ شاهدها، مثل حضوره بعض المناظرات بين الإباضية والمعتزلة[6]، بداية من عصر اليقظان، لكنه في مؤلفه يذكر كل الأيمة الرستميين بل ويبدي إعجابه ببعضهم، رغم أنه غريب عن تيهرت، ولا ينتمي إلى مذهبهم، وهو ما أعطى مصداقية للمعلومات التي أوردها في كتابه.

فكانت الاستفادة جليلة من كتاب ابن الصغير، الذي قدّم تفاصيل مهمة عن الأيمة عبر كل مراحل الدولة الرستمية، فوصف علمهم وشجاعتهم وأسباب ترشيحهم للإمامة، ووصف النظام الإداري والاقتصادي، كما ذكر القبائل التي كانت تحيط بالأيمة وتكوّن عصب دولتهم، وهذا كله أفادني فجمعت منه مادة علميةً معتبرة.

وبالإضافة إلى هذا الكتاب المهم، أفادني كثيراً كتاب "سير الأئمة وأخبارهم" لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني (ت 471هـ /1079م) من أهم الكتب الإباضية، التي جمعت سير الأيمة وأحداث دولتهم، وهو ما كنت أحتاج إليه في بحثي، فاستعنت بالكتاب في تبيين ظروف قدوم المذهب الإباضي، وانتشاره في المغرب الإسلامي، وفي طريقة تولي الإمام لمهامه، التي كانت تقوم على مبدا الشورى، رغم أنها بقيت في أسرة واحدة، ثم ذكر الأيمة الرستميين وذكر حاضرتهم تيهرت، ولم يغفل الكتاب عن ذكر الفتن والافتراقات التي أدت إلى سقوط الدولة الرستمية.

لم يكن هذان المصدران الوحيدان في الإمامة الرستمية، بل اعتمدت على مصادر أخرى، تجنبت الخوض فيها تلافياً للإطالة والإسهاب، ككتاب "طبقات المشايخ بالمغرب" للدرجيني وكتاب "السير" للشماخي.

---

[5])- ابن الصغير : **أخبار**، ص84.

[6])- نفسه، ص102.

**مصادر إمامة الأدارسة:**

لقد شكّل انعدام المصادر الإدريسية مشكلة، لأي باحث في التاريخ الوسيط لمنطقة المغرب الإسلامي والمغرب الأقصى بصفة خاصة، لأن المصدر يعتبر أصدق وثيقة، يمكن للباحث الاعتماد عليها والإمامة الإدريسية لا تملك هذا الامتياز، لذلك اعتمدت على مصادر أخرى كُتِبَتْ عن هذه الإمامة دون أن يكون للكاتب علاقة مباشرة معها.

فاستعنت بكتاب "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" للمؤرخ المغربي المراكشي أبي العباس أحمد بن عذاري (ت 712هـ/1312م)، الذي جعل كتابه هذا في ثلاثة أجزاء، تناول في الجزء الأول تاريخ شمال إفريقية منذ الفتح الإسلامي حتى ظهور المرابطين والموحدين، وهو موضوع دراستي، فاستفدت من المعلومات التي قدمها عن الإمام إدريس الأول وعن رحلته إلى المغرب والتفاف القبائل البربرية به، ثم خروجه لإخضاع القبائل في المغرب الأقصى والأوسط.

بالإضافة إلى هذا الكتاب، كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لصاحبه علي بن أبي زرع الفاسي (ت 741هـ/1341م)، الذي لا نعرف شيئاً عن حياته هو أيضاً، سوى ما ذكر أنه كان عاملاً في المؤسسة القضائية كشاهد، ويعتبر كتابه هذا من أهم المصادر المغربية، نظراً لشموليته وغزارة أخباره، حيث ذكر قصة إدريس الأول بداية من المشرق إلى أن وصل إلى قبيلة أوربة، وذكر بيعة القبائل له وخروجه لإخضاع المناطق المغربية، وفصّل في حادثة موته وانتقال الحكم إلى أبنائه من بعده،ثم ذكر أيمة الدولة واحداً بعد واحد وما قاموا به من أعمال، ثم ذكر في نهاية الحديث عن دولة الأدارسة، ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية، وظواهر طبيعية وإنسانية كالمجاعات والأوبئة، فاستغليتُ هذه المعلومات في بحثي حسب ما اقتضت إليه الحاجة، خاصة في ذكر الأيمة الأدارسة وأعمالهم، وبيعة القبائل للإمام إدريس، وفي بناء مدينة فاس عاصمتهم.

**مصادر الإمامة الفاطمية:**

وأما عن مصادر الإمامة الفاطمية فهي كثيرة ومتنوعة، اخترت أن أذكر منها كتابين للقاضي النعمان، قاضي الفاطميين الأول وفقيههم دون منازع، وهو أبو حنيفة النعمان التميمي، لا يُعْرَفُ تاريخ

لميلاده لذلك عمد الباحثون إلى التخمين فقدّروه سنة 259هـ/873م، أو سنة 293هـ/906م، ويكون قد دخل في خدمة المهدي في سنٍّ تتراوح بين 23 و30 سنة من عمره.

اعتمدت في بحثي على كتابين لهذا المؤرخ، الأول هو كتاب "افتتاح الدعوة" وهو كتاب أطبق الباحثون على أهميته وأنه نفيس، لما يكشفه من تفاصيل عن بداية الدعوة الإسماعيلية، وكيف انتقلت إلى المغرب الإسلامي، بفضل الداعية أبي عبد الله الداعي، ثم ذكر سيرة الأيمة الفاطميين، إلى آخرهم بالمغرب وهو المعز لدين الله كما تحدث أيضاً عن قبيلة كتامة البربرية، ودورها المحوري في قيام الدولة الفاطمية في المغرب الإسلامي، وهو ما ساعدني على جمع مادة علمية، تتعلق بموضوع البحث.

والكتاب الثاني هو كتاب "المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات"، الذي كان مختلفاً عن الكتاب الأول للمؤرخ نفسه، فكان يحمل معلومات كثيرة ومما زاد في أهمية الكتاب، أنه كتاب وثائقي حرص من خلاله القاضي النعمان على تسجيل مادته بعد كل مجلس مباشرةً، بل ويتحرى في نقل ما ينقله حتى يأتي بلفظ المعزّ كما ورد على لسانه، مع ما في العمل من مشقة وجهد، وكانت مراجعة الخليفة المعزّ لمحتواه تزيد النعمان وثوقاً من عمله، وقد غطى كتاب المجالس والمسايرات الفترة الإفريقية من حياة المعزّ كلّها تقريباً، ولم يكن الكتاب كتاب تاريخ ولا كتاب سيرة فقط، إنما هو أيضاً كتاب عقيدة وأدب، لذلك استفدت منه كثيراً، فهذه المسايرات التي ذكرها النعمان، كانت عبارة عن مواضيع مختلفة ومواقف ومشاهدات عززت بها بحثي.

كما اعتمدت على كتاب آخر، عنوانه "عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المصطفى المختار ووصيّه علي بن أبي طالب قاتل الكفّار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الله العزيز الغفّار" لصاحبه عماد الدين إدريس الداعي، الذي ولد سنة 794هـ/1392م بقلعة شبام بجبل حرّاز باليمن، حيث لا يعرف أي شيء عن حياته، قبل أن يتولى رئاسة الدعوة الإسماعيلية اليمنية، خلفاً لعمّه الداعي المطلق الثامن عشر بوصية منه قبل وفاته سنة 832هـ/1428م، وبقي يتولى الدعوة أربعين عاماً إلى أن توفي سنة 872هـ/1469م.

كان هذا الكتاب، يؤرخ للدعوة الإسماعيلية منذ نشأتها، وحتى النصف الثاني من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وهو مقسّم إلى سبعة أجزاء، أفادني الجزء الخامس، الذي خصّصه لذكر قيام الدولة الفاطمية في إفريقية، وتحدث فيه المؤلف عن الأيمة الأربعة: المهدي والقائم والمنصور والمعز

فبدأ بظهور الدعوة في اليمن ثم في المغرب، ثم فصّل في الأحداث التي لازمت كل خليفة منهم، إضافة إلى هذا ذكر مناقب القاضي النعمان وتآليفه الكثيرة، وذكر أيضاً أساطين التأليف من الدعاة الإسماعيلية كالنسفيّ والسجستاني والكرماني، فكان حقاً كتاباً جامعاً استفدت منه كثيراً، في نقل سيرة الأيمة الفاطميين وأعمالهم ووظائفهم.

وإلى جانب هذه المصادر، اعتمدت على مصادر أخرى أفادتني أيضاً، وهي كتاب "اتعاظ الحنفا" لتقي الدين المقريزي، في جزئه الأول، وكتاب "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" لأبي عبد الله محمد بن حماد، وكتاب "سيرة جوذر" لأبي منصور العزيزي الجوذري، بالإضافة إلى مصادر ومراجع أخرى يضيق المقام لذكرها.

**مصادر إمامة الموحدين:**

تنوعت المصادر التاريخية التي أرخت للإمامة الموحدية، فنجد من بين أهم و أقدم المصادر التاريخية التي كتبت عن حركة الموحدين، وسجلت رحلة وسيرة إمامها، في شكل نصوص إخبارية، وهو كتاب "أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين" للبيذق، والذي صنّف على طريقة كتابة المذكرات، وكان صاحبه شاهد عيان على الأحداث والوقائع التي جرت مع ابن تومرت، كما التحق بخدمة المهدي ورافقه في رحلته إلى المغرب الأقصى، وأصبح من طلابه والداعين له بين قبائل مصمودة، ومن المؤمنين بمهدويته وعصمته.

فكان الكتاب مهماً، لأنه تتبع أخبار المهدي ابن تومرت ونشاطه وحروبه ودعوته، في كل مدن المغرب التي حلّ بها إلى حين وفاته، ثم يذكر بيعة عبد المؤمن بن علي، ويضيف ذكر حروب أصحاب ابن تومرت كعمر أصناج والبشير الونشريسي، ثم يعود إلى الحديث عن حروب عبد المؤمن بن علي في كلّ من المغرب الأقصى والأوسط، وانهاء الحكم المرابطي بسقوط مراكش، لقد ضمّ كتاب الأخبار هذا معلومات دقيقة ومفصلة، عن الأحداث التي جرت عصر المهدي وعبد المؤمن بن علي، وسلك البيذق في كتابه مسلك الوضوح والبساطة، مع وجود ألفاظ بالبربرية، وأخرى باللهجة الشعبية التي كانت متداولة في ذلك العصر، وهذا كله ساعدني على الاستفادة من الكتاب، في كل ما يخص الإمام محمد بن تومرت، من يوم رجوعه إلى المغرب الإسلامي إلى وفاته، وبداية العهد الجديد بإعلان عبد المؤمن بن علي أميراً للمؤمنين.

أما المصدر الثاني هو كتاب "نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"، يقول محقق نظم الجمان الدكتور محمود علي مكي، إن ابن القطان كان أقل المؤرخين حظاً، من عناية متتبعي تراجم الرجال، إذ لا نجد أحداً اختصه بترجمة مفردة، ولا عُني بالحديث عنه كما عنوا بمن هم أقلّ كثيراً من طبقته، حتى اسمه وكنيته اخْتَلَفَ فيها من أشاروا إليه، لكن الواضح أنه من أهل فاس وعاش معظم حياته في المغرب الأقصى، بينما يجعله البعض من قرطبة وسكن مراكش، حيث كان وثيق الصلة بخلفاء دولة الموحدين من عهد يعقوب المنصور الذي حكم من سنة 580هـ/1184م إلى سنة 595هـ/1199، حتى عهد يوسف المستنصر الذي توفي سنة 620هـ/1223م.

حوى الكتاب كلاماً في فضائل المهدي ابن تومرت، وقدّم دلائل على صحة نسبه العلوي وعصمته، وعن كرامات الخليفة عبد المؤمن بن علي، وفي الكتاب تفصيل لكثير من الأحداث التي جرت في الأندلس والمغرب رتّبها على السنين، كما استفدت من النصوص التي احتفظ بها الكتاب، وجملة الرسائل الرسمية الصادرة عن خلفاء الدولة الموحدية.

وفي هذا الفصل أيضاً، لم أعتمد على هذان المصدران فقط، بل أفادتني مصادر أخرى، ككتاب "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" لعبد الواحد علي التميمي المراكشي، وكتاب "المن بالإمامة" لعبد الملك بن صاحب الصلاة"، وكتاب "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب" الجزء الثالث لابن عذاري، وكتاب "الحلل الموشية" لمؤلف أندلسي، وكتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس" لعلي بن أبي زرع الفاسي.

هذه هي أهم المصادر المعتمدة في هذا البحث، والتي شكلت العمود الفقري له، إليها كنت أعود لحل إشكاليات هذا الموضوع، بالإضافة إلى مصادر أخرى لم أذكرها لضيق المجال، بعضها كان مهماً للبحث، وبعضها الآخر كان ثانوياً.

### 2- المراجع:

كثيرة جداً هي المراجع التي تطرقت إلى الإمامة، نظراً لارتباطها بمسألة تأسيس الكيانات والدول في بلاد المغرب الإسلامي، وأيضاً لارتباطها بالنظم الإسلامية بشكل عام، لذلك كانت كتب النظم الإسلامية متعددة سأذكر بعضها، منها كتاب "النظم الإسلامية نشأتها وتطورها" لصبحي صالح، وكتاب

"مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية" لإسماعيل علي محمد، وكتاب "الوجيز في فقه الخلافة" لصلاح الصاوي، وكتاب "النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها" لعبد الرحمن الجويبر، إلى جانب مراجع أخرى، مكنتني من معرفة الأحكام والقواعد، التي شرعها الله سبحانه لتنظيم أعمال الناس وعلاقاتهم المتنوعة، واستفدت خاصة بالشق المتعلق بالنظام السياسي، والمنهج الذي ينبني عليه في حياة الأمة الإسلامية.

واستعنت في الفصل الأول، بمجموعة من المراجع المهمة، المتعلقة بالإمامة المدرارية، كان أهمها كتاب "الخوارج في بلاد المغرب" لمحمود إسماعيل عبد الرزاق، الذي أكّد في كتابه أن بقيام إمامة بني مدرار شهدت بلاد المغرب، عصراً من الاستقلال السياسي والازدهار الاقتصادي والثقافي، وقد أفادنا كثيراً هذا الكتاب، لقلة المراجع التي تناولت الإمامة المدرارية، وإلى جانبه، استعنت بكتاب "نظرية الخلافة عند الخوارج عرض ونقد" لحسني محمد العطار.

وأفادني كثيراً في موضوع الإمامة الإباضية، كتاب "الدولة الرستمية" بجزأيه، الأول في دراسة الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، والثاني في المجتمع والنظم،لأستاذي إبراهيم بحاز، وخاصة أنه تناول في الكتاب الثاني موضوع الإمامة الرستمية بكل مكوناتها، من ذكر شروط الإمامة عند الرستميين، وذكر الأيمة وكيفية البيعة والاستخلاف لمنصب الإمامة، ومهام وسلطات الإمام، ثم ألقاب الأيمة الرستميين، وهذا ساعدني على جمع مادة علمية لا بأس بها، بالإضافة إلى كتاب "الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية" لمحمد بوركبة، والكتابان "مختصر تاريخ الإباضية" و"الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية" للباروني، وكتاب "تاريخ المغرب العربي" لسعد زغلول عبد الحميد، ومراجع أخرى لا يمكن ذكرها جميعها، ساعدتني إما في المادة العلمية أو في ترتيب أفكاري ومباحثي وفصولي عند الحديث عن الرستميين.

أما بما يخص الفصل الثاني وإمامة الأدارسة، فقد أفادني كتاب "دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة" لإسماعيل العربي، الذى حوى تفاصيل مهمة عن الإمام إدريس الأكبر، ورحلته إلى المغرب، إلى أن تربّع على كرسي الإمامة في وليلي، وذكر الأيمة الأدارسة والظروف السياسية التي أحاطت بهم، وإلى جانب هذا الكتاب، استعنت بكتاب "الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية "لعلال الفاسي وآخرون وكتاب "الأدارسة في المغرب الأقصى حقائق جديدة" لمحمود إسماعيل، وكتاب "دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي" لسعدون نصر الله، الذي أفاض في الحديث عن قبيلة أوربة البربرية التي استقبلت الإمام إدريس، وبيعة القبائل له، ثم المسار الذي أخذته الدولة بعد وفاة إدريس الأول، الذي اعتبره مساراً

ناجحاً، منح للدولة المغربية مكانة دولية، لم يعرفها خلال تاريخه القديم، وهذا ساعدني على وفرة المادة العلمية في جوانب من البحث، وانعدامها في جوانب أخرى، نتيجة تكرار المعلومات السابقة، وإغفال المصادر التي ربما لا زالت دفينة في مكان ما، من المغرب الإسلامي.

وكانت مراجع الإمامة الفاطمية، كثيرة وثرية بالمعلومات، فقد استعنت بكتاب "النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي" لبوبة مجاني، حيث ضم الكتاب دراسة حول الخلافة الفاطمية، المبنية على الأسس الشيعية الإسماعيلية، التي صاغت نظريتها في الإمامة وجعلتها ركناً من أركان الدين، حسب رأي الأستاذة بوبة مجاني، كما استفدت من كتاب "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" لموسى لقبال، حيث تعرض لمجمل تاريخ الإمامة الفاطمية من الدعوة إلى تأسيس الدولة واستعنت أيضاً بكتاب "عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب" لحسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف، فتناول هذا الكتاب كل المراحل التي مرّ بها عبد الله المهدي في حياته، خاصة تلك المتعلقة بإمامته، كما اعتمدت على كتاب "تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام" لمحمد سهيل طقوش، وكتاب "من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي" لمجموعة من الباحثين، بمشاركة وتنسيق الأستاذة بوبة مجاني، وكتاب "نظم الفاطميين ورسومهم في مصر" لعبد المنعم ماجد، هذا الكتاب في طبعته الثالثة سنة 1985م، حوى على دراسة جيدة لموضوع الإمامة، استفدت منها كثيراً في مسائل الوصاية وحق الفاطميين في الإمامة والنص والولاية والألقاب، إلى جانب مراجع أخرى لا يمكن ذكرها جميعها.

وأما في الفصل الثالث المخصص للموحدين، فقد أفادتني دراسة جيدة بعنوان "الإمامة عند ابن تومرت" لعلي الهادي الإدريسي، وهي عبارة عن بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، في جامعة الجزائر للسنة الجامعية 1986-1987م، والتي ساعدتني في مباحثي، الخاصة بنشأة الإمامة وتطورها، وشروطها في عهد ابن تومرت، إلى جانب هذا البحث، استعنت بكتاب "تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت" لعبد المجيد النجار، وكتاب لنفس المؤرخ بعنوان "المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب"، مما قرّبني أكثر إلى شخصية محمد بن تومرت، ومكّنني من معرفة التصور الحقيقي للإمامة في فكره، وإلى جانب هذه المراجع، استفدت من كتاب "الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم"، لعز الدين عمر موسى لكن للأسف جاءني هذا الكتاب مبتوراً من جزء مهم منه، وكتاب "تاريخ المغرب الوسيط" لعبد العزيز سالم.

والفصل الأخير كان فصلاً تحليلياً، ركّزت فيه على تحليل ما جاء في أغلب المصادر، التي استعنت بها في الفصول المتقدمة من البحث، لكن هذا لم يمنع أن أستعين ببعض المراجع منها كتاب "مذاهب ابتدعتها السياسة في الإسلام" عبد الواحد الأنصاري، وكتاب "أصول وتاريخ المذاهب الإسلامية" لمصطفى بن محمد بن مصطفى، وقد أفادتني في معرفة الأسباب التي أدت إلى تشكّل المذاهب في التاريخ الإسلامي، وإلى جانب هذه الكتب اطلعت على كتاب "دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية" لموسى لقبال، حيث ذكر تاريخ قبيلة كتامة، وعلاقتهم بالحركة الإسماعيلية منذ القرن الثالث للهجرة، وكتاب "سيكولوجية الجماعات والقيادة" لويس كامل مليكة، وقد منحني تصوراً صحيحاً لمعالجة إشكالية المبحث الثاني في هذا الفصل، والمتمثل في سيكولوجية القيادة عند الأيمة، كما استعنت بكتاب "حضارة الموحدين" لمحمد المنوني، وذلك لمعرفة الجوانب الحضارية في إمامة الموحدين.

ولم يخل البحث من الدراسات المتميزة، إذ استعنت بالكثير من المذكرات الأكاديمية والمقالات العلمية، التي استفدت منها في جانبها التحليلي للإشكاليات، ومنها المقالة "المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ بن يوسف أطفيش القطب من خلال رحلاته العلمية وآرائه الفكرية" لعطلاوي عبد الرزاق، ومنها المقالة "ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي ابتداء من سنة 122هـ/739-740م في المصادر العربية قديماً ودراسات المدرسة الغربية حديثاً" للأستاذ إبراهيم بحاز، والمقالة "المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب "لصالح محمد فياض أبو دياك، والمقالة "التداول السلمي للسلطة في نظام الحكم الإسلامي" لأوات محمد أمين، والمقالة "بلاد كتامة في ظل الصراع بين الجماعة الإسماعيلية والإمارة الأغلبية "لمحمد بن عربة، وأما المذكرات فكان منها مذكرة "مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد إمامة بني واسول الصفرية" لأبي هريرة عبد الله محمود يعقوب، والمذكرة "دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي، التي ملأت فراغ انعدام المصادر الصفرية، وأمدتني بالمادة العلمية اللازمة.

أما كتب الجغرافية فلا يمكن الاستغناء عنها، فاستعنت لتعريف الأماكن بمجموعة من المصادر الجغرافية من أهمها: كتاب "البلدان" لليعقوبي، وكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي البشاري، وكتاب "الاستبصار في عجائب الأمصار" لمؤلف أندلسي مجهول، وكتاب "تقويم البلدان" لعماد الدين إسماعيل أبي الفداء، وكتاب "الجغرافية" لأبي بكر الزهري.

# الفصل التمهيدي
# النظم والإمامة المفهوم والتعريف

**الفصل التمهيدي: النظم والإمامة المفهوم والتعريف**

أولاً: **مفهوم النظم:**

ثانياً: **الإمامة ونشأتها:**

1- الإمامة لغةً واصطلاحاً

2- نشأة الإمامة

3- وجوب الإمامة

ثالثاً: **الخلفاء الراشدون النموذج الأمثل للخلافة 11- 41هـ:**

1- الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﵁ 11- 13هـ

2- خلافة عمر بن الخطاب ﵁ 13-23هـ

3- خلافة عثمان بن عفان ﵁ 23- 35هـ

4- خلافة علي بن أبي طالب ﵁ 35-40هـ

5- خلافة الحسن بن علي ﵁ 40- 41هـ

**الفصل التمهيدي: النظم والإمامة المفهوم والتعريف:**

أرسى رسول الله ﷺ القواعد والأطر اللازمة لتطبيق النظام، الذي وضعه الله عز وجل للناس من خلال الكتاب والسنة، فالدولة التي أقامها الرسول ﷺ كانت ملائمة لزمانه وعصره، ووافية بحاجات المجتمع ومتطلباته، فَوُجِدَ ذلك الانسجام والتكامل بين السلطة والرعية في زمانه ﷺ.

**أولاً: مفهوم النظم:**

يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "وأيضا فالسياسة والملك هي كفالة للخلق وخلافة لله في العباد لتنفيذ أحكامه فيهم، وأحكام الله في خلقه وعباده إنما هي بالخير ومراعاة المصالح كما تشهد به الشرائع...وبالعكس من ذلك إذا تأذّن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طرقها، فتفقد الفضائل السياسية منهم جملة، ولا تزال في انتقاض إلى أن يخرج الملك من أيديهم"[1]، وبهذا يكون الملك وسياسة الناس خلافةً لله، لا يستقيمان إلا باتباع شريعة الله عز وجل وتنفيذ أحكامه.

النَّظْمُ: التأليف، نَظَمَهُ يَنْظِمُهُ نَظْمَاً ونظاماً ونظّمه فانتظم وتنظم[2] ونَظَمَ الأشياء نظما، ألفها وضم بعضها إلى بعض فَيُقَالُ نظم أمره أي أقامه، والنظم جمع نظام يعني الترتيب والاتساق، ونظام الأمر قوامه وعماده[3]، فالنون والظاء والميم أصل يدل على تأليف شيء وتكثيفه، ونظمت الخرز[4] نظما ونظمت الشعر وغيره، والنظام : الخيط يجمع الخرز وأَنْظَمَت الدجاجة صار في جوفها بيض، ويقال لكواكب الجوزاء نظم، وجاءنا نظم من جراد أي كثير[5]، وهي أيضا التأليف وضم شيء إلى شيء آخر[6]، آخر[6]، ونُظُم أي دولة، تتكون من مجموعة من القوانين والمبادئ والنظريات والتقاليد والأعراف، التي

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 1/277-278.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، ج12، دار صادر، بيروت، 2010م، ص578.

[3]- شعبان عبد العاطي وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1424هـ/1979م، ص933.

[4]- الخرز: مفرده خرزة وجمعه خرزات وخرز، وهو حبة تنظم في سلك أو خيط لتكون عقدا أو سبحة، وتكون اسما منسوبا الى خرزة ويكون صغيرا وكرويا ولامعا (حبات خرزية الشكل)، ينظر: أحمد مختار عمر وآخرون، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ط1، علم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص630.

[5]- أحمد فارس: **مقاييس اللغة**، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.5، دار الفكر، مصر، 1399هـ/1979م، ص443.

[6]- الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، تح. محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1426هـ/2005م، ص1162.

تنهض عليها حياة هذه الدولة وعلاقات الناس فيها، ويكون النظام دليلاً على ترتيب الأشياء في مواقعها حسب طريقة خاصة ومنهج معين، وتكون النظم عبارة عن تلك القوانين والقواعد التي ترسم منهاج وطريقة حياتهم.

فقد أجمعت الأمة على أن النظم "جمع نظام" والتي تعني الأحكام والقواعد، التي تسيّر بها الدولة شؤونها الداخلية والخارجية، وتكون الضابط والأمين بينها وبين الخارج، لذلك همّت جميع الدول بأن تضع نظما لها، وتنفذها بناءً على المصالح المشتركة[1].

كما أن لكل دولة مبادئ وتعاليم في السياسة والإدارة والاقتصاد، تصاغ في بدء نشأتها صياغة نظرية فيحسن القوّامون على تطبيقها أو يسيئون، ويزيدون أصولها أو ينقصون، ويطوّرون أشكالها أو يجمّدون، وقد تستعصي هذه النظريات كلها أو بعضها على التطبيق، ثم تظل في أعين الباحثين مجموعة من القوانين سنها الشارع في بعض المجتمعات للتنظيم، فما أحراها أن تسمى (بالنظم) على اختلاف البيئات والعصور[2].

وفي ضوء ما سبق يمكن تعريف النظام بأنه يفيد الترتيب و التنسيق، ووضع الأشياء والقوانين في مواضعها، حسب طريقة معينة ومدروسة ومنهج واضح وبيّن، وكل مخالفة لطبيعة النظام قد تؤدي إلى الفوضى.

أما النظم فهي عبارة عن القواعد أو المبادئ، التي تجمع ما يرسم للناس منهاج وطريقة حياتهم وتهديهم أو توجههم إلى ما ينبغي أن يسيروا عليه في كل شؤونهم، ويقيموا على أساسه جميع سلوكهم وكل تصرفاتهم[3]،لقد غدا مصطلح النظم، في الأدبيات المعاصرة يراد به القوانين والمبادئ التي تتبناها دولة من الدول وتصوغ على أساسها نمط وطريقة الحياة التي ترتضيها، لتحقق الأهداف التي تسعى إليها في مختلف الشؤون والمجالات...إن النظام هو القانون الذي يربط بين أفراد المجتمع، في ظله يعرف كل فرد ما له من حقوق تجاه إخوانه، وما عليه من واجبات حيالهم، ويدرك ما هو مشروع له فيمارسه، وما هو محرّم عليه فينأ عنه، ومن ثمّ يتحقق للمجتمع استقراره ورفاهيته، بل وحضارته بين المجتمعات الأخرى[4]، كما

[1]- عبد الرحمان الجويير: **النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها**، ط1، دار المآثر، المدينة المنورة، 1423هـ/2002م، ص21.

[2]- صبحي صالح: **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**، ط1، مطبعة أمير، قم، إيران، 1417هـ، ص55.

[3]- إسماعيل علي محمد: **مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية**، ط1، دار النداء، تركيا، 2014م، ص12.

[4]- نفسه، ص- ص12-13.

تظهر حيوية أيَّة أمةٍ ومقدرتها على الاستمرار والبقاء وبناء حضارتها، بقيمة نظمها والمدى الذي وصلته في تطوير هذه النظم، وجعلها مرنة لمواجهة حاجاتها ومشاكلها، لتكون في النهاية الصورة المثلى في تنظيم حياة الناس.

كما أنه قد يختلف مصطلح النظم في الفكر الإسلامي، وذلك لما تمتاز به اللغة العربية من احتواء للكثير من المصطلحات ومعانيها، وكذلك من خلال السنة النبوية، فقد نجد النظم بمعنى السياسة الشرعية وهو ما تضعه الدولة من أنظمة للحكم في شؤونها الداخلية والخارجية، ولكن من منطلق شرعي وهناك النظم بمعنى السِّيَرْ، وهي قواعد تضعها الدولة لتنظيم شؤونها الداخلية والخارجية، كما أن هناك مصطلح ثالث للنظم بمعنى الأحكام، وتعني المبادئ التي تقوم عليها الدولة لتنظيم شؤونها الداخلية والخارجية من حيث العلاقات والمعاملات وغيرها، كما ظهر مصطلح النظم ليحمل معاني محددة مثل نظام الخراج ونظام الحسبة[1].

**ثانياً: الإمامة ونشأتها:**

**1- الإمامة لغةً واصطلاحاً:**

**الإمامة في اللغة:** مصدرا لفعل (أمّ) والإمام كل من أُقتدي به، وقُدِّمَ في أمر من الأمور محقا أو مبطلا، ومن استخدامه في المحق قوله تعالى لإبراهيم:﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[البقرة: 124] وقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: 24] ومن استخدامه في المبطل، قوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾[ التوبة: 12]، وقوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[القصص: 41][2]، والإمام الذي يقتدى به وجمعه أيّمة[3]، أما الإمامة رياسة المسلمين، والإمام من يَأْتَمّ به الناس من رئيس أو غيره، ومنه إمام الصلاة والخليفة[4]، وهو الذي له الرياسة العامة في الدين

[1]- عبد الرحمن الجويبر، المرجع السابق، ص- ص35-36.

[2]- صلاح الصاوي: **الوجيز في فقه الخلافة**، دار الإعلام الدولي، القاهرة، 2008م، ص5.

[3]- الجوهري: **الصحاح**، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج.1، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ص1865.

[4]- شعبان عبد العاطي وآخرون، المرجع السابق، ص27.

والدنيا جميعا[1] وهو قيّم الأمر المصلح له، والإمام : القرآن لأنه يُؤتّم به، والنبي ﷺإمام الأيمة والخليفة إمام الرعية ويكون الإمام رئيسا كقولك إمام المسلمين[2].

**الإمامة في الاصطلاح**: هي نيابة عن النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وقد اتفق على هذا المعنى عامة من تكلّم في هذه القضية من الفقهاء، وزاد بعضهم في تعريفه لها ما يدل على عموم ولاية الإمام بحيث يجب اتباعه على كافة المسلمين[3]، وهي أيضا خلافة شخص من الأشخاص للرسول ﷺفي إقامة القوانين الشرعية وحفظ حوزة الملّة على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة[4]، كما أن الإمامة رياسة في أمر الدين والدنيا وخلافة عن النبي ﷺ[5]، وعرّفها الماوردي على أنها موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين والدنيا، فإن الله جلّت قدرته ندب للأمة زعيما خلف به النبوة وحاط به الملّة، وفوّض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع، وتجتمع الكلمة على رأي متبوع فكانت الإمامة أصلا، عليه استقرت قواعد الملّة، وانتظمت به مصالح الأمة حتى استثبتت بها الأمور العامة وصدرت عنها الولايات الخاصة، فلزم تقديم حكمها على كل حكم سلطاني ووجب ذكر ما اختص بنظرها على كل نظر ديني لترتيب أحكام الولايات على نسق متناسب الأقسام، متشاكل الأحكام[6].

فلما كانت الخلافة هي حظيرة الإسلام ومحيط دائرته، ومربع رعاياه ومرتع سائمته، بها يحفظ الدين ويحمى، وتصان بيضة الإسلام وتسكن الدهمى، وتقام الحدود فتمنع المحارم عن الانتهاك وتصان الفروج فتصان الأنساب عن الاختلاط والاشتباك، وتحصن الثغور فلا تطرق ويذاد عن الحرم فلا تقرع جُنّة جمالها ولا ترشق[7].

---

[1]- الجرجاني، المرجع السابق، ص33.

[2]- محمد مرتضى الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح. عبد العليم الطحاوي، ج31، ط1، التراث العربي، الكويت، 1421هـ/ 2000م، ص245.

[3]- صلاح الصاوي، المرجع السابق، ص5.

[4]- شمس الدين الأصفهاني: **مطلع الأنظار على متن طوالع الأنوار**، ط1، دار الكتب، مصر، 1424هـ/ 2008م، ص228، هذا الكتاب شرح لكتاب طوالع الأنوار للقاضي عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى سنة 675هـ.

[5]- سعد الدين التفتازاني: **متن تهذيب المنطق والكلام**، ط1، وطبعة السعادة، مصر، 1330هـ/1912م، ص121.

[6]- أبو الحسن علي الماوردي: **الأحكام السلطانية**، تح. أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/ 2006م، ص13.

[7]- القلقشندي: **مآثر الأنافة في معالم الخلافة**، تح. عبد الستار أحمد فراج، ج1، عالم الكتب بيروت، دس، ص1.

أما لقب الإمام، فهو من الألقاب المستجدة للخليفة في أثناء الدولة العباسية بالعراق، والأصل في ذلك أن الشيعة كانوا يعبرون عمن كان يقوم بأمرهم بالإمام، من حيث أن الإمام في اللغة هو الذي يقتدى به، وهم بأئمتهم مقتدون وعند أقوالهم وأفعالهم واقفون، لاعتقادهم فيهم العصمة[1].

كما أنها رئاسة تامة، ورعاية عامة على الخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا، متضمنها حفظ الحوزة وحماية البيضة، وإقامة الدولة بالحجة والسيف وكف الجنف والحيف، والانتصاف للمظلوم من الظالمين واستفاء الحقوق من الممتنعين[2].

يقول ابن حزم[3]" اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج، على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها الرسول ﷺ، حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم وهم المنسوبون إلى نجدة بن عمير الحنفي القائم باليمامة"[4].

ويقول محمد بن يوسف أطفيش[5]: "ونصب إمام العدل الكبير واجب إذا تمّت شروطه، والدليل على وجوبه توقف الواجب عليه من تمام الأمر والنهي وإقامة الحدود والقيام بالعدل والإنصاف وردع

---

[1])- القلقشندي: **مآثر الأنافة**، 21/1.

[2])- زين الدين عبد الرؤوف المناوي: **الجواهر المضيّة في بيان الآداب السلطانية** ، تح. عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله الناصر، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1434هـ/ 2013م، ص75.

[3])- هو علي بن حزم الظاهري، عالم الأندلس وأحد أئمة الاسلام، رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه 400 مجلد، أشهرها "الفصل في الملل والأهواء والنحل"، توفي سنة 456هـ/1064م، ينظر، خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ص254.

[4]- ابن حزم: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تصحيح. عبد الرحمن خليفة، ج4، ط1، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1347هـ.

[5])- هو الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل أطفيش، ينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاتي جد العائلة الحفصية التي كانت مالكة في تونس، ولد سنة 1236هـ/1820م ببلدة يزقن إحدى قرى ميزاب بالجزائر، ومن مزايا الشيخ إنتاجه الغزير، فقد وهبه الله قلماً سيالاً وفكراً غزيراً، حتى قيل إن مؤلفاته زادت عن 300 مؤلَّف، شملت التفسير والأصول والتوحيد والحديث والسيرة والفقه والفرائض، واللغة والتاريخ والتجويد والنحو والصرف، وفاه أجله شهر ربيع الثاني سنة 1332هـ/1914م، عن عمرٍ ناهز ستة وتسعين سنة، ينظر: عطلاوي عبد الرزاق، الأحمر قادة، المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ محمد بن يوسف أطفيش القطب من خلال رحلاته العلمية وآرائه الفكرية، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، مج.9، ع1، الجزائر، 31. 03. 2018، ص، ص252، 253، 254.

المتعدي، حتى أن من طعن أو عصى أو أبى إمامة الإمام، أو من أبى أن يَقْبَلَ الإمامة لنفسه إن طلبوه إن تأهّل فإنه يُقتلْ، وحَلَّ قتله لأن في ذلك تعطيل للحدود"[1]، أما ابن خلدون، فيرى أن الإمامة نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، يسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإماما، فأما تسميته إماما فتشبيها بإمام الصلاة، في اتباعه والاقتداء به ولهذا يُقَالُ الإمامة الكبرى وأما تسميته خليفة فلكونه يخلف النبي في أمته[2].

لقد ورد لفظ الإمام في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى:﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾[البقرة آية124]، يعني جل ثناؤه بقوله أني مصيِّرك للناس إماما يُؤْتَمُّ به ويُقْتَدَى به، واني مُصَيِّرُكَ تَؤُم مَنْ بَعْدَكَ من أهل الإيمان بي وبرسلي، تتقدمهم أنت ويَتْبَعُونَ هديك ويستنُّون بسنّتك التي تعمل بها، بأمري إياك ووحي إليك[3].

كما ورد بصيغة الجمع، في قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[ الأنبياء: 73]، أي يُقْتَدَي بهم ويدعون إلى الله بإذنه[4].

أما ذكر الإمامة في الأحاديث النبوية الشريفة،فقد جاء في صحيح البخاري قال : حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: ( ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالإمام الأعظم، الذي على الناس راع مسئول عن رعيته

---

[1]- محمد بن يوسف أطفيش: **شرح كتاب النيل وشفاء العليل**، ج14، ط2، دار الفتح، بيروت، 1392هـ/1972م، ص-ص271-272.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 99/1.

[3]- الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تح. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني، مج. 1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/ 1994م، ص373.

[4]- أبي الفداء اسماعيل بن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، تح. سامي بن محمد السلامة، ج5، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ/1997م، ص354.

والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسئولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عليه، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[1].

**2- نشأة الإمامة:** لما توفي رسول الله ﷺ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم، ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح فقال: ما هذا؟ فقالوا منا أمير ومنكم أمير، فقال أبوبكر: منا الأمراء ومنكم الوزراء، ثم قال أبو بكر قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة. فقال عمر: "أيكم يطيب نفسا أن يخلف قدمين قدّمهما النبي ﷺ؟" فبايعه عمر وبايعه الناس.[2]

لئن كان السؤال، الذي دار في أذهان المسلمين في اللحظات الأولى لانتشار نبإ وفاة الرسول ﷺ وكان مدار جدلٍ بين الأنصار والمهاجرين في سقيفة بني ساعدة، هو: من سيخلف النبي في إمامة المسلمين؟ فإن من النافل القول إنه ما كان سؤالاً دينياً، ولا كان من الممكن أن يأخذ شكلاً دينياً لعلم المسلمين سلفاً أن نبوة رسولهم اختتمت الرسالات، وأنهت أمر القيادة الدينية بالمعنى الدقيق للكلمة، لقد كان سؤالاً سياسياً عمّن سيخلف الرسول في الإدارة السياسية لشؤون المسلمين، وهكذا تعامل معه أولئك الذين تنادوا إلى الاجتماع للبحث في أمر خلافته في اليوم الأول لوفاته[3].

**3- وجوب الإمامة:** وقد ثبت وجوب الإمامة، ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم فإذا قام بها من هو من أهلها سقط فرضها على الكفاية، وان لم يقم بها أحد خرج من الناس فريقان:

أحدهما : أهل الاختيار حتى يختاروا إماما للأمة.

والثاني : أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم للإمامة، وليس على من عدا هذين الفريقين من الأمة في تأخير الإمامة حرج ولا مأثم، وإذا تميز هذان الفريقان من الأمة في فرض الإمامة وجب أن يعتبر كل فريق منهما بالشروط المعتبرة فيه[4]، فنصب الإمامة عند الإمكان واجب، لأن ما وجب من نحو إقامة

---

[1])- محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الأحكام، الباب الأول، ط1، دار ابن كثير، دمشق 1423هـ/2002م، ص1764.

[2])- ابن الأثير: **تاريخ ابن الأثير**، اعتنى به. أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، دس، ص277.

[3])- عبد الإله بلقزيز: **النبوة والسياسة**، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011م، ص-ص43- 44.

[4])- الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص17.

الحدود وسد الثغور وحفظ النظام وغير ذلك، لا يتم إلا به وما لا يتم الواجب المطلق إلا به وكان مقدورا واجب وأن فيه جلب منافع ودفع مضار لا تحصى، وذلك واجب.[1]

وقد اخْتُلِفَ في أصل وجوبها، فذهب قوم إلى أن وجوبها ثابت بالعقل، لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل بينهم عند التنازع، ولولا ذلك لكانوا فوضى مهملين وذهب آخرون إلى أنها وجبت بالشرع ولا أثر للعقل في ذلك، لأن الإمام يقوم بأمور شرعية كان يجوز في العقل أن لا يرد التقيُّد بها، فلم يكن العقل موجبا لها، واحتج لذلك بأنه لابد للأمة من إمام يقيم الدين وينصر السنة، وينصف المظلومين من الظالمين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها[2]، فأما أهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة، أحدها: العدالة الجامعة لشروطها، والثاني: العلم الذي يتوصل به في معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها، والثالث: الرأي والحكمة، المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، بتدبير المصالح أقوم وأعرف،[3]ولأن الإمام في حقيقة أمره ليس إلا منفِّذاً، ومن هنا كان استعمال المسلمين للفظ الخليفة أي المستخلف النائب، والحاكم هو الله جل وعلا ومع أن الإمام يتولى سلطته باختيار أهل الحل والعقد، إلا أنه لا الإمام ولا من ولاّه، لهم من أمر الشريعة شيء، بل الشارع هو الله سبحانه من خلال كتابه وسنة رسوله[4]، وعندما نريد أن نُقدِّمَ مثالاً مشرقاً عن الإمامة أو الخلافة بعد الرسول ﷺ، فلا نجد غير الخلافة الراشدة لصحابة النبي محمد ﷺ.

### ثالثاً: الخلفاء الراشدون النموذج الأمثل للخلافة 11- 41هـ

حظيتالخلافة الراشدة بمكانة كبيرة ومميزة عند المسلمين، نظير الخدمة الجليلة التي قدّموها لنجاح الدعوة وبناء الدولة الإسلامية، لأن عصرهم كان عصر التطبيق الفعلي للشريعة الإسلامية، والسياسات التي انتهجها النبي ﷺ في إدارة هذه الدولة الناشئة.

---

[1]- عبد الرؤوف المناوي: **الجواهر المضيّة**، ص76.

[2]- القلقشندي، **مآثر الأنافة**، ص ص(29، 30).

[3]- الماوردي، **الأحكام السلطانية**، ص17.

[4]- عبد الملك بن عبد الله الجويني: **غياث الأمم في التياث الظلم**، تح. عبد العظيم الديب، ط2، مكتبة امام الحرمين، دب، 1401هـ، ص91.

### 1- الخليفة الأول: أبو بكر الصديق ﷺ 11- 13هـ

سئلت عائشة رضي الله عنها، لم سمي أبو بكر عتيقاً ؟ فقالت: نظر إليه النبي ﷺ يوماً، فقال هذا عتيق الله من النار، وكنيته أبو قحافة، قال: فأبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، تزوج في الجاهلية قتيلة ابنة عبد العزى وولدت له عبد الله وأسماء، وتزوج أم رومان بنت عامر فولدت له عبد الرحمن وعائشة، وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس فولدت له محمد بن لأبي بكر، وتزوج في الإسلام أيضاً حبيبة بنت خارجة بن زيد[1].

حدّدت الشريعة الإسلامية قواعد الإسلام الخمسة في الحكم، وتركت للمسلمين حرية اختيار النظام وشكله وآلياته بما يُجمع عليه المسلمون، كذلك ترك رسول الله ﷺ للمسلمين الحرية في اختيار النظام من خلال القواعد الشرعية، التي حددتها إلى جانب الاقتداء بدولة الرسول ﷺ ووجوبية وجود الخليفة أو الحاكم[2].

فلما قبض النبي ﷺ، اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة[3]، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عبادة، وأتى عمر الخبر فأقبل إلى منزل النبي ﷺ فأرسل إلى أبي بكر في الدار أن اخرج إلي، فأرسل إليه: إني مشتغل، فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره، فخرج إليه، فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة، يريدون أن يولوا هذا سعد بن عبادة وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير[4].

وظهرت فرقتان، فرقة الأنصار الذين آووا المسلمين ونصروهم، وقد رشحوا زعيمهم سعد بن عبادة سيد الخزرج، والفرقة الثانية المهاجرون الذين استندوا بأحقيتهم إلى أسبقيتهم إلى الإسلام وأنهم أهل الرسول وعشيرته وقد تزعمهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة، ثم جرى الحوار بينهما إلى أن

---

[1]- محمد بن جرير الطبري : **تاريخ الأمم والملوك**، اعتنى به. أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، دس، ص562.

[2]- اسحاق رباح: **الحضارة العربية الاسلامية**، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 1432هـ/2010م، ص57.

[3]- سقيفة بني ساعدة: بالمدينة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، فيها بويع أبو بكر ﷺ، أما بنو ساعدة فهم حيٌّ من الأنصار من قبيلة الخزرج، ينظر، ياقوت الحموي، **البلدان**، ص-ص228-229.

[4]- الطبري **تاريخالأمم**، ص492.

حسم الأمر بعد تراجع زعيم الخزرج عن طلب الخلافة بقوله: "فقوموا فبايعوا أبا بكر"[1]، لقد كان لذلك الاختيار والاجماع دلالاته الأكيدة والواضحة في وحدة الجماعة، وشكل القاعدة القوية في بناء وحدة دينية وسياسية واجتماعية واقتصادية، غنية امتدت قروناً من الزمان، وقد ظهرت في اجتماع السقيفة أمور مهمة هي: أنه أول اجتماع يحدث بين المسلمين عقب انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، كما يصفه أبو الحسن الأشعري بأنه: "أوّل ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ، اختلافهم في الإمامة"[2].

وكان الاختلاف سياسياً محضاً وليس دينياً، إلا أن رسوخ الدين في نفوس وقلوب المسلمين قد وحدهم سياسياً، وتمت البيعة بالإجماع عدا سعد بن عبادة، كما أن الانتقال في اتمام أمر الخلافة قد تمّ بمناقشة مفتوحة بعيدة عن الإكراه والعنف بين المهاجرين والأنصار[3]، وتركت حادثة السقيفة مجموعة من القواعد سار عليها الخلفاء الراشدون طيلة حكمهم، وهي:

- ظل مبدأ الشورى والانتخاب الحر العلني كمبدأ أساس لبيعة الخلفاء الراشدين الأربعة.
- رسخت السقيفة مبدأ الانتخاب المباشر لأصلح الصحابة وأكبرهم سناً.
- أثبتت سنة حسنة في البيعة (المصافحة باليد).
- حددت مراسيم الخلافة بالبيعة الأولى من أهل الحل والعقد (البيعة الخاصة)، ثم البيعة الثانية في المسجد (البيعة العامة).
- اعتمدت هذه الطريقة في الانتخاب كمقدمة لنظرية الخلافة عند أهل السنة.
- اعتمد المسلمون سنة حسنة أخرى، وهي خطبة الخليفة في المسجد بعد البيعة العامة لغرض بيان سياسة ومنهجية الخليفة في الحكم، ومسؤولياته تجاه المسلمين وأصبحت بذلك الخطبة تقليداً سياسياً لكافة خلفاء المسلمين من بعده، وفيما يلي بعض المقتطفات من خطبة الصديق ﷺ:"أما بعد: أيها الناس، فإني قد وُلِّيْتُ عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة والكذب

---

[1]- اسحاق رباح، المرجع السابق، ص57.

[2]- أبي الحسن الأشعري: **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين**، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1411هـ/1990م، ص39.

[3]- طه خضر عبيد: **الحضارة العربية الاسلامية**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ/2012م، ص42.

خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع إليه حقه ان شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع أحد منكم الجهاد في سبيل الله فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم"[1].

**2- خلافة عمر بن الخطاب ﷺ 13-23هـ:**

كانت وفاة أبي بكر ﷺلثماني ليالي بقين من جمادى الآخرة ليلة الثلاثاء، وهو ابن ثلاث وستين سنة وهو الصحيح وقيل غير ذلك، وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالي، وقيل كانت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليالي، ودفن ليلاً وصلى عليه عمر بن الخطاب في مسجد رسول الله ﷺوكبّر عليه أربع وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ، وكان آخر ما تكلم به: توفني مسلماً وألحقني بالصالحين[2].

وعقد أبو بكر في مرضته التي توفي فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده[3]، وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي وكنيته أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان يقال له الفاروق وقد اختلف السلف فيمن سماه بذلك، فقال بعضهم: سماه بذلك رسول اللهﷺ، وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: رأيت عمر رجلاً أبيض أمهق، تعلوه حمرة، طوالاً، أصلع[4].

فحينما اشتد المرض على أبي بكر، وشعر بدنو أجله رأى أن يحسم أمر اختيار خلف له خشية انقسام المسلمين بعده، فاختار عمر بن الخطاب خليفة له، بعد أن استشار كبار الصحابة وعامة المسلمين فوافق الجميع على اختياره وبايعوا عمراً، فكان أبو بكر أول من عهد بالخلافة من بعده إلى رجلٍ معين ونُصِّبَ خليفة بمقتضى ذلك[5].

---

[1]- اسحاق رباح، المرجع السابق، ص58.

[2]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص305.

[3]- الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ص563.

[4]- نفسه، ص704؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص362.

[5]- محمد سهيل طقوش: **التاريخ الاسلامي الوجيز**، ط5، دار النفائس، بيروت، 1432هـ/2011م، ص82.

استخلف أبو بكر عمراً، ودعا عثمان فقال له: اكتب، بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد ثم أغمي عليه فكتب عثمان: أمّا بعد قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلُكم خيراً، ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ علي، فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي؟ قال: نعم، قال: جازاك الله خيراً عن الإسلام وأهله[1].

فلما كتب العهد أمر به أن يُقْرَأ على الناس، فجمعهم وأرسل الكتاب مع مولى له ومعه عمر فكان عمر يقول للناس: أنصتوا واسمعوا لخليفة رسول الله ﷺ، فإنه لم يألكم نصحاً فسكن الناس فلما قرأ عليهم الكتاب سمعوا وأطاعوا، وكان أبو بكر أشرف على الناس وقال: أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة، وإني استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، فقالوا: سمعنا وأطعنا، ثم أحضر أبو بكر عمر فقال له: إني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله ﷺ، وأوصاه بتقوى الله[2]، فلم يكن استخلاف أبي بكر لعمر نوعاً من التولية، بل كان أقرب إلى الأخذ برأي الصحابة ومشاورتهم فيه، فعندما مرض أبو بكر دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقاً، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه[3]، فلم يكن كتاب العهد إلى عمر سوى ترشيح أَوَّلِيٌّ من قبل أبي بكر ولم يصل لحد التعيين، فاستشارته للصحابة في عمر تمثل بيعة أهل الحل والعقد (البيعة الخاصة) التي اعتمد عليها في الترشيح، ثم تلتها البيعة العامة في المسجد[4].

### 3- خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه 23- 35هـ:

توفي عمر سنة ثلاث وعشرين للهجرة، فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبر، ودخل أبو لؤلؤة في الناس وكان غلام المغيرة بن شعبة وكان نصرانياً، وفي يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت

[1]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص307.
[2]- نفسه، نفس الصفحة.
[3]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص563.
[4]- اسحاق رباح، المرجع السابق، ص59.

سرته[1]، فلما طعن ﷺقيل له: يا أمير المؤمنين، لو استخلفت! قال: من أستخلف؟ لوكان أبو عبيدة بن الجراح[2] حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: "إنه أمين هذه الأمة" ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً استخلفته، فإن سألني ربي قلت: سمعت نبيك يقول: "إن سالماً شديد الحب لله"، فقال له رجل: أدلك عليه؟ عبد الله بن عمر، فقال: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا ويحك! كيف أستخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته! لا أَرَبَ لنا في أموركم، ما حمدتها لأرغب فيها لأحد من بيتي إن كان خيراً فقد أصبنا منه، وإن كان شراً فشرٌ عنا آل عمر، بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجلٌ واحد، ويسأل عن أمر أمة محمد، أما لقد جهدت نفسي وحرمت أهلي وإن نجوت كفافاً لا وزر ولا أجر إني لسعيد، وأنظر إن استخلفت فقد أستخلف من هو خير مني وإن أترك فقد ترك من هو خير مني، ولن يضيع الله دينه[3]، يتبين من هذه الرواية مجموعة من النقاط المهمة التي يجب الإشارة إليها، أولها حرص الناس وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺعلى أمر الإستخلاف خوفاً من الانزلاق والفوضى والأمر الثاني هو ذكر عمر لأبي عبيدة بن الجراح وسالم مولى حذيفة[4] وكيف وضعهما في مقام واحد والأمر الأخير هو زهد عمر ﷺفي طلب المنصب لابنه من بعده.

وظل الناس يروحون ويجيئون على عمر ﷺوهو على فراش الموت، يطلبون منه أن يولي عليهم رجلاً منهم، فقال: "قد كنت أجمعت بعد مقالتي أن أنظر فأولي رجلاً أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق.. فرهقتني غشية فرأيت رجلاً دخل جنّة فجعل يقطف كل غضة ويانعة فيضمه إليه ويصيره تحته، فعلمت أن الله غالب على أمره، فما أردت أن أتحملها حياً وميتاً، عليكم هؤلاء الرهط الذين قال

---

[1]- الطبري، **تاريخ الأمم**، ص203.

[2]- هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، أبو عبيدة أشتهر بكنيته ونسبه إلى جدّه، فيقال: أبو عبيدة بن الجراح، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو من السابقين إلى الاسلام وهاجر إلى الحبشة وإلى المدينة أيضاً، وكان يدعى القوي الأمين، وقال عروة بن رويم: إن أبا عبيدة بن الجراح انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس فأدركه أجله بفحل فتوفي بها سنة ثمان عشرة وعمره ثمان وخمسون سنة، ينظر، ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1433هـ/2012م، ص-ص614-615.

[3]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص715.

[4]- هو سالم بن عبيد بن ربيعة، وقيل سالم بن معقل، يكنى أبا عبد الله، وهو مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، كان من أهل فارس من اصطخر وكان من فضلاء الصحابة والموالي وكبارهم وهو معدود من المهاجرين، لأنه لما أعتقته مولاته ثبيتة الأنصارية زوج أبي حذيفة، تولّى أبا حذيفة وتبناه أبو حذيفة، فلذلك عدّ من المهاجرين، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺوقتل يوم اليمامة شهيداً، ينظر، ابن الأثير، **الكامل**، ص-ص441-442.

رسول الله ﷺ: إنهم من أهل الجنة، وهم علي وعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، فليختاروا منهم رجلاً فإذا ولّوا والياً فأحسنوا مؤازرته وأعينوه"[1]، وبهذا خطى عمرٌ رضي الله عنه بالأمة الخطوة الأولى، وترك باب الشورى مفتوحاً أمامهم.

وبعد وفاة عمر رضي الله عنه لم تكن الأمور سهلة، فقد احتدم النقاش واختلف الناس ولم يصل الصحابة الستة إلى قرار نهائي بعد مدة ثلاثة أيام التي حددها عمر رضي الله عنه، فخرج عبد الرحمن بن عوف وركب المنبر ثم تكلم، فقال: "أيها الناس إني سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما علي وإما عثمان، فقم إلي يا علي، قام إليه علي فوقف تحت المنبر، فأخذ عبد الرحمن بيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا، ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده ثم نادى: قم إلي يا عثمان، فأخذ بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم، قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد، ويده في يد عثمان، ثم قال: اللهم اسمع واشهد، اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذاك في رقبة عثمان، قال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غَشَوْهُ عند المنبر، فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر، وأقعد عثمان على الدرجة الثانية، فجعل الناس يبايعونه وتلكأ علي فقال عبد الرحمن:﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الفتح: 10]، فرجع علي يشق الناس، حتى بايع[2].

وتولى عثمان رضي الله عنه الخلافة، وهو عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأُمُّه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمّها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وكان يكنى في الجاهلية أبا عمرو، فلما كان الإسلام ولد له من رقية بنت رسول الله ﷺ غلام سماه عبد الله واكتنى به فكناه المسلمون أبا عبد الله[3]، يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول ﷺ، الأولى رقية وبعد وفاتها تزوج من أم كلثوم.

---

[1]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص366.

[2]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص719.

[3]- ابن سعد الزهري: **كتاب الطبقات الكبير**، تح. علي محمد عمر، ج3، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ/2001م ص51.

كان عثمان رجلاً طيّب القلب، حسن النية، ليّن العريكة، ويبدو أن صفاته جعلته هدفاً للطامعين، لأن شؤون الحكم تتطلب إلى جانب المرونة السياسية، الحزم مع توفير العدالة، لذلك قسّم الباحثون عهد عثمان الممتد على مدى اثني عشر عاماً، إلى مرحلتين زمنيتين مدة كلٍّ منهما ستة أعوام المرحلة الأولى هادئة وساكنة ومرضية، والمرحلة الثانية مضطربة ومتوترة تتفاقم حتى تفضي إلى مقتله[1].

لقد شهد المجتمع الإسلامي في عهد عثمان، إلى تغير جذري في مقوماته وأسسه وطبيعة العلاقات بين أفراده، وهي حالة طبيعية نظراً لتغيُّر، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمسلمين عامة[2] فكان من أسباب الفتنة على عثمان ﷺ، هو عزله بعض عمال عمر وتوليته أقاربه حيث عزل المغيرة بن شعبة من ولاية العراق وولى مكانه عبد الله بن عامر، وعزل عمرو بن العاص عن مصر وولى بدله عبد الله بن سعد، وجعل معاوية بن أبي سفيان منفرداً بأجناد مصر، وبذلك لم يكن للمهاجرين أمر مهم في الدولة التي قامت بسيوفهم وتضحياتهم، كما أن بعض القبائل والأمصار كرهت الحكم المركزي ووجود التباين الاقتصادي والنزعة الاقليمية، بعد أن توقفت الفتوحات في السنوات الست الأخيرة من حكم عثمان ﷺوقلّت واردات الجند من الغنائم، فثار عليه بعض رجال الأمصار من الكوفة والبصرة ومصر وساروا إلى المدينة وأحاطوا ببيت عثمان، مطالبين إياه بالتخلي عن الخلافة فلما رفض قتلوه[3].

### 4- خلافة علي بن أبي طالب ﷺ35-40هـ

كان علي بن أبي طالب حين دعاه النبي ﷺإلى الإسلام، ابن تسع سنين ويقال دون التسع سنين، ولم يعبد الأوثان قط لصغره، واسم أبيه أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، واسمه شَيْبَةُ بن هاشم، واسمه عمرة بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصيّ واسمه زيد ويكنى عليّ أبا الحسن وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ، وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبرى، وأمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ، كما له أولاد آخرون ونساء أخريات[4].

بويع علي ﷺفي خمس وثلاثين، يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة، قيل: لما قتل عثمان ﷺأتى الناس علياً وهو في سوق المدينة وقالوا له: أبسط يدك نبايعك، قال: لا تعجلوا فإن عمر كان

[1]- سهيل طقوش، المرجع السابق، ص97.

[2]- نفسه، ص98.

[3]- اسحاق رباح، المرجع السابق، ص62.

[4]- ابن سعد،: **كتاب الطبقات الكبير**، ص، ص17، 19.

رجلاً مباركاً وقد أوصى بها شورى، فأمهلوا يجتمع الناس ويتشاورون[1]، ولما كان في الصباح اجتمع الناس في المسجد، وقام طلحة بن عبيد الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إنا والله ما نقول اليوم إلا ما قلناه الأمس، إن عثمان خلط الذنب بالتوبة، حتى كرهنا ولايته وكرهنا أن نقتله وسرّنا أن نُكفاه، وقد كثر فيه اللجاج وأمره إلى الله، ثم قام الزبير بن العوام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إن الله قد رضي لكم الشورى، فأذهب بها الهوى وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه، وأما قتل عثمان فإنا نقول فيه إن أمره إلى الله، وقد أحدث أحداثاً والله وليه فيما كان فقام الناس وتوجهوا نحو بيت علي، وقالوا له: نبايعك، فمد يدك، لابد من أمير فأنت أحق بها، فقال ليس ذلك إليكم، إنما هو لأهل الشورى وأهل بدر، فمن رضي به أهل الشورى وأهل بدر فهو الخليفة فنجتمع وننظر في هذا الأمر وأبى أن يبايعهم، فانصرفوا عنه[2]، فكانت هذه المرة الثانية التي يرفض فيها علي خلافة عثمان بن عفان.

ورجع الناس لعلي للمرة الثالثة، فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام، وما ابتلينا به من ذوي القربى، فقال علي دعوني والتمسوا غيري فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، فقالوا ننشدك الله ألا ترى ما نرى! ألا ترى الإسلام! ألا ترى الفتنة! ألا تخاف الله! فقال: قد أجبتكم لما أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، وإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم، إلا أني أَسْمَعُكُم وأَطْوَعُكُم لمن وليتموه، ثم افترقوا على ذلك[3]، فلما أصبحوا من يوم الجمعة حضر الناس إلى المسجد وجاء علي فبايعه الناس، وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، وبايعه الزبير وقال لهما علي: إن أحببتما أن تبايعاني وإن أحببتما بايعتكما، فقالا: بل نبايعك وبايعه الناس[4].

عادت الأمة إلى وحدتها في خلافة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، وبدت بوادر لسياسة الإمام أساسها التأكيد على المبادئ الإسلامية، وقام بإجراءات قصدت تهدئة الحال، منها التوسع في إدارة الأقاليم في تولية الأنصار والمهاجرين، والتأكيد على شورى النخبة من الصحابة والتابعين والمساواة في العطاء، ولكن تلك الإجراءات طمست في جو الفتنة، وفي التباين بين ميول القبائل ومفاهيم الإسلام إن الاختلافات السياسية التي أعقبت فتنة الخليفة الثالث وانتقال عاصمة الخلافة إلى الكوفة في عهد

---

[1]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص793.

[2]- ابن قتيبة الدينوري: **الإمامة والسياسة**، تح. علي شيري، ج1، ط1، دار الأضواء، بيروت، 1410هـ/1990م ص65.

[3]- الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ص793.

[4]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص401.

الإمام علي بن أبي طالبﷺ، وبعدها إلى دمشق في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وما تخلل ذلك من أحداث خطيرة، فقد تحولت دائرة الاختلاف في أمورٍ أخرى كانت خارجها وهيأت إلى ظهور معارضة أساسها الاختلاف والفرقة والتنازع التي ظهرت في عدد من مدن الأقاليم[1].

## 5 – خلافة الحسن بن علي ﷺ 40– 41هـ

قُتِلَ علي بن أبي طالب ﷺ شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وقبل موته قيل له: "يا أمير المؤمنين إن فقدناك فنبايع الحسن؟ فقال: "لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم أبصر"، فبويع للحسن بالخلافة فقيل أن أول من بايعه قيس بن سعد[2] قال له: "أبسط يدك نبايعك على كتاب الله عز وجل وعلى سنة نبيه وقتال المحلِّين، فقال له الحسن ﷺ: على كتاب الله وسنة نبيه، فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت وبايعه الناس"[3].

قال ابن قتيبة: "وذكروا أنه لما قتل علي بن أبي طالب ﷺ، ثار الناس إلى الحسن بن علي بالبيعة فلما بايعوه قال لهم: تبايعون لي على السمع والطاعة، وتحاربون ما حاربت وتسالمون من سالمت، فلما سمعوا ذلك ارتابوا وأمسكوا أيديهم وقبض هو يده، فأتوا الحسين فقالوا له: ابسط يدك نبايعك على ما بايعنا عليه أباك، وعلى حرب المحلِّين الضالين أهل الشام، فقال الحسين: معاذ الله أن أبايعكم ما كان الحسن حياً، قال: فانصرفوا إلى الحسن، فلم يجدوا بداً من بيعته على ما شرط عليهم، فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، وكاتب معاوية فأتاه فخلا به، فاصطلح معه على أن لمعاوية الإمامة ما كان حياً، فإذا مات فالأمر للحسن، فلما تمّ صلحهما صعد الحسن إلى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله هدى أولكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وكانت لي في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت، وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين وأشار إلى معاوية"[4]، خلع الحسن ﷺنفسه من الخلافة عندما أدرك أن موازين

---

[1]– طه خضر عبيد، المرجع السابق، ص–ص44–45.

[2]– قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني والصحابي، كان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺويلي أموره، صحب علياً في خلافته فاستعمله على مصر سنة 36–37هـ، ثم كان مع الحسن بن علي حتى صالح معاوية، فرجع إلى المدينة وتوفي بها في آخر خلافة معاوية سنة 60هـ/680م، ينظر، الزركلي، ج5، المرجع السابق، ص206.

[3]– الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ص، ص894، 899.

[4]– ابن قتيبة الدينوري: **الإمامة والسياسة**، ص–ص184–185.

القوى السياسية والعسكرية بين القوتين غير متكافئة، وأشفق على المسلمين من الفتن الدامية وفضّل انتهاج سياسة المفاوضات بهدف حقن دماء المسلمين.

وهكذا كانت وحدة الأمة الإسلامية، ممثلة بالخلافة الراشدة التي كانت نموذجاً للحكم الراشد فحققت العدل والمساواة ونشرت الإسلام في أقاصي البلاد، وأخذت القوي بالشدّة والضعيف باللين وحرصت على أن يكون الفرد والمجتمع جسماً واحداً، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وجابهت كل التحديات الداخلية والخارجية، ثم استجابت لتلبية حاجات الأمة من خلال بناء مؤسسات الدولة العسكرية والمالية والقضائية والإدارية.

وبعد اطلاعنا على النموذج الأمثل للخلافة في الإسلام، نلج الفصل الأول للتعرّف على الخلافة أو الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي، ونبدأ بالإمامة عند الإباضية والصفرية، أي عند الرستميين والمدراريين، وهم أوّلُ من أقام الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي، معارضين بها خلافة العباسيين في المشرق الإسلامي.

**الفصل الأول: الإمامة الصفرية والإباضية في المغرب الإسلامي (140-296هـ/757-909م):**

أولاً: **الوضع السياسي للمغرب الإسلامي قبيل قيام الإمامة المدرارية والرستمية**

ثانياً: **ظهور المذهب الإباضي والصفري في المشرق ولجوؤهما إلى المغرب**

1- الأصول التاريخية للمذهبين الإباضي والصفري

أ- المذهب الإباضي

ب- المذهب الصفري

2- الانتشار السريع والكبير للدعوة الإباضية والصفرية في المغرب

ثالثاً: **الإمامة في الفكر السياسي الصفري والإباضي**

1- عقد ووجوب الإمامة

2- شروط الإمامة عند الإباضية في بلاد المغرب

رابعاً: **الأيمة المدراريون والرستميون**

1- الأيمة المدراريون

2- الأئمة الرستميون

**خامساً: البيعة والاستخلاف في الإمامة المدرارية والرستمية**

**سادساً: مهام وسلطات الإمام الرستمي**

1- المهام الدينية للإمام الرستمي

2- المهام السياسية للأيمة الرستميين

**سابعاً: ألقاب الحكام المدراريين والرستميين**

**ثامناً: شارات الإمامة الرستمية**

## الفصل الأول: الإمامة الصفرية والإباضية في بلاد المغرب الإسلامي

### أولاً: الوضع السياسي للمغرب الإسلامي قبيل قيام الإمامة المدرارية والرستمية:

كان المغرب في الفترة التي أعقبت الفتح الإسلامي تتقاذفه صراعات لا نهاية لها، بدأت بحربٍ لا ناقة ولا جمل للمغاربة فيه، وهو صراع القبائل العربية القيسية واليمنية، الذي غذّته السلطة الأموية في الشام، فأدى إلى عدم استقرار الولاة في مناصبهم، وبالتالي عموم الفوضى في البلاد، ثم بدأ الصراع البربري الأموي الذي جاء كردٍّ فعلٍ ضدّ تعسّف بعض ولاة الأمويين، وسوء سياساتهم وتعصبهم كالوالي يزيد ابن أبي مسلم، الذي ولاّه الخليفة يزيد بن عبد الملك سنة 101هـ/719م، والذي يقول عنه ابن عذاري: "فكان ظلوماً غشوماً، وكان البربر يحرسونه، فقام على البربر خطيباً، فقال: أيها الناس إني رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم، كما تصنع ملوك الروم بحرسها"[1]، فلما سمعوا ذلك منه تربّصُوا له وهو ذاهب لصلاة المغرب وقتلوه في مصلاّه[2].

أما في ولاية عبيد الله بن الحبحاب، الذي قَدِمَ إفريقية سنة 116هـ/734م، فقد استعمل على طنجة وما ولاها من المغرب الأقصى عمر بن عبد الله المرادي، الذي أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعُشُر وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيءُ المسلمين وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله، وإنما كان الولاة يخمّسون من لم يَجِبْ للإسلام، فكان فعله الذميم هذا سبباً لوقوع الفتن في البلاد[3]، وبداية الثورات البربرية[4] ضد ولاة بني أمية وسياساتهم، التي رفضها البربر جملةً وتفصيلاً، فقاموا عليه وقتلوه.

### ثانياً: ظهور المذهب الإباضي والصفري في المشرق ولجوؤهما إلى المغرب:

نصادف في تاريخ أي أمة من الأمم المتطورة، عدداً من حركات المعارضة وما تلك القوى والحركات إلا دليل على نزوع الفكر إلى تحريك المجتمع، وتغيير بنيته في فترات متباعدة أو متقاربة من شأنها أن تدفع به نحو التبديل والتجديد، أو في مجتمع لم تستقر أوضاعه نهائياً ولم تتغير بنيته الاجتماعية تغيراً نهائياً

---

[1]- ابن عذاري: **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح. بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/ 2013م، ص77.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- نفسه، ص81.

[4]- عن هذه الثورات، ينظر: إبراهيم بحاز: ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي ابتداء من سنة 122هـ/739-740م في المصادر العربية قديماً ودراسات المدرسة الغربية حديثاً، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، مج.3، ع2، 1988/06/01م، ص81-100

فتظل عناصره تتداخل وتتعارض حتى يتم له الاستقرار، وقد يستغرق ذلك فترةً قد تطول وقد تقصر بحسب ظروف المجتمع وتكويناته[1]، وهو بالضبط ما حصل في المغرب، الذي أَلِفَ سكانه بين فترة وأخرى قدوم أقوام جديدة، طلباً للتوسع واستغلال ثروات هذه البلاد.

لذلك لم تسلم الدولة الإسلامية من هذه المرحلة من حياتها، والتي سمّاها المسلمون الفتنة الكبرى حيث ظهرت في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب ﷺ، وعقب معركة صفّين حين فارقه معظم من كانوا معه، استنكاراً لقبوله مبدأ التحكيم مع معاوية ﷺ، ويبدو أنه كانت هناك عناصر غاضبة وعناصر مدسوسة من مصلحتها تحريك الحوادث نحو الاصطدام والاقتتال، فابن عبّاس ﷺ حين ناظر المعارضين الذين خرجوا عن صفِّ الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ، فيما توهموه من شُبَهٍ وقع فيها رجع بعضهم لكن الأكثرية ظلت على موقفها منه[2].

وانقسمت الأمة على إثر هذه الفتنة إلى ثلاثة أحزاب:

- ✓ شيعة بني أمية وتركّز نشاطهم في الشام، بعد أن انضم إليهم من سائر الأمصار الإسلامية وخاصة مصر عناصر كثيرة، كانت ترى أن تكون الخلافة في قريش وأن البيت الأموي أحّق بها.
- ✓ شيعة علي بن أبي طالب وكانوا ببلاد العراق وقليل منهم بمصر، وكانوا يرون أن تكون الخلافة في قريش وأن علياً وأولاده من بعده أحق المسلمين بها.
- ✓ المحكّمة وهم الذين سيطلق عليهم اسم الخوارج فيما بعد، وقد ناصبوا الفريقين العداء واستحلوا دماءهم ويرون أنهم خارجون على الدين، وكان هؤلاء يمثلون الشورى الإسلامية، إذ كانوا يرون أن الخلافة حق لكل مسلم مادام كفؤاً لا فرق في ذلك بين قرشي وغير قرشي[3]، ولا بين شيعة علي وغيرهم، بل هي عندهم حق لكلِّ شخصٍ استوفى شروطها.

مرّت حركة المعارضة هذه بمخاض عسير بدأ من سنة 37هـ/658م، فكانت في كل حقبة من حقبها تتجدد قياداتها، وبالتالي تتغير الأفكار إما إلى التعنت ومحاربة الحكام، أو المهادنة والركون إلى

---

[1]- عبد القادر البحراوي: **أشهر ثورات الخوارج**، ط1، الفتح للطباعة والنشر، فلسطين، 1992م، ص09.

[2]- ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج7، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ/1992م، ص280.

[3]- حسن ابراهيم حسن: **تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج1، ط14، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م، ص307.

السلم، ففي كتب المصادر[1]، التي تحدثت عن هذا الموضوع لم يُذكَرْ سوى أسماء القيادات، التي لم تكن تتوقع أن يكون داخل حركتها أفكار جديدة سوف تظهر في قادم الأيام.

وفي سنة 64هـ/684م، جمعنافع بن الازرق أتباعه المعارضين للحكم الأموي بالبصرة وقال لهم: "إن الله قد أنزل عليكم الكتاب وفرض عليكم الجهاد واحتجّ عليكم بالبيان، وقد جرّد أهل الظلم فيكم السيوف فاخرجوا بنا إلى هذا الذي قد ثار في مكة (يقصد عبد الله بن الزبير)، فإن كان على رأينا جاهدنا معه وإن يكن على غير رأينا دافعناه عن البيت"، فساروا حتى قدموا ابن الزبير فسُرّ بمقدمهم فقاتلوا معه أهل الشام حتى مات يزيد بن معاوية وانصرف أهل الشام، فسألوه عن عثمان فقال: "إنكم أتيتموني حين أردت القيام ولكن روحوا العشية حتى أعلمكم"، وفي العشية تقدم إليه نافع بن الأزرق وعبيدة بن هلال فسألوه عن موقفه من عثمان فقال لهم: "أنا أشهدكم ومن حضرني إني ولي لابن عفّان وعدو أعدائه فبرئ الله منكم"[2].

فتفرق القوم وعادوا إلى البصرة، وانتدب ابن الأزرق ثلاثمائة رجل وهاجم سجون البصرة وأطلق من بها من الخوارج، لكن المقاومة التي تعرض لها من البصريين جعلته يفرُّ خارج البصرة، ودعا **من بقي إلى** اللحاق به ففعلوا، إلاعبد الله بن الصفار وعبد الله بن إباض ورجال معهما على رأيهما، فبعث ابن الأزرق لهما رسالة يشرح فيها مذهبه الجديد ويدعوهما إلى اللحاق به، فقال: "فقد أنزل الله تبارك وتعالى ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة:01].

وقال﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾[البقرة:221]، فقد حرّم الله ولايتهم والمقام بين أظهرهم وإجازة شهادتهم وأكل ذبائحهم وقبول علم الدين منهم، ومناكحتهم ومواريثهم وقد احتجّ علينا بمعرفة هذا، وحقّ علينا أن نُعَلِّمَ هذا الدين للذين خرجنا من عندهم، ولا نكتم ما أنزل الله والله عزّ وجلّيقول﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[البقرة:159][3]، فلما قرأ الرسالة ابن الصفار، أخذها ووضعها خلفه ولم يقرأها على الناس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا، أما ابن إباض فقال: "قاتله الله

---

[1]- أقصد كتاب **تاريخ الطبري**، وكتاب **الكامل في التاريخ** لابن الأثير.

[2]- ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ص490.

[3]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص1054.

أي رأي رأى، لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة النبي في المشركين ولكنه قد كذب، إن القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم برآء من الشرك ولا تحلُّ لنا إلا دماءهم، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام" ولما انتهى ابن إباض من كلامه قال له ابن الصفار: "برئ الله منك فقد قصّرت، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا"[1].

وبدأت من هذا الافتراق، الذي وقع عام 64هـ/683م، تتشكل معالم المذهبين الإباضي والصفري،الذين آثرا أن يكونا مذهبين مختلفين عن باقي المذاهب الأخرى، ووجدا في البصرة المناخ العلمي المثالي لبداية التشكل واكتمال الصورة النهائية لهما.

## 1- الأصول التاريخية للمذهبين الإباضي والصفري:

### أ- المذهب الإباضي:

تُرجع المؤلفات الإباضية، ككتاب السيّر للشماخي نشأة المذهب إلى جابر بن زيد من خلال قوله متحدثاً عن ابن إباض: "وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد"[2]، فكان مذهب الإباضية مبنياً على مسند الربيع بن حبيب، وأحاديثه مروية عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن الصحابة رضي الله عنهم[3]،وقد جعل الدرجيني الربيع في الطبقة الرابعة، أي: من 150- 200هـ وقال عنه إنه صحب أبا عبيدة، فاغترف من بحره الزاخر، وروى عنه المسند المشهور الذي له في الفروع كل قولٍ ومذهب وأجوبته من المعتمدة في المذهب[4]، ولد أبو الشعثاء سنة 18هـ/628م، بقرية قريبة من مدينة نزوى عاصمة عُمان آنذاك، وتوفي سنة 93هـ/711م بالبصرة، نشأ أولاً بعُمان ثم ارتحل إلى البصرة لأجل

---

[1]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص1054.

[2]- الشماخي، **كتاب السير**، تح. أحمد بن سعود السيّابي، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1407هـ/1987م، ص73.

[3]- سالم السّيابي السمائلي: **إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء**، تح. سيّدة اسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1979م، ص29.

[4]- الدرجيني: **طبقات المشائخ في المغرب**، تح. ابراهيم طلاي، ج2، مطبعة البعث، الجزائر، 1394هـ/1974م ص273.

طلب العلم فأقام بها إلى أن مات[1] يقول عنه الدرجيني:"جابر بن زيد الأزدي رحمه الله بحر العلوم العجاج وسراج التقوى، ناهيك به من سراج، أصل المذهب وأُسُّه الذي قام عليه نظامه ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه، صاحب ابن عباس ﷺ، فقال فيه: اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه"[2]، ولما توفي بلغ ذلك أنس بن مالك ﷺفقال مات أعلم من على ظهر الأرض أو قال مات خير أهل الأرض[3].

وكان أعلم أهل زمانه وأحفظهم للحديث النبوي وأتقاهم لله عزّ وجلّ، أخذ العلم عن كثير من الصحابة ومما قاله عن نفسه في هذا المعنى متحدثاً بنعمة الله عليه: "أدركت سبعين رجلاً من أهل بدر فحويت ما عندهم من العلم إلا البحر الزاخر" يعني سيدنا عبد الله بن عباس جدُّ العباسيين وابن عم الرسول ﷺ، وكما أخذ جابر بن زيد عن ابن عم الرسول أخذ عن أشهر أزواجه السيدة عائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما[4].

ويرى الإباضية، أن السبب الأول في عدم نسبة المذهب إلى مؤسسه الحقيقي، الإمام الفقيه جابر بن زيد أن الظروف فرضت على جابر أن يعمل في الخفاء، بعيداً عن أعين المخالفين لأن أي أمر يكشف انتماءه للإباضية، فأنه يعرضه لا محالة إلى خطر يعود عليه وعلى المذهب بالضرر، لذلك اختار الإمام جابر سياسة التأقلم حسب الظروف، فهو من جهة يعمل لإرساء أسس المذهب وتوطيد أركانه سراً عن طريق عقد حلقات دروس لتكوين رجال المذهب الذين سيكلفون بنشر المذهب في بلاد الإسلام، ومن ناحية أخرى لم يكن الإمام جابر في معزلٍ عن المجتمع، ولم يكن يعيش على هامش الأحداث، بل سعى إلى ربط أواصر الأخوة الإسلامية مع الحجاج بن يوسف الثقفي[5]، ممثل السلطة في

---

[1])- أبو زكريا: **سير الأئمة وأخبارهم**، تح. اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م، ص10 وانظر، سليمان الباروني، **مختصر تاريخ الإباضية**، ط5، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1416هـ/1995م ص27.

[2])- الدرجيني: **طبقات**، 205/2.

[3])- الشماخي: **السير**، 2/ 67-68.

[4])- الدرجيني: **طبقات**، 205/2، 213؛ وانظر أيضاً الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، المرجع السابق، ص27.

[5])- هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، قائد وداهية وخطيب، ولد سنة 40هـ/660م بالطائف ببلاد الحجاز ونشأ بها، انتقل إلى الشام ودخل في عديد شرطة عبد الملك بن مروان، ثم مازال يظهر حتى قلّده عبد الملك أمر عسكره، فقضى على كل الثورات التي قامت ضد الأمويين، وبنى مدينة واسط (بين الكوفة والبصرة)، وتوفي بها سنة 95هـ/714م، ينظر، الزركلي، **الأعلام**، 168/2.

البصرة حتى لا يتعرض إلى العيون المتربصة[1]، وخاصة أولئك المعارضين لأفكاره من الفرق والتيارات السياسية التي ظهرت في البصرة.

لكنه عندما أظهر آراءه السياسية الصريحة، التي نادت بالقضاء على الملك الأموي والتمسك بنظام الشورى وجدت تلك الأفكار صدى واسعاً في نفوس الكثيرين، وقد أزعجت البيت الأموي فتعرض جابر لمراقبة الأمويين ولم يسلم من أياديهم، فنفاه الحجّاج من البصرة إلى عمان حيث مكث فترةً، ثمّ عاد بعدها إلى البصرة مواصلاً رسالته، لوضع أسس الدولة العادلة إلى أن توفي، بعد أن تخرّج على يديه عدداً كبيراً من رجال العلم، من أشهرهم عبد الله بن إباض وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي[2]، الذين حملا على عاتقهما مسؤولية الحفاظ على المذهب الإباضي، والسعي الحثيث لنشره في أطراف العالم الإسلامي.

تولى أبو عبيدة مسلم زعامة المدرسة بعد وفاة جابر، ولم تذكر كتب السير والطبقات مقاومة أبي عبيدة للدولة الأموية ولا للدولة العباسية، فلم يخرج عليها ولم يعارضها معارضة علنية بل قام بإعداد تلاميذه وبثّ الدعوة بينهم، ومع ذلك فقد لسعته سياط الحجّاج إذ قبض عليه وسجن، فأدرك أبو عبيدة وأتباعه أن فرصة قيام دولةٍ تتحقق فيها الشورى والعدالة، لن يتمّ إلا بعيداً عن سطوة الأمويين ولذلك بدأوا يتطلعون إلى الأماكن البعيدة في عُمان واليمن والمغرب[3]، فكلما كان المكان بعيداً عن مركز الدولة، كان مناسباً للعمل في النشاط السياسي.

[1]- عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش**(1236-1332هـ /1818-1914م، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، دس، ص24.

[2]- جعله الشماخي في طبقة تابعي التابعين، وأنه كان مولى فيهم وتوفي في ولاية أبي جعفر، تعلم العلوم وعلمّها ورتّب روايات الحديث وأحكمها، وهو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه ويزدحم لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه وقد اعترف له قصب السبق في العلوم، ينظر، الشماخي: **السير**، 78/2.

[3]- أحمد إلياس حسين: **الإباضية في المغرب العربي**، ط1، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1416هـ/1996م، ص-ص11-14.

وترجع نسبة التسمية "إباضي أو إباضية" إلى عبد الله بن إباض الذي يقول عنه الدرجيني[1] : "ومنهم عبد الله بن أباض المري التميمي رحمه الله، كان عبد الله بن أباض إمام أهل الطريق وجامع الكلمة لمـّا وقع التفريق، فهو العمدة في الاعتقادات والمبيِّن لطرق الاستدلالات والاعتمادات والمؤسس لأبنية هي مستندات الأسلاف، والمهدِّم لما اعتمده أهل الخلاف وكان رأس العقد ورئيس من بالبصرة وغيرها من الأمصار"[2]، واتفق أغلب المؤرخين الذين تطرقوا إلى سيرة ابن إباض على انتمائه إلى قبيلة تميم القاطنة بالبصرة بشكل خاص، وذُكِرَ أنه نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان (60/42هـ) وبهذا يكون عمره عند اشتراكه في الدفاع عن مكة المكرمة مع المحكّمة الأولى لا يتجاوز أربع وعشرين عاماً، ويتضح من جواب الرسالة التي كتبها، لعبد الملك بن مروان( 65- 76هـ/684-705م) ما يوافق صحة استنتاج معاصرته لمعاوية، إذ يقول فيها: "ولا تسأل عن معاوية ولا عن عمله، غير أنّا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس..."[3].

ورغم ما نادت به الحركة الإباضية، من فكر ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي مرنٍ، فقد لقيت الكثير من الاضطهاد والظلم والعنت والتشدد والإبادة المستمرة، من جانب الدولة الأموية في أواخر القرن الأول الهجري، لا سيما على يد الحجّاج بن يوسف الثقفي، الذي نكّل بقياداتها وشيوخها وأئمتها مما جعل أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة، يختار أبرز رجاله المقرّبين والعارفين بالمذهب الإباضي، ليقوم بالدعوة له ونشره في بلاد المغرب الاسلامي[4]، فاختار الداعية سلمة بن سعد، الذي كان من تلامذته وكان معروفاً بحماسه للإباضية وبعلمه الغزير وتقواه وورعه، مع بلاغته وفصاحة لسانه، فجاء إلى سرت

---

[1]- الشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني، من علماء القرن السابع الهجري ومن أسرة ماجدة من بلاد الجريد بتونس، فهو أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف المزاتي، ولد في مطلع القرن السابع وأخذ العلم عن أبي سهل يحي بن ابراهيم أحد علماء ورجلان وأيمّتها المشاهير في القرن السابع، ينظر، مقدمة كتاب طبقات المشايخ للمحقق ابراهيم طلاي.

[2]- الدرجيني: **طبقات**، ص214.

[3]- مهدي طالب هاشم: **الحركة الإباضية في المشرق العربي**(نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري)، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الاسلامي، إشراف. فاروق عمر فوزي، جامعة بغداد، العراق، 1977م، ص-ص49-50.

[4]- أميرة فرحات: الخوارج في التاريخ والسياسة والفقه وعلم الكلام والخطب والشعر **والطرائف**، ج1، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، 1430هـ/2009م، ص-ص546-547.

في بداية القرن الثاني للهجرة وانتشرت الإباضية[1] بين المغاربة، نظراً للظروف السياسية التي كان يمرُّ بها المغرب الإسلامي.

فكان انتشار المذهب في أواخر القرن الأول وبداية الثاني، بفضل هذا الداعية وبفضل الهاربين من قمع الخلافة الأموية بالمشرق، إذ وجدوا في ديار المغرب النائية ملجأً لهم، فكان منهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[2]، وربما كان منهم من كان مندساً في صفوف جيوش الخلافة الزاحفة إلى بلاد المغرب، من هؤلاء على سبيل المثال عكاشة بن أيوب الفزاري الذي كان ضمن جيش عبيد الله بن الحبحاب[3]، وعلى يد سلمة بن سعد اعتنق عبد الرحمن بن رستم إمام الرستميين، مذهب الإباضية بالقيروان، ووجّهه إلى البصرة لاستزادة العلم فذهب عام 136هـ/753م، وعاد عام 140هـ/757م.

### ب- المذهب الصفري:

ظهرت الصفرية حين خالف عبد الله بن الصفار نافعاً بن الأزرق، حول مسألة القعدة سنة 64هـ/684م وهو خلاف فقهي بالدرجة الأولى، اتخذوا فيه موقفاً وسطاً بين الأزارقة المتطرفين والإباضية المعتدلين فلم يكفِّروا القعدة عن القتال، إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ونادوا بجواز التقية في القول دون العمل، وقد أجاز بعض زعمائهم تزويج المسلمات، من كفار قومهم في دار التُقْيَة، لكنهم كانوا أكثر تطرفاً من الإباضية إذ كفّروا مرتكب الكبيرة، أما بالنسبة إلى ثوراتهم في المشرق فقد امتازت بالتركيز على منطقة الموصل والجزيرة[4] التي اتخذوها مقراً تتجمع فيه قواتهم، وقد سقطت الكوفة

---

[1]- السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الاسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1982م، ص-ص 448-449.

[2]- أبو الخطاب بن عبد الأعلى بن السمح المعافري الحميري اليمني، زعيم ديني على المذهب الإباضي وأحد حملة العلم الإباضية إلى المغرب من البصرة، وعقب ظهور الدعوة استولى على طرابلس وأفْريقية سنة 141هـ/758م، إلى أن قتل في معركة ضد العباسيين في سرت سنة 144هـ، ينظر، الدرجيني: **طبقات**، 22/1-34.

[3]- بوزياني الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والاندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص-ص32-33.

[4]- تسمى جزيرة أقور أو الجزيرة الفراتية، وهي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشمل على ديار مُضَر وديار بكر سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة، ينظر، الحموي: **معجم البلدان**، 134/2.

نفسها في أيديهم مرّتين[1]، لكنهم بعد التطور السياسي، الذي حدث لهم في بلاد المشرق الإسلامي وفشل ثوراتهم، اضطروا إلى اتباع أسلوب الدعوة والتنظيم السياسي، واختيار اللجوء إلى أطراف العالم الإسلامي وجعله ميداناً لنشاطهم، بعد أن تعرضت دعوتهم للاضطهاد والمطاردة، فكان المغرب الإسلامي أكثر الأقطار ملاءمةً من حيث البعد الجغرافي وحالة الفوضى السياسية التي كانت تمرُّ بها البلاد.

يقول أبو زكريا عن انتقال المذهب الصفري إلى المغرب على لسان عبد الرحمن بن رستم: "أول من جاء بهذه الصفة ونحن بقيروان إفريقية سلمة بن سعد، قدم علينا من أرض البصرة، هو وعكرمة مولى ابن عباس وهما راكبان على جملٍ واحد عليه زادهما، سلمة بن سعد يدعو إلى الإباضية، وعكرمة بن عباس يدعو إلى الصفرية"[2]، هذا الكلام يدلُّ على العلاقة الجيدة التي كانت تجمع الرجلان، ويدلُّ أيضاً على الهدف السياسي المشترك الذي أتيا من أجله إلى المغرب.

## 2- انتشار الدعوة الإباضية والصفرية في المغرب:

### أ- أسباب الانتشار:

إن وضع المغرب أثناء توسع الفتوحات الإسلامية باتجاهه، مختلف تماماً عن الوضع في مصر والعراق وسوريا، فالقبائل البربرية تحررت منذ وقت بعيد من الاستعمار الروماني، ومحاولات الوندال أو البيزنطيين لإعادة الاحتلال لم تتعد بعض المناطق الساحلية الشمالية، إذن فالعرب سيواجهون شعوباً تغار على استقلالها، وتتجمع في اتحادات قبائل أو ممالك لها بنيتها وهي أيضاً شعوب رعاة في غالبيتها بارعة في فنون الحرب[3]. وتظل القرون الأولى للإباضية في المغرب الإسلامي، غامضة من وجهات نظر عديدة بحيث تُجْهَلُ الطريقة والكيفية التي اعتنق بها البربر هذا المذهب الذي ظهر وتطور في المشرق الإسلامي لأن دراسة فترة التَكَّيُفِ ضرورية بالفعل لمعرفة سر ارتباط قبائل المغرب بالمذهب الإباضي، هؤلاء البربر

---

[1]- محمود اسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع**، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1406هـ/1985م، ص46.

[2]- أبو زكريا يحي: **سير**، ص-ص40-41.

[3]- عبد القادر جغلول: **مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط**، تر. فضيلة الحكيم، ط2، دار الحداثة، بيروت 1988م، ص41.

المرتبطون بمجتمعهم القبلي بشكل كامل، ولمعرفة أيضاً مدى ملاءمة الأحكام المتعلقة بممارسة السلطة في المذهب للتنظيم القبلي البربري، وكيفية توفيقهم بين ثقافتهم والمذهب الجديد[1].

ومع ذلك هناك مثالان موثّقان جيداً إلى حدٍ ما، وهما تحوُّل قبيلة نفوسة التي أشارت إليها المصادر الإباضية بشكل استثنائي، وتحوّل الشعوب البربرية في الجريد الذي ذكرته المصادر السنية، فنفوسة الذين يعيشون في الجبال التي تحمل اسمهم في شمال غرب ليبيا الحالية[2]، كانوا مسيحيين وقد اشتدّ تنصيرهم في القرن السادس الميلادي، وخلال الفتح الإسلامي الأول على طرابلس، دعاهم البيزنطيون للحلف معهم فاضطروا للخضوع، وبعد أن استتبّ الأمر للمسلمين في هذه الربوع وتبعاً للرواية الإباضية فإن عمر بن يمكتان هو أول من علّم القرآن في جبل نفوسة، والذي أخذه عن الحجاج والتجار القادمين من الشرق على طريق مغمداس الطريق الرئيسي الممتد على طول الساحل الليبي، فكان ينسخ الآيات على الألواح ويقوم بحفظها، ثم يعود إلى الطريق حتى حفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب، وشيء من العلوم الدينية والتي كان مصدرها الرحالة الإباضيون، ومما لا شك فيه أنه لم يجد صعوبة في إقناع قبيلة نفوسة بتبني هذا المذهب الجديد الوافد من الشرق، ثم عيّنه الإمام أبو الخطاب والياً لسرت، حتى توفي معه شهيداً سنة 144هـ/761-762م، فحسب فرجيني بريفوست فإن نفوسة المعزولين في جبالهم، لم يتلقوا أي تعاليم أخرى غير تعاليم الإباضية[3].

واختلفت الوضعية عند سكان الجريد التونسي رحالة ومستقرين، حيث لم يكن المذهب الإباضي وحده على أرضهم، فمنذ بداية القرن السابع الميلادي (وبداية القرن الثاني للهجرة)، غادر عدد كبير من العرب الإباضية المعادين للأمويين العراق، لنشر مذهبهم فاستقروا في العواصم خاصة كالقيروان، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفترض أن الدعاة الإباضيون لم يستقِّروا في جنوب تونس، لكنهم أرسلوا دعاةً

[1] )- Virginie Prévost, **la légitimation du pouvoir du Maghreb médiéval**( L'ibadisme berbère), éd. Annliese Nef et Elise Voguet, collection de la Casa de Velazquez (1271, Madrid, 2011), p.56.

[2])- انظر الملحق رقم 01.

[3] )- Virginie Prévost, op.cit. pp.56-57.

بصورةٍ دورية أو أن أهل الواحات قد أخذوا تعاليم المذهب خلال رحلاتهم التجارية إلى المدن التي تضم دعاة المذهب[1].

كما أنّ أرض المغرب في نظر الإباضية، لازالت أرضاً بكراً تستطيع أفكارهم أن تجد تأييداً أو تفهماً لدى البربر، ومن هنا تصل تلك الأفكار إلى قلوبهم، وهم لا يزالون حديثي عهد بتعاليم الدين الإسلامي[2].

استطاع المذهب الإباضي، أن يحوز على انتصارات كبيرة على حساب مذهب السلطة، نظراً للسيرة التي سار عليها دعاته، فقد حرصوا كل الحرص على عدم التعرض لذكر أي مذهبٍ من المذاهب وإنما ينشرون دعوتهم الإباضية تحت شعار، المناداة بتصحيح المسار الإسلامي والدعوة للإصلاح والسير على نهج الكتاب والسنة والعمل على تطبيقهما بين الرعية.[3]

كما ساعد على انتشار المذهب وتوافد دعاته على المغرب، أن الدولة العباسية كانت أشد وطأة على المعارضين من الدولة الأموية، فاستبدّ العباسيون بالدولة ورفعوا السيف على كل من ناوأ سلطانهم فأصبح المغرب نتيجةً لهذه الظروف، يغلي سخطاً على ولاة الأمويين والعباسيين، وأقبل البربر على الإباضية سريعاً ولم تلبث هذه الشرارة الأولى، أن أشعلت ناراً احتدم لظاها في المغربين الأدنى والأوسط[4].

لقد وقع اختيار الإمام أبي عبيدة على سلمة بن سعد، للتوجه إلى المغرب في أول القرن الثاني للهجرة وبالتحديد بعد عام 95هـ/713م، فاستطاع أن يكسب أنصاراً كثيرين ويرسل جماعة من أفضلهم في جبل نفوسة وأفريقية إلى البصرة وهم "حملة العلم"، ليأخذوا العلم من منبعه الصافي على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ولما لم يمتد الأجل بسلمة طويلاً، خلفه في دعوته وحلّ محلّه ابن مغطير الجناوني، الذي سافر من موطنه بجبل نفوسة إلى البصرة وأخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم مباشرة، ثم عاد

---

[1])- Ibid. pp.57-58.

[2])- أميرة فرحات، المرجع السابق، ص547.

[3])- نفسه، ص542.

[4])- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص449.

وأصبح مرجعاً في التدريس والفتوى، حتى تخرّج حملة العلم من البصرة وعادوا إلى المغرب الإسلامي، فاعتذر ابن مغطير الجناوني عن الفتيا وتركها لحملة العلم[1].

استقبلت القيروان داعيين من المشرق، الأول هو شيخ الإباضية في البصرة سلمة بن سعد والثاني الداعية الصفري عكرمة، ومن هذا المنطلق يمكننا تحديد بداية التحولات في نهاية الربع الأول من القرن الثامن ( بداية القرن الثاني للهجرة)، حيث تحوّل السكان إما إلى الإباضية أو الصفرية، وعلاوة على ذلك فإنه من المحتمل حصول اتفاق لتقسيم المغرب بين الإباضية والصفرية، يكون فيه الغرب للصفريين والشرق للإباضيين، من أجل تجنب الصراع والمنافسة بينهما[2].

فكانت القيروان مركز الدعوة الصفرية في المغرب، أما عكرمة فكان من موالي ابن عباس الفقيه ذائع الصيت وقد أتاح له ذلك مخالطة كبار الفقهاء والمحدثين كأبي هريرة والسيدة عائشة، فسمع منهم وأخذ عنهم، ثم أخذ بالمذهب الصفري وصار من فحول فقهائه، وتمكن في هذه المدينة من الاتصال برؤساء القبائل من أمثال ميسرة المطغري –زعيم مطغرة– الذي تلقّى العلم على يديه متخفياً، ثم عاد ونشرها بين قومه، كما اتصل به شيخ مكناسة أبو القاسم سمكو بن واسول ولازمه حتى موته سنة 105هـ/723م، حتى تَبَحّرَ في أصول المذهب وفروعه، ونشره بين قبيلته ثم اتجه نحو المناطق الصحراوية الجنوبية لبثِّ الدعوة فيها،[3] أما عن وصول المذهب إلى قبيلة زناتة، يقول ابن خلدون: "ففشا في البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهمٍ وانتحلوه وقاتلوا عليه"[4].

**ب– نتائج الانتشار:**

كانت ظروف المغرب مواتيه لاندلاع الثورات سنة 122هـ/739م، بعد تفاقم المشاكل في البلاد من النواحي السياسية والاقتصادية إبّان ولاية عبيد الله بن الحبحاب، الذي كان يتميز بحسن إدارته وخبرته في تسيير الأمور، إلا أن هذه الصفات لم تغن شيئاً أمام النزاع القبلي العربي، الأمر الذي أدى إلى تداعي نفوذ الخلافة الأموية في هذه البلاد، ولعلّ أبرز الأحداث دلالة على ضعف هيبة الخلافة بالمغرب

[1])– عوض الشرقاوي: **التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة ( في القرنين الثاني والثالث الهجريين)**، مؤسسة تاوالت الثقافية ليبيا، دس، ص–ص46–47.

[2])– Virginie Prévost, op.cit. pp.57-58.

[3])– محمود إسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص–ص47–48.

[4])– ابن خلدون: **العبر**، 7/ 16، وانظر، الملحق رقم 01.

تغلُبُ عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة الفهري على أفريقية سنة 127هـ/745م، وإرغام عامل السلطة الأموية حنظلة بن صفوان على مغادرتها، وقبول الخليفة مروان بن محمد مضطراً بشرعية ولايته، كما كان لفشل إباضية المشرق في تحقيق أهدافهم، بتكوين دولة لهم بسبب ضعفهم في التنظيم السياسي وقيامهم بالثورات المستمرة ضد بني أمية، جعلهم يستفيدون من أخطائهم السابقة ويلجؤون إلى التنظيم والسرية في الدعوة لتكوين الدولة في المغرب[1].

قامت أول ثورةٍ للإباضية سنة 129هـ/747-748م، بقيادة عبد الله بن مسعود التجيبي أحد رجال الإباضية البارزين آنذاك، فضلاً عن عمله وورعه وتقواه، فقد كان صاحب شخصية قوية حسن التدبير، فتعلقت آمال الإباضية به وعزموا على تنصيبه إماماً لهم، فلما بلغ ذلك والي افريقية عبد الرحمن بن حبيب، ولّى أخاه إلياس على طرابلس وأحوازها ودعّمه بقوة عسكرية كبيرة استطاع بها إفشال مسعى عبد الله بن مسعود التجيبي وقتله في نفس السنة[2].

وبعد تجمع الإباضية من جديد، تمّ اللقاء بين قوات عبد الرحمن بن حبيب وقوات الثائرين الجديدين، عبد الجبّار بن قيس والحارث بن تليد بموضع من أرض هوّارة، ولما رأى ابن حبيب انهزام قواته أعدّ جيشاً أكثر عدداً وعدةً وولى عليه عمرو بن عثمان، غير أن هذا الجيش لم يكن أحسن حالاً من سابقيه إذ مني بالهزيمة أيضاً، واستولى الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس على جميع الأراضي الطرابلسية، واتسعت حدود دولتهم من سرت إلى قابس بما فيها جبل نفوسة وطرابلس إلى سنة 131هـ/ 748م[3].

وعقب مقتل الحارث بن تليد وعبد الجبّار بن قيس، بادر إباضية جبل نفوسة بمبايعة إسماعيل بن زياد النفوسي إماماً لهم لعظم شأنه وكثرة مؤيديه، فتوجه على رأس إباضية جبل نفوسة إلى قابس واستولى عليها سنة 132هـ/749م، وأُطلق عليه إمام دفاع ومع ذلك لم يهنأ إسماعيل بن زياد بإنجازاته طويلاً

[1]- صالح محمد فياض أبو دياك: المظاهر السياسية **والحضارية للدولة الرستمية في المغرب**( 144-296هـ/761-909م)، مجلةدراسات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا، ع. 55-56، السنة السابعة عشر، (مارس- جوان 1996م)، ص66.

[2]- الشرقاوي، المرجع السابق، ص49.

[3]- إلياس حسين، المرجع السابق، ص22.

حيث قُتل قرب قابس في إحدى المعارك التي خاضها ضد جيش القيروان، بقيادة عبد الرحمن بن حبيب في نفس السنة[1].

مكث عبد الرحمن بن حبيب الفهري متغلباً على افريقية عشر سنين وسبعة أشهر، لكنه قُتل بعد أن تآمر عليه أخواه إلياس وعبد الوارث وحكم بعده إلياس بن حبيب، إلى أن قام عليه ابن أخيه وانتزع منه افريقية، ولما قَتَلَ حبيب عمّه إلياس هرب عبد الوارث ولجأ إلى قبيلة ورفجومة من نفزة، وعندما طلب حبيب من أمير ورفجومة عاصم بن جميل ردَّ اللاجئين، رفض ذلك ونشب بينهم القتال، فانهزم حبيب واستولت ورفجومة على القيروان[2].

استفاد دعاة الإباضية من ظروف الانقسام السياسي والعائلي، الذي حدث بين أسرة عبد الرحمن بن حبيب الفهري والأحوال المضطربة داخل الإمارة، ورفضوا سلوك الصفرية في القيروان ولم يرضوا عن التطرف الذي ظهرت به ورفجومة الصفرية، بقيادة عصام بن جميل حيث كان هذا الرجل قد ادعى النبوّة والكهانة وقام بأعمال لا ترضي المسلمين، فزاد في الصلاة وأسقط ذكر النبي محمد ﷺ[3].

وفي هذه الظروف قامت ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، أحد حملة العلم الذي بايعته الإباضية بالإمامة سنة 140هـ/757م، وتمكن من دخول طرابلس وطرد عاملها واستولى على جزيرة جربة وجبل دمّر في نفس السنة، ولما سمع بالأعمال الشنيعة للصفرية في القيروان، رأى ضرورة الوقوف أمام المعتدي على حرمات الله وكسر شوكته، فتوجه نحو القيروان بجيشه وقتل زعيم الصفرية بها عبد الملك بن أبي الجعد واستطاع أن يدخل المدينة منتصراً سنة 141هـ/758م.

فلما سمع أبو جعفر المنصور بسيطرة أبي الخطاب على القيروان، بعث جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي سنة 142هـ، فترك عبد الرحمن بن رستم والياً عليها وتوجه نحو طرابلس، حيث قاد معركتين، الأولى ضد عمرو بن الأحوص العجلي مبعوث ابن الأشعث وكان الانتصار حليفه، والثانية معركة تاورغا أمام ابن الأشعث والتي انهزم وقتل فيها أبو الخطاب سنة 144هـ/761م[4]، ولما سمع عبد

[1]- الشرقاوي، المرجع السابق، ص52.

[2]- ابن عذاري: **البيان**، 93/1، 103.

[3]- نفسه، 104/1؛ وانظر، أميرة فرحات، المرجع السابق، ص-ص543-544.

[4]- إبراهيم بحاز: **الدولةالرستمية** (160-296هـ/777-909) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2 جمعية التراث -القرارة -، الجزائر،1414هـ/1993م، ص65، 66، 67، 68.

الرحمن بن رستم بخبر الهزيمة خرج من القيروان باتجاه المغرب الأوسط، يبحث فيه عن مكان لا تصله جيوش العباسيين لاسترجاع الأنفاس وإعادة إظهار الإمامة الإباضية من جديد.

أما عند الصفرية، فقد تمكّن ميسرة المطغري من إعلان أول ثورة للصفرية في بلاد المغرب سنة 122هـ/740م ضد عبيد الله بن الحبحاب من مدينة طنجة، وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي وزحفوا إلى منطقة السوس وقتلوا إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، ولم تتوقف هذه الثورة رغم مقتل قائدها على يد البربر، بل تواصلت بقيادةٍ جديدة هي لخالد بن حميد الزناتي، الذي قاد جيشه في معركة الأشراف سنة 122هـ/741م وتمكّن من إحراز نصرٍ ساحق ضد قوات الخلافة، وأضاف إلى هذا الانتصار انتصارا آخر في معركة بقدورة سنة 124هـ/742م[1].

وقد أدت نتائج هذه المعركة إلى توسيع رقعة الثورة ضد الأمويين، فقامت ثورة أخرى بقيادة عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد بن يزيد الهواري الصفريين، لكنهما هزما أمام حنظلة بن صفوان في معركتي القرن والأصنام، وبهذا شكلت ثورات الصفرية خطراً كبيراً على الدولة الأموية وساهمت في إضعافها والتسريع بسقوطها[2].

## ثالثاً: الإمامة في الفكر السياسي الصفري والإباضي[3]

يتفق الإباضية والصفرية في مسألة الإمامة، فهم كبقية الفرق الإسلامية الأخرى التي توجب نصب الإمام والانضواء تحت رايته، إلا أنهم يضعون شروطاً للإمام يتفقون في بعضها مع بقية الفرق، ويختلفون في بعضها الآخر مع بعضهم[4]، فأول إمامٍ للصفريين في سجلماسة كان سودانياً بالخلقة أو الانتماء، فإن اختياره أميراً على الصفرية بسجلماسة، يكون تطبيقاً لمبدأ الصفرية في الإمامة، وهو عدم التعصب فيها إلى جنس أو عرقٍ معين.

[1]- ابن عذاري: **البيان**، 84/1؛ وانظر، عبيد بوداود: **ثورات الحركة الخارجية الصفرية في بلاد المغرب الإسلامي وتداعياتها**(120-132هـ)، مجلة المواقف، المركز الجامعي معسكر، عدد خاص، الجزائر، (أفريل 2008)، ص، ص307، 309.

[2]- ابنعذاري: **البيان**، ص-ص89-90.

[3]- لم يترك الصفرية مؤلفات نعتمد عليها في بحثنا هذا، أو تركوا وأتلفها أعداؤهم لذلك سيكون تاريخهم في المجمل آراء للإباضية.

[4]- حسني محمد العطار: **نظرية الخلافة عند الخوارج (عرض ونقد)**، نافذ للبحث العلمي، فلسطين، 1442هـ/2021م، ص66.

ويرى الإباضية أن الإمامة نعمة من نعم الله على العباد، فيقول الكندي: "إن أفضل ما أنعم الله على عباده واختصهم به ليوم الميعاد، نعمتان: إحداهما الرسول الهادي ﷺالذي لا يصاب علم الدين إلا من قِبَلِهِ، والأخرى الوالي العادل الذي لا تصلح الدنيا إلا على يده، قال عز وجل:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾"[1]، وقال الله تعالى لإبراهيم:﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[البقرة: 124]، تنزيهاً للإمامة ورفعاً لقدرها وتعظيماً لخطرها، أن ينالها عاتٍ ظالم أو يتحلى باسمها باغٍ غاشم، والإمامة فرض بالدليل من الكتاب والسنة والاجماع، فالدليل من الكتاب قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:59]، وهم الأيمة وقال تعالى:﴿وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[النور:8]، وهو الإمام الذي يقيم الحد[2].

ومن السنة أن الرسول ﷺ كان إذا افتتح بلداً أمّر عليه أميراً مرضياً، وكذلك كان يفعل بالمدينة إذا خرج عنها حاجاً أو غازياً، وكان أمراؤه في البلاد مشهورين بتأميره إياهم وعقد الألوية لهم، فإذا كان هذا مع وجوده عليه السلام فمع عدمه أحرى أن يكون واجباً، ويروى عنه ﷺ قوله:( أطيعوا ولاة أموركم)[3]، فبيّن أن لابد للأمة من قائم تُجْرَى على يده أحكامهم وآراؤهم، بما فعل من توليته العدل الثقة منهم، أن يفعلوا كفعله ومضوا على سنته، فاحتذى المسلمون مثاله[4].

والإمامة عند الإباضية فرض، إذ أوجب الله على المؤمنين طاعة أولي الأمر وهم الأئمة، وجعلها كطاعة الله وطاعة رسوله عليه السلام، شريطة أن يسيروا على نهج كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، إذ يجب عليهم حسن اختيار صاحب هذا المنصب، كما يقول الكندي: "ثم يختارون لله أفقههم وأقواهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأشدِّهم بأساً في نكاية العدو والحياطة من وراء حريم المسلمين، والحفظ

---

[1]- أحمد الكندي: **المصنف**، تح. مصطفى بن صالح باجو، مج.7، ج10، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عُمان 1437هـ/2016م، ص247.

[2]- الكندي: **المصنف**، 270/10.

[3]- شعب الإيمان للبيهقي، التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، وهو باب في التمسك بما عليه حديث رقم: 7222.

[4]- الكندي، **المصنف**، 271/10.

لأطراف الرعية وأوسطها من خاصتها وعامتها وعلى الحكم بالعدل وعلى محاربة العدو وعلى جباية مال الله من حلِّه وانفاقه في أهله[1].

ويكون الإمام قدوةً لرعيته سواء كان عادلاً أو جائراً، ويطلق على المحق والمبطل، لكنه أصبح في العرف أن الإمام يطلق على العادل فقط، فالإمام العادل هو الذي يحكم بما أنزل الله ويقسم بقسمته ويتبع كتابه، ومثل هذا الإمام يكون من الذين قال الله فيهم:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة: 24]، وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم، وأما إمام الضلالة فهو الذي يحكم بغير ما أنزل الله ويقسم بغير ما قسم الله ويتبع هواه هؤلاء نهى الله عن طاعتهم وأمر بجهادهم في قوله تعالى:﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾[الفرقان: 52][2]، والإمامالقدوة في الدين والدنيا، هو الذي يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية، لذلك يرى الإباضية أنه لابد للأمة المسلمة، من إقامة دولة وتنصيب حاكم، يتولى تصريف شؤونها وفق الشريعة الإسلامية[3]، إذ الإمامة خلافة الرسول في إقامة الدين وتطبيق أحكام الله، والمحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الأمة وهي مهام الرسول ﷺ من بعد البعثة إلى حين وفاته، فكل من تولّى هذه المهام يعتبر خليفة رسول الله ﷺ في رعاية شؤون الأمة، والواقع أن الخلافة بالمفهوم العام لا تعني الحاكمية والسلطة المطلقة، لأن ذلك من اختصاص الله أما الانسان فحسبه أن ينفذ تعاليم الحاكم الأعلى، وقد يطلق لفظ الملك على الإمامة، إلا أنه يختلف عنها في أمور منها أن الملك، يميز بين تعاليم الدين ومصالح الدنيا بينما الإمامة تجمع بين الدين والدنيا[4].

وضع الإباضية الإمام في مكانة خاصة ومميزة، إذ أن مجرد النظر إليه يعتبر عبادة، ولولاه لا يجهّزُ جيشٌ ولا تعقد راية للجهاد، ولا يُؤَمَّنُ خائف ولا يقام حدٌّ ولا ينفّذُ حكم ولو اجتمع عليه كل الناس إلا بإمام[5].

---

[1]- الكندي: **المصنف**، 313/10.

[2]- سالم الحارثي: **العقود الفضية في أصول الإباضية**، ط2، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1437هـ/2017م، ص145.

[3]- أميرة فرحات، المرجع نفسه، ص76.

[4]- عدون جهلان، المرجع نفسه، ص103.

[5]- الكندي: **المصنف**، 249/10.

## 1- عقد ووجوب الإمامة

تواتر إجماع المسلمين في الصدر الأول بعد وفاة النبي ﷺ، على امتناع خلو الوقت من خليفةٍ يكون إماماً، حتى قال الصدّيق ﷺ في خطبته حين مات رسول الله ﷺ :"ألا إنّ محمّداً رسول الله ﷺ قد مات، ولا بدّ لهذا الدين من إمامٍ يقوم به" فبادروا إلى قبوله ولم يقل أحدٌ لا حاجة إلى ذلك وقدّموا أهم الأشياء وهو دفن رسول الله عليه السلام[1]، ففي نصب الإمام دفع ضررٍ مظنون ودفع الضرر المظنون واجب إجماعاً، لأنّا نعلم بالضرورة أنّ المناكحات والجهاد والحدود والمقاصّات والأعياد والجمعات، ونحو ذلك منافع عائدة إلى الخلق معاداً ومعاشاً، وإقامة شعائر الإسلام لا يتّم إلا بإمام، ولولا الإمام لتفاتن الناس بالقتل والنهب والزنى وتعطّلت معالم الدين والدنيا، وربما كان كل واحد مشغولاً بحفظ ماله ونفسه تحت قائم سيفه، وذلك مضرة للدين والدنيا[2].

إن إقامة الإمامة عند الإباضية أمر واجب على المسلمين- حيثما وكيفما كانوا- يقول الشيخ تبغورين بن عيسى(ق5هـ): "وعقد الإمامة فريضة عندنا لفرض الله الأمر والنهي والقيام بالعدل وإقامة الحدود على ما بيّنه في كتابه، فاجتمعت الأمة على أن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام إلا بالأيمة وولاتهم"[3]، فثبت أن عقد الإمامة على المسلمين واجب وحق لازم، كما يقول أبو عمار عبد الكافي:"لما كانت الفروض التي ذكرناها منوطة بالإمامة التي لا تقام إلا معها، فكل ما كان من الفرض لا يتم إلا به فهو فرض مثله"[4].

لقد شرع الله في القرآن أحكامًا، لا يتصور تنفيذها دون وجود دولة تتولى تنفيذها، كالقصاص من القاتل وقطع اليد ومعاقبة المفسدين وغيرها من الأحكام، التي تستلزم وجود سلطة تحرص على تطبيق شرع الله، قال تعالى﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

---

[1]- امحمد أطفيش: **شرح عقيدة التوحيد**، تح. مصطفى وينتن، ط1، جمعية التراث (القرارة)، الجزائر، 1422هـ/2001م، ص-ص589-590.

[2]- امحمد أطفيش، المرجع السابق، ص590.

[3]- تبغورين بن عيسى: أصول الدين، تح. ونيس الطاهر عامر، ط1، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، 1426هـ/2005م ص145.

[4]- أبو عمار عبد الكافي: الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد الردّ على أهل الخلاف، تح. عمار طالبي،ج2، موفم الجزائر، 2013م، ص234.

عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[ آل عمران: 104]، وقال رسول الله ﷺ:( الإمام الذي على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيته)[1].

وقيل إن الإمام لا يحتاج إلى من يعقد له، وأن المراد في ذلك التراضي به من الناس، فإذا وقع التراضي عليه من الخاصة بأن يكون إماماً لهم، فهو إمام ولو كان هو القائم بذلك مبتدئًا، واستدلوا على ذلك باختيار أبي بكر ورضائهم به، ومثله إمامة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإذا ظهرت سيرة الإمام وبلغت دعوته بالحق فقد وجبت إمامته وولايته، ما لم يُعلم أنه على ضلال أو تنازعت العلماء في ذلك فيكون العلماء أولى بالأمر منه، وعليهم أن يختاروا لأنفسهم ما يرونه موافقاً للحق[2].

ولا يكون الانتفاع بالإمام بالوصول إليه فقط، إذ لا يخفى تعذُّرُ وصول آحاد الرعيّة في كل ما يصادفهم من الأمور الدنيوية والدينية، بل يكون أيضاً بوصول أحكامه وسياسته إليهم[3]، لذلك فنصب الإمام واجب لأن ضرر عدم نصبه أخطر على الأمة ومصالحها.

### 2- شروط الإمامة عند الإباضية في بلاد المغرب:

كان للإباضية رأي في شروط الإمامة كباقي المذاهب الإسلامية الأخرى، صاغتها وفق أحكام ومبادئ المذهب الإباضي، لذلك كانت كالآتي:

أ- **الإسلام**: كل الأيمة مسلمون موفون بدينهم[4]، وقد راعى رؤساء الإباضية وشيوخهم عندما اختاروا عبد الرحمن بن رستم إماماً للدولة، مدى التزامه بتعاليم الدين الإسلامي.

ب- **الإباضية**: ظهر هذا المذهب في القرن الأول للهجرة، وتطّور حتى اختلف وتميّز عن باقي المذاهب بآرائه السياسية والدينية، فلا شك أن تكون الإباضية شرطاً من شروط تولي الإمامة في الدولة الإباضية، فقد تعلّق بهذا المذهب أوّلهم وهو الإمام عبد الرحمن بن رستم، منذ أن سمع سلمة بن سعد يدعو إليه في القيروان، ثم سافر إلى البصرة يريد التخصص فيه، حتى عاد حاملاً لعلمه، فالإمامة الرستمية نشأت إباضية قبل أن تكون رستمية، لذلك حرص الشراة وأصحاب الحل والعقد في الدولة على المحافظة على

---

[1]- الحديث صحيح، ينظر، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، حديث رقم: 1829، ص11.

[2]- الكندي: **المصنف**، 277/10، 352.

[3]- أطفيش، المرجع نفسه، ص591.

[4]- إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، ط1، مؤسسة كتابك، الجزائر، 1440هـ/2019م، ص114.

مذهب الإمامة وترشيح كل متمذهب بهذا المذهب، سواء كان مغربياً بربرياً أو أندلسياً أو من الغرباء[1]، واشتراط المذهب الإباضي في الإمامة الإباضية، كاشتراط الإسلام سواءً بسواء، فلإباضية عند أهلها تعني الإسلام المطلق أي أنه الشرط الأول، فالإسلام على المذهب الإباضي هو شرط أساسي لإمامة الدولة الإباضية، وهي الدولة الرستمية في بلاد المغرب.

ج- **العلم**: ومن شروط الإمامة أن يكون مجتهداً في الأصول والفروع، ليقوم بأمر الدين والدنيا متمكناً من إقامة الحجج وإزالة الشبه وتصحيح العقائد، وأن يكون له علم يكفي أو معه عالم يقتدي به[2]، فعبد الرحمن بن رستم لم ينل شرف الإمامة حتى اعترف له الجميع بعلمه خاصة أنه كان من حملة العلم الخمسة إلى المغرب من البصرة، وأيضاً من بعده ابنه عبد الوهاب الذي استفاد من علم أبيه، حتى أنه كتب كتاباً لنفوسة الجبل قدّم لهم فيه فتاواه في بعض المسائل التي أشكلت عليهم، يقول ابن الصغير عن هذا الكتاب:" كان هذا الكتاب في أيدي الإباضية مشهوراً عندهم معلوماً يتداولونه قرناً بعد قرن إلى أن لحق الفصل فأخذته عن بعض الرستميين فدرسته ووقفت عليه"[3]، ومن العلم أيضاً أن يكون المرشّح للإمامة ذا خبرة سابقة بالحكم، فعبد الرحمن لما جاء مجتمع تاهرت لمبايعته قالوا في صفاته إنه: "قد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضياً وناظراً..."، وهذا يعني أن أبا الخطاب رشحه للمنصبين السابقين لتوفر شروط القيادة فيه، ثم لأنه ذو خبرة سابقة وتجربةٍ في الحكم[4].

د- **العدل والعدالة**: ولابد أن يكون عدلاً لئلاَّ يأخذ بلا عدل أو يقتل بلا عدل[5]، لأن الإباضية يطمحون إلى تحقيق الإمامة أو الحكومة المثالية التي يكون العدل عصبيتها، فيدفع هذا ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الإباضية من الاستبداد[6] وقد ذكر شيوخ الإباضية ذلك صراحةً حين قالوا: "فإن عدل(عبد الرحمن) فذلك الذي أردتم، وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه"[7]، أما العدالة فتعني الكمال الأخلاقي بسلامة الاعتقاد والجوارح والنزاهة في التصرفات

[1])- نفسه، ص-ص114-115.

[2])- أطفيش، المرجع نفسه، ص592.

[3])- ابن الصغير: **أخبار الأئمة الرستميين**، تح. محمد ناصر، ابراهيم بحاز، دار الغرب الاسلامي، دب، 1405هـ/1985م ص39.

[4])- بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص116.

[5])- أطفيش، المرجع السابق، ص592.

[6])- سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، ج2، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1979م، ص301.

[7])- ابن الصغير:**أخبار**، ص26.

الشخصية[1]، فلم نجد في الرستميين مخدوشاً في أخلاقه ولم يذكر المؤرخون ما يعيب الأيمة في سلوكهم وعدالتهم، ومن المروءة أيضاً أن يظهر المرشح للإمامة بالهيبة التي تضفي عليه الوقار، وهو ما وجدناه في الإمام عبد الرحمن بن رستم وعبد الوهاب وأفلح وأبي اليقظان، ويبدو أن الإمامين أبا بكر وأبا حاتم لم يكن فيهما من الشدة ما كان فيمن كان قبلهما[2].

هـ- **البلوغ**: أن يكون المرشّح للإمامة عاقلاً بالغاً حرًّا لا صبيًّا أو امرأة، لضعف العبد والتهاون به وضعفه بملك السيد وقصور عقل الصبي والنساء ونقصانهن[3]، ولم يذكر أحد من المؤرخين الإباضية أو غيرهم أن إماماً منهم كان صغير السن دون البلوغ، فعبد الرحمن لما بويع بالإمامة كان متقدماً في السن يظهر ذلك من خلال تعبه أثناء الطريق بين القيروان وتاهرت، الأمر الذي أدى إلى حمله من قبل عبده وابنه عبد الوهاب ولا نتصور أن يكون شيخاً كبيراً، وإنما هو كهل أعياه الطريق من طرابلس إلى القيروان ومنها إلى المغرب الاوسط[4].

أما الإمام عبد الوهاب فقد جاء مع أبيه شاباً قوياً، والدليل ما ذكرته المصادر أنه كان يحمل أباه في الطريق بين القيروان وتيهرت، وعندما تولى الإمامة كان عمره في الخمسين على أكبر تقدير، إن لم يكن في عمر الأربعينات كما قال الدكتور بحاز، وأقام في إمامته إلى سنة 208هـ/813م، أي أكثر من ثلاثين عاما، فلعله مات في عمر الثمانين، أما ابنه أفلح فقد تولى الإمامة في عمر الشباب أو الكهولة[5].

الكهولة[5].

و- **سلامة الحواس والبدن**: اشترط الإباضية شرط السلامة الجسمية للإمام، نظراً للمهام الحساسة المنوطة بهذا المنصب، ولأن أي عجزٍ خَلْقِيٍّ قد يتسبب في ضعف الإمام أمام رعيته، أو قد يمنعه من أداء واجباته تجاه الأمة، وفي هذا المعنى يقول الكندي: "ومن دين المسلمين: ألا يتخذوا إماماً ضعيفاً عن

---

[1])- عمر عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي**، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/1987م ص224.

[2])- بحاز، الدولة الرستمية (دراسة في المجتمع والنظم)، المرجع السابق ص-ص117-118.

[3])- أطفيش، المرجع السابق، ص592.

[4])- بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص-ص119-120.

[5])- بحاز، نفسه، نفس الصفحة.

نكاية العدو، ولا مداهناً"[1]، وفي دولة الرستميين كان الأيمة كلهم سليمي الحواس، لم يرشّح للإمامة أعور ولا أعمى، ولا ضعيف ولا عاجز، ويبدو أن إمامة بني مدرار كان أيمتها سليمي الحواس أيضاً.

ز- **الغرابة:** هذا الشرط ميّز الحالة الرستمية تحديداً ويجعل المرشح للإمامة غريباً في المغرب الإسلامي كله، فامتلاك عبد الرحمن لهذه الصفة يُطَمْئِنُ رؤساء القبائل، ووجوه القوم من أهل الحل والعقد في ابتداء أمر الإمامة فراحوا يبايعونه وهم مطمئنون أنه سيعدل فيهم، وسيسير بسيرة السلف الصالح من الصحابة والراشدين ومن سبقه من أيمة الإباضية في المشرق والمغرب، طوعاً من عند نفسه أو رغماً عنه إن فكر في الانحراف لأنه سوف لن يجد له قبيلة تحميه ولا عشيرة يأوي إليها، تدافع عن جوره إن جار أو تبرر انحرافه إن انحرف[2].

**رابعاً- الأيمة المدراريون والرستميون:**

**1- الأيمة المدراريون:**

**أ- عيسى بن يزيد الأسود:**

إن أول من تولّى إمامة الصفريين رجلاً سودانياً هو عيسى بن يزيد الأسود، يقول ابن خلدون: "فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم، نقضوا طاعة الخلفاء وولّوا عليهم عيسى بن يزيد الأسود من موالي العرب ورؤوس الخوارج، واختطوا مدينة سجلماسة لأربعين ومائة من الهجرة"[3].

لقد طبقّت جماعة الصفرية التي بايعت عيسى بن يزيد، مبدأ اللا عنصرية واللا عصبية للإمام عند اختيارهم له، ليتسنى لهم مراقبته ومحاسبته إذا حاد عن الطريق المستقيم، وهذا ما سيفعلونه سنة 155هـ/772م حيث ثاروا عليه وأنكروا عليه بعض الأمور، وصلبوه على شجرةٍ في الجبل[4].

---

[1]- الكندي: **المصنف**، 10/ 316.

[2]- بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص121.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 172/6.

[4]- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، تح. أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م ص139؛ وانظر، عبد الحميد حسين حمودة: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 1427هـ/2007م ص348.

**ب- أبو القاسم سمكو بن واسول:**

كان أبو القاسم سمكو الشخصية الثانية، التي تولّت الإمامة في سجلماسة من سنة 155هـ/771م إلى سنة 168هـ/784م، والذي عُرِفَ عنه أنه التقى بعكرمة مولى ابن العباس في أفريقية وأخذ العلم عنه وأنه كان صاحب ماشية ينتجع سجلماسة[1].

ومهما يكن من أمرٍ فإن أبا القاسم نال سمعةً أدبيةً عند الصفرية، لأنه تلقى العلم عن عكرمة مولى ابن العباس، مما أضفى عليه لباس التقوى والورع، وجعلهم يذعنون إلى اقتراحه في مبايعة عيسى بن يزيد ثم مبايعته هو بعد ذلك، وبما أن الدولة كانت حتى عهده في طور نشأتها، فمن المنطقي أنها كانت بحاجة إلى استقرار داخلي، ولهذا عمد أبو القاسم إلى الحياد المذهبي أو على الأقل التأرجح بين المذهبين الصفري والإباضي، مما دفع ابن خلدون إلى القول: "وكان أباضياً صفرياً"[2]، وكان مبرر أبي القاسم من هذه السياسة، كسب ودِّ الرستميين تجنباً لأي تحريض على شقِّ عصا الطاعة من طرف إباضية سجلماسة، الذين كانوا على وُدٍّ كبير مع أيمة تيهرت الرستميين لدرجة أنهم كانوا يتوجهون بزكاتهم إليهم، وقد أشار إلى هذا الأمر ابن الصغير بقوله: "وكان المغرب كله مفتوناً بهذا الرجل (أبو اليقظان) حتى أن مَنْ كان مِنَ الإباضية بسجلماسة يبعثون إليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء"[3]، كما رأى أبو القاسم أن يهادن بني العباس، حتى لا يثيرهم ضده وفي المعنى يقول ابن خلدون: "وخطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس"[4].

وقد أثمرت هذه السياسة، فلم تحدثنا المصادر عن اضطرابات داخلية، ولا صراعات مع الإمارات المجاورة ولا مواجهة مع الخلافة العباسية على عهد أبي القاسم سمكو[5]، إلى أن مات فجأة في آخر سجدة من صلاة العشاء سنة 168هـ/784م، فكانت ولايته ثلاثة عشر سنة[6].

---

[1]- البكري: **المسالك والممالك**، تح. جمال طلبة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ص334.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 172/6؛ وانظر، شنايت العيفة، **دولة بني مدرار بسجلماسة**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، إشراف. موسى لقبال، جامعة الجزائر، الجزائر، 1410-1411هـ/1990-1991م، ص57.

[3]- ابن الصغير، **أخبار**، ص85.

[4]- ابن خلدون: **العبر**، ص172.

[5]- شنايت، المرجع نفسه، ص58.

[6]- البكري: **المسالك**، ص335.

**ج- إلياس بن أبي القاسم سمكو بن واسول**

بعد وفاة أبي القاسم سمكو، تولى الحكم ابنه إلياس سنة (168- 174هـ/784- 791م) فكان أهمّ ما ميّز فترته، هو الانتقال السلس للسلطة من الأب إلى الابن، فابن خلدون يرى أن إلياسَ جاء إلى الحكم برغبةٍ من السجلماسيين أنفسهم، فيقول: "ولما هلك ولوا عليهم ابنه إلياس"[1]، لكن حكم إلياس لم يدم طويلاً لأن الرعية ثارت عليه وعزلته[2].

د- **إليسع بن أبي القاسم**: تولى اليسع بن أبي القاسم الحكم بين 174-208هـ/791-823م، فكان إليسع قوي الشخصية، وتغلب على كل من عانده من قبائل البربر وغزا بلاد درعة وحصّل خمس معادنها، وشيّد المصانع والقصور بسجلماسة وأعاد بناء سورٍ عليها، فكان أسفل السور بالحجارة وأعلاه بالطوب، وللسور اثني عشر باباً من الحديد، ذكر لنا المقدسي(ت388هـ) بعض أسماء تلك الأبواب منها باب القبلي وباب الغربي، وباب غدير وباب الجزارين وباب موقف زناتة، وشيّد وسط مدينة سجلماسة حصناً يسمى العسكر ويشتمل على الجامع ودار الإمارة[3]، وتميزت علاقة إليسع مع الرستميين بحسن الجوار، ربما يعود ذلك إلى طبيعة مذهبه، فهو وإن أظهر مذهب الصفرية وقاتل عليه إلا أنه كان يميل إلى المذهب الإباضي، حتى قال عنه ابن خلدون: "وكان أباضياً صفرياً"[4].

هـ- **مدرار بن إليسع**:تولى مدرار بن اليسع الحكم سنة 208هـ/823م، وهو الذي تزوج أروى ابنة عبد الرحمن بن رستم، حيث يكشف هذا الزواج الصلة التي كانت لمدرار بالرستميين حتى بلغت مبلغ المصاهرة، ويكشف أيضاً عن طيب العلاقة بين تيهرت وسجلماسة، وهذا ما أججّ نار الفتنة في البيت المدراري بين ولدي مدرار، ميمون ابن أروى الرستمية وأخيه ميمون بن تقية، فتنازعا لمدة ثلاث سنين[5].

و- **ميمون بن مدرار**: مال مدرار مع ابنه ميمون بن الرستمية، وأخرج ميمون بن تقية من سجلماسة، فخلع ابن الرستمية أباه، ثم قام عليه أهل سجلماسة فخلعوه، وأرادوا أن يقدموا ابن التقية لكنه رفض ذلك، فأعادوا مدراراً إلى الحكم، وعندما حاول إعادة ابن الرستمية إلى الحكم، خلعوه وولوا ابن التقية

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 172/6.
[2]- نفسه، نفس الصفحة.
[3]- المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م، ص231.
[4]- نقلاً عن عبد الحميد حمّودة، المرجع نفسه، ص-ص349-350.
[5]- ابن خلدون: **العبر**، 172/6-173، وانظر، عبد الحميد حمودة، المرجع السابق، ص350.

فلم يزل والياً عليهم إلى أن مات سنة 263هـ/876م، وفي إمرته مات أبوه مخلوعاً[1]، فولي الحكم بعده ابنه محمد لمدة سبع سنين، فهذا الصراع بين الأخوين لم يكن سوى، صراعاً بين جناحين في الدولة المدرارية على الإمامة بين أنصار المذهب الصفري والإباضي، مما أدى إلى إضطرابات دامت لسنين.

ز- **محمد بن ميمون**: ذكر ابن خلدون أن محمداً هذا انتحل الإباضية[2]، وذكر ابن الخطيب أنه غزا بلاد القبلة وذلك لمتابعة فلول المعارضة التي قد يكون ميمون بن تقية من ورائها، وكانت وفاة محمد بن ميمون بن مدرار سنة 270هـ/883م[3].

ح- **إليسع بن مدرار**: تولى اليسع عمّ محمد بن ميمون الحكم بعده، وشرع في تجنيد الجيوش وجهّز حملة لغزو مطغرة[4]، إلى أن فرّ عن سجلماسة لما تغلّب عليها أبو عبد الله الشيعي في ذي الحجة سنة 297هـ/909م حسب رواية البكري، وولي عليها الشيعي إبراهيم بن غالبالمزاتي، فقتله أهلسجلماسة وأعادوا إلى الحكم واسول وهو الفتح بن الأمير ميمون، وذلك سنة 298هـ/910م وتوفي سنة 300هـ/912م، ثم وليها أخوه أحمد إلى أن سقطت نهائياً على يد مصالة بن حبوس المكناسي سنة 309هـ/921م[5].

## 2- الأئمة الرستميون:

### أ- الإمام عبد الرحمن بن رستم

إنه عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن كسرى الملك الفارسي[6]، كان أصله من العراق وكان أبوه رستم عنده في العلم أن ذريته ستلي أرض المغرب، فأقبل رستم متوجهاً من العراق ومعه ابنه عبد الرحمن وزوجه ليتوصل إلى أرض المغرب منها، لكن أيامه انقضت قبل أن يصل إلى المغرب، والتقى ابنه عبد

---

[1]- البكري، **المسالك**، ص335.

[2]- ابن خلدون: **العبر** 173/6.

[3]- ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تح. أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م ص144؛ وانظر، شنايت، المرجع السابق، ص66.

[4]- عبد الحميد حمّودة، المرجع السابق، ص351.

[5]- البكري: **المسالك**، 336/2.

[6]- أبو زكريا يحي: **سير**، ص55؛ الشماخي: **السير**، ص124؛ الدرجيني: **طبقات**، 19/1.

الرحمن وزوجته مع الحجاج من أهل المغرب بمكة، فتزوجت أم عبد الرحمن رجلاً من أهل القيروان، فأقبل بها حتى قدموا أرض القيروان ونشأ بها عبد الرحمن بن رستم[1].

كان أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة قد حكم له بالذكاء العلمي الوقّاد، وبالتفوق في العلم والغزارة فيه وبالتفقه في الدين، وعمق الفهم للشريعة واستطاعته الاستنباط والاستنتاج، قال الشماخي: "وفي كتاب سير أشياخ نفوسة أن أبا عبيدة قال لأبي داود القبلي النفزاوي: لا تَفْتِ ما سمعت مني ما لم تسمع، وقال لعبد الرحمن بن رستم أَفْتِ بما سمعت وما لم تسمع، وقال لأبي الخطاب أَفْتِ بما سمعت"[2] فكان عبد الرحمن صبياً يطل الذكاء من عينيه، وتبدو النجابة على مخائله ويطالعك الظُرف والأدب وخفة الروح في حركاته وسلوكه، فأحبه زوج أمه وسهر على تربيته، ورجع ذلك القيرواني الكريم إلى بلده يحمل معه أسرةً متكونة من شخصين هما عبد الرحمن وأمه، واستقر بهم المقام بالقيروان وطاب، وكان الصبي من عشاق المعرفة، فتدرّج في المدارس البسيطة الموجودة في هذه البلدة الناشئة، وكانت أمه وزوجها لا يفتآن يحرضانه على المزيد من طلب العلم، واتصل به سلمة بن سعد وحدّثه عن المعاهد العلمية في الشرق الإسلامي، ولذلك فقد كان يشغله التفكير في الطريق الذي يسلكه ليستكمل دراسته، وترامى إلى سمعه الشهرة الذائعة للمعاهد العلمية في العراق، وبلغه ما تتمتع به البصرة من شهرة جعلتها تطغى على بقية العواصم الإسلامية لذلك الحين[3].

فلما بلغ مبلغ الرجال وغرف من علوم القيروان وعلمائها، نظر إليه رجل من أهل الدعوة وقال له يا فتى[4] إن كنت طالباً ما أراك تطلبه، فاقصد إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة تجد عنده ما رجوت وقيل أن أمه هي شجعته على الانتقال إلى البصرة[5].

---

[1])- الدرجيني، **طبقات**، 1/54-55.

[2])- الشماخي: **السير**، ص129؛ وانظر: محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، القاهرة 1384هـ/1964م، ص186.

[3])- علي يحي معمر: **الإباضية في موكب التاريخ**، مر. الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم، ط3، مكتبة الضامري، سلطنة عمان 1429هـ/2008م، ص509.

[4])- هذه إشارة في نص أبي زكريا، إلى السن الذي كان عليه عبد الرحمن بن رستم عند رحيله إلى المشرق، فقال "فتى" والفتى حدث بين المراهقة والرجولة، ينظر: أحمد مختار عمر، **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**، ط1، مؤسسة سطور المعرفة الرياض، 1423هـ/2002م، ص347.

[5])- أبو زكريا: **السير**، ص55.

ولما أفاد وحملة العلم[1] من العلوم ما قدر الله لهم، وعزموا على المسير إلى بلادهم، كلّموا أبا عبيدة واستشاروه في شأنهم، فقالوا: يا شيخنا، إن أصبحت لنا في المغرب قوة ووجدنا من أنفسنا طاقةً، أفَنُوَلِّي على أنفسنا رجلاً منا؟ وما ترى؟ قال أبو عبيدة: توجهوا إلى بلادكم فإن كان في أهل دعوتكم ما تجب به عليكم التولية في العدد والعدة من الرجال، فولّوا على أنفسكم رجلاً منكم، فإن أبى فاقتلوه وأشار إلى أبي الخطاب[2].

ولما وصل عبد الرحمن إلى المغرب، عرض عليه أصحابه الإمامة لكنه اعتذر إليهم وقال: إن بيدي أمانة الناس وبضائعهم فقبلوا عذره وتركوه[3]، فجدَّ في تحقيق أمنية شيخه سلامة بن سعد الذي كان يقول "وددت أن يظهر هذا الأمر يوماً واحداً فما أبالي أن تضرب عنقي"[4]، ثم قام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري وثار على ولاة الدولة العباسية في طرابلس سنة 140هـ/757م، وأعلن إمامته ولّى عبد الرحمن بن رستم على القيروان، وعندما قَدِمَ محمد بن الأشعث بالقوات العباسية باتجاه طرابلس، لبى عبد الرحمن نداء أبي الخطاب وتوجه بجيشه من القيروان، ولكنه عاد من قابس عندما رأى هزيمة إمامه وخرج من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة 144هـ/761م[5].

وصف ابن عذاري عبد الرحمن بالأمير والرئيس، لأنه استغلّ كل الظروف لصالحه ونظّم نفسه وأخذ يُعِدُّ العدة ويتحين الفرص، للانقضاض من جديد على القيروان، وربما كان ينتظر من إباضية طرابلس أن يحققوا الانتصار، لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن وبقي الحال كما هو، يقول الدرجيني: "وسبب ولايته أن جماعة من أهل الدعوة اتفقوا على أن ينتخبوا موضعاً يبنون فيه مدينة تكون حصناً لهم، فأرسلوا رجالاً من ذوي المعرفة وفرقوهم في الجهات يتخيّرون مكاناً يصلح لما حاولوه ورجعوا وقد وقع اختيارهم على تاهرت"[6]، إذن الدرجيني يؤكد على أن أهل دعوته يئسوا من فكرة الرجوع إلى طرابلس والقيروان وفكروا أخيراً بالاستقرار.

[1])- عن حملة العلم، ينظر، أبو زكريا، نفسه، ص54.

[2])- نفسه، ص56.

[3])- نفسه، ص-ص56-57.

[4])- الدرجيني: **طبقات**، 11/1؛ وانظر، سعد زغلول، ج2، المرجع السابق، ص290.

[5])- سعد زغلول، نفسه، نفس الصفحة.

[6])- الدرجيني:**طبقات**، 41/1.

ويشير ابن الصغير إلى المراحل التي مرّ بها الإباضية بعد الشروع في بناء المدينة، فيقول: "أخبرني غير واحد من الإباضية عن من تقدم من آبائهم قالوا: لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤساؤهم فقالوا: قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا، فقلبوا أمرهم فيما بينهم فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدبر أمر القبيل ويستحق امر الإمامة، فقال بعضهم لبعض كلكم رؤساء ولا نأمن أن يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته، ولعل المقدم يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد النيّات ويكثر الاختلاف ويقلّ الائتلاف"[1]، يؤكد ابن الصغير في هذا النص حرصه على نقل الأخبار الصحيحة من خلال تعدد مصادره فيقول:"أخبرني غير واحد من الإباضية"، والأمر الثاني هو توقيت بيعة الإمام عبدالرحمن، فيقول:"لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها"، أي أن البيعة كانت بعد بناء تاهرت ومسجدها.

ليُفَصِّل بعد ذلك في دواعي إعلان الإمامة الإباضية، التي تُطَبِّق الأحكام فتنصف الظالم من المظلوم وتقيم الصلاة وتؤدى إليها الزكاة وتُقَسِّم الفيء، ثم تطرق إلى السبب الذي أدى بالإباضية إلى اختيار عبد الرحمن بن رستم إماماً لهم، والذي تمثّل في الغرابة.

واجتمعت جموع الإباضية، التي تقاطرت من كل حدب وصوب على عبد الرحمن الفارسي والتفت حوله ورأت أنه القائد المناسب، الذي سيحقق طموحاتهم في باء دولة إباضية، فتمّ لهم ذلك سنة 160هـ/777م وأصبح أول أئمة الدولة الرستمية التي اشتق اسمها من اسمه، فانتشرت سيرته الحسنة وكثر أنصاره ومؤيدوه[2].

فسار بالناس بسيرة حميدة أولهم وآخرهم، ولم ينقموا عليه في أحكامه حكماً ولا سيرةً وسارت بذلك الركبان إلى كل البلدان، وشمّر مئزره وأحسن سيرته وجلس في المسجد للأرملة والضعيف، لا يخاف في الله لومة لائم، فانتشرت سيرته في مشارق الأرض ومغاربها، حتى وصل ذلك إلى أهل البصرة وغيرها في البلدان وقال بعضهم لبعض: "قد ظهر بالمغرب إمام ملأه عدلاً وسوف يملك المشرق ويملأه عدلاً"[3]،

[1])- ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص25-26.

[2])- محمد بوركبة: **الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية(160-296/777- 909م)**، دار الكفاية، الجزائر، دس ص67.

[3])- ابن الصغير: **أخبار**، ص27.

وتطورت الحياة في تاهرت بفضل القيادة الرشيدة لعبد الرحمن بن رستم، فعند رجوع البصريين إليها وجدوا الأمور تبدلت وأحوال المدينة والأشياء قد حالت وذلك أنهم رأوا قصوراً قد بنيت وبساتين قد غرست وأرحاء قد نصبت[1].

ومسّ هذا التطور كل مناحي الدولة الرستمية بحيث زادت العمارة وتوسعت المدينة، وامتلأ بيت المال بفضل العمال الذين سخرهم عبد الرحمن لذلك، وانتشر الأمن والاستقرار بفضل قوة القضاء كما حرص الإمام على محاربة الفقر بإحصاء الفقراء والمساكين، فإذا علم عددهم اشترى لهم أكسية صوف وجباباً وزيتاً، وأمر بتوزيعها على كل بيت[2]، وبدأت تيهرت ترقى وتزدهر من أيام عبد الرحمن بن رستم، خاصةً بفضل التجارة التي ربطتها مع جميع البلدان خاصة تجارة الذهب مع بلاد السودان، فكانت من الأسباب التي جذبت نحوها الباحثين عن الثراء من كل الأقطار، فيقول ابن الصغير: "فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك والكلمة واحدة والدعوة مجتمعة ولا خارج يخرج عليه، ولا طاعن يطعن عليه إلى أن اخترمته المنيّة وانقضت أيام مدته" فكانت مدته إحدى عشر سنة من 160هـ حتى 171هـ[3].

**ب- الإمام عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم**

تولى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، الإمامة سنة 171هـ حيث أن المصادر لم تذكر تفاصيل حياته، رغم أنها ذكرته مبكراً في رحلة عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى تيهرت، فأورد الدرجيني في طبقاته أن عبد الوهاب حمل أباه عندما تعب في الطريق وهذه دلالة على أنه كان شاباً قويا[4]، كما أن مرافقته لوالده تدل على قربه منه، وهذا يجعله يتشبع بأفكاره ومبادئه.

وسارت الأمور على ما يرام على عهد الإمام عبد الوهاب، فقويت إمامة تاهرت حتى قال ابن الصغير: "اجتمع له (عبد الوهاب) من أمر الإباضية وغيرهم ما لم يجتمع للإباضية قبله، ودان له ما لم يدن لغيره واجتمع له من الجيوش والحفدة ما لم يجتمع لأحد، ولقد حكى لي جماعة من الناس أنه قد

---

[1]- ابن الصغير: **أخبار**، ص33.

[2]- نفسه، ص-ص35-36.

[3]- فطيمة مطهري: **مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (2-3هـ/8-9م)**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف. معروف بلحاج، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، الجزائر، 1430-هـ1431/2009/2010م، ص70.

[4]- الدرجيني، **طبقات**، 35/1.

بلغت سمعته إلى أن حاصر مدينة طرابلس وملأ المغرب بأسره إلى مدينة يقال لها تلمسان"[1]، والقصد من قوله أن الدولة الرستمية كانت تمتدُّ شرقاً إلى طرابلس وغرباً إلى تلمسان، أن إمامة تاهرت نشرت سلطانها على كل المغرب الأوسط، الذي تعتبر مدينة تلمسان حدّه الغربي، حيث تبدأ وراءها حدود المغرب الأقصى[2]، فحكم الإمام عبد الوهاب من عام 171هـ/787م حتى 208هـ/ 823م، أي سبعاً وثلاثين سنة عرفت فيها الإمامة الإباضية القوة الخارجية المهيبة، وامتدت من تلمسان غرباً إلى طرابلس شرقاً واجتمع للإمام عبد الوهاب من الجيوش ما لم يجمع لأحد قبله[3]، وكان الإمام عبد الوهاب متبحراً في علوم الشريعة الإسلامية، والفقه الإباضي وله كتاب جمع بعنوان نوازل نفوسة، فكان يقضي وقته في تدبير شؤون الدولة والمطالعة وتدريس العلوم في المسجد، وقد عرف بالدهاء والحنكة البالغة[4] والسياسة الرشيدة، خاصة عندما فكر بمصاهرة البربر وتزوج من قبيلة لواتة مثلما فعل والده عبد الرحمن حينما صاهر قبيلة بني يفرن أخواله[5].

وحدث أنه أراد المسير إلى الحج، فجهّز نفسه للسفر ومضى متوجهاً إلى جبل دمر[6]، ثم توجه إلى جبل نفوسة، فاجتمعت عليه جموع نفوسة وأخبرهم أنه ينوي الحج، فقالوا له أنهم يخافون عليه من العباسيين أن يأخذوه ويحبسوه، فمكث عندهم وأرسل يستفتي علماء المشرق، وعندما جاءه الجواب أرسل بمالٍ ليُحَجَّ عليه، فمكث في جبل نفوسة سبع سنين، يتعلمون عنده مسائل الصلاة، ثم قرر حصار طرابلس بمن أطاعه من جموع الإباضية[7].

فلما حاصر الإمام طرابلس، توفي ابراهيم بن الأغلب سنة 196هـ/ 716م، فأنهى الحصار بالاتفاق مع ولي العهد الأغلبي عبد الله بن ابراهيم، على أن تظل المدينة وأقاليمها الساحلية بحكم

[1]- ابن الصغير: **أخبار**، ص39.

[2]- سعد زغلول، المرجع السابق، ص314؛ وانظر الملحق رقم 08.

[3]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (المجتمع والنظم)، المرجع السابق، ص104.

[4]- بوزياني الدراجي: **دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص111.

[5]- مبارك الميلي: **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، تقديم وتصحيح. محمد الميلي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دس، ص70.

[6]- جبل دمر: يشكل الطريق الغربي للسلسلة التي تمتد من جنوب طرابلس حتى قابس، ينظر أبي زكريا: **سير**، هامش(رقم 3)، ص114.

[7]- نفسه، ص-ص114- 116.

الأغالبة وأن تصير الأقاليم الداخلية الأخرى إلى حكم الإمام عبد الوهاب، وتأكد سلطانه شرقاً إلى جبل نفوسة[1]، لكن هذه النجاحات لعبد الوهاب لم تمنع ظهور العصبية، لمقتضى طبيعتها المتصفة بالأنانية والغضب فوقف في طريقه يزيد بن فندين، وقد تطور حتى وصل إلى استعمال السلاح وسفك الدماء فقُتِلَ يزيد ومعه اثنى عشر ألفاً من الإباضية، كما عرف أصحابه باسم النكّار وتميّز الإباضية الآخرون باسم الوهبيّة، وثارت عليه أيضاً فئة أخرى من قبيلة زناتة وهم الواصلية[2]، وانتهت بهزيمتهم في مجالات الحرب والمجادلات الكلامية، واستعان الإمام في حربه ضدهم بقبيلة نفوسة حيث أرسل إليهم يستمِدُهم أن يبعثوا له جيشاً، ففعلوا وتمكن من هزيمتهم[3].

نجح الإمام عبد الوهاب في توطيد أركان دولته، فاجتهد في توسيعها وضمِّ مناطق جديدة لها واستطاع بفضل سياسته الرشيدة أن يجمع الإباضية في المغرب الإسلامي، وترك لخلفائه من بعده دولةً قوية الدعائم متينة الأساس.

### ج- الإمام أفلح ابن عبد الوهاب

تولى الإمام أفلح الحكم من سنة 208هـ/823م إلى سنة 258هـ/871م[4]، بايعه الناس بعد بعد وفاة أبيه بالاختيار العام دون استخلاف أو وصيةٍ أو ترشيح، وقد بايعوه مباشرةً بعد وفاة الإمام دون تردد أو منافسةً من أحد، فقد كانت شخصية أفلح وعظمته وتفوقه في جميع الميادين أهَّلته لأن تتجه إليه جميع الأنظار، لذلك فقد تمت له البيعة في يسرٍ وسهولة، لأن أحداً لم تحدِّثه نفسه بأنّه أو غيره يحلم أن تسند إليه الإمامة وأفلح موجود[5].

أخذ أفلح العلم عن أبيه وجدِّه ومن عاصرهما من كبار العلماء، حتى بلغ درجتهم وتفوّق على بعضهم، وأصبح من الأيمة المعدودين والعلماء المشهورين، وانفرد بأقوال في علم الكلام اعتبر من أجلها

---

[1]- سعد زغلول، المرجع السابق، ص314.

[2]- الواصلية أصحاب أبي حذيفة واصل بن عطاء الغزّال الألثغ، كان تلميذاً للحسن البصري يقرأ عليه العلوم والأخبار واعتزله فسمي بالمعتزلي، ينظر، الشهرستاني: **الملل والنحل**، تح. محمد سيد كيلاني، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1395ه/1975م، ص46.

[3]- أبو زكريا: **سير**، ص101، 112.

[4]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (المجتمع والنظم)، المرجع السابق، ص-ص104-105.

[5]- يحي معمر، ج2، المرجع السابق، ص50.

إماماً[1]، فلما ولي أخذ بالعزم والحزم ونشأ له من البنين ما لم يكن لغيره ممن قبله، واتسعت شهرته حتى أتته نفوسة الجبل يسألونه أن يُقدِّمَ عليهم من يراه يليق بهذا المنصب، ولم يكن الشراة يطعنون عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته ولا في أعشاره[2]، ويقول ابن الصغير في طريقة تسييره للحكم: "وكان أول ما امتحنه الشراة أن قاضياً من قضاة أبيه مات في أيامه، فاجتمعت إليه وسألوه أن يولي القضاء من يستحق ذلك فقال لهم: أجمعوا جمعكم وقدِّموا خيركم ثم أعلموني به أجبره لكم وأعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم ..وأجمع رأيهم على محكم الهواري الساكن بجبل نفوسة، فأتوا إلى أفلح بن عبد الوهاب فقالوا قد تدافعنا هذا فيما بيننا فلم نرتض أحداً منا، وقد ارتضينا جميعا بمحكم الهواري الساكن بجبل أوراس"[3]، فنزل الإمام أفلح عند رغبة رعيته واستدعى محكم الهواري للقضاء في تاهرت وكان لهم ما أرادوا.

سار أفلح في رعيته بالعدل، حتى روي عنه أنه كان قد جاءه أبو العباس وهو أخُ الإمام أفلح يشتكي جفاء محكم الهواري، عندما أنزله وخصمه المنزلة نفسها فقال أفلح: "يا أبا العباس قد كنتُ أعلمتُ بهذا من قبل والصواب ما فعل، والحق أولى أن يؤثر ولو فعل غير هذا لكان مداهناً"[4]، فكانت هذه الحادثة امتحانا لأفلح، أمام القاضي محكم الهواري و كل الإباضية.

ويصف ابن الصغير وصفاً دقيقاً للحياة الاجتماعية في عهد الإمام أفلح فيقول: "عمّر أفلح في إمامته ما لم يعمِّر أحد ممن كان قبله، فأقام خمسين عاماً حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور، واتخذ باباً من حديد وعمّرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلاّت وأتته الوفود من كل الامصار والآفاق بأنواع التجارات، وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة، وأجروا الأنهار وانتشرت القبائل وعمرت العمائر وكثرت الأموال بأيديهم"[5].

توطدت أركان الإمامة الرستمية وازدهرت تاهرت على عهد أفلح، فتنافس الناس في البنيان داخل العاصمة وخارجها، فبنوا القصور وعمروا الضياع وأجروا خلالها الأنهار، ومن أشهر المباني التي أقيمت في

---

[1])- يحي معمر، المرجع السابق، ص50.
[2])- ابن الصغير: **أخبار**، ص49.
[3])- نفسه، ص49
[4])- نفسه، ص50.
[5])- نفسه، ص51.

أرباض تاهرت، قصر عبد الواحد الذي كان مشهوراً على أيام ابن الصغير، وكذلك القصران اللذان عرفا باسم بانياهما: أبان وحمويه، فكان سكان هذين القصرين على قدرٍ طيبٍ من الرفاهية وسهولة الحياة بفضل عناية صاحبيهما، كما سمع ابن الصغير من بعض شهود العيان، فعندما كان أبان وحمويه يذهبان لزيارة القصرين، كان أهلها يستقبلونهما في شرفات المنازل وعليهم الثياب الملوّنة، من أحمر وأصفر كأنهم البدور على الجدران[1]، كما كان للفرس مكانة ممتازة في إمامة أفلح، على ما يروي ابن الصغير مما سمعه، أنه كان للعجم (الفرس) مقدّمٌ يقال له "ابن وردة"، وأنه كان قد ابتنى سوقاً عرف باسمه، فكان صاحب شرطة أفلح إذا تخلل المدينة لتفقدها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبةً، أما النفوسيين فلم تكن بلادهم تمثل مركز الثقل الشرقي للإمامة الرستمية فقط، بل كانوا يمثلون أيضاً عصب الدولة في تاهرت[2].

أما الأجناد من بطانة السلطان، فكانوا من أهل إفريقية وكان قوادهم من أولاد أفلح وحشمه وهكذا ازدهرت أحوال تاهرت على عهد أفلح بن عبد الوهاب، وأخذت شكل العاصمة العالمية بفضل تنوع سكانها من الفرس والنفوسيين والأفارقة، ولقد عمّ الرخاء القبائل المنتشرة حول المدينة، بفضل ما اكتسبوه من الأموال وما اقتنوه من العبيد والخيول إلى أن نالهم من الكِبر ما نال أهل المدينة[3].

نقل جلّ المؤرخين قول ابن الصغير عن سياسة أفلح التي سماها "سياسة فرق تسد" التي انتهجها بين القبائل، وقالوا كلاماً لا يليق في حق إمامٍ حكم خمسين عاماً، شهد نفس المؤرخين أنها كانت من أزهى عصور الدولة الرستمية، يقول مبارك الميلي: "عمد إلى سياسة التفريق وبثِّ الجواسيس والمفسدين بين الرئيس ومرؤوسه والقبيلة وحليفتها، فاختلفت الآراء وانحلّت الروابط وانطوت الصدور على الضغائن واستحكمت النفرة بين القبائل، وظن أفلح أنه أفلح في سياسته ولكنه ترك لمن بعده تراثاً سيئاً، فإن سيادة تبنى على الدسائس لا بدّ أن ينهار صرحها لأول ضعف يبدو على الدولة، وهذا ما وقع بعد

[1])- سعد زغلول، المرجع السابق، ص341؛ القصور التي يتحدث عنها ابن الصغير ليست قصور الملوك المعروفة في المشرق وإنما هي تجمعات سكنية يحيطها سور ولها باب واحد مشترك يخرج ويدخل منه سكان القصر، كتلك الموجودة اليوم في مدينة غرداية وورقلة وغيرها من المدن الجزائرية.

[2])- نفسه، ص-ص341-342.

[3])- نفسه، نفس الصفحة.

أفلح، فقد كانت أيامه خاتمة شباب الدولة وسياسته علة ضعفها"[1]، ولكن قبل أن نحكم على الرجل هذا الحكم القاسي، علينا أن ننهي قراءة ما كتب ابن الصغير الذي بَرَّأَ نفسه حين قال: "فيما قالوا والله أعلم فيمن رأى ذلك"، وكأنه هو نفسه غير مقتنعٍ بما سمع عن الإمام والأمر الثاني هو أن علاقات قبائل المغرب الإسلامي ببعضها، كان يسودها التوتر والمنافسة إما على حيازة المناطق الزراعية الخصبة، أو طلباً للغلبةِ والسيطرة على مناطق شاسعةً من البلاد.

تصدّر الإمام أفلح للتدريس وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها، قبل أن يبلغ الحلم وكانت عليه أربع حلق وقيل سبع من طلبة العلوم كلها، حتى الرياضية والتنجيم مبلغاً لا يدك شأوه[2]، فكان حاكماً عادلاً وفقيهاً شاعراً، وعالماً بأحكام الشريعة وقواعد المذهب الإباضي[3]، كما كان من الأدباء ذا اقتدارٍ على النظم وحفظه له منه كل ما رقَّ وطاب، فمن شعره الرائق تلك المنظومة المشهورة الجامعةِ لحكمٍ ونصائحٍ هي جديرة بالحفظ والاعتناء، بل يحق لها أن تكتب بمداد التبر على صفحات اللجين[4] وأن يجعلها كل من كان ذا اعتناء بالعلم والعمل به، من مكنونات فؤاده ودرر محفوظاته حتى يصبح مهذّب الأخلاق والخلق، متحلياً بمحاسن الآداب العالية والعلوم النافعة[5].

واجه الإمام أفلح ثورة خلف بن السمح في جبل نفوسة، واستطاع القضاء عليها نهائياً على يد واليه على الجبل العباس بن أيوب النفوسي، حيث فرّ ولد السمح إلى مدينة جربة، وواجه أيضاً فتنة داخلية تمثلت في خروج فرج النفوسي، الملقَّب (بنفاث بن نصر) عن طاعة الإمامة، بسبب تنصيب أفلح سعد بن أبي يونس على مقاطعة قنطارة[6] التابعة لجبل نفوسة، كما نجح الإمام في كسب مودة المعتزلة

---

[1]- مبارك بن محمد الميلي: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، تقديم وتصحيح. محمد الميلي، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دس، ص71.

[2]- الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص239.

[3]- بوركبة، المرجع السابق، ص110.

[4]- اللجين هو الفضة أو ماء الفضة

[5]- الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ص239.

[6]- تقع قنطارة على مسافة نحو 15ميل(24.14كلم) تحت سفح جبل قرب طرابلس، تسمى اليوم (تيجي) وقد كانت قنطارة مدينة متوسطة الرقعة تحيط بها جنات وحدائق، وبساتين ترويها مياه غزيرة وكانت تنتج أجود الفواكه والتمور، وقد خرّبها ابراهيم بن الأغلب وهي اليوم عبارة عن ينابيع المياه تسقي حقولاً محدودة المساحة من أشجار النخيل، ينظر، أبي زكريا: **سير**، الهامش رقم(2) ص138.

الواصلية إلى جانبه بعد أن كانوا أعداء لوالده[1]، واتخذ الإمام أفلح موقفاً من مدينة العباسية، التي بناها أبا العباس بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب، فهاجمها وخرّبها عن آخرها وقام بإحراق أسوقها ومتاجرها بعد جلاء أهلها عنها، وكتب إلى صاحب الأندلس يعلمه بالخبر فبعث إليه مائة ألف درهم، ولما علم الخلفاء العباسيون انتقموا بأسر أبي اليقظان بن الإمام أفلح حين قدم إلى البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج، ولما علم أفلح حزن حناً شديداً وتوفي سنة 258هـ/871م[2].

**د- الإمام أبو بكر بن أفلح:**

كان لأفلح البنون وبنو البنين، ولما اقتربت وفاته عام 258هـ/871م يصوره ابن الصغير متأثراً بفقدان ابنه أبي اليقظان الذي حبس في سجون بغداد، فيقول اشتدّ حزنه عليه وطال غمُّه به فلم يزل مهموماً محزوناً إلى وافته المنية وابنه محبوس ببغداد[3].

مات أفلح بن عبد الوهاب وقدّم الناس أبا بكر ابنه، فلما ولي لم تكن فيه من الشدّة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه، ولكن كان سمحاً جواداً ليِّنَ العريكة يسامح أهل المرؤات ويشايعهم على مرؤاتهم، ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين[4].

ترك أبو بكر أمور الدولة ومقاليد الحكم لصهره العربي محمد بن عرفة التيهرتي، فأصبح صاحب نفوذٍ واسع وهو الآمر والناهي في الدولة واستبدّ بالحكم، في هذه الأثناء عاد أبو اليقظان من المشرق بعد الإفراج عليه في خلافة المتوكل العباسي ووجد أخاه إماماً فشاركه الحكم، فلما أسرف ابن عرفة في استبداده خاف أهل الشورى من علماء تاهرت وآل بني رستم على إمامهم وحكمهم أن يضيع فأطلعوا أبا بكرٍ بافتتان الناس وميلهم إلى ابن عرفة[5].

أقدم أبو بكر على قتل محمد بن عرف في سريةٍ تامة، فاشتعلت نار الفتن والفوضى في تاهرت وانقسم سكانها إلى فريقين متناحرين، فريق مع أبي بكر يضم أنصاره من الرستميين وقبيلة نفوسة والعجم

[1]- بوركبة، المرجع السابق، ص-ص111-113.
[2]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (المجتمع والنظم)، المرجع السابق، ص105.
[3]- نفسه، ص105.
[4]- ابن الصغير: **أخبار**، ص61.
[5]- بوركبة، المرجع السايق، ص116.

والفريق الآخر بقيادة محمود بن الوليد ويتألف من العرب وقبيلة هوارة، ودارت رحى الحرب بينهما وانتهت بخروج الإمام وأخيه وأنصارهما من العاصمة تاهرت واستيلاء محمد بن مسالة الهواري عليها[1].

نلاحظ أن هذا الإمام الذي اضطربت الحياة السياسية في عهده، ودخلت بفضله الفتنة للمجتمع الرستمي من بابها الواسع حتى أُخْرِجَ من تيهرت، وظلت النزاعات سبع سنين تأكل الأخضر واليابس في المدينة وأحوازها إلى أن رشحت تلك الأحداث، أبا اليقظان محمد بن أفلح الذي عاد من بغداد في عهد إمامة أخيه أبي بكر[2].

**هـ- الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح:**

كان أبو اليقظان شبيه الإمام عبد الرحمن، في التقوى والورع والعلم وسياسة الحكم، حيث مكث في إمامته عشرين عاماً بين سنة 261هـ/971م حتى سنة 281هـ/991م، ويبدو أنه شاخ في إمامته وبلغ سنه أكثر من قرن[3]، وقد تسلم الحكم بعد وفاة أبي بكر وقيل أن أخاه تنازل له عنه قبل وافته حيث كانت أحوال البلاد والعباد متدهورة جداً، تعمها الفتن والفوضى والاضطرابات، فجهّز الجيوش الإباضية الرستمية واستنجد بقبيلة نفوسة، فأمدوه بجيش كبير للقضاء على أنصار ابن مسالة في تاهرت وبعد قتالٍ عنيف بينهم وحصارٍ دام سبع سنوات، دخل أبو اليقظان تيهرت منتصراً وعفا عن المتمردين بما فيهم ابن مسالة نفسه[4].

وعندما دخل تيهرت قام بمجموعةٍ من الإصلاحات الأساسية، مثل تعيين قاضٍ للنظر في شؤون الرعية وولى على بيت المال رجلاً من نفوسة، وقدّم من ارتضاه من العلماء في مسجده، ثم أمر قوماً من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[5].

قال عنه أبو زكريا: "حدّث غير واحدٍ من أصحابنا أن محمد بن أفلح اجتمع عليه عامة المسلمين فولوه على أنفسهم ولم يكن في توليته اختلاف، وبلغ في العدل والفضل غايةً عظيمةً وكانت نفوسة لا

[1]- بوركبة، المرجع السابق، ص-ص117-118.
[2]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص-ص106-107.
[3]- نفسه، ص107.
[4]- بوركبة، المرجع السابق، ص119.
[5]- نفسه، ص70.

تعدل بولايته إلاّ ولاية جدِّه عبد الرحمن، وكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله، طائفة يصلون وطائفة يقرأون القرآن وطائفة يتحدثون في فنون العلم، مكث في إمامته أربعين سنةً حسن السيرة أورع من في زمانه فعاش حتى كبر سنه ثم توفي، وكان له في الردِّ على المخالفين كتب كثيرة بليغة شافية"[1] ركّز أبو زكريا على نفوسة في هذه الفقرة، لأنهم هم من أعانوه على تجاوز الفوضى واستئصال أصحابها من تيهرت، لذلك جعلهم المقربين منه وأصحاب المشورة لديه.

وها هو ابن الصغير يؤكد ما خَلُصْنَا إليه في الفقرة السابقة، حينما يصف جلساء أبي اليقظان المقربون إليه فيقول: " كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس، وكان عندهم من الورع بمكان ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له ابن الصغير شأنه في الفقه، وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس، وكان أخصّ الناس به رجل من العرب يعرف بمحمود بن بكر يذب عن بيضتهم ويدافع عن دينهم ويؤلف الكتب في الرد على مخالفيهم"[2]، من هنا يتأكد لدينا حكمة أبي اليقظان في إشراك جميع عناصر المجتمع التاهرتي في مجلسه.

وجاءته نفوسة ليقدم عليهم أميراً من أنفسهم، فاستقبلهم وأنزلهم في دار الضيافة وطلب منهم أن يكتبوا أسماءهم ويرفعوها إليه، وأمر الكاتب أن يكتب السجل ويبقي بياضاً لموضع المقدم، فلما رفعت إليه كتب بخط يده اسم المقدم وطواه وطبعه ولم يعلم أحد من الناس من قدّم، ثم جمع القوم وقال لهم إليكم السجل فلا تفتحوه إلا بجبل نفوسة إذا بلغتم منازلكم، ففعلوا ورضوا بمن قدّمه عليهم[3]، وفي هذا دلالة على ما كان يتمتع به أبو اليقظان من ثقة رعيته به.

واتخذ الإمام أبو اليقظان سُرادقاً[4]على طريقة خلفاء بغداد، تأثراً بهم بسبب عيشه مدة طويلة في حاضرتهم بغداد أثناء اعتقاله، فكان يقيم الولائم والحفلات ويضع الأسمطة[1] (الجفان) لذلك، لإطعام

---

[1])- أبي زكريا: **سير**، ص-ص147-148.

[2])- ابن الصغير: **أخبار**، ص81.

[3])- نفسه، ص-ص85-86.

[4])- السُّرادق: جمع سرادقات وهي بيت من شعر يمدُّ فوق ساحة الدار، وهو الخيمة، وأيضاً منصَّةٌ مسقوفة تنصب في الساحة العامة يكون فيها رجال الحكم يشهدون عرضاً عسكرياً أو احتفالاً، ينظر، جبران مسعود، **الرائد**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص438.

الفقراء أيام الأعياد والمناسبات الهامة، وتحضر الوفود من كافة أنحاء الدولة، وكان عمال الإمام ورؤساء القبائل والعشائر ينزلون في دار الضيافة، ثم ينصرفون إلى عمالاتهم ومضاربهم بعد أن يأخذوا نصيبهم من الأرزاق والهدايا التي توزع عليهم في هذه المناسبات[2]، وكانت في عهده تقام المناظرات بين الإباضية وخصومهم النكار الذين عرفوا بالمعتزلة والتي تعقد بنهر مينة، فيحضرها علماء الرستميين من كل القبائل وخاصة نفوسة وهوارة، فزاد افتتان الناس به وحبهم له، كيف لا وهو الإمام الورع المتقشف الذي قال لخادمه عندما أحضر العلف إلى الفرس من بيت مال المسلمين وقد جنّ الليل وعزّ الطلب، قال: "والله لا قام محمد ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وتردّ في بيت المال ما أخذته منه[3].

توفي أبو اليقظان سنة 281هـ/895م، وخلف من الولد الذكور عدداً منهم يقظان الذي كنِّي باسمه وكان ابنه اليقظان خرج إلى الحج في حياة أبيه، ويوسف المكنى بأبي حاتم وأبو خالد وعبد الوهاب ووهب وغيرهم ممن لهم ذكر[4]، وانتهت أيام أبي اليقظان وقد أقام الدين، وعمّر الدنيا ورعى المصالح العامة، وشهدت له رعيته بالعدل والعلم والورع، واكتسب الناس في إمامته الحق في العيش بكرامة، حتى وإن كانوا مختلفين معه في المذهب لأن الاختلاف سنة من سنن الله في الكون.

### و- يوسف بن محمد بن أفلح:

ولي يوسف بن محمد بن أفلح الإمامة بعد وفاة أبيه، ومكث في إمامته اثني عشر سنة وقد اطردت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد[5]، كان ذلك من سنة281هـ/894م إلى سنة 294هـ/906م حيث قتل على يد أبناء أخيه[6].

---

[1]- سماط[مفرد]: ج. أسمِطة وسُمُط ما يعدُ من الموائد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها، هم على سماط واحد أي على نظم واحد، ينظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج.1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م، ص1107.

[2]- أبو دياك، المرجع السابق، ص70.

[3]- سعد زغلول، المرجع السابق، ص369، 370، 371.

[4]- ابن الصغير: **أخبار**، ص89.

[5]- أبي زكريا، **سير**، ص149.

[6]- بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين، المرجع السابق، ص115.

مات أبو اليقظان وابناه غائبان، يقظان بموسم الحج وأبو حاتم كان قد خرج بأمر والده في جيش مع وجوه زناتة لحماية قوافل قد أقبلت من المشرق، فيها أموال لا تحصى خافوا عليها من قطّاع الطرق فبينما أبو حاتم يرافق القوافل، إذ وافته الرسل بخبر موت أبيه أبي اليقظان وعقد الإمامة له، يشير ابن الصغير في كتابه إشارة واضحة إلى بداية تحوُّلٍ خطير، في مسار الدولة الرستمية والذي سيأدي إلى ضعف هذا الكيان وسقوطه في النهاية، حيث يقول: "وذلك أن أباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم، فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوا، فلما وصل المسجد الجامع فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله"[1].

أشار ابن الصغير في الفقرة السابقة إلى عدم مشاركة القبائل في بيعة أبي حاتم، مما يجعلنا نتساءل عن السبب، والجواب نجده عند ابن الصغير أيضاً حينما يقول: "وكانت مشايخ البلد من غير الإباضيين قد استولوا عليه منهم رجل يعرف بأبي مسعود، وكان كوفياً فقيهاً بمذاهب الكوفيين[2] ومنهم شيخ يعرف بأبي دنون وكان على مثل صاحبه من الفقه الكوفي، ومنهم رجل يعرف بعلوان ابن علوان لم يكن من أهل الفقه، ولكن كانت له رياسة في البلد ومحبة عند العوام، وكان هؤلاء قد طمعوا أن يبيتوا خبر الإباضية ويطوفهم"[3]، ومن هنا ندرك أن الخطر لم يكن على الأسرة الرستمية بحد ذاتها بقدرِ ما كان على المذهب الإباضي.

كان أبو حاتم نشيطاً طموحاً يرنو ببصره إلى الإمارة منذ حياة والده، والظاهر أن أبا حاتم لم يكن وصولياً بل كان مجداً ومجتهداً، حتى أن والده كان يعهد إليه بالنيابة عنه في الأمور العظيمة، مثل قيادة الجيوش[4]، واكتسب شعبية كبيرة في شبابه مما جعل العوام والفرسان يرشحونه للإمامة، والناس يزدحمون أمامه ثم يحملونه على الأيدي والأعناق حتى يوصلونه إلى داره، بعد هذا جاءت ردة فعل الرستميين والقبائل حينما قرروا كما يقول ابن الصغير: "فلما كمل أمره وتمت بيعته خلت به عشيرته واخوته وأعمامه وبنو أعمامه ومواليه، فأحبوا أن يجعلوا له حجاباً وهيبةً وأبت العوام من ذلك وأرادت الدنو إليه

[1]- ابن الصغير: **أخبار**، ص91.

[2]- لعلهما يكونان علويين أو معتزلة، ينظر، سعد زغلول، المرجع السابق، ص373.

[3]- ابن الصغير: **اخبار** ، ص92.

[4]- سعد زغلول، المرجع السابق، ص372.

في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل إمارته"[1]، فليس هناك مبررٌ لاحتجابه إلا لإبعاده عن مقربيه أو خوفاً عليه من شيءٍ ما.

لم يدم أبو حاتم طويلاً في إمامته حتى بدأ لهيب الفتنة يشتعل من جديد، ذلك أن محمد بن رباح ومحمد بن حماد اللذين كانا من خاصته، وقد عرفا بالحرب والنجدة والجرأة الزائدة، بدأ هذين الرجلين بإساءة السيرة وتهديد بعض مشايخ تاهرت، مما أغضب الإمام أبي حاتم منهما وأمر بإخراجهما من المدينة، لكنما عادا بعد مدةٍ على رضا الراضي وسخط الساخط، وثارت الناس على أبي حاتم فجمع أهل بيته وخرج إلى قبيلة لواتة، وكذلك الرستميين ومن كان من النفوسيين في تيهرت[2].

وعندما عاد أبو حاتم إلى تيهرت، عاد الأمن إلى الدولة الرستمية، فأمنت السبل ومشى الناس بعضهم إلى بعض ولم ينقموا على أبي حاتم شيئاً، وكانت أيام الفتنة درساً تعلم منه الرستميين، إيثار الأمن والاستقرار على كل رغباتهم وميولاتهم، يقول ابن الصغير :"كانت مساجدهم عامرة وجامعهم يجتمعون فيه وخطيبهم لا ينكرون عليه شيئاً، إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقةٍ أن تعلم ما خلفتها فيه عاقبتها، ومن أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم قرّبوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك"[3]، ففي هذه الفقرة يصف ابن الصغير الحياة الفكرية والدينية للرستميين، حيث يدلُّ كلامه على وجود تنوع مذهبي، لأن المناظرات كانت تقام حول المسائل الفقهية، ويصف أيضاً الروح السائدة بين هذه الفرق، والتي كان يسودها التسامح والملاطفة.

وفي هذه الأثناء تعرضت نفوسة الجبل إلى ضرباتٍ موجعةٍ، من ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب سنة 282هـ/896م، وفي سنة 283هـ/897م سار جيش بن الأغلب إلى جبل نفوسة، فقتل منهم عدداً كبيراً وأسر منهم ثلاثمائة أخذهم معه إلى القيروان، وأمام هذه الهزائم وانهيار جدار الدولة ألا وهو قبيلة نفوسة، التي كانت الدرع الواقي للرستميين في كل المجالات، وزيادةً على هذا تآمر على الإمام

[1]- ابن الصغير، **أخبار**، ص91.

[2]- نفسه، ص،ص92، 94.

[3]- نفسه، ص102.

أبي حاتم منافسوه من البيت الرستمي –بنو عمه واخوانه– فقتلوه سنة 294هـ/ 907م، ونقلوا الإمامة إلى أخيه اليقظان[1].

تولى الإمامة بعد الإمام أبي حاتم ابن أخيه اليقظان بن أبي اليقظان، إثر عملية اغتيالٍ لا يعرف أحد تفاصيلها، لذلك اعتبر مؤرخي الإباضية أن أبا حاتم يوسف هو آخر إمامٍ شرعي في هذه الدولة أما اليقظان بن أبي اليقظان فإمام غير شرعي، لا تجوز إمامته ونهوا عن الدخول تحت إمامته، حتى غزا الفاطميون تاهرت فاستسلم اليقظان لأبي عبد الله الشيعي، واضعاً بذلك حداً لهذه الإمامة التي بدأت عام 160هـ/777م وانتهت في شوال من عام 296هـ/ جوان 909م[2].

**خامساً– البيعة والاستخلاف في الإمامة المدرارية والرستمية**

انفرد المذهبان الصفري والإباضي عن المذاهب الإسلامية، بأن الخلافة ليست في قريش ولا في قبيل من قبائل العرب ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، وأن الجميع فيها سواء وأن العمل بأوامر الدين يعدُّ من الإيمان، وليس الإيمان الاعتقاد وحده بل يجب الإخلاص للعقيدة، من هنا تناسبت هذه الآراء مع طبيعة المغاربة ومطالبهم خاصةً الشرط القائم على الجنس، فقام الدعاة ببثِّ مذهبهم بين شيوخ القبائل، الذين تحوّلوا إلى دعاة المذهب بين قبائلهم، حتى عمّت الدعوة سائر البلاد المغربية منذ النصف الأول من القرن الثاني للهجرة[3]، فإذا أراد المسلمون عقد البيعة للإمام، حضر العلماء الثقات، فيتقدم أفضلهم ويمد يده اليمنى فيصافح بها الإمام بيده اليمين فيمسكها ثم يقول: قد بايعتك على طاعة الله ورسوله محمد ﷺ وعلى الأمر بالمعروف والنهي على المنكر والجهاد في سبيل الله، فيقول الإمام نعم ثم يفعل ذلك الثاني والثالث إلى السبعة، وما كانوا أكثر كان أفضل ثم يجعل الكمّة على رأسه والخاتم في يده ويَنْصِبُ العلم بجانبه، ثم يتقدم الخطيب فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ، ثم يذكر أمر الإمام بالعقد والحثِّ على بيعته، وطاعته ثم يقدم الناس إليه يبايعونه وقد صحت البيعة له[4]، لذلك احترم الصفريون نصاب البيعة، فلم يبايعوا إمامهم الأول حتى بلغ عددهم أربعين رجلاً يقول ابن خلدون: "فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم، نقضوا طاعة الخلفاء وولّوا عليهم

1)– بوركبة، المرجع السابق، ص–ص127–128.

2)– ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (المجتمع والنظم)، المرجع السابق، ص–ص110–111.

3)– أبودياك، المرجع السابق، ص66.

4)– الكندي: **المصنف**،7/ 347.

عيسى بن يزيد الأسود"[1]، ويؤكد ابن الخطيب على أمر الاختيار بقوله: "ولما نزل عيسى بن يزيد بسجلماسة بخيامه وماله، ألفى بواديه قبائل ذات عدد من زناتة الصفرية، فقدّموه على أنفسهم وملّكوه على بلادهم، وكان عددهم يزيد عن أربعة آلاف فقام بأمرهم، واختطّ مدينة سجلماسة سنة أربعين ومائة"[2].

ثم يذكر ابن الخطيب[3] سبب تولي أبو القاسم سمكو بن واسول للحكم فيقول: "وتقرّب لأبي الخطاب الصفري[4] [...] بسلاحٍ من عمله، فاستحسنه وضمّه إلى نفسه، ولم يزل أمره يعظم عنده إلى أن صار القائم بأمره، فلما توفي أبو الخطاب ولي مكانه"[5]، وهذه دلالة واضحة على أن ابن واسول اختاره الصفريون لِتَوَفُرِ شروط الإمامة فيه منها العلم، فقد لقي عكرمة مولى ابن عباس وأخذ العلم عنه كما توفر فيه شرط الشجاعة والقوة.

حاز أبو القاسم سمكو بن واسول على سمعة جيدة وسط رعيته، فقد اعتنى بمصالح الناس ورعى شؤونهم، وعند وفاته رأى الصفرية أن من مصلحتهم أن تستمر الإمامة في نسله، فولّوا عليهم ابنه إلياس ابن أبو القاسم، وبقيت الإمامة فيهم إلى سقوط دولتهم.

كانت البيعة مرحلة ختامية في عملية تنصيب الإمام الجديد، إذ بعد اجتماع أهل الحل والعقد واختيار الإمام الجديد وقبوله تأتي البيعة من قبل هؤلاء الوجوه، وهي بيعة خاصة ثم تعقبها بيعة عامة عادة ما تكون في المسجد الجامع، فعبد الرحمن بن رستم لم يبايع بالإمامة إلا بعد بناء المسجد الجامع

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 172/6.

[2]- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص139.

[3]- هو أبو عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب، ولد بمدينة لوشة جنوب الأندلس سنة713هـ/1313م، وتوفي بفاس سنة 776هـ/1375م، يعتبر ابن الخطيب من أشهر الشخصيات الأدبية التي تألقت بها صفحات التراث الإسلامي في عدوتي الغرب الإسلامي، الأندلس والمغرب، ينظر: حسن الواركلي، **لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين**، مطابع عكاظ، الرباط، 1990م، ص11.

[4]- جعل ابن الخطيب شخصية أبو الخطاب الصفري الزناتي، ثانِ إمام يحكم سجلماسة بعد عيسى بن يزيد حتى سنة 191هـ/807م، ينظر، ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص140.

[5]- نفسه، ص141.

بتيهرت، أي أن المسجد كان على أكبر تقدير هو مقرُّ البيعة الأولى وسيظل كذلك إلى نهاية الدولة تقليداً متبعاً[1].

ظهرت على الإمام عبد الرحمن بن رستم سمات القيادة مذ كان في القيروان، فقد كان من حملة العلم إلى المغرب ثم والياً وقاضياً على القيروان، من قِبَلِ الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري، وعندما خرج إلى المغرب الأوسط، لم يكن شخصاً عادياً هرب خوفاً على نفسه أو ماله وولده بل كان قائداً يحمل قضيةً ومذهباً مضطهداً يبحث له عن مكانٍ آمن، رغم ذلك يحاول البعض تقديم بعض الأسباب التي أدت إلى اختياره إماماً للإباضيين في تيهرت، فأصحاب الحق القبلي وأصحاب حق المكان تنازلوا لرجل غريب لا انتماء له في القبائل المنتشرة في ربوع المغرب.

يفصِّل ابن الصغير أسباب توليته فيقول: "أخبرني غير واحد من الإباضية عن من تقدم من آبائهم قالوا لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها، اجتمع رؤساؤهم فقالوا قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا فقلَّبوا أمرهم فيما بينهم، فوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدّبر أمر القبيل ويستحق أمر الإمامة فقال بعضهم لبعض كلكم رؤساء ولا نأمن أن يتقدم واحد على صاحبه فتفسد نيته ولعل المقدم يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم فتفسد النيات ويكثر الاختلاف ويقلُّ الائتلاف[2]" هذا النص يثبت، ما كان عليه الإباضية من التنظيم والتنسيق بينهم في المغرب الاسلامي، فبعد وفاة أبي حاتم يعقوب ابن لبيب الملزوزي والي مدينة طرابلس، والذي تقلّدها سنة 145هـ/762م ومكث فيها إلى 155هـ/772م وكانت ولايته إمامة دفاع، حتى أنه كان يجمع الصدقات ويبعث بها إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم في المغرب الأوسط، بقي الإباضية دون إمام يرجعون إليه في أحكامهم.

كما أن الإباضية لم ينسوا وصية شيخ المذهب أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، حينما قال لحملة العلم الخمسة عند رجوعهم إلى المغرب: "توجهوا إلى بلادكم، فإن كان في أهل دعوتكم ما تجب به عليكم التولية في العدد والعدة من الرجال، فولوا على أنفسكم رجلاً منكم"[3]، ويؤكد على هذا الأمر أبو زكريا حينما يقول: "ثم إن جماعة من المسلمين من أهل النظر منهم، وجدوا في أنفسهم قوةً وأنسوا طاقةً

---

[1]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص111.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص25-26.

[3]- أبو زكريا: **سير**، ص56.

فأرادوا التولية"[1]، إذن فالقوة وإعداد العدة كان شرطاً أساسياً في تولية عبد الرحمن بن رستم وإقامة الدولة في تيهرت.

ثم وجدوا أن الإمام عبد الرحمن تتوفر فيه كل الشروط، "ولكن هذا عبد الرحمن لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه، وقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضياً وناظراً، فقلدوه أموركم فإن عدل فذلك الذي أردتم، وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه، ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه فأجمعوا رأيهم على ذلك ثم نهضوا عليه بأجمعهم"[2]، وبذلك تنازل الجميع لرجلٍ غريب لا انتماء له في القبائل المنتشرة في ربوع المغرب، ولا هو من أصل إقليم تاهرت، ولكن ماضيه ثم غرابته هما اللذان رشحاه لهذا المنصب، كأول إمامٍ وأول تجربةٍ للإمامة الإباضية في المغرب الأوسط[3]، وتمت مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالكيفية التي ذكرها ابن الصغير: "قالوا يا عبد الرحمن رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا، فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا، فقال لهم إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إلي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم، فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثلما شرط عليهم وقدّموه على أنفسهم وألقوا إليه بأيديهم"[4]، وبهذا اختير عبد الرحمن لفضله ولعلمه ولأنه كان عامل أبي الخطاب على افريقية.

واتفق رأيهم جميعاً على توليته ومبايعته، فبايعوه على الإمامة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآثار الخلفاء الراشدين المهتدين، فقبل عبد الرحمن أمانتهم وأحسن السيرة في إمامته، ولم ينقم عليه أحد في حكومة ولا في خصومة ولم يكن على يديه افتراق، والإباضية يومئذٍ كلها مجتمعة مؤتلفة لم يثر منها ثائر[5] لأن الجميع كان راضٍ ويشعر أنه شارك في هذا الانتخاب.

ففي سنة 160هـ/776م بويع الإمام عبد الرحمن بالإمامة، فتولاها بما عهد فيه وعرف به من الهمّة والنشاط والصبر على الشدائد والزهد في الدنيا، والحكم بالكتاب والسنة فأقام الحدود وبالغ بالأمر

---

[1]- أبو زكريا: **سير**، ص82.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص102.

[4]- ابن الصغير: **أخبار**، ص27.

[5]- أبي زكريا:**سير**، ص83.

بالمعروف والنهي على المنكر، كما هو شأن الأئمة العادلين أولي الاستقامة في الدين والاخلاص للأمة، فانتشر عدله وعمّ الرعية فضله وذاع في الآفاق صيته[1].

ثم بايع الناس عبد الوهاب بالإمامة بعد وفاة أبيه عبد الرحمن، أخذ العلم عن حملة العلم، وأكثر ما أخذ عن أبيه وعن أبي داوود القبلي، وكان في عهد والده يشتغل بالتجارة مع الشرق والجنوب، حتى أصبح من أغنياء الدولة، وعندما حمّلته الأمة أمانة الإمامة ورئاسة الدولة، استعد لحملها بإخلاص وتصميم[2]، تولى عبد الوهاب الخلافة على أثر وفاة والده بالإجماع أو بالأكثرية الساحقة، وقد رشّح أبوه سبعة رجال من مشاهير القوم وخيارهم وجعلها شورى بينهم، منهم الإمام عبد الوهاب ومسعود الأندلسي ويزيد بن فندين اليفربي، وكان هاذان المرشحان في مقدمة المبايعين له، لكنهما كانا على طرفي نقيض وذلك أن مسعوداً أظهر من الوفاء والولاء للإمام عبد الوهاب، مالا مزيد عليه لمستزيد مع أن العامة كانت تؤثره حتى على عبد الوهاب، لولا أنه توارى عن الأنظار إلى أن انصرفوا عنه وبايعوا عبد الوهاب فبادر إلى تقديم البيعة له، أما ابن فندين فأظهر من الخلاف على الإمام بعد البيعة وأضحى المحرض والداعي للفتنة العظيمة التي اضْطُرَّ الإمام عبد الوهاب إلى الوقوف بوجهها وخوض غمار الحروب الشديدة لإطفائها[3].

وقيل أن عبد الرحمن جعلها شورى في سبعة نفرٍ، اقتداءً بسيرة الخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب ﷺوهم: مسعود الأندلسي وكان رجلاً فاضلاً فقيهاً ورعاً من شيوخ المسلمين الإباضيين وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفربي، ورجل يقال له عمران بن مروان الأندلسي وعبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ومصعب بن سدمان[4]، وأبو الموفق سعدوس بن عطية، وشكر بن صالح الكتامي[5] وأوصاهم بالاجتماع والتشاور فيما بينهم لاختيار إمام منهم.

أما ابن الصغير فلخصّ لنا هذا التحول في أمرين، الأول في قوله: "أخبرني بعض الإباضية أن عبد الرحمن بن رستم لما مات قامت الإباضية فعقدت الإمامة لابنه عبد الوهاب، فكان ملكاً ضخماً

---

[1]- الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، المرجع السابق، ص-ص36-37.

[2]- يحي معمر، ج3، المرجع السابق، ص-ص47-48.

[3]- الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، المرجع السابق، ص38.

[4]- بوركبة، المرجع السابق، ص-ص93-94.

[5]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، ص103؛ أبو دياك، المرجع السابق، ص67.

وسلطاناً قاهراً"[1]، ففي قوله "قامت الإباضية فعقدت" دليل على اجماع القبائل في أمر تولية الإمام عبد الوهاب وهذا ما يعزز فكرة أنه ولي الإمامة بالانتخاب الحر والنزيه، واستطاع أن يرجح كفته بما اكتسبه من أبيه عبد الرحمن من الخبرة في قيادة الدولة، ومن العلوم التي حصّلها من علماء الإباضية الذين تتلمذ على أيديهم، أما الأمر الثاني ففي قوله "فكان ملكاً ضخماً وسلطاناً قاهراً" الذي يصوّر التطور الذي طرأ على طريقة تسيير الحكم في الدولة الرستمية، حيث أنه أصبح بإمكان الإمام أن يستخلف من أبناءه من يراه مناسباً لهذا المنصب، وهذا طبعاً بعد موافقة القبائل ودون حدوث المشاكل.

وفي معركة من المعارك التي خاضها الإمام عبد الوهاب ضد خصومه، أظهر ابنه أفلح من الشجاعة ما أعجب به أبوه أيما إعجاب، إلى حد قوله "لقد استحق أفلح الإمامة"[2] وعلّق ابن الصغير على هذه العبارة قائلاً "فكان أول يومٍ عقدت له الإمامة"[3]، ثم في فقرة أخرى يقول "ورشّح أفلح للإمارة وانقطع إليه المنقطعون، ودارت إليه الحوائج والعطايا من تحت يديه فلم يزل كذلك وعلى ذلك حتى اخترمت عبد الوهاب منيته، فلما مات عبد الوهاب صارت الخلافة لأفلح"[4].

ويؤكد ابو زكريا على سهولة انتقال الإمامة إلى أفلح بقوله: "ثم إن جماعة المسلمين بتاهرت، لما توفي عبد الوهاب وقد ألم بهم بجبال تاهرت من العدو كثير، ابتدروا ابنه أفلح ﷺ فولّوه على أنفسهم من يومهم ذلك، وكان ميمون النقيبة[5]، فسكن الله به البلاد ووقى به العباد"[6].

لقد كان أفلح فعلاً قوياً، دفع بالإمامة إلى أزهى عصورها وشمخ في إمامته خمسين عاماً، اتصف فيها بالعزم والحزم وطار صيته وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار

1)- ابن الصغير: **أخبار**، ص37.

2)- نفسه، ص47.

3)- نفسه، ص47.

4)- نفسه، ص48؛ وانظر: ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص-ص104-105.

5)- نقيبة ج نقائب: معناها السجية والطبيعة، يقال نقيبة الرجل، ويقال هذا الشاب سليم النقيبة أو حميد النقائب، وقد تعني أيضاً مشورة وعقل ونفاذ رأي، ويقال ميمون النقيبة أي محمود المختبر، ينظر، أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص2264.

6)- أبو زكريا: **سير**، ص-ص127-128.

والآفاق[1]، ثم "جاءته نفوسة الجبل يسألونه أن يقدم عليهم من رآه منهم يستحق المنصب، ولم يكن الشراة يطعنون عليه في شيء من أحكامه، لا في صدقاته ولا في أعشاره"[2].

بايع الناس أفلح، بعد وفاة أبيه بالاختيار العام دون استخلاف أو وصية أو ترشيح ودون تردد أو منافسة من أحد، فقد كانت شخصية أفلح وعظمته وتفوقه في جميع الميادين أدعى إلى أن تتجه إليه جميع الأنظار وتمت له البيعة في يسر وسهولة، وحتى هو لم يشعر بهذا الانتقال من شخص عادي بين الناس إلى إمامٍ يرجع إلى أمره ونهيه جميع الناس، ذلك أن عظمته وكفاءته وقوة شخصيته ومحبة الناس له والتفافهم حوله واعجابهم بكلِّ أحواله جعله يتقدم إلى منصب الإمامة متئداً مطمئناً[3].

وقد خاف أيضاً أهل الرأي وأصحاب الشورى من المسلمين، بعد وفاة الإمام عبد الوهاب أن يحصل بتأخير نصب إمام غيره ظهور بعض الحركات التمردية، فبادروا في يوم وفاته إلى ابنه الإمام أفلح الذي كان مرشحاً للإمامة بأعماله العالية وعلومه ومداركه الواسعة، فبايعوه وسلموا له مقاليد الأمور بدار الإمارة قطعاً للخلاف، على أن يسير فيهم بالكتاب والسنة وآثار السلف الصالح، فقبل منهم ذلك سنة 190هـ[4].

ومكث الإمام أفلح حسن السيرة رؤوفاً بالرعية لا يخاف في الله لومة لائمٍ[5]، إلى أن اقتربت وفاته عام 258هـ/871م، وقد اشتدّ حزنه وطال غمُّه بفقدان ابنه أبي اليقظان الذي كان يقبع في سجون بغداد[6]، فلما مات يقول ابن الصغير: "واجتمعت الإباضية فلم يصيبوا في أولاد أفلح، إذ فقدوا أبا اليقظان أرجح عندهم من ولده أبي بكر"[7]، أما أبو زكريا فيقول: "توفي أفلح ...ووِلّي الأمر من بعده ابنه ابنه أبو بكر، وكان محمد بن أفلح غائباً في أرض المشرق"[8]، ففي كلام المؤَرِخَيْنِ دلالة واضحة على

[1]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص105.

[2]- ابن الصغير، **أخبار**، ص49.

[3]- يحي معمر، ج3، المرجع السابق، ص50.

[4]- الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ص217.

[5]- أبو زكريا: **سير**، ص146.

[6]- ابن الصغير: **أخبار**، ص59.

[7]- نفسه، نفس الصفحة.

[8]- أبو زكريا:**سير**، ص-ص142-143.

مكانة أبي اليقظان في المجتمع التاهرتي، إذ يذكرانه في معرض الحديث عن تولية الإمام أبي يكر، ليفهم من ذلك أنه لو كان أبو اليقظان موجوداً عند وفاة الإمام أفلح، لكان هو الخليفة بعده.

اضطربت الحياة السياسية في عهد هذا الإمام، ودخلت الفتنة المجتمع الرستمي من بابها الواسع حتى أُخْرِجَ من المدينة، وظلت النزاعات سبع سنين تأكل الأخضر واليابس في تيهرت وأحوازها، إلى أن رشحت تلك الأحداث أبا اليقظان محمد بن أفلح الذي عاد من بغداد في عهد إمامة أخيه أبي بكر الذي لم تكن فيه من الشدّة في دينه ما كان في من كان قبله من آباءه، ولكن كان سمحاً جواداً لين العريكة، يسامح أهل المروءاتِ ويشايعهم على مروءاتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين[1] فكانت بيعة الناس له على شيء من الاستعجال والتسرع، ويبدو أن الاستشارة لم تكن كاملة فقد كان بعض الناس غير راضين، إلا أن أصوات المعارضة القليلة قد ذابت في الكثرة الغالبة، وصمتت بسرعة ودخلت فيما دخل فيه الناس، فوافقت الأغلبية في اتجاهها وبايعت[2].

يقول الدرجيني مبيِّناً ظروف الانتقال من إمامة أبي بكر إلى إمامة أبي اليقظان: "وذلك أن ابن عرفة من أعيان أهل تاهرت فكانت بينه وبين أبي بكر مواقعة أفضت إلى حرب وكاد الافتراق أن يقع والفتن لا ترفع بينهما، فبينما الناس في ذلك إذ أصبح ابن عرفة قتيلا، فنُسِبَ ذلك إلى أبي بكر وهذا ما منع من وقوع الاتفاق على طاعته، فلما يسَّر الله بقدوم محمد كان رافعاً للخلاف، وقاطعاً لقبائح الأوصاف فاعتزل أبو بكر الولاية وانسلخ منها، ولم يجد الناس لمحمد محيداً عنها فعقدوا له بيعة والتزموا سمعه وطاعته"[3].

أما الشماخي فيقول عن تولية أبي اليقظان: "ثم تولى بعد الإمام أفلح ابنه أبي بكر ثم أبو اليقظان محمد بن أفلح بتسليم أخيه له"[4] وفي فقرةً أخرى يقول: "اجتمع المسلمون فولوه على أنفسهم ولم يكن منهم في توليته اختلاف"[5]، وبهذا تؤكد المصادر أن الانشقاق الذي حصل لم يكن في العائلة الرستمية

---

[1])- ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص61-62.

[2])- يحي معمر، ج3، المرجع السابق، ص52.

[3])- الدرجيني: **طبقات**، ج1، ص83.

[4])- الشماخي: سير، ص188.

[5])- نفسه، ص189.

ولا بين الأخوين أبي بكر وأبي اليقظان، وإنما هي الظروف التي دفعت بأبي بكر إلى التنازل عن المنصب لأخيه وذلك بموافقة ومباركةِ الجميع

إن المجتمع هذه المرة، هو الذي مال إلى أبي اليقظان وسانده ليكون الاقوى، فسيطر على الأوضاع وضبط الأمن وأعاد للإمامة شبابها وهدوءها حتى أنه ذَكَّرَ المجتمع بعهد المؤسس الأول للإمامة الرستمية عبد الرحمن ابن رستم، إذ كان شبيهه في التقوى والورع والعلم وسياسة الحكم[1]، فبويع وكانت الأحوال على أشد ما يتصور، من الاضطراب والفوضى فقد استحكمت حلقات الفتنة، لكن عزيمة هذا الرجل العظيم وقوة إرادته وثقته بالله وبنفسه تغلبت على هذه المصائب كلها، وولى وجهه نحو الاصلاح والتنظيم فمّهد الراحة وبسط الأمن واتخذ العدل شعاراً في جميع أعماله[2]، فمكث في إمامته عشرين عاماً من سنة 261هـ/971م حتى سنة 281هـ/991م، ويبدو أنه شاخ في إمامته وبلغ سنُّه أكثر من قرن[3]، يقول ابن الصغير: "لما مات أبو اليقظان قامت العوام وأهل الحرف ومن لفّ لفهم، فقدموا ابنه أبا حاتم بلا مشورة أحدٍ من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم، وكان أبو حاتمٍ هذا فتى شاباً وكان يجمع الفتيان إلى نفسه فيطعم ويكسي، وكانت له أم تسمى غزالة وكانت مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه فلما كان في بعض الأعياد وأبو اليقظان حي في قصره، لم يحضر المصلى مع الناس حملته العوام على درقة[4] ونادت بطاعته، فلما اتصل الخبر بأبي اليقظان قال لأمه احذري يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك باغياً[5].

يحمل النص المتقدم لابن الصغير إشارات مهمة، أبرزها حينما وصف لنا أبو حاتم بقوله" كان أبو حاتم هذا فتى شاباً"، فهذا الكلام يوحي بأن الإمام أبو اليقظان كان عاجزاً وكبيراً في السن، إلى درجة أنه لم يحضر صلاة العيد مع رعيته، والاشارة الثانية هي السلطة التي كانت تتمتع بها غزالة أم أبي حاتم والتي كانت مالكة لأمور أبي اليقظان وحشمه، هذا ما يجعلنا نقدِّمُ فكرة ممارسة أبي حاتم للسلطة في حياة أبيه الإمام أبي اليقظان.

---

[1]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص107.

[2]- الباروني، مختصر تاريخ الإباضية، المرجع السابق، ص45.

[3]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم،المرجع السابق، ص107.

[4]- درقة جمعها درقات ودرق، أداة من جلد يحملها المحارب ليتقي بها ضربات السيف ونحوه، ينظر، أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص740.

[5]- ابن الصغير: **أخبار**، ص89.

وهذا ما جعل العوام وأهل الحرف يقدِّمونه بعد وفاة أبيه، كما يشير النص السابق لابن الصغير رغم أهمية دور القبائل في تعيين الأئمة السابقين، الأمر الذي لم يحدث هذه المرّة ثم من هم القبائل وغيرهم الذين ذكروا في النص؟ هل يقصد نفوسة والفقهاء ووجوه الناس وأهل الحل والعقد وأفراد الأسرة الرستمية؟ كل هؤلاء يمكن أن يكون لهم دور في ترشيح الإمام الجديد وبيعته، إلا أنهم غُيِّبُوا في خضم ضغط الشارع وميل العوام من أهل الحرف إلى أبي حاتم يوسف، الذي يذكر ابن الصغير أنه كان يجمع الفتيان إلى نفسه فيطعم ويكسي، وهو ما يعني أن هذا الأمير كسب قلوب الشباب وأغلبية المجتمع، التي استثقلت إمامة كبار السن وأرادت أن يحكمها شاب[1]، وقد يعني أيضاً أن تغيرات جذرية حصلت في المجتمع الرستمي جعلته يسعى إلى تغيير بعض المبادئ والقيم، التي بنى عليها الإباضية الدولة الرستمية.

فعندما توفي أبو اليقظان كان أبو حاتم مع وجوه زناتة، يسيرون في قوافل جاءت من المشرق لحمايتها، فبينما هو في رحلته جاءته الرسل بخبر وفاة أبيه وعقد الإمارة له، يقول ابن الصغير: "وذلك أن أباه لما مات اجتمعت العوام والفرسان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم وأبو حاتم على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر، فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوا .. فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبّروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق حتى وصلوه إلى داره، ثم أرسلوا إلى القبائل فبايعته"[2].

خلصت لأبي حاتم البيعة بدون إنكارٍ ولا معارضةٍ من أحد، إلا ما كان خفياً في نفوس بعض من أهل المدينة ولم يبوحوا به كعمّه يعقوب بن أفلح، فإنه منذ عقدت له البيعة بارح المدينة ورحل إلى زواغة ولم يدخل للرستميين جمعاً ولا أعان ابن أخيه في شيء من قولٍ أو فعل، وإن لم يصدر منه مع ذلك ما يكدر الراحة قط[3]، ومكث أبو حاتم في إمامته أربع عشرة سنة، وقد اطردت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد[4].

والحقيقة أن هذه المدة التي دامت أربع عشرة عاماً من الإمامة، لم تصفُ له وحده فكما أن أبا حاتم رشَّحته وفرضته العامة وأصحاب المهن، فكذلك عمّه يعقوب بن أفلح سوف تستقدمه المعارضة

[1]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص108.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص91.

[3]- الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ص-ص318-319.

[4]- أبو زكريا: **سير**، ص149.

من غير الإباضية إلى تاهرت، من منطقة زواغة بالمغرب الأدنى التي انقطع إليها منذ أن ولي أبو حاتم الإمامة، فيدخلونه المدينة ويجمعون على تنصيبه إماماً عليهم وذلك عام 282هـ/895م، ويتحقق ما يريدون الوصول إليه من كسر شوكة الإباضية[1].

لم يستقر يعقوب بن أفلح في هذه الإمامة سوى أربع سنوات، احتدم فيها القتال بين أبو حاتمٍ وعمه فكانت حرباً ضروساً شديدة الوقع كثيرة الضر، يتجاذب فيها الطرفان النصر لتنتهي بهزيمة قوات يعقوب وفوز الإمام، وغادر يعقوب بن أفلح تيهرت، عندما شعر بميل الناس وأهل الحل والعقد إلى أبي حاتم وترك أمر الإمامة لابن أخيه، الذي سيحكم ثمانية أعوام (286-294هـ/899-906م)، إلى أن قتله أحد أبناء أخيه اليقظان، وبهذا يكون أبو حاتم أخر الأئمة الرستميين، إذ اعتبر مؤرخي الإباضية الإمام الذي جاء بعده اليقظان بن أبي اليقظان إماماً غير شرعي، لا تجوز إمامته ونهوا عن الدخول تحت حكمه، إلى أن غزت قوات الفاطميين تيهرت واستسلم اليقظان لأبي عبد الله الشيعي، واضعاً بذلك نهاية حقيقيةً للإمامة الإباضية في المغرب[2].

فعبد الرحمن بن رستم لم يبايع بالإمامة، إلا بعد بناء المسجد الجامع بتيهرت[3]، والمبايعة عهد الله وميثاقه كما يقول ابن الصغير: "فقال لهم أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إليّ ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم وقدّموه على أنفسهم وألقوا إليه بأيديهم"[4]، فكان المسجد هو مقر البيعة الأولى وسيظل إلى نهاية الدولة تقليداً متبعاً، فآخر الأئمة أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان، لما توفي أبوه الإمام كان خارج تيهرت على مسيرة يومين منها أو أكثر، ولما سمع بالخبر عاد فازدحم الناس حوله، يقول ابن الصغير: "فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر، فأصعدوه المنبر وبايعوه وكبّروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق"[5].

---

[1]- ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (المجتمع والنظم)، المرجع السابق، ص-ص109-110.

[2]- نفسه، ص110.

[3]- نفسه، ص111.

[4]- ابن الصغير: **أخبار**، ص27.

[5]- ابن الصغير، نفسه، ص-ص91-92؛ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص111.

وتلخيصاً لما سبق يقول المؤرخ ابن عذاري في هذا الباب: "أوّلهم عبد الرحمن بن رستم ...ثم وليها ابنه عبد الوارث[1] ...ثم وليها ابنه أبو سعيد أفلح بن عبد الوارث... ثم وليها أيضاً ابنه أبوبكر بن أفلح بن عبد الوارث بن عبد الرحمن بن رستم، فاختلف عليه الأمر وأخرجه أهلها من تيهرت، ثم أعادوه إلى أن مات فيها، ووليها بعده أخوه أبو اليقظان محمد بن أفلح... ووليها بعده أبو حاتم يوسف بن أبي اليقظان، فأقام فيها عاماً واختلف عليه الناس واضطرب أمره فخرج إلى حصن لواتة، وقامت بينه وبين أهل تيهرت حروب عظيمة، ثو وليها اليقظان بن أبي اليقظان، فقتله أبو عبد الله الشيعي وذلك في شوال سنة ست وتسعين ومئتين، وانقطع ملك بني رستم من تيهرت في هذا التاريخ"[2].

## سادساً: مهام وسلطات الإمام الرستمي

عبارة علينا أن نتذكّرها دائماً وهي، قول أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة لحملة العلم الخمسة عند عودتهم إلى بلاد المغرب، حين قال لهم: "توجهوا إلى بلادكم فإن كان في أهل دعوتكم ما تجب به عليكم التولية في العدد والعدة من الرجال، فولوا على أنفسكم رجلاً منكم"[3]، لندرك من هذه العبارات أن الإمامة وظيفة جديدة، دفعت إلى خلقها الظروف المتمثلة في العدد والعدة، وهو نفس ما ذهب إليه المؤرخ ابن الصغير حين قال: "لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا"[4].

وقد وضّح أبو بكر الصديق ﵁، في خطابه بعد وفاة الرسول ﷺ حاجة الأمة إلى خليفة أو حاكم لحفظ كيان الأمة بقوله: "لابد لكم من رجل يلي أمركم ويصلّي بكم ويقاتل عدوكم"[5]، ففي هذا هذا القول ذكر لأهم وأبرز وظائف الإمام، لأن في ولاية الأمر حفظ الدين على أصوله المستقرة المتمثلة في كتاب الله العزيز وسنة نبيه محمد ﷺ، وإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام لكي تصان محارم الله، وإقامة

---

[1]- نلاحظ أنه يسمي الإمام عبد الوهاب، باسم عبد الوارث وكأنه اعتمد مصدراً معادياً للرستميين، ربما النكّار ففي عبارة عبد الوارث مغمز إلى وراثة عبد الوهاب لملك أبيه، ينظر، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص111.

[2]- ابن عذاري: **البيان**، 208/1؛ إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص112.

[3]- أبو زكريا: **سير**، ص56.

[4]- ابن الصغير: **أخبار**، ص27.

[5]- إسحاق رباح: **الحضارة العربية الاسلامية في النظم والعلوم والفنون**، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 1432هـ/2010م ص57.

العدل ورفع الظلم لأنه سبب هلاك الأمة، ثم جهاد من عاند الإسلام وذلك بنشر الدعوة بالقلم واللسان والسنان، وعلى ذلك تقررت علاقة الدولة الاسلامية مع الدول الأخرى، بالإضافة إلى هذا تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، ضمن حرية استمرار الدعوة وحماية المسلمين والأمن والسلامة للجاليات الإسلامية، ثم جباية الخراج والزكاة وكل أمور بيت مال المسلمين، وتقدير العطايا والمكافئات المستحقة من بيت مال المسلمين دون إسراف، واستكفاء الأمناء وتقليد الصلحاء، وفي الأخير المباشرة والإشراف والمراقبة بأن يباشر الخليفة بنفسه الاشراف والمراقبة الدائمة[1]، أما إقامة الصلاة بالناس فهي وظيفة جليلة من وظائف الإمام، والتي يجمع من خلالها المسلمين ليصبحوا جسداً واحداً إذا مرض منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

لذلك اتفق المؤرخون على أن سلطات ومهام الإمام في الدولة الرستمية كثيرة ومتعددة ومتنوعة وهي تشمل جميع السلطات بمصطلحاتنا المعاصرة: التشريعية والتنفيذية والقضائية والعسكرية، أو هي بالتقسيم الكلاسيكي: مهام دينية ومهام سياسية وهي كالآتي:

### 1- المهام الدينية للإمام الرستمي

#### أ- الزعامة المذهبية:

لا يمكن لإمام الدولة إلا أن يكون إباضياً أو صفرياً، عالماً بفقه المذهب وقادراً على إصدار الفتاوى المتعلقة بالنوازل، فأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة حين أوصى حملة العلم بأن يقدِّموا على أنفسهم أحداً قال: "فولوا على أنفسكم رجلاً منكم"[2]، ومعنى قوله "منكم" أي إباضي مثلكم، وهو ما كان علية أيمة الدولة الرستمية، فلولاهم ما بقي المذهب إلى يومنا الحاضر.

فأول الأيمة عبد الرحمن بن رستم، عندما ارتحل مع أمه إلى القيروان درس علوم الدين والمذهب الإباضي خاصةً، ثم سافر إلى المشرق حيث مدينة البصرة التي كانت تحتضن علماء المذهب فأخذ عنهم كل كبيرةٍ وصغيرةٍ ليصبح إماماً للإباضية في المغرب، وما كان اختيار الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى له ليكون قاضياً عنه في القيروان إلا لعلمه بفقه المذهب وتطبيقاته، وكذلك كان الأمر بالنسبة لأول إمامٍ

[1]- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص56.

[2]- أبو زكريا: **سير**، ص56.

عند الصفرية، فعيسى بن يزيد كان جدُّه سعد لقي بالمغرب عكرمة مولى بن عباس رضي الله عنه، وأبو القاسم سمكو بن واسول كان جدّه ممن دخل الأندلس مع طارق[1]، أمّا هو فلقي فإفريقية عكرمة وسمع منه[2].

**ب- الصلاة والخطبة:**

من مهام الإمام أن يصلي بالناس في المسجد الجامع، وهو ما كان يفعله الإمام عبد الرحمن بن رستم، نقلاً عن رواية ابن الصغير التي يقول فيها: "فقال (عبد الرحمن بن رستم) هذه الصلاة قد حضر وقتها ونحن نخرج إلى المسجد الجامع فنصلي بالناس ونعلمهم بما جئتم به... فخرج وخرجوا حتى أتوا المسجد الجامع فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته ناد منادٍ، ألا يتخلف من كل قبيلة وجوههم ففعل الناس ذلك"[3]، كما كان يخطب يوم الجمعة، ويبدو أن هذه المهمة ظلت طيلة عهد الإمام الأول ولما كان عهد الإمام عبد الوهاب، الذي عرف افتراقاً وتصدعاً في وحدة الأمة منذ الأعوام الأولى لإمامته حيث تعرض الإمام نفسه لمحاولة اغتيالٍ في فتنة النكّار، ابتعد عن القيام بهذه المهمة لأن احتمالات الاعتداء عليه واردة جداً[4].

وعلى هذا يبدو أن الأيمة منذ عهد الإمام عبد الوهاب، لم يعودوا يأُمُّون المسلمين في الصلاة وإنما كان يقوم مقامهم غيرهم، وكذلك صلاة الجمعة التي أصبح يؤدي خطبتها عدد من الخطباء، الذين قاموا بترديد بيعة الإمام عبد الوهاب على المنابر قصد اشهارها، فالخطيب أبو الربيع كان يعلن دائماً عن بيعة الإمام عبد الوهاب من كل منابر المساجد في الأيام الأولى من توليته بقوله: "الإمام عبد الوهاب إمامنا وثقتنا وإمام المسلمين أجمعين، فأنا براءٌ ممن خالفه وأنكر عليه شيئاً غير حق"[5].

وكان أبو اليقظان يقصد المسجد الجامع، ويجلس للناس خارج هذا المسجد مما يلي الجدار الغربي على حد قول ابن الصغير، وكذلك كان يحضر صلاة الجنازة في مصلى الجنائز، فهل كان يحضر هذه الصلوات أم كان يؤم المصلين فيها؟ لا نعلم شيئاً من ذلك وإنما نعلم أن أبا اليقظان "قدّم على منبره من

[1]- ابن الخطيب: **أعمال الأعلام**، ص، ص138، 141.

[2]- البكري: **المسالك**، ص334.

[3]- ابن الصغير: **أخبار**، ص30.

[4]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص128.

[5]- أبو دياك، المرجع السابق، ص68.

ارتضاه هو نفسه"[1]، وهذا يعني فعلاً أن الأئمة الرستميون أنابوا عنهم من يؤم المسلمين في صلواتهم وخطبهم في جمعهم وهذا منذ عهد الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن[2].

### ج- الجلوس القضاء:

لما جاء الاسلام تولى الرسول ﷺ في المدينة الفصل في الخصومات بدليل قوله تعالى:﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾[المائدة: 48]، فكان عليه الصلاة والسلام قاضياً كما كان للشريعة مبَّلغاً، ولم يكن للمسلمين في عهده قاضياً سواه، إذ كانت الأمة لا تزال على بساطتها وضيق رقعتها، ثم لقلة عدد القضايا المرفوعة إليه فلم يؤثر عنه أنه عيّن في بلدٍ من البلدان، رجلاً اختُصَ بالقضاء بين المسلمين، بل كان يعهد بذلك إلى بعض الولاة ضمن ولايتهم، وتارةً يعهد إلى أحد أصحابه بفض بعض الخصومات[3].

أما في حال الدولة الرستمية، فقد دعت حاجة الناس إلى إمامٍ قاضٍ يفصل بينهم في منازعاتهم خاصةً وهم قبائل كثيرة لا زالت تحكمها أنظمَةٌ قبليةٌ قديمةٌ، وتتحكّم فيها العصبية والنعرة الضيقة، يقول ابن الصغير على لسان القبائل: "وينصف مظلومنا من ظالمنا"[4]، وهذه مهمة صعبة تتطلب اتفاقاً واجماعاً كبيرين في شخص الإمام، حتى تكون قراراته وأحكامه نافذة فيهم.

وهو ما قام به عبد الرحمن بن رستم بنفسه إذ "جلس في مسجده للأرملة والضعيف ولا يخاف في الله لومة لائم"[5]، وقام الأيمة من بعده بهذه المهمة بأنفسهم أو عينوا قضاة لتولي شؤون القضاء، فالإمام يعتبر القاضي الأعلى تقع عليه مسؤوليات ما قد يقع من انتهاك للحرمات أو اعتداءٍ على الأشخاص والممتلكات[6]، وظل الاهتمام بالقضاء عند كل أئمة الدولة الرستمية، فهذا أبو اليقظان لما دخل مدينة تيهرت يقول ابن الصغير: " كان أول شيء نظر فيه من أمور الناس أن استصلح لهم قاضياً، بعد أن

---

[1]- ابن الصغير:**أخبار**، ص77.

[2]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص129.

[3]- حسن إبراهيم حسن، ج1، المرجع السابق، ص394.

[4]- ابن الصغير:**أخبار**، ص26.

[5]- نفسه، ص28.

[6]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص129.

شاور جماعة منهم"[1]، بهذا كان الأئمة الرستميون حريصون على اختيار قضاة في مستوى طموحات القبائل المكونة للمجتمع الإباضي في تيهرت.

**د- تسيير الموارد المالية:**

تعمل السياسة المالية لكل دولة على تحقيق التوازن بين مواردها ومصارفها، وقد سارت الدولة الإسلامية على هذه السياسة منذ نشأتها، فأنشأت بيتاً للمال يقام على صيانته وحفظه والتصرف فيه للمصالح العامة للمسلمين، وهو بهذا يشبه وزارة المالية في العصر الحاضر وصاحبه يقوم بمهمة وزير المالية[2].

ذكر ابن الصغير الموارد المالية للدولة الرستمية في قوله: "ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فيئنا"[3]، فقد كان للدولة في بداية نشأتها حسب قوله، موردين أساسيين هما الزكاة والفيء، فالزكاة والصدقة شيء واحد من أزكى الشيء يزكِّيه إذ نمَّاه أو من زكّاه تزكيةً إذ طهّره، وإنما سميت بذلك للإشارة إلى أن إخراج شيء من مال الإنسان والتصدق به، كفيل بتنمية هذا المال وانزال البركة فيه، وأيضاً إخراج شيءٍ من المال يطهِّره ويبعد عن صاحبه نظرة الحقد والحسد، ويذهب عن نفس صاحبه الشح والأثرة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾[التوبة: 103]، وهي كل ما يؤخذ من أغنياء المسلمين ويوزع بين فقرائهم، فكان للمسلمين أن يؤدوا الزكاة بمقدار ربع العشر(2.5%) عما يمتلكونه من المال، وهي زكاة النقد والنقدين( الذهب والفضة)، أما زكاة السوائم وهي الإبل والغنم ويلتحق بها العنز، فكانت تؤخذ بمقدار واحدة من أربعين فما فوق إلى مائة[4]، أما الفيء الذي ذكره ابن الصغير، فهو غنيمة مال وصل من المشركين إلى المسلمين عفواً من غير قتال ولا بإيجاف خيلٍ ولا ركاب[5]، هذا يدفعنا للتساؤل عن حقيقة هذا الفيء وعن مصدره الذي يأتي منه؟ وبالرجوع إلى كلام ابن الصغير نلاحظ أنه قرن الزكاة بالفيء، وهو ما يعني أن الزكاة والفيء شيء واحد إلا أن الزكاة مال يدفعه الإباضية لبيت المال، والفيء زكاة يدفعها غير الإباضية لبيت المال نظير حماية الدولة الرستمية لهم.

[1])- ابن الصغير: **أخبار**، ص77.

[2])- حسن إبراهيم حسن، ج1، المرجع السابق، ص375.

[3])- ابن الصغير، **أخبار**، ص26.

[4])- حسن إبراهيم حسن، ج1، المرجع السابق، ص- ص381-382.

[5])- نفسه، ص385.

كما يرى الأستاذ إبراهيم بحاز[1] أن في كلمة "ويقسَّمُ فيئنا" تصحيف بسيط، إذ جاءت بعد "نؤدي إليه زكاتنا" ومن هنا يتصور أن العبارة التي تلي هذا هي "ويقسم فينا " وربما سقطت "ها" ليكون النص "نؤدي إليه زكاتنا ويقسمها فينا"[2]، وبهذا يكون على الإمام مهمة جمع أموال الزكاة والفيء وتقسيمها على الوجوه التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العزيز.

أما الأيمة الصفريون، فقد قاموا بما يمليه عليهم واجبهم اتجاه رعيتهم، وفي هذا يقول ابن الخطيب متحدثاً عن أول إمامٍ للصفريين: "واختط مدينة سجلماسة سنة أربعين ومئة، فأكمل بناءها وأتقن أسوارها، وقسّم مياهها في خلجان بقدرٍ موزون، وصرف إلى كل ناحية قدرها من الماء، وأمر بغرس النخل والاستكثار منه"[3]، كما اهتموا بجمعِ الزكاة وصرفها في وجوهها حسب ما تمليه عليهم عقيدتهم الإسلامية، وأيضاً أموال الفيء التي كانوا يعودون بها بعد كل غزوة، فهذا اليسع بن أبي القاسم "غزا درعة وأخذ خمس معادنها[4].

## 2- المهام السياسية للأيمة الرستميين:

قد رأينا علامات الزعامة الروحية للإمام في الدولة الرستمية، وعلينا في ما يلي الإجابة عن هذا السؤال، فيما تمثلت الزعامة السياسية للإمام في هذه الدولة؟

### أ- التعيين والعزل:

يعد الرسول ﷺ أول رئيسٍ للدولة الإسلامية، وصاحب تنفيذ الأمور الشرعية والدنيوية، وهو أول من استحدث نواة النظام الإداري حيث عيّن السفراء والعمال(الولاة) والكتّاب والسرايا، وقد اقتصرت في عهده وظيفة الولاة إلى إقامة الصلاة وجباية الخراج، والفصل في الخصومات وقد تخيّر رسول الله ﷺ ولاته

---

[1]- من الشخصيات البارزة التي فرضت وجودها، بأعماله المتميزة في مجال البحث العلمي، وهو من الجيل الثاني من الباحثين الجادّين والمميزين في مجال البحث في التاريخ الوسيط، وهو من مواليد 14أوت 1956م الموافق ليوم 03 محرم 1376هـ بغرداية، أستاذ التعليم العالي بجامعة غرداية تخصص تاريخ وسيط، تحصل على عدة شهادات وله عديد المؤلفات المطبوعة، ينظر: فطيمة مطهري، **دور وجهود الأستاذ إبراهيم بحاز في تحقيق التراث الجزائري المخطوط**"أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير أنموذجاً"، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، جامعة تلمسان، مج.7، ع.02، الجزائر، 2020/07/30، ص12.

[2]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص130.

[3]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص139.

[4]- نفسه، ص142.

وعمّاله ممن عرفوا بقوة الإيمان والعلم والخبرة، ولما جاء بعده سيدنا أبو بكر عيّن حكاماً على الولايات في الجزيرة العربية ليسهل إدارتها فقسمها إلى أربعة عشر ولاية إدارية، وعيّن على كل ولاية والياً يرتبط بالعاصمة مباشرةً[1].

وسار على هذا النهج الأيمة الرستميون، وأخذوا على عاتقهم تعيين الولاة والقضاة والخطباء والجباة والقادة، فيقول ابن الصغير: "والسيرة واحدة وقضاته مختارة وبيوت أمواله ممتلئة وأصحاب شرطته والطائفون به قائمون بما يجب، وأهل الصدقة على صدقاتهم يخرجون في أوان الطعام فيقبضون أعشارهم في هلال كل ... من أهل الشاة والبعير، يقبضون ما يجب على أهل الصدقات لا يظلمون ولا يظلمون"[2]، من هذا يتبين لنا مسؤولية الإمام في اختيار عماله، من الولاة والقضاة وأصحاب بيوت الأموال وأصحاب الشرطة والأعوان باستشارة المشايخ، وهو الذي يعزلهم عندما يريد[3]، يقول أبو زكريا عن حرص الإمام عبد الوهاب لاختيار ولاة أَكِفَّاءَ في دولته:"كانت رغبته في أهل الخير واستعمال أهل العلم والبصيرة في الدين في أمور المسلمين، فعمد إلى رجالٍ ليست لهم رغبة في الولايات فولاّهم الأمور"[4].

### ب- المسؤولية المالية

ترجع نشأة الديوان إلى رواية مفادها (أنه لما قدم أبو هريرة من البحرين ومعه خمسمائة ألف درهم خطب عمر بن الخطاب في الناس بقوله: أنه قد جاء مال كثير فإن شئتم أن نكيل لكم كيلاً، وإن شئتم أن نعد لكم عدداً، وإن شئتم أن نزن لكم وزناً فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين دوّن للناس دواوين يُعْطَوْنَ عليها فدوّن عمر الديوان، كما تذكر رواية أخرى أن أحد الأشخاص لما رأى تردد عمر بن الخطاب ﷺ في كيفية توزيع الأموال، أخبره أنه كان لملوك الشام ديوان دوّنوا فيه الأسماء والأموال ونصحه بتدوين الديوان وتجنيد الجند[5].

---

[1]- حسن إبراهيم حسن، ج1، المرجع السابق، ص-ص95-96.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص35.

[3]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص131.

[4]- أبو زكريا: **سير**، ص92.

[5]- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص105.

وهو أيضاً ما فعله عبد الرحمن بن رستم عندما ولي الإمامة، حيث "نظر في باقي سائر المال فإذا عرف مبلغه أمر بإحصاء الفقراء والمساكين...ثم ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الأرضين وما اشبه ذلك، فيقطع لنفسه وحشمه وقضاته وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم"[1]، لأنه المسؤول عن وجوه صرف أموال الدولة، التي تعتبر شريان الحياة في المجتمع وبها تزدهر وتنتعش أمور الناس.

ورغم أن ابن الصغير لم يذكر شيئاً، عن الأيمة بعد عبد الرحمن بن رستم فيما يتعلق بمهامهم المالية إلا أن ضخامة المسؤولية وجسامة توابعها، تجعل من الأيمة بعد الإمام الأول هم المشرفين المباشرين على هذه الشؤون[2].

## ج- المسؤولية الأمنية والعسكرية

كان الرسول ﷺ قائد جماعة المؤمنين، الذين كانوا يقاتلون على شكل صفوفٍ متراصةٍ استناداً إلى قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوص﴾[الصف:4] وقسم الرسول ﷺ الجيش إلى عرافات جعل على كل عشرة رجال عريفاً، وعلى كل عشرة عرفاء نقيباً وهو شيخ القبيلة ويرأسهم أمير أو(القائد)، ويختار من هو أيقظ عيناً وأبصر بالحرب[3].

وتولى الأيمة الصفريون المهمة العسكرية في دولتهم، إذ كان الجانب الأمني من أولوياتهم، وهذا نلمسه من اهتمامهم ببناء السور حول سجلماسة، فعيسى بن يزيد بنى الأسوار حول المدينة وأتقنها ثم قام اليسع بن أبي القاسم بإعادة بناء السور بناءً حسناً أحسن من الأول، وأنفق فيه أموالاً جليلة[4]، كما قاموا بغزو المناطق المجاورة لهم، وهو ما قام به إليسع حين غزا درعة وأخذ خمس معادنها، بناءً على رواية ابن الخطيب[5].

---

[1]- ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص35-36.

[2]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص132.

[3]- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص188.

[4]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص، ص139، 143.

[5]- نفسه، ص142.

أما عند الإباضية فكانت قيادة الجيوش ميزة لعبد الرحمن بن رستم، إذ قاد الجيوش قبل تولي الإمامة عندما كان عاملا لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح في المغرب الأدنى، وبعدما أصبح إماماً واصل في هذه القيادة ودرّب أبناءه عليها فكانوا خير خلفٍ لخير سلف.

إن الإمام هو قائد الجيش يوجهه ضد أعداء الدولة والمذهب، وقد أشارت السير إلى القوة الجسمية لهؤلاء الأيمة القادة، فعبد الوهاب وابنه أفلح اشتهرا بشجاعتهما في محاربة النكار والمعتزلة، وتذكر السير الإباضية أن الإمام يعقوب كان يثير رعباً وهلعاً كبيرين، في صفوف أعدائه الملاحقين لفلول الرستميين أثناء هروبهم من تيهرت إلى وارجلان، إذ بمجرد أن يقف على حصانه الأبلق ذي الشهرة البالغة، يتوقف الأعداء عن متابعتهم، فيعطي الفرصة لأصحابه للفرار ثم يلتحق بهم بسرعة فرسه، وهكذا إلى أن وصلوا وارجلان سالمين[1]، وتحمَّلَ عبد الرحمن بن رستم مسؤولية نشر الأمن بين الناس، ودافع عن حوزة البلاد بكل ما أوتي من قوة ومن رباط الخيل، حتى أرهب العدو وأزاح الطامع المتربص و"خافهم جميع من اتصل به خبرهم وأمنوا ممن كان يغزوهم من عدوهم، ورأوا أنهم قادرون على غيرهم ومن كانوا يخافون أن يغزوهم"[2]، فانعكس هذا الأمن والسلام على المجتمع الإباضي في تيهرت، ليقول ابن الصغير: "ثم شرعوا في العمارة والبناء واحياء الموات، وغرس البساتين واجراء الأنهار واتخاذ الرحاء والمستغلات وغير ذلك" إلى أن يقول: "ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله، حتى لا يرى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي، وهذا مسجد القرويين ورحبتهم وهذا مسجد البصريين وهذا مسجد الكوفيين"[3].

وبقي هذا الحرص على أمن الرعية في كل عصور الدولة الرستمية، ففي عهد أبي حاتم الذي اكتشف مؤامرة رجلين يخططان لقتل أبيه، وما سوف ينجر عن ذلك من تبعاتٍ خطيرة، فأمر بنفيهما عن المدينة عقاباً لهما وابعاداً لخطرهما[4].

---

[1]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص133.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص31.

[3]- نفسه، ص-ص31-32.

[4]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص133.

إلى جانب هذا أخذ الإمام الرستمي على عاتقه، مهمة ربط العلاقات مع الدول الخارجية، فكان يصدر أوامره لإرسال الوفود الدبلوماسية إلى الأمراء والملوك، الذين تربطهم به علاقات مودةٍ، فقد أرسل الإمام أبو بكر بن أفلح بن الإمام عبد الوهاب، وفداً إلى ملك مملكة صوصو إحدى الممالك السودانية برئاسة محمد بن عرفة أحد أعيان مدينة تيهرت، ومعه هدية منه إلى الملك فكان حسن الهيئة والخلقة حتى أعجب به الملك وعبّر بإعجابه بلهجته قائلا: "أنت حسن الوجه، حسن الهيئة والأفعال"[1]، فاستطاعوا بفضل حسن تسيير هذه العلاقات، تطوير التجارة وجلب التجار من جميع البلدان، يقول ابن الصغير: "واستعملت السبل إلى بلد السودان، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة"[2].

مجمل القول إن الأيمة الرستميين تمتعوا بسلطات واسعة، ذلك أنهم اقتدوا بالنبي محمد ﷺ وساروا على نهجه في تسيير شؤون العباد والبلاد، فقد كان ﷺ هو الزعيم الروحي والسياسي للدولة الاسلامية في مهدها، وجاء من بعده الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من خلفاء الدولة الاسلامية.

ونهجوا كغيرهم من حكام المسلمين على تدريب ولاة العهد، فقد عيّن الإمام عبد الوهاب حفيده ميمون على بيت المال وأوكل إليه الجبايات، رغبةً منه لتحضيره لمنصب الإمامة بعد أبيه، أما الإمام أبو اليقظان فقد قام هو الآخر بتدريب ولده المكنى أباحاتم على أمور الدولة، وعهد إليه مناصب متعددة مما لفت نظر العامة إليه، فحملوه على الأعناق يوم العيد ذاهبين به إلى المسجد، ليصلي بالناس صلاة العيد لتأخر والده عنها[3].

فكان رئيس الدولة هو الإمام، الذي هو رئيس جماعة المؤمنين الذي يدين له أنصاره بالطاعة المطلقة بعد أن يحصل على البيعة منهم، لكن قبل الحصول على البيعة فإنه يقسم على اتباع الكتاب والسنة وأن يحكم شعبه وفق هذين النبعين الخالدين وأن يحكم بالعدل، لأنه المنفذ للشريعة الإسلامية بكل صغيرة وكبيرة وأن يتمسك بكل الفرائض والسنن، فكانت له إقامة الصلاة وإليه تجبى الأموال حيث تودع في بيت مال المسلمين الذي كان عليه خازن أمين ، وكان للإمام الحق كل الحق في أن يختار من بين العلماء والأيمة والصالحين من يعينه في جميع المناصب العليا، وخاصة القضاة وأمناء المال ورؤساء

[1])- أبو دياك، المرجع السابق، ص68.

[2])- ابن الصغير، **أخبار**، ص32.

[3])- أبو دياك، المرجع السابق، ص69.

الشرطة، فكان القضاة أهم رجال الدولة، ولذا كان الأيمة يهتمون كل الاهتمام باختيارهم من الذين يُشْهَدُ لهم بالنزاهة وحسن السيرة[1].

لقد استطاع الأيمة الرستميون، أن يجمعوا بين هذه السلطات الواسعة وبين الشورى، بحيث وصف عهدهم بالعدل عموماً، وإن أنكر النكار إمامة عبد الوهاب ومن جاء بعده من الأيمة وتشبثوا بفكرة سابقة لزمانها بقرون، هي مجلس الشورى المُلْزَمَةِ قراراته على الإمام، وهذا يعني تقسيم السلطة بين الإمامة وهذا المجلس، الأمر الذي لم تعرفه الأنظمة السياسية ولا السياسة الشرعية لدى المسلمين إلا في العهود المتأخرة، بل إنها حتى في هذه العهود ليست تلك المجالس سوى تنميق لسلطة الإمام الذي يبقى الزعيم الأوحد بيده كل السلطات، هذا في أغلب أنظمة الدول الاسلامية عموماً في أيامنا هذه[2].

**سابعاً: ألقاب الحكام المدراريين والرستميين**

كان أبو بكر ﵁ يلقب بلقب خليفة رسول الله، إذ كان يقوم مقام الرسول ﷺ في حكم الدولة الاسلامية والمحافظة على الدين، وكان عمر يلقب بلقب خليفةَ خليفةِ رسول الله، وروى البلاذري أن بلالاً مؤذن الرسول ﷺ كان يقف بباب الرسول ﷺ ويقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته حي على الصلاة حي على الفلاح، الصلاة يا رسول الله، فلما ولي أبو بكر ﵁ كان المؤذن يقف ببابه ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله ورحمة الله وبركاته، حي على الصلاة حي على الفلاح، الصلاة يا خليفة رسول الله، وفي خلافة عمر بن الخطاب كان المؤذن يردد هذه الكلمات مبتدئاً بقوله: السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله...الخ، ومنعاً لتكرار لفظ خليفة بالنسبة إلى من يتولى أمور المسلمين من الخلفاء بعد أبي بكر، أمر عمر أن يستبدل هذا اللفظ بعبارة أمير المؤمنين[3]، أما عند المدراريين فكانت ألقابهم كالآتي:

---

[1]- أميرة فرحات، المرجع السابق، ص-ص555-556.

[2]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص-ص134-135.

[3]- أحمد بن يحي البلاذري: أنساب الأشراف، تح. سهيل زكّار، رياض زركلي، ج2، ط1، دار الفكر، بيروت، 1417هـ/1996م ص186؛ وانظر، حسن إبراهيم حسن، ج1، المرجع السابق، ص358.

**1- ألقاب الأيمة المدراريين:**

أ- **الوزير**: يقول ابن خلدون عن إلياس بن أبي القاسم بن واسول: "وكان يدعى بالوزير"[1]، لكنه لم يعط تفسيراً عن سبب تلقيبه بهذا اللقب، ربما لأنه كان يرافق أباه كثيراً، أو كان عند أبي القاسم بمقام الوزير يستشيره في أموره.

ب- **المنتصر**: لقِّب بهذا اللقب مدرار بن إليسع بن أبي القاسم، الذي قال عنه ابن الخطيب: "فلم يزل مَلِكاً على سجلماسة إلى أن اختلف الأمر بين ولديه"[2]، هذا الكلام يجرنا إلى الحديث عن إليسع الذي وصفه ابن الخطيب أيضاً بقوله: "كان جباراً عنيداً، فظاً غليظاً غزا بلاد درعة وأخذ خمس معادنها" فاليسع كان كثيراً ما يغزو، ومدرارٌ كان يرافقه في هذه الغزوات ويحرز على الانتصار، فلقِّب بالمنتصر.

**2- ألقاب الأيمة الرستميين:**

أ- **لقب الإمام**: لعل أبرز لقب اتخذه الرستميون هو لقب الإمام، وقد استعمل في عهد عمر بن الخطاب ﷺ وهذه اللفظة تتمثل في الصفة الدينية من حيث الإمامة في الصلاة، فقد ورد لفظ الإمام في القرآن بمعنى الرئيس أو الزعيم حيث يقول الله تعالى:﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء:73]، كما وردت اللفظة في القرآن مفردة في قوله تعالى:﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾[البقرة:124]، وفي قوله تعالى:﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[الفرقان:74][3].

فكان لفظ الإمام أقرب إلى روح الشرع الاسلامي، فيما تطور من نظمه السياسية لأن كل ما في الاسلام من التشريع السياسي وغيره، خاضع لنظام النبوة اقتداءً به لا إرثاً له ولهذا كان الخلفاء يحافظون على وظيفة الإمامة في الصلاة[4]، وكان النبي يؤم الناس في الصلاة باعتباره زعيماً للمسلمين، ولمّا مرض مرضه الأخير ندب أبا بكر ليصلي بالناس، وكانت إمامة أبي بكر للمسلمين في الصلاة نيابة عن النبي

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 6/ص172.
[2]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص143.
[3]- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص-ص53-54.
[4]- نفسه، ص54.

ﷺ من أهم الأدلة التي استند إليها بعض الصحابة في أحقية أبي بكر بالخلافة بعد النبي، وقد حرص الخلفاء على المسلمين في الصلاة لما تدل عليه من صفة الزعامة، حتى أصبحت من أهم أعمال الولاة في الأمصار السلامية[1].

فكان لقب الإمام أحب وأقرب الألقاب إلى أئمة الرستميين، يقول أبو زكريا: "حدّث غير واحد من أصحابنا وحدّث به الإمام أفلح، عن أبيه عبد الوهاب عن أبيه عبد الرحمن بن رستم في بعض ما يحدِّثُ به عنهم وكان إذا ذكره، ذكره بالإمام"[2].

إن مصطلح الإمام، هو اللقب الأكثر تداولاً في المصادر الإباضية، كسيرة أبي زكريا وطبقات الدرجيني وسير الشماخي لحكام الإباضية في تيهرت ، وهذا المصطلح الذي فضَّله الرستميون لقباً لهم أو رشَّحه فقهاء الإباضية لزعمائهم الرستميين لأنه "تتمثل فيه الصفة الدينية من حيث الإمامة في الصلاة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين" فالإمام يعتبر رئيساً روحياً وزمنياً في ذات الوقت، وعليه أن يكون خير قدوة لكافة المسلمين متحلياً بالفضل والورع والزهد[3].

ومهما يكن من أمرٍ فإن التسمية الغالبة والمألوفة عند الإباضية هي الإمام، فالإمام كما يرى الشيخ أطفيش حاكم عدلٌ يعطي بحق ويأخذ بحق، أما الملك فيأخذ بحق ويعطي بلا حق، أما السلطان فهو المتسلط الذي يأخذ بلا حق ويعطي بلا حق، وإضافةً إلى هذا فإن الإباضية حين أطلقوا لفظ الإمام دون غيره من الألقاب فإنهم يقصدون، من الإمامة مفهوم الاقتداء كاقتداء المأموم بإمام الصلاة[4].

إن ابن الصغير لما تحدث عن عقد الإمامة لعبد الوهاب، وصفه بأنه كان ملكاً ضخماً وسلطاناً قاهراً ، أي أن لقبه ظل "الإمام" ولكن الوصف الذي جاء به أراد أن يعبّر به عن قوة الإمام وعزمه وحزمه وامتلاك زمام أمره، فهي صفات إعجاب لما سمع من أخبار هذا الإمام ومآثره التي أطبقت الآفاق فلا شك أن أخبار الإمام عبد الوهاب، تفوق كل أخبار الأيمة الرستميين سواء كان ذلك عند ابن الصغير أو عند مؤرخي الإباضية جميعهم، ذلك لأن عصره بدأ يُجْنىَ فيه ثمار سياسة العدل والازدهار والاستقرار، التي أفرزتها فترة الإمام الأول عبد الرحمن، ثم الفترة الأولى من عهد عبد الوهاب، فقد نشطت

[1])- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص359.

[2])- أبو زكريا: **سير**، ص40.

[3])- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص-ص136-137.

[4])- عدون جهلان، المرجع السابق، ص-ص104-105.

الحياة الاقتصادية والثقافية والدينية والسياسية والعسكرية في عهد هذا الإمام، لذلك لابد أن يتحول من سياسة اللين التي قد تفسَّرُ بالضعف، خاصة من قبل الأعداء المتربصين والمنافسين للإمامة الإباضية الذين يريدون إضعافها ثم إسقاطها، من هنا نلاحظ أن هذا الإمام بالذات هو الأكثر ممن أطلق عليه اللقب الثاني وهو أمير المؤمنين[1].

ب- **لقب أمير المؤمنين**: بدأ استعمال لقب أمير المؤمنين منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، قال المغيرة لعمر رضي الله عنهما: يا خليفة الله، فقال عمر: ذاك نبي الله داود، قال: يا خليفة رسول الله، قال ذاك صاحبكم المفقود، قال: يا خليفة خليفة رسول الله، قال: ذاك أمرٌ يطول، قال: يا عمر، قال: لا تبخس مقامي شرفه، أنتم المؤمنون وأنا أميركم، فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين، وبذلك كان عمر ﷺ أول من تلقب بهذا اللقب الذي كان يتماشى وعهد الفتوح، لما في ذلك اللفظ من معنى السلطتين الحربية والادارية[2].

أمر عمر بن الخطاب ﷺ بأن يلَّقَبَ بأمير المؤمنين، ومعنى هذا أن المؤمنين قد استحالوا إلى قوة وأن عمر صار أميراً لهذه القوة، لأن "الأمير" عند العرب يقصد به "قائد الجيش"[3]، وهو ما كان أيضاً في الدولة الرستمية، إذ لقّب به أول الأيمة عبد الرحمن بن رستم، عندما جاءته رعيته تستشيره في أمر قبول أو رفض المعونة المشرقية، يقول أبو زكريا: "فقالوا له رأيك أمير المؤمنين"[4]، وهذا أمر طبيعي فعبد الرحمن اضطلع بكل مهام الرياسة التي من ضمنها قيادة الجيش، لذلك وجدنا أكثر ما يطلق هذا اللقب عند الرستميين يطلق على الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن، الذي عرف عهده حروباً داخلية في تيهرت وأحوازها، وتطّلع إلى توسيع رقعة دولته فوصل إلى تلمسان التي نازعه عليها الأدارسة كما حارب الأغالبة في طرابلس، فملأ على حدّ تعبير ابن الصغير المغرب بأسره من مدينة طرابلس شرقاً إلى مدينة تلمسان غرباً[5]، فهذا الملك الشاسع للإمام عبد الوهاب هو الذي جعله يضيف إلى ألقابه لقب أمير المؤمنين، إذ كان يقود جماعة المؤمنين بنفسه.

---

1)- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص-ص137-138.

2)- حسن إبراهيم حسن، ج1، المرجع السابق، ص358.

3)- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص53.

4)- أبو زكريا: **سير**، ص84.

5)- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص139.

لقد تلقّب الإمام عبد الوهاب بهذا اللقب العسكري، اقتداءً بعمر ﷺ في قوتّه وصرامته فنجد أبا زكريا يذكر مصطلح أمير "المؤمنين" في رسالة لعبد الوهاب، لتعيين أحد ولاة نفوسة يقول فيها: "من أمير المؤمنين عبد الوهاب إلى جماعة المسلمين بحيز طرابلس" كما وردت في رسالة أخرى "إن أمير المؤمنين احتاج إليكم في أموره"[1].

وفي عهد أبي اليقظان الذي عاصره ابن الصغير وشاهده، يتحدث إليه الناس في شؤونهم بعبارة فيها الأدب والذوق "أصلح الله الأمير"[2] يقدمونها بين يدي مطالبهم أو جوابهم للإمام، وهنا نلاحظ أنهم لم يقولوا: "أصلح الله الإمام" كما لم يقولوا: "أصلح الله أمير المؤمنين" وإنما اختصروها إلى "الأمير" ويبدو أنها العبارة ألتي أصبحت متداولة في أواخر عهد الرستميين، إذ نجد خطيب الجمعة في جامع تيهرت في آخر خطبته يدعو للإمام قائلاً: "اللهم وأصلح الأمير يوسف بن محمد، أصلحه وأصلح على يديه ووفقه للخير وأعنه عليه، وافتح له من عندك أعواناً وأنصاراً ... وهب له من عندك سلطاناً نصيراً"[3].

ج- **لقب الخليفة:** نجد في القرآن آيتان تحمل معنى فردياً لشخص مميز، الأولى جاء بها ذكر داود عليه السلام والثانية ذكر آدم عليه السلام في قوله تعالى:﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾[ص:26]، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ﴾[البقرة: 30]، فيرجح أرنولد تفسير كلمة خليفة من بعض المصادر الإسلامية، أنه بمعنى وكيل ونائب وبديل وخلف، وأن داود وآدم عليهما السلام سميا باسم خليفة إذ كان كل منهما على الأرض نائباً عن الله في هداية الناس وانذارهم بما أمر الله، إن هذا التفسير لمعنى الآيتين يُصدق على الأنبياء ولا يُصدق على الخلفاء لعدم صلتهم بالنبوة، فقد أنكر أبو بكر تسميته بها وقال: "لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله"، من هنا أصبحت الخلافة من خلف رسول الله ﷺ في اجراء الأحكام الشرعية[4].

---

[1]- أبو زكريا: **سير**، ص105.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص، ص78، 83.

[3]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص140.

[4]- نقلاً عن إسحاق رباح، المرجع السابق، ص52.

وتحدث البكري عن الإمامة الرستمية فقال: "وكان ميمون[1] رأس الإباضية وإمام الصُّفرية والواصلية وكان يُسَلَّم عليه بالخلافة"[2]، ويقول ابن خلدون في ذات الموضوع:" فاحتمل أهله وولده ولحق بإباضية المغرب الأوسط من البرابرة الذين ذكرناهم، ونزل على لماية لقديم حلفٍ بينه وبينهم، فاجتمعوا إليه وبايعوا له بالخلافة"[3]، لقد أطلق هؤلاء لقب الخليفة على إمام الرستميين، لأنهم يؤمنون أن كل رياسة في الاسلام هي خلافة، إما خلافة لله عز وجل أو خلافة للرسول ﷺ أو خلافة للخلفاء الراشدين وهذا أمر صواب، لكن الأمر يختلف عند الرستميين لأن الفاصل الزمني بينهم وبين الخلفاء الراشدين كان قرن ويزيد، ومن ناحية أخرى أنهم اختاروا مذهباً جديداً هو الإباضية فإذا أرادوا أن يلقِّبوا أنفسهم بالخلفاء فالأجدر لهم أن يَخْلُفُوا أئمة الإباضية الذين سبقوهم.

لذلك لم يحمل عبد الرحمن ابن رستم لقب الخليفة، رغم اعتراف أهل الدعوة بإمامته في المشرق ورغم طموحه أن يظهروا هناك كما ظهروا في المغرب[4]، لأن لقب الخليفة لم يكن واردا في أبجديات الرستميين، ولكن لقب الإمام يحمل ضمناً كل معاني الخلافة وكل مسؤوليات الخليفة ومهامه، فعندما أعلنوا إمامتهم، أعلنوا بذلك خلافتهم ولا فرق بين إعلان الإمامة والخلافة، فقد اعتبروا أنفسهم الأئمة الشرعيين الذين يحكمون بما أنزل الله[5].

من الملاحظ على مصطلح (الخلافة، الإمامة، أمير المؤمنين) ما يلي: أنها جاءت كلها بمعنى واحد تمثل صاحب السلطة وقد اجتمعت على تقديم أمور الدين على الدنيا، وسياسة أمور الدنيا بالدين وكل هذه الألفاظ لم تخرج عن الغرض والمقصد الواحد لها، من مفهوم حراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين[6].

---

[1]- هو الإمام أفلح بن عبد الوهاب، ينظر، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم،المرجع السابق، ص140.
[2]- البكري: **المسالك**، ص249.
[3]- ابن خلدون: **العبر**، 159/6.
[4]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، 306/2.
[5]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في المجتمع والنظم، المرجع السابق، ص142.
[6]- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص54.

**ثامناً: شارات الإمامة المدرارية والرستمية**

كانت للإمامة المدرارية والرستمية شارات دلّت على وجودها، وإن لم تصل إلى مستوى شارات الدول الأخرى مثل الموحدية والفاطمية، وهذا لأنها سلكت نهج البساطة والزهد وتمسّكت بمآثر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، لذلك كانت شاراتهم كالآتي:

1- الخطبة: وذلك بالدعوة للإمام لقول ابن عباس ﷺ ( اللهم انصر علياً )[1]، وجرت العادة أن يكون للإمام مجلس يتكون من العلماء والعقلاء المنتقين المخلصين، والذين لهم دراية بالأمور وهم يُعَدُونَ له ظهيراً ويقوم الخطباء بترديد البيعة للملأ على المنابر قصد إشهارها، فالخطيب أبو الربيع[2] كان يعلن دائماً عن بيعة الإمام عبد الوهاب من على منبر المسجد في الأيام الأولى من توليته بقوله: "الإمام عبد الوهاب إمامنا، وثقتنا، وإمام المسلمين جميعاً، فأنا براءٌ ممن خالفه وأنكر عليه شيئاً من غير حق"[3].

ويعلن الإمام عن توليته وعن منهاجه السياسي، ويوجه كتاباً للأمة يتضمن النصح والإرشاد واتباع أموار الله، فمن هؤلاء الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي وجّه لعمّاله كتاباً ليقرأوه على المنابر للرعية، بعد أن بدأها بالبسملة والصلاة على الرسول ﷺ، قال: "من أفلح بن عبد الوهاب إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين، أما بعد فالحمد لله في الأمة المكرمة التي جعلها أمةً وسطا...وعليكم بتقوى الله واتباع آثار سلفكم، فقد سنوا لكم الهدى وأوضحوا لكم طريق الحق وحملوكم على المنهاج، ففي اتباعهم النجاة وفي خلافهم الهلكة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة كفر...إن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده وبلاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم"[4].

---

[1]- إسحاق رباح، المرجع السابق، ص55.

[2]- إنه الربيع بن حبيب، يقول عنه الشماخي:" طود المذهب الأشم وبحر العلوم الاخلم، صَحِبَ أبا عبيدة (أبا عبيدة مسلم بن أبي كريمة) فنال وأفلح وتصدّر بعده على الأفاضل فأنجح"، ينظر، الشماخي: **سير**، ص95.

[3]- أبودياك، المرجع السابق، ص68؛ يشير الكاتب أبودياك أنه أخذ هذه الفقرة من كتاب الأزهار الرياضية، لكنني بحثت في كتاب الأزهار ولم أجد ما ذكره، لعله يقصد ما ذكره الشماخي في السير حيث يقول:" قال أبو زكريا كان الربيع بن حبيب يقول في مجلسه عبد الوهاب إمامنا وثقتنا وإمام المسلمين أجمعين، ويظهر البراءة من شعيب ويزيد بن فندين"، ينظر، الشماخي: **سير**، ص134.

[4]- الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ص267، 271.

2- **السكة**: كان الدرهم والدينار شائعين في العصر النبوي، كما كان الناس يتعاملون بهما وبالذهب والفضة فقد ورد ذكر الدرهم والدينار في القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[آل عمران:75]، وقوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾[يوسف:20]، وقوله أيضاً: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾[الزخرف:53]، من ذلك نستنتج أن التعامل بهذه النقود عرف في عصر الرسول ﷺ إذ لو لم يكن استعمالها شائعاً، لما جاء القرآن بذكرهم ويقول الرسول أيضاً:( تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض)[1]، كما ورد ذكر الذهب والفضة في الزكاة لتقدير المبالغ التي تجب فيها الزكاة[2].

ولا يعني ذلك أن الحجاز حوت دوراً لضرب النقود، فما كان متداولاً كان يسك في الدول الأجنبية فكانت الدنانير ترد من بلاد الروم، والدراهم من بلاد فارس ومن اليمن أحياناً، وكان العرب يتعاملون بهذه النقود وزناً لا عدداً، فكانوا يسمون غير المسكوك منها تبراً لتمييزه عن العملة المتداولة[3].

وذكر ابن خلدون أن محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار، كان قد ضرب السكة في سجلماسة فقال: "ولقّب الشاكر بالله، واتخذ السكة باسمه ولقبه، وكانت تسمى الدراهم الشاكرية"[4]كما لا يستبعد أن يكون الرستميون، قد ضربوا سكتهم الأولى منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم حيث يذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، أن عبد الرحمن بن رستم سبق أن ضرب نقوداً في القيروان عندما كان عاملاً عليها (140-144هـ)، من قبل الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، فيذكر أن هذه النقود محفوظة، وهي عبارة عن فلوس من النحاس مكتوبة على وجه منها "ضرب هذا الفلس في افريقيا (كذا)" وعلى الوجه الآخر "سنة اثنين وأربعين ومائة"[5] واستمر ضرب الفلوس إلى سنة 144هـ أي إلى قدوم القائد العباسي محمد بن الأشعث الخزاعي، الذي قضى على ثورة أبي الخطاب، فإذا ضرب

---

[1]- حديث صحيح، ينظر، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم: 2886، ص712.

[2]- شحادة الناطور وآخرون: **النظم الاسلامية التشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية**، ط2، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1413هـ/1996م، ص164.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- ابن خلدون : **العبر**،174/6؛ وانظر الملحق رقم 04.

[5]- انظر الملحق رقم05.

عبد الرحمن النقود وهو عامل كيف لا يضربها وهو إمام، لديه كل الصلاحيات لفعل ذلك، والواقع أن المتدبر في تدفق الذهب السوداني على العاصمة الرستمية، يستبعد أن يكون الرستميون لم يضربوا نقودهم من الدنانير الذهبية، فضلاً عن الدراهم الفضية، مع ما كان لهم من سابقةٍ في هذا المجال[1].

إن كل الدلائل تشير إلى وجود مسبكة في تيهرت، لضرب عملة إباضية وإن لم نجد ذكراً صريحاً لها في الكتب المتوفرة لدينا على الأقل، بعكس مسبكة ورجلان في عهد الإدريسي، الذي يخبرنا بأن إباضية تلك المدينة يضربون الذهب المجلوب من السودان باسم بلدهم، فالذي يتبادر إلى الذهن أن مسبكة ورجلان، إنما هي رد فعل وتعويض عن الخسارة التي مني بها الإباضية بسقوط تيهرت، واضمحلال عملة الرستميين الإباضية بعد ردحٍ من الزمن، خاصة بعد سيطرة الدولة العبيدية على الأوضاع في المغرب ومحاولتها استغلال كل ما خلّفته الدولة الرستمية، ولعل سبب الارتباك الذي نجده عند الباحثين والمؤرخين حول وجود عملة رستمية أو عدم وجودها، راجع بالأساس إلى اختفائها وانقراضها وبالتالي لم يبق منها إلا قطعٌ معدودات، لا زالت بحاجة إلى دراسة في وقتنا هذا[2].

وكان الأئمة الرستميون مثالاً في الغرام بالعلم، فكانوا يلقون الخطب والدروس وينشئون القصائد في الحث على طلب العلم وبيان فضله، وأحسن الطرق التي تضمن النبوغ فيه، ونيل المراد منه وقد أنشأ الإمام أفلح ثالث رؤساء الدولة الرستمية قصيدة للتحريض على طلب العلم، فكانت المدارس تعلمها للتلاميذ فيحفظونها وينشدونها في المناسبات، يقول فيها:

العلم أبقى لأهل العلم آثارا ... يريك أشخاصهم روحاً وأبكارا

حي وإن مات ذو علم وذو ورع ... ما مات عبد قضى من ذاك أوطاراً

وذو حياة على جهلٍ ومنقصة ... كميت قد ثوى في الرمس إعصارا

لله عصبة أهل العلم إن لهم ... فضلاً على الناس غيابا وحضارا[3]

انتشر المذهب الإباضي والصفري، في بلاد المغرب الاسلامي بفضل دعاة مخلصين في بيئةٍ كانت تتحضّر لإعلان التمردِ والثورة، والتقت مبادئ المذهبين مع رغبة القبائل في التحرر والعيش الكريم

[1]- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص185.

[2]- نفسه، ص-ص185-186.

[3]- محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص-ص334-335.

فكانت ثمرة هذا الاجتماع، الدولة الإباضية في تيهرت والدولة الصفرية في سجلماسة، وخاصةً الإباضية التي لازال أثرها المذهبي والفكري والثقافي موجوداً إلى اليوم.

بعد هذا الفصل عن الإمامة عند الصفرية والإباضية نمرّ، إلى طورٍ جديد من تاريخ المغرب الإسلامي، حيث ظهرت دولٌ أخرى بمذهبٍ جديد هو مذهب الشيعة، الذي مثلته دولتان هما: دولة الأدارسة في فاس بالمغرب الأقصى والدولة الفاطمية في المهدية في المغرب الإسلامي.

## الفصل الثاني: الإمامة الشيعية في المغرب الإسلامي( 172- 362هـ/788-973م):

**أولاً: الوضع السياسي في المغرب الإسلامي قبيل قيام إمامة الأدارسة والفاطميين:**

**ثانياً: ظهور التشيع في المشرق وانتقاله إلى المغرب**

1- ظهور التشيع في المشرق

2- انتقال التشيع إلى بلاد المغرب الإسلامي

**ثالثاً: الإمامة والوصيّة عند الشيعة**

1- الإمامة عند الشيعة

2- الوصيّة عند الشيعة

3- الوَلاية

4- ظروف تولية علي بن أبي طالب ﷺ

5- حق الأدارسة والفاطميين في الإمامة

**رابعً: الأيــمة الأدارسة والفاطميون في المغرب:**

**خامساً: الوِلاَيَةُ أو طاعة الإمام**

**سادساً: ولاية العهد عند الأدارسة والفاطميين( التولية)**

**سابعاً: البيعة أو "العهد على الطاعة" عند الشيعة**

**ثامناً: سلطات ووظائف الإمام عند الأدارسة والفاطميين**

**تاسعاً: الألقاب الخلافية وشارات الملك**

1- الألقاب الخلافية

2- شارات الملك

**عاشراً: حاشية الخليفة الفاطمي وآداب اللقاء في حضرت**

**الفصل الثاني: الإمامة الشيعية في المغرب الإسلامي( 172- 362هـ/788-973م):**

كانت بلاد المغرب الإسلامي، ملاذ الفارّين من غضب الخلافة الأموية ثم العباسية، فقد توفرت فيها أسباب النجاة وشروط النجاح، فقَدِمَ الشيعة إليها مثل الفرق الأخرى، يريدون البذر وينتظرون الحصاد.

**أولاً: الوضع السياسي في المغرب الإسلامي قبيل قيام إمامة الأدارسة والفاطميين**

كان المغرب الإسلامي، ولاية إسلامية نائية مجهولة لدى المشارقة، لكنها نالت اهتمام السلطة المركزية، التي كان دافعها دينياً ومادياً، فمنذ سنة 93هـ/711م أصبح المغرب تابعاً لدولة الخلافة، وولاته خاضعون لسلطة الخليفة القائم في الشام ثم العراق.

لقد سبق حديثنا عن أوضاع المغرب الإسلامي قبيل قيام الدولتين المدرارية والرستمية، وتحدثنا في الفصل الأول عن هاتين الدولتين، وهما اللتان سبقتا الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب، فأوضاعهما المذكورة آنفاً هي ما طبع الحياة السياسية، قبل قيام الإمامة الفاطمية، والظروف التي سبقت إمامة الأدارسة هي نفسها الظروف التي كانت قبل قيام إمامتي المدراريين والرستميين، ومنه فإن الأوضاع السياسية التي سبقت الدولة الفاطمية، كانت قد تمثّلت في الدول التي استطاعت أن تجد لنفسها موطئاً في بلاد المغرب الإسلامي، وهي حسب الترتيب الزمني، الدولة المدرارية في سجلماسة والدولة الإباضية في تيهرت والدولة الإدريسية في فاس وأخيراً دولة الأغالبة في إفريقية.

فقد تمكّن إبراهيم بن الأغلب من انتزاع تأييد الخلافة العباسية، التي كان على رأسها الخليفة هارون الرشيد، وذلك بحصوله على عهد بالإمارة على إفريقية، التي كانت تمر بفترة من الاضطرابات، فكتب إبراهيم بن الأغلب الى الخليفة الرشيد، يطلب ولاية افريقية على أن يترك المائة ألف دينار التي كانت تحمل من مصر معونة إلى والي افريقية، ويحمل هو كل سنة أربعين ألف دينار للخلافة، فوافق الرشيد وولاّه في محرم سنة أربع وثمانين، فضبط الأمور وابتنى مدينة بقرب القيروان سماها العباسية وانتقل إليها بأهله وخاصّته وحشمه، وصار ملك إفريقية في عقبه إلى أن غلبهم عليها الشيعة العبيديون،[1] وأتاحت الفوضى السائدة في افريقية فرصة لإقامة الإمارة الأغلبية، برعاية الشرعية العباسيةفأسس إبراهيم للحكم

[1]- ابن خلدون: **العبر**،276/3.

الأغلبي، الذي استفاد منه أبناؤه من بعده، إذ ترك إمارة متكاملة وسلطة مبسوطة[1]، على بلاد المغرب الأدنى.

**ثانياً: ظهور التشيع في المشرق وانتقاله إلى المغرب:**

**1- ظهور التشيع في المشرق:**

بدأ التشيع فكرة بسيطة واضحة محدودة المبادئ، فكان كل "من وافق الشيعة في أن علياً ﷺأفضل الناس بعد رسول الله ﷺوأحقهم بالإمامة، وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف عليه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً"[2] وتطورت آراء وتعاليم الشيعة في العصرين الأموي والعباسي، نتيجة اتساع رقعة الدولة الإسلامية، وحدوث عملية التأثر والتأثير بين شعوب الأمة الواحدة، وتفرقت الشيعة نفسها إلى عدة فرق، أشهرها السبئية[3] والإمامية والكيسانية[4] والزيدية، وقد اختلفت هذه الفرق في التفاصيل ولكنها اتفقت في أن علياً أحق المسلمين بالإمامة، والقيام بالأمر في أمته[5].

ولما قصد علي ﷺ طلحة والزبير، اللذان طالبا بالثأر لعثمان ﷺ، لقتالهما حتى يعودا لأمر الله تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول شيعتي وسماهم عليه السلام[6]، وإذا تتبعنا أصل هذه الطائفة التي كان يطلق عليها منذ الصدر الأول للإسلام اسم الشيعة، نجد الكثير يخلط بين طائفتين، فيجعل العلويين شيعة والشيعة علويين والصحيح أن الشيعة أنصارا وأتباعا للعلويين، ويعتقد الشيعة أنهم

---

[1])- محمد الطالبي: **الدولة الأغلبية**، مر. حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1415هـ/1995م، ص- ص. 5-6.

[2])- ابن حزم: **الفصل في الملل والنحل**، المصدر السابق، 1/ 113.

[3])- السبئية: أصحاب عبد الله بن سبأ، يزعمون أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، والسبئية يقولون بالرجعة، وأن الأموات يرجعون إلى الدنيا، ينظر: أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، 86/1.

[4])- الكيسانية: نسبة إلى المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن على ودعا إلى محمد بن الحنفية، كان يقال له كيسان ويقال أنه مولى علي بن أبي طالب ﷺ، وهم إحدى عشر فرقة، ينظر، الأشعري، نفسه، ص91.

[5])- علي حسني الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، العراق، 1972م، ص-ص8-9.

[6])- ابن النديم: **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، دس، ص249.

وحدهم أهل للخلافة، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وكذا الخلفاء من بني أمية وبني العباس قد انتزعوا حق الإمامة المقدس من علي، وذهب بهم الاعتقاد إلى القول بأن الخلافة اغتصبت من بيت النبي.[1]

فكان من أهم الفرق الشيعية التي ظهرت في المشرق، الإمامية والزيدية والإسماعيلية، أما الإمامية فقد سموا أيضاً بالاثنى عشرية، وقالوا باثنى عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامراء.

**أ- الشيعة الزيدية:**

معلوم أن الشيعة الزيدية فرقة علوية، وأن المذهب الشيعي نشأ من خلال جدلٍ وصراع سياسي- اجتماعي في صدر الإسلام حول موضوع الإمامة، ومعلوم أيضاً أن وصول الأمويين للخلافة مغالبةً أدى إلى تصدُّر الشيعة قوى المعارضة، ومن خلال تلك المعارضة ولد المذهب الزيدي في ظروفٍ عصيبة بعد استشهاد الحسين وفشل الشيعة الكيسانية، ولجوء العلويين عموماً إما إلى المهادنة الحذرة أو العمل السياسي السري بالاشتراك مع العباسيين[2].

اتسم الفكر السياسي الزيدي بالاعتدال، بما يتناسب مع معطيات الواقع العملي، بحيث يصبح قادراً على جذب المزيد من الأتباع والأنصار، وتوجيههم للكفاح المسلح تحقيقاً لأغراضٍ سياسية، لذلك نجدهم قد استفادوا من الفكر السياسي لبعض المذاهب الأخرى، وركّزوا على الدعوة لأنها شرط من شروط الإمامة، فكسب الأنصار وتجنيد الجيوش ومباشرة الحرب، يجب أن تسبقه مرحلة إعداد ودعوة[3].

وبعد أن نال العباسيون الخلافة، لم يعدل العلويون عن المطالبة بدعواهم، وثار زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، على هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي في سنة 122هـ/740م، وكان زيد يفضّل علي بن أبي طالب على سائر أصحاب رسول الله ﷺويتولىأبا بكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور، فلما ظهر في الكوفة في أصحابه الذين بايعوه، سمع من بعضهم الطعن على أبي بكر وعمر، فأنكر ذلك على من سمعه منه، فتفرّق عليه الذين بايعوه فقال لهم: "رفضتموني" وبقي معه عدد قليل، فقاتل أمير الكوفة فقُتِل ودفن ليلاً[4]، أما الذين اعتزلوه فقد بايعوا

---

[1]- حسن ابراهيم حسن: **الفاطميون في مصر**، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932م، ص21.

[2]- محمود اسماعيل: **فرق الشيعة**، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1995م، ص32.

[3]- نفسه، ص-ص33-34.

[4]- الأشعري: **مقالات**، ص-ص136-137.

جعفر الصادق على إمامتهم، وانضموا إلى الطائفة الإمامية[1] التي تؤمن بأن الإمام يكتسب حقه في الإمامة بطريق الوراثة عن علي، باعتباره خليفة النبي شرعا[2].

ولما كانت سنة 169هـ/785م ، في أيام موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ﷺوكان معه جماعة من أهل بيته، منهم إدريس ويحي وسليمان بنو عبد الله بن الحسن المثنى، فاشتدّ أمر الحسين المذكور بالمدينة وجرى بينه وبين عامل العباسيين قتال، فانهزم العامل وبايع الناس الحسين على كتاب الله وسنة نبيِّه ﷺ، ثم تجهّز الحسين وأصحابه وخرجوا إلى مكة، لكنه التقى بوجوهِ بني العباس قرب مكة واقتتلوا، فانهزم الحسين وأصحابه وقتِل بموضعٍ يقال له فخ على ثلاثة أميال من مكة سنة 169هـ[3].

**ب- الشيعة الإسماعيلية:**

كان لجعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، من الأولاد من الذكور خمسة، منهم عبد الله وإسماعيل، أمهما فاطمة بنت الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام، وكان اسماعيل أحبهما إليه وأبرهما به، وولد لإسماعيل محمد فبلغ مبلغ الرجال لكن إسماعيل توفي في حياة أبيه جعفر بن محمد، وكان قوم من الشيعة يقولون إنه عهد إليه، وأنه هو عهد إلى ابنه وهم على ذلك إلى اليوم يقولون بإمامة ولده واحدا بعد واحد.[4]

افترقت الشيعة الإمامية، بعد وفاة جعفر الصادق سنة 147هـ/765م إلى عدة فرق من بينها الإسماعيلية، الذين سموا لذلك لانتسابهم لإسماعيل بن جعفر الصادق حيث قالوا، بأن الإمام في عهد الرسول ﷺكان عليًا عليه السلاموبعده الحسين عليه السلام إماما مستقرا، لذلك لم تذهب الإمامة في ذرية الحسن

---

[1]- تعتقد الفرقة الإمامية، أن الأيمة الذين لهم صفة الإمامة الحقّة هم مرجعهم في الأحكام الشرعية،والمنصوص عليهم بالإمامة اثنا عشر إماما نصّ عليهم النبي ﷺ ثم ينصّ المتقدم منهم على من بعده، أوّلهم أبو الحسن علي بن أبي طالب (المرتضى) وآخرهم أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي)، وهو الحجة في عصرهم الغائب المنتظر، ينظر: محمد رضا المظفر، **عقائد الإمامية**، مطبعة النعمان، العراق، 1388ه/1968م.

[2]- نفسه، ص44.

[3]- أحمد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح. جعفر الناصري، محمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء 1418هـ/1979م، ص-ص207-208.

[4]- القاضي النعمان: **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**، تح. السيد محمد الحسيني الجلالي، ج3، ط2، مؤسسة النشر الاسلامي، إيران، 1431هـ/2010م، ص ص310،309.

عليه السلام ثم نزلت الإمامة في ذرية الحسين، وانتهت بعده إلى علي بن الحسين ثم محمد ابنه ثم جعفر ابنه ثم اسماعيل ابنه.[1]

قسّم الإسماعيلية الحدود الى نوعين: حدود سياسية وحدود مذهبية أو دينية، وهذا النوع الأخير هو الذي عمل التنظيم الدعوي على تحقيقه من القرن الثاني للهجرة، عندما قسّموا العالم الى اثنتي عشرة جزيرة، كل جزيرة يرأسها حجة وهم القادة المركزيون للمذهب في الأكوار أو الولاياتوتعني في التنظير الدعوي الشخصية التي تلي الإمام مباشرة في دور الستر.[2]

نشأت الحركة الإسماعيلية كحركة اجتماعية فلسفية وسياسية معا، وكان إسماعيل بن جعفر الصادق أوسع نشاطا من إخوته، وأعظمهم تأثيرا في بناء العمل السياسي للشيعة الإسماعيليين فعمل في خفاء تام وأحسن اختيار دعاته، ووضع أسس المذهب الاسماعيلي، وهو أول من أعطى الإمامة العلوية بعدا سياسيا شبيها بالخلافة، وخطّط للوصول إلى الحكم.[3]

يعد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، الذي ولد حوالي (131هـ/748م) في المدينة المنورة أول الأيمة المستورين، بالنسبة للطائفة الاسماعيلية وقد عرف بالإمام المكتوم أو المستور، ثم يأتي بعده الإمام عبد الله الملقب (الوفي) حيث استقر بسلمية[4]، وبعده تسلم الإمامة ولده الإمام أحمد بن عبد الله الملقب (محمد التقي).[5]

### 2- انتقال التشيع إلى بلاد المغرب الإسلامي:

#### أ- الدعوة الزيدية في بلاد المغرب:

انتقلت الدعوة الزيدية إلى المغرب، كحزبٍ سياسي معارض للخلافة العباسية في المشرق، يقول ابن الخطيب: "وكانوا ممن قامت لهم بالمغرب دعوة زاحموا بها أيام العباسيين بالمشرق، وأيام الأمويين

[1]- حيدر محمد عبد الله الكربلائي: **المشرع الإسماعيلي أبو حنيفة القاضي النعمان القيرواني المغربي**، إشراف. ناجي حسن، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة بغداد، بغداد، 1428هـ/2007م، ص ص.64، 65.

[2]- بوبة مجاني وآخرون: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، تنسيق. بوبة مجاني، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2007م، ص79.

[3]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص270.

[4]- سلمية كانت من أعمال حمص، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ص240.

[5]- حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص68.

بالأندلس"[1]، فكان الدعاة يفدون من الشرق إلى إفريقية، للاتصال برؤساء القبائل لبثِّ دعوتهم، فكان أول من وصل من دعاة الزيدية إلى المغرب عيسى بن عبد الله أخو محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، الذي كان يدعا بالنفس الزكية، أنفذه أخوه إلى إفريقية فأجابه بها خلقٌ كثير من قبائل البربر[2]، لكنه عاد إلى المشرق ربما خوفاً من عيون العباسيين أو للمشاركة في الثورة عليهم، وبعث النفس الزكية أخاه سليمان إلى بلاد المغرب يدعو إليه، فنزل بتلمسان بعد رحلة طويلة عبر مصر وبلاد النوبة والسودان وبلاد الزاب، وظلّ بها يدعو للحسين بن علي بعد مقتل محمد النفس الزكية، ويبدو أنه أحرز نجاحاً ملحوظاً، ثم عاد إلى المشرق[3].

وعندما دخل الحسين بن علي بن الحسن المثلث، في حربه ضد العباسيين سنة 169هـ/785م في موقعة فخ تلقى هزيمةً نكراء، فقد قُتِلَ الحسين وجماعة من أصحابه يبلغ عددهم نحو مئة في هذه المعركة، التي أفلت فيها إدريس بن عبد الله من القتل، وتوجه نحو مصر.

وصل إدريس بن عبد الله إلى مصر مستتراً، برفقةِ مولى له اسمه راشد، تقول الرواية إنه أخو إدريس في الرضاعة، وإنه بربري سبي في غزوة موسى ابن نصير، وإنه كان شجاعاً عاقلاً وفياً لمولاه وكان للعلويين في مصر أنصار، على رأسهم صاحب بريدها واضح، مولى صالح بن أبي جعفر المنصور وكان شيعياً، فبادر إدريس بالاتصال به وما أن عرف بوجوده، حتى أسرع إلى لقائه في مخبئه وهنالك عمل على إخراجه من مصر، بالسرعة الممكنة خشيةً عليه من عيون بني العباس، والوالي سليمان بن علي، فقرّر أن ينقله مع قافلة البريد إلى خارج حدود مصر، لأن القافلة معفيةٌ من التفتيش ومن التدقيق بهوية موظفيها، لأنهم من الأشخاص المخلصين للخليفة[4]، فسار واضح واشترى راحلتين لإدريس ومولاه، واشترى لنفسه أخرى ووضع زاداً يبلغهما إلى إفريقية، ولما أصبحا في مأمنٍ من التفتيش، انفصل مع راشد عن قافلة البريد بعد أن ودعا واضحاً وشكراه، وسار الاثنان حتى دخلا القيروان[5]، فأقاما بها مدةً ثم خرجا إلى المغرب الأقصى.

---

[1]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص188.

[2]- ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م، ص15.

[3]- محمود إسماعيل: **الأدارسة في المغرب الأقصى**، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1409هـ/1989م، ص50.

[4]- سعدون عباس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب**، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/1987م، ص-ص63-64.

[5]- سعدون نصر الله، نفسه، ص64.

عمد راشد إلى إدريس حين خرجا من القيروان، فألبسه مدرعة صوف خشنة وعمامة كذلك وجعله كالخادم له يأمره وينهاه، ثم وصلا إلى مدينة تلمسان فأراحا بها أياماً ثم ارتحلا نحو بلاد طنجة فسارا حتى عبرا وادي ملوية ودخلا بلاد السوس الأدنى، وتقدما إلى مدينة طنجة فأقاما بها أياماً فلما لم يجد إدريس بها مراده، خرج مع مولاه راشد حتى انتهيا إلى مدينة وليلي[1] قاعدة جبل زرهون[2] في غرة ربيع الأول 172هـ/788م، وهي مدينة متوسطة كثيرة المياه والزيتون، محاطة بسور عظيم وحلاّ ضيفين على أميرها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي[3].

وجد إدريس في أوليلي حرارة الاستقبال، والتأييد المادي والمعنوي لدى قبيلة أوربة[4]، وعلى رأسها أميرها الذي كان يعتنق مذهب المعتزلة، فلماّ عرّفه إدريس بنفسه أنزله معه في داره، وتولى خدمته والقيام بشؤونه بنفسه عدة أشهر، حتى حلّ شهر رمضان من السنة، فجمع إخوته وزعماء قبيلة أوربة فعرّفهم بنسب إدريس وبفضله وبقرابته من النبي ﷺوبشرفه وعلمه ودينه وكمال خلاله فرحبوا به وأعربوا عن تقديرهم له[5].

### ب- الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب:

يعد عهد أحمد بن عبد الله (محمد التقي)، من أبرز فترات الأئمة المستورين، فقد ازدهرت الدعوة في عهده حيث أرسل دعاة نشطين عرفوا بمقدرتهم العلمية، منهم أبو القاسم بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي[6]، رئيس الدعاة باليمن[7]،وأصبحت سلمية المركز الرئيسي للدعوة الإسماعيلية،

---

[1])- مدينة بالمغرب قرب طنجة، ينظر، معجم البلدان، (384/5).

[2])- أحمد الناصري: **الاستقصا**، 210/1.

[3])- سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص-ص67-68.

[4])- كانت من البطون التي فيها الكثرة والغلب من البربر في عهد الفتوحات الإسلامية، وهي من البرانس حتى كان لها التقدم لعهد الفتح لما كانوا عليه من كثرة العدد والبأس والقوة، وهم من ولد أورب بن برنس، وهم بطون كثيرة فمنهم بجاية ونفاسة ونعجة وزهكوجة ومزياتة ورغيوتة وديقوسة، ينظر، ابن خلدون: **العبر**، 6/ 192.

[5])- إسماعيل العربي: **دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص-ص63-64.

[6])- كان من أهل الكوفة من أهل بيت علم وتشيع، وكان قد قرأ القرآن وقوّمه وطلب الحديث والفقه وكان ممن يذهب مذهب الإمامية، ينظر: القاضي النعمان، **افتتاح الدعوة**، تح. فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م،ص ص 3،4.

[7])- حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص68.

منذ أن اتخذها الأيمة دارا للهجرة، فكان يخرج منها الدعاة لنشر دعوتهم في البلاد الإسلامية،[1]وجاء بعد أحمد بن عبد الله(محمد التقي)، ابنه الحسين بن أحمد الذي تلقب بعبد الله الرضي (ت 289هـ/901م)، وأرسل أبا عبد الله التقي[2] إلى مكة ليلتقي هناك برجال كتامة[3] ويمهد لنشر الدعوة الإسماعيلية في أرض المغرب.[4]

كان من أثر ما حل بالعلويين من حبس وقتل، أن عمدوا إلى نشر دعوتهم في طي الخفاء على أن فكرة سرية الدعوة عندهم كانت فكرة قديمة، استحدثها النبي ﷺ، فقد دعا إلى الإسلام سراً في دار ابن الأرقم ومن بعدها اختفى في الغار، حين هدد حياته أعداؤه من قريش، وقد اتخذت هذه النظرية التي ابتدعها ابن سبأ شكلا جديدا في سنة 260هـ/874م، وهي السنة التي مات فيها الحسن العسكري الإمام الحادي عشر.[5]

وبدأت الدعوة الإسماعيلية في المغرب بأول أدوارها، والمتمثل في دور الستر الذي تميز بالغموض التام، بحيث لم يستطع القاضي النعمان نفسه وهو من كبار مفكري هذا الاتجاه أن يتطرق في مؤلفاته إلى هذه المرحلة من الدعوة،[6] رغم ذلك يمكن أن نستخلص من الروايات الشيعية، أن دور الستر بدأ بقدوم رجلين هما أبو سفيان والحلواني.

وقيل إن هذين الرجلين، قدما في سنة خمسة وأربعين ومائة من المشرق، بعثهما أبا عبد الله جعفر بن محمد، وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأيمة وينشروا فضلهم وأمرهما أن يتجاوزا إفريقية إلى حدود البربر، ثم يفترقا فينزل كل واحد منهما ناحية[7]. فكان الحلواني يقول: بعثت أنا وأبو سفيان – فقيل لنا، اذهبا إلى المغرب فإنكم تأتيان أرضا بورا فاحرثاها، وكرّباها وذلّلاها إلى أن يأتيها صاحب البذر، فيجدها

[1]- محمد جمال الدين سرور: **تاريخ الدولة الفاطمية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م، ص21.

[2]- هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زاكي الكوفي، من خيار المؤمنين وأفضلهم من الدين في نهايته ومن الورع في غايته لطيفاعاقلا عالما بالتأويل، يحسن منه ما يقول، ينظر: القاضي النعمان، **شرح الأخبار**، 3/ 413،415، ويسميه البعض أبو عبد الله الداعي، والبعض الآخر أبو عبد الله الشيعي.

[3]- عند نسابة البربر هم من ولد كتام بن برنس، ويقال كتم ونسابة العرب يقولون إنهم من حمير، ينظر: ابن خلدون، **العبر**، 6/ 195.

[4]- حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص، ص 68،69.

[5]- حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر، المرجع السابق، ص47.

[6]- حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص67.

[7]- القاضي النعمان:**افتتاح الدعوة**، ص ص27،26.

مذلّلة فيبذر حبه فيها[1]، اجتازت الدعوة الإسماعيلية مرحلة الحرث، التي كُلِّفَ بها كل من أبي سفيان والحلواني إلى مرحلة البذر وهي مرحلة أبي عبد الله الداعي، والتي كلّف فيها باتخاذ دار للهجرة فالمصادر تحدثنا عن فج الأخيار والقرية إيكجان والقبيلة التي نزل عندها بني سكتان من جيملة[2]، فبالنسبة للموقع تسميته بالفج تؤكد أن الموقع جبلي، لأن الفج يعني الفجوة المتسعة بين الجبلين وهو ما يبيِّن حصانة الموقع الذي اختاره أبو عبد الله الداعي.[3]

نجح أبو عبد الله الشيعي في دعوته، وكبرت صورته في نفوس العامة وقد ظهر بصورة الوَرِع المتقشف العالم الزاهد في الدنيا والمعرض عن الطيبات[4]،واستطاع بثورته القضاء على حكم الأغالبة أتباع العباسيين في إفريقية وإعلان إمامة المهدي عام 297هـ/910م[5]، الذي توجّه من المشرق إلى المغرب بعدما مهّد له أبو عبد الله السبيل.

ثالثاً: **الإمامة والوصيّة عند الشيعة:**

## 1- الإمامة

### أ- الإمامة عند فرقة الزيدية:

حصر الزيدية الإمامة في علي ﷺ وأولاده من نسل فاطمة رضي الله عنها، وهي عندهم واجبة على المسلمين في كل عصر، لحفظ بيضة الإسلام ودفع التظالم، وانصاف المظلومين وإقامة الحدود، لذلك لا يخلو الزمان ممن يصلح لها، لأخبار صحيحة نحو قوله ﷺ: (أهلبيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع نجم ) وإنما خلا بعض الأزمنة من الأيمة، لقهر الظلمة من يعين صاحبها، أو أن غالبية الرعية خذلت الإمام[6].

يقول الحسين بن بدر الدين: "فاعلم أنا نعتقد أنه (علي ﷺ ) الإمام بعد الرسول ﷺوآله بلا فصل، وأن طريق إمامته هي النص وهذا هو قول جميع الزيدية، والذي يدل على صحة ما ذهبنا إليه الكتاب والسنة والإجماع"، ويقول: "أمّا الكتاب فقول الله سبحانه﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ

---

[1]- القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص29.

[2]- جيملة فرع من قبيلة كتامة، ينظر: ابن خلدون:**العبر**، 6 /196.

[3]- بوبة مجاني، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، ص، ص154، 155.

[4]- بولة مجاني، نفسه، ص132.

[5]- محمود اسماعيل: **فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني**، ط1، سينا للنشر، مصر، 1995م، ص51.

[6]- القاسم بن محمد بن علي: **الأساس لعقائد الأكياس**، ط2، مكتبة أهل البيت، اليمن، 1436هـ، ص-ص131-132.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة: 55]، والكلام في هذه الآية يقع في موضعين، أحدهما أنها نازلة في أمير المؤمنين علي عليه السلام، والثاني أن ذلك يفيد معنى الإمامة"[1].

ويشرح ابن بدر الدين[2]، كيف يفيد ذلك في معنى الإمامة بقوله: "فالذييدل على ذلك أن السابق إلى الأَفهام من معنى لفظة وليٌّ هو المالك للتصرف، كما يقال: هذا ولي المرأة، وولي اليتيم الذي يملك التصرف عليهما فلما كان الله تعالى مالكاً للتصرف في عباده وكذلك الرسول، وجب مثل ذلك لأمير المؤمنين"[3].

ويَرَوْنَ أن الإمامة لا تكون إلا في علي رضي الله عنه وولديه الحسن والحسين رضي الله عنهم ، لقولهم: "والإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بلا فصلٍ علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمالحسن ثم الحسين رضي الله عنهما "[4] ويستدلون بقول النبي صلى الله عليه وسلم:(ألست أولى بكم من أنفسكم؟)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال (فمن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نَّصرهواخذل من خذله)[5]، ووجه الاستدلال عندهم بهذا الخبر الخبر على إمامته عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم جعله مولى للكَّافة كنفسه والمولى هو المالك للتَّصَرُّفِ، كما يقال: هذا مولى الدار، يراد به الذي يملك التصرف فيها، فإذا ثبت أن عليّا عليه السلام مالك التصرُّف على الأمة كان إماماً، لأن الإمام هو الذي يملك التصرُّفَ على الناس بحكم الله تعالى، فَثَبَتَ بذلك إِمَامَتُهُ عليه السلام، وأنه أحقُّ بالأمر مِمَّن تقدَّم عليه من الصحابة[6].

---

[1])- الحسين بن بدر الدين: **ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة**، تح. المرتضى بن زيد الحسني، ط2، مكتبة بدر، اليمن، 1422هـ/2001م، ص325.

[2])- الأمير الحسين بن بدر الدين، كبير الشأن من نجوم آل الرسول وعيون أسباط الوصي والبتول، ولد سنة 582هـ وتوفي سنة 663هـ، له مؤلفات كثيرة من بينها: شفاء الأوام في أحاديث الأحكام، كتاب التقرير شرح التحرير أربعة مجلدات وغيرها، ينظر، ابن بدر الدين: **ينابيع النصيحة**، المقدمة.

[3])- ابن بدر الدين، نفسه، ص330.

[4])- نفسه، ص136

[5])- حديث صحيح رواه ابن ماجه في سننه، ينظر: المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 116، ص43.

[6])- أحمد بن الحسن الرّصاص: **مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم**، تح. المرتضى بن زيد الحسني، ط2، مكتبة بدر، اليمن، 1424هـ/2003م، ص-ص74-75.

وبعد علي ﷺ يُثْبِتُونَ إمامة ولديه الحسن والحسين رضي الله عنهما، بالكتاب والسنة والإجماع أما الكتاب فقول الله سبحانه في إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة: 124]، ولا خلاف بين علماء الإسلام في إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام، وفي قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وهما سلام الله عليهما ممّن آمن أهلهما واتّبعاهم بإيمان وقَفِيَاهُمْ بإحسان فَلَحِقَا بهم، وقد استحقا أبواهما محمد ﷺ وعلي عليه السلام الإمامة، وقد تشارك الحسن والحسين في شروط استحقاق أبويهما الإمامة، فوجب أن يلحقا بهما في استحقاقها والقيام بها[1].

وأما السنة، فقول النبي ﷺ: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما)، يقول ابن بدر الدين: "ولاشبهة في كون هذا الخبر مما تلقته الأمة بالقبول، وبلغ حدَّ التواتر فصحّ الاحتجاج به وهو نص صريح في إمامتهما، وإشارة قوية إلى إمامة أبيهما أمير المؤمنين عليه السلام، إذ لا يكون أحدٌ من الرعية خيراً من الإمام بالإجماع، فإذن لا يكون خيراً من الإمام إلا الإمام"[2]، وبذلك أجمعت الزيدية على إمامة الحسن بعد أبيه علي كرّم الله وجهه، وإمامة الحسين بعد أخيه الحسن، والإمامة بعد الحسين في سائر ذريّتهما.

فإن قام ودعا كلّ واحدٍ منهما إلى الإمامة، مع تكامل شروط الإمامة فيه، وبايعه أهل الحل والعقد وكل من كانت هذه حاله فهو إمام[3]، فثبت أن الأمة قد أجمعت على جوازها فيهم واختلفت فيمن سواهم، لأن أولاد الحسن والحسين من خيار قريش ومن خيار الناس، ودليلهم في ذلك هو إجماع الأمة في أفضلية الإمامين الحسن والحسين، وإجماع الأمة حجّة واجبة الاتِّباع عندهم، لقول النبي ﷺ (لن تجتمع أمتي على ضلالة)[4]، وإذا لم تجتمع على ضلالة كان ما أجمعت عليه هو الحق، وقد أجمعت على جواز الإمامة في أولاد الحسن والحسين عليهما السلام[5]، كما أنهم يرون أنه "لا نصّ إلا فيمن عدا الثلاثة الثلاثة عليهم السلام، أما الذرية فطريق الإمامة القيام والدعوة"[6]، وتُرِكَ باب الشورى مفتوحاً أمام الرعية

---

[1]- ابن بدر الدين: **ينابيع النصيحة**، ص-ص406-407.

[2]- نفسه، ص407.

[3]- نفسه، ص408.

[4]- حديث صحيح، ينظر: سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، رقم الحديث. 3950، ص1303.

[5]- الرّصاص: **مصباح العلوم**، ص-ص91-92.

[6]- القاسم بن محمد: **الأساس**، ص149.

لكنهم (الزيدية) قيّدوا الإمامة بشروط صارمة: هي أن يكون مكلّفاً، ذكراً، فاطمياً أي من نسل فاطمة بنت محمد ﷺ، سليم الحواس والأطراف، مجتهداً في العلوم الدينية، عدلاً، سخيًّا، يضع الحقوق في مواضعها، مدّبّراً بحيث يكون أكثر رأيه الإصابة، مقداماً في القتال لم يَتَقَدَّمْهُ إمامٌ قد أجيبت دعوته، فالزيدية أوجبوا على من استوفى هذه الشروط أن يدعو لنفسه، وأوجبوا على الأمة إجابة دعوته ومبايعته، فإن زاغ وظلم وجب الخروج عليه ومقارعته بالسلاح، لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، وبهذا نصّ القرآن الكريم:﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٌ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ﴾[آل عمران: 104]، ولا خير في أمة إن لم تقم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

**ب– الإمامة عند الفرقة الإسماعيلية:**

إن الأسس التي انطلقت منها الشيعة الإسماعيلية، لصياغة نظريتها في الإمامة، جعلتها ركناً من أركان الدين، ووجوبها مقرون بباقي الأركان، وهدف الإمامة عندهم، هو الحفاظ على الشريعة والعمل على استمرار تطبيقها وحفظها من الزيادة والنقصان، بعد موت صاحب الرسالة[2].

والإمامة عندهم منصب مقدس، والإمام يجب أن يتصف ببعض الصفات الفذّة من قبيل العصمة والعلم الكامل، ولا يمكن التعرف على مثل هذا الشخص وتنصيبه إلا من خلال الوحي[3]، فإن الناس أحوج ما كانوا إلى الأوصياء والأيمة، لارتفاع الوحي وانقطاع النبوة وأن الله ختمها بمحمد ﷺ، وردّ أمر الأمة إلى الأيمة من أهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وتفويض أمر الخلق إلى الأيمة إلى يوم القيامة فهكذا يقولون أن النبوة والإمامة بالتوقيف والبيان.[4]

ولا تصح الإمامة إلا باختيار الله ونص الرسول ﷺ، فالله تعالى عالم بالسرائر ويختار الأفضل للإمامة إذ البشر عاجزون،[5]لذلك اعْتُبِرَتْ الدعامة الأولى في بنية العقيدة الإسماعيلية، وهي تأتي في الدرجة الثانية بعد النبوّة غير أن النبوّة والأنبياء وإن كانوا أعلى درجة من الأيمة، إلا أن الطاعة

---

[1]– الرّصاص: **مصباح العلوم**، ص70.

[2]– بوبة مجاني: **النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي** 296-362هـ/909-362م، ط1، دار بهاء الدين، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص128.

[3]– محمد حسن قدردان قراملكي: **أجوبة الشبهات الكلامية(الإمامة)**، ج4، ط1، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 1437هـ/2016م، ص17.

[4]– القاضي النعمان : **دعائم الاسلام**، تح. آصف بن علي أصغر فيضي، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1383هـ/1963م، ص43.

[5]– أحمد بن عبد الله كرماني : **المصابيح في إثبات الإمامة**، مركز القائمية بأصفهان، ايران، 1384هـ/2007م، ص65.

واحدةموصولة قد قرنها الله تعالى بطاعته، وهو أعلى وأجلّ من جميع خلقه، فلم يقبل من مطيع طاعته إلا بطاعة من افترض طاعته من أوليائه، وأصبحت الإمامة عندهم محوراً أساسياً تدر عليه كل عقائد الإسماعيلية، فهي ركن من أركان الدين، بل هي الإيمان بعينه، وعن ذلك يقول بعض دعاتهم: "إنالإمامة أحد أركان الدين كالدائرة التي تدور عليها الفرائض لا تصلح إلا بوجودها"[1]، وهذا ما ميّز الإسماعيلية عن الفرق الإسلامية الأخرى.

وإن الامامة كما قال الصادق جعفر بن محمد( في العقب تجري في واحد عن واحد ولا ترجع القهقرى ولا تعود إلى الوراء )،[2]وهي مصدر أساسي من مصادر التشريع، فالمصادر عندهم ثلاثة الكتاب والسنة والإمام الذي عنده علم مستمد من الله، يستطيع بفضله أن يصل كل معضلة تشريعية وأن يجيب على كل سؤال.[3]

ويعتقدون أن الإمامة في آل بيت الرسول ﷺ، من نسل فاطمة فرض من الله سبحانه أكمل به الدين، فلا يتم الدين إلا به ولا يصلح الإيمان بالله وبالرسول إلا بالإيمان بالإمام والحجة، ويدل على فرض إجماع الأمة على أن الدين والشريعة لا يقومان ولا يُصاناني إلا بالإمام، وهذا حق لأنه سبحانه لا يترك الخلق سدا.[4]

كما تعتبر النبوة أصلا للإمامة، والإمامة فرع عن النبوة وهي الخلافة عن الرسول والقيام مقامه وهذا أولى أن لا يصح إلا باختيار الله تعالى واختيار رسوله، والنص عليه إذ الإمامة عندهم لا تصح إلا بالنص والتوقيف.[5]

ففي رأي الشيعة الإسماعيلية، أن الإمامة بعد النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو بالإمامة أحق،[6] ويعتقدون أن وجود الإمام أمر ضروري، فلا صلاة ولا صيام إلا بإمام كما أن الزكاة

---

[1])- حوراء حسون شاكر الجزاعي : **الاسماعيلية بين الدعوة والدولة حتى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي**، إشراف. طالب جاسم العنزي، جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الكوفة، العراق، 1432هـ/2011م، ص151

[2])- إدريس عماد الدين : **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تح. محمد اليعلاوي ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م، ص249.

[3])- حوراء حسون شاكر الخزاعي، المرجع السابق، ص153.

[4])-نفسه، ص154.

[5])- أحمد عبد الله كرماني:**المصابيح**، ص64.

[6])- نفسه، ص68.

الزكاة لا تعطى إلا له، ومن رأيهم أنه لن تخلو الأرض قط عن إمام قائم إما ظاهر مكشوف، وإما باطن مستور، فإذا كان الإمام ظاهراً أجاز أن يكون حجته مستورا وإذا كان الإمام مستورا فلا بد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين[1]، ويَرَوْنَ أن هذا الحق المقدس في الإمامة، باق في سلالة علي ﷺ حتى يوم القيامة وهو منصوص عليه ليس فقط في وصاية محمد ﷺ التاريخية لعلي، وإنما أيضا في القرآن والحديث وحتى بحكم المنطق السليم حقاً.[2]

ويوجبون الإمامة في المقام الأول على الله، فلإمام لطف يجب نصبه على الله تعالى تحصيلا للغرض والمفاسد،[3]ولما كان الرسول ﷺ، قد اورد عن الله حكمة بالغة كان لازما له أداؤها إلى من كان رسول إليهم من نوع البشرية،وجب أن ينصب من يقوم مقامه في أداء الأمانة والنص على غيره إذا حان انتقاله، ومن ينصب لذلك هو الإمام إذا الإمامة واجبة.[4] كما وجب حفظ الكتاب الكريم والشريعة المشروعة، والسنن المفروضة والرسوم الدينية، من أي زيادة ونقصان، والموكل هو الإمام من جهة الله تعالى، أيضا لزم وجود من يهدي ويعلم بين الأمة، فالهادي والمعلم هو الإمام، والحاكم بين الناس بالعدل، والمستغفر للأمة، والداعي للجهاد، والقابض للزكاة، والمفتي، وصاحب الولاية هو الإمام، إذا الإمامة واجبة.[5]

**الإمامة إرث عند الإسماعيلية:**

الإمامة الفاطمية وريثة النبوة، وهو ما أسبغ عليها صفة القدسية، فالإمامة هي ظل الله في الأرض وهي صورة لفكرة قديمة مؤداها، أن الدولة والدين توأمان، فكان من الطبيعي أن تتجمع كل السلطة في يد الإمام، وأن تأخذ مظهر الحق الإلهي المقدس[6]، ووجب على من يتولى هذه المهمة أن يكون عالماً بمعاني النصوص قادراً على تأويلها، وفهمها فهماً سليماً[7].

لذلك اتبع الفاطميون في انتقال الإمامة من إمام إلى آخر مبدأ الوراثة، ومرّد ذلك هو اعتقادهم بأن الله تعالى اصطفى الخليفة بعلم التأويل، وأن هذه الصفة تنتقل منه إلى ولده بطريق الميلاد الطبيعي،

[1]- حوراء حسون شاكر الخزاعي، المرجع السابق، ص153.
[2]- عبد المنعم ماجد: **نظم الفاطميين ورسومهم في مصر**، ج1، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م، ص54.
[3]- نصير الدين الطوسي : **تجريد العقائد**، تح. عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م ص135.
[4]- عبد الله كرماني:**المصابيح**، ص51.
[5]- نفسه، ص ص51-59.
[6]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص72.
[7]- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب في العصر الفاطمي، المرجع السابق، ص128.

فكان الخليفة إذا ما شعر بدنو أجله سمى ولي عهده، على أن تؤخذ له البيعة من جديد بعد وفاة الخليفة، وقد يضطر الخليفة الجديد إلى عدم إعلان وفاة الخليفة السابق مخافة القضاء على خلافته[1].

تتميز الإمامة الفاطمية عن غيرها، أنها إمامة دينية وراثية تقوم على أساسين، أولهما العلم الموروث عن النبي ﷺ عن طريق علي كرم الله وجهه، ثم أولاده من بعده إلى الفاطميين، والأساس الثاني، هو الوصاية باعتبار أن الإمامة الفاطمية وراثية لوصية علي[2]ﷺ، كما أنها توقيف رسول الله الناس على إمامة علي عليه السلام ونصبه إياه، وكذلك فعل علي بالحسن، والحسن بالحسين، والحسين بعلي بن الحسين وعلي بن الحسين بمحمد بن علي، ومحمد بن علي بجعفر بن محمد، وكذلك من بعدهم من الأيمة إماما إماما[3].

إماما[3].

**مراتب الإمامة ودرجاتها عند الإسماعيلية:**

للإمامة عند الإسماعيلية، مراتب ودرجات لا يجوز تجاهلها والإخلال بها، منها **الإمام المقيم** والذي يقيمه الرسول، ويدرجه في مراتب رسالة النطق وهي أعلى مراتب الإمامة ويعلِّمه، أما **الإمام الأساس** فهو القائم بأعمال الرسالة، ومنه يتسلسل الأيمة المستقرون في الأدوار الزمنية ويرافق الناطق في كافة مراحل حياته، ويكون ساعده الأيمن، وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنية وحاصل على علوم التأويل،[4] وهناك **الإمام المتم** وهو الذي يتم الرسالة في نهاية الدور الذي يقوم به سبعة من الأيمة وكذلك يسمى ناطق الدور.[5]

ويأتي بعد هؤلاء، **الإمام المستقر** وهو الذي يملك صلاحية توريث الإمامة لولده، كما أنه صاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده، والمتسلم شؤون الإمامة بعد الناطق مباشرة، أما **الإمام المستودع**، وهو الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف والأدوار الاستثنائية، وهو الذي يقوم بمهماتها

---

[1])- بوبة مجاني،من قضايا التاريخ الفاطمي، المرجع السابق، ص73.

[2])- حورية مدني: **تطور مفهوم الخلافة بالمغرب الاسلامي منذ تأسيس الخلافة الفاطمية حتى نهاية الدولة المرينية(297–875هـ/909–1470م)**، إشراف. صالح بن قربة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2001–2002م، ص30.

[3])- القاضي النعمان:**دعائم الإسلام**، 1/ 43.

[4])- حوراء حسون شاكر الخزاعي، المرجع السابق، ص152.

[5])- حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص79.

نيابة عن الإمام المستقر، بنفس صلاحياته ولا يستطيع أن يورث الإمامة لأحد أبناءه، كما أنهم يطلقون عليه اسم نائب غيبة.[1]

رفع الله منازل الأيمة، وجعلهم هداة خلقه إليه وأدلاّء عباده عليه، وقرن طاعتهم في كتابه بطاعته وطاعة رسوله، وهم حجج الله على خلقه وخلفاؤه في أرضه، فلا تقبل الأعمال إلا بطاعتهم، ولا يجازى بالطاعة إلا من تولاّهم وصَدَقَهُمْ، دون من عاداهم وعصاهم ونصب لهم[2]، وبين النبوة والولاية توجد فكرة الوصاية، وهي جزء لا يتجزأ من منطلقات العقيدة على المذهب الشيعي، إذ الرعاية الربانية بالعباد كما أرسلت الرسل توجب الوصاية بمن يُكْمِلُ مشوار الرسل.

**2- الوصيّة عند الشيعة:**

يستند الزيدية والإسماعيلية من الشيعة، بمسألة الوصاية في تمسكهم بحقهم في الإمامة والتي تعنيالتقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ[3]"تولية علي" جد كل إمام شيعي، مشتقة من فعل **'أوصى'**، لتدل على معنى: ولّى وهي مثل القرآن موحى بها من الله، حتى تكون الإمامة إرثاً في بيت علي إلى يوم الدين[4]، وكانت الوصاية قد جرت من النبي ﷺ إلى أمير المؤمنين علي، ومنه إلى ولي بعد ولي بما ظهرت به النصوص وعُرِّفَ، وإن جحده كثير من العموم والخصوص[5].

كما لا يختلف الإسماعيليون عن إيمان المسلمين بنبوة محمد ﷺ، لكنهم يؤمنون أيضا بوصاية علي بن أبي طالب، ومن بعده إمامة ابنه الحسن، فالحسين، فزين العابدين، فمحمد الباقر، فجعفر الصادق، فإسماعيل، فمحمد بن إسماعيل، فأئمة الستر أي: عبد الله بن محمد، أحمد بن عبد الله، الحسين بن أحمد، فأيمة الظهور وأولهم عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب[6]، أما الزيديون فيؤمنون بوصاية علي، ومن بعده إمامة ابنه الحسن، فالحسين ومن بعدهما ذريتهما، ودليلهم في ذلك قول الرسول ﷺ(أُوصي من آمن بي وصدّقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاّه فقد تولاّني ومن

[1])- حوراء حسون شاكر الخزاعي، المرجع السابق، ص152.

[2])- القاضي النعمان:**دعائم الإسلام**، 1/ 45، 46.

[3])- الراغب الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، تح. محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 2008م، ص525.

[4])- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص51.

[5])- عماد الدين إدريس بن الحسن الأنف : **عيون الأخبار وفنون الآثار**، تح. أحمد شليلات، السبع الأول، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، 2003، ص11.

[6])- بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي ، ص67.

تولاّني فقدتولاّ الله ﷻ،ومن أحبَّه فقد أحبَّني، ومن أحبَّني فقد أحبّ الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض اللهﷻ)[1]

ونص النبي ﷺ على علي بالوصية والخلافة وإمرة المسلمين، فقال: لعلي، أنت أخي ووصي وبإسناد له عن سلمان الفارسي، قال: قلت يا رسول الله، إنه لم يكن نبي إلا وله وصي، فمن وصيك؟ قال: وصي وخليلي وخليفتي في أهلي وخير من أترك بعدي، ومؤدي ديني ومنجز عداتي علي بن أبي طالب.[2] فالوصي وزير الرسول ووارثه، ويتحمل معه أعباء الوحي، وليست مهمته إنشاء تنزيل ولكن بيان معناه الخفي، فهو المكلف بتوضيح ما جاء في التنزيل من علم باطن، ويسلم هذا الأمر إلى ذريته من بعده فيتولون القيام بذلك العمل[3].

ويُسْتَدَّلُ على هذا الأمر عند الإسماعيلية، بقول الإمام جعفر الصادق عليه السلام"لا ترون أن الوصي منا يوصي من يريد؟ ولكنه عهد من الله ورسوله لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه"، وإنها في أولاد الحسين بن علي عليهما السلام، وأنها ثابتة في الأعقاب وأعقاب الأعقاب وأنها لا تعود في أخ إلى أخيه ولا عم وغيره من القرابات[4].

ويقول القاضي النعمان: قال علي عليه السلام: "أوصاني رسول الله ﷺ عند وفاته وأنا مسنده إلى صدري، فقال لي: يا علي أوصيك بالعرب خيرا- يقولها ثلاث مرات – ثم سالت نفسه في يدي"، أقول وإيصاؤه إياه بالعرب قاطبة مما يبين استخلافه إياه على الأمة، لأن ذلك لا يوصى به إلا من يملك أمرها من بعده.[5]

والوصيّة مثل القرآن موحى بها من الله، وتكون الإمامة إرثا في بيت علي كرم الله وجهه إلى يوم الدين ولهذا جعل الشيعة الإسماعيليون، الإمامة أعلى من النبوة.[6] واعتقدوا بأحقيته في الخلافة وبإمامة أولاده وأحفاده من بعده، لأنها متسلسلة تنتقل عند الفاطميين من الآباء إلى الأبناء، ولا تنتقل من أخ

[1])- ابن بدر الدين: **ينابيع النصيحة**، ص371؛ هذا الحديث ضعّفه الألباني، في السلسلة الضعيفة، المجلد 10، القسم الأول، تحت رقم4882، ص497.

[2])- القاضي النعمان:**شرح الأخبار**، 117/1.

[3])- حوراء حسون، المرجع السابق، ص154.

[4])- حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص84.

[5])-القاضي النعمان، نفسه، 1/ 117.

[6])- حورية مدني، المرجع السابق، ص30.

إلى أخ، باستثناء الحسن والحسين ابني الإمام علي بن أبي طالب، فلأب ينص على ابنه في حياته، وهذا الإيمان أصل من أصول المذهب الفاطمي.[1]

كما تردد الكتب الشيعية رواية أن النبي ﷺ، قال لعلي: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"، فقد كان من عادة الأنبياء أن يختاروا أوصياء من أسرهم، فكان علي وصي الرسول ﷺ لأنه على حد قولهم أحسن الناس بعد الرسول ﷺ، ومن أفضل الأيمة ومن "مادة" النبي، وأنه "الكمال"ذاته[2].

**3- الوَلاية[3]:**

يؤمن الزيدية بفكرة الوَلاية، وقالوا أن النبي ﷺقال عن سبب نزول الآية الكريمة: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾[الصافات: 24]، أنها نزلت في ولاية علي[4]رضي الله عنه،أي أن الناس سيسألون عن موالاة علي رضي الله عنهكما يسألون عن أشياء كثيرة في الدنيا.

إذا كانت الإسماعلية تقر بالنبوة وبالرسالة بأشكال شتى، منها نبوة الرسول ﷺ آخر الأنبياء المرسلين.. فإنها تقر في نفس الآن بفكرة الولاية وختمها، وهي خاصة بعلي بن أبي طالب فهو خاتم الأولياء في نظرهم، وأولهم من حيث الحقيقة ويسبق في ذلك آدم عليه السلام في نبوته فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، في نظر الإسماعيلية كان "وليا" وآدم بين الماء والطين[5]،

**أ- دليل الوَلاية في القرآن والسنة**

**في القرآن الكريم**

في قول الله ﴿عز وجلإِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة: 55]، قالها رسول الله ﷺ لجماعة من الناس جاءته تشتكي بُعْدَ منازلهم عن المسجد، فقالوا رضينا بالله ربا وبرسوله وبالمؤمنين "وليا"، وأذّن بلال لصلاة الظهر فخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد، والناس يصلون بين راكع وساجد وقاعد ومسكين يسأل، فقال له رسول الله ﷺ: هل أعطاك أحد شيئا، فقال: نعم، قال ماذا أعطاك، قال: خاتم فضة، قال: من أعطاكه، قال:

---

[1])-بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي، المرجع السابق، ص67.

[2])- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص52.

[3])- يستعار ذلك للقرب من حيث المكان ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد والوِلاية النصرة، والوَلاية تولي الأمر، ينظر: الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن**، ص533.

[4])- ابن بدر الدين، **ينابيع النصيحة**، ص358.

[5])- بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي، المرجع السابق، ص ص16-17.

ذلك الرجل القائم، وأشار إلى علي عليه السلام قال: أي حالة أعطاكه؟ قال: أعطانيه وهو راكع، فكبر رسول الله ﷺ وعلى آله، وأخبر عليا بما نزل فيه[1]، فعلي بن أبي طالب المعطي للزكاة في حال ركوعه وكان الولي في اللغة هو القيم بأمور من وليه، فَثَبَتَ أنه نصٌ من الله تعالى على علي رضي الله عنه بأنه القيم بأمور الأمة.[2]

وفي قوله تعالى:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: 59]، وليس هناك شك في أن المقصود بأولي الأمر في رأيهم الأيمة العلويون، فقد سأل سائل أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام عن هذه الآية الكريمة فكان جوابه أن قال:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾[النساء:51] فقال يقولون لأيمة الضلال والدعاة إلى النار، هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلا، ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[النساء:52]، ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾[النساء:53]، يعني الإمامة والخلافة[3].

**في السنة النبوية**

قال النبي ﷺ ( فمن كنت مولاه فعلي مولاه)،[4] نص على علي بن أبي طالب بأنه ولي المؤمنين والقائم بأمر دينهم والناهي فيهم، إذ قد أجراه مجرى نفسه فيما كان له من الولاية على المؤمنين،[5] وقال أيضا ﷺ ( من مات لا يعرف إمام دهره حيا مات ميتة جاهلية)[6]،وقول النبي ﷺ( علي مني كهارون من من موسى)[7]، بنفي النبوة بعده فقال: إلا أنه لا نبي بعدي، ولِتَرْكِ القول على جملته حتى كان محمولا على أن خلافته عنه كان في حياته كما كانت خلافة هارون لموسى في حياته[8].

[1])- القاضي النعمان، **شرح الأخيار**، 2/ 348-349.

[2])- عبد الله كرماني، **المصابيح**، ص ص68-69.

[3])- القاضي النعمان:**دعائم الإسلام**، 1/ 20-21.

[4])- حديث صحيح، ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج2، حديث رقم 950، ص262.

[5])- عبد الله الكرماني:**المصابيح**، ص59.

[6])- متفق عليه من حيث المضمون، ينظر: كتاب الإمارة من صحيح مسلم، ج6، الحديث رقم 58.(1851)، ص27.

[7])- الحديث صحيح، ينظر: المسند الصحيح للبخاري، ج5، الحديث رقم 3696، ص45.

[8])- عبد الله الكرماني: **المصابيح**، ص71.

ونقلوا عن رسول الله ﷺقوله:( أوصي من آمن بي وصدقني بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن ولاءه ولائي، أمرٌ أمرني به ربي وعهد عهده إلي وأمرني أن أبلغكموه عنه)[1]، وعن علي قال: قال رسول ﷺ لبني عبد المطلب: يا بني عبد المطلب، أطيعوني تكونوا ملوك الأرض وحكّامها، إن الله لم يبعث نبيا إلا جعل له وصيا ووزيرا ووارثا وأخا ووليا، فأيكم يكون وصيِّ ووارثي وولي وأخي ووزيري؟ فسكتوا فجعل يعرض ذلك عليهم رجلا رجلا، ليس منهم أحد يقبله حتى لم يبق منهم أحد غيري وأنا يومئذ أَحْدَثُهُمْ سنا، فعرض علي فقلت: أنا يا رسول الله فقال: نعم أنت يا علي[2].

وروي عن الشيعة قول الرسول ﷺ: أُمِرْتُ بطاعة الله ربي وأُمِرَ الأيمة من أهل بيتي بطاعة الله وطاعتي، وأمر الناس جميعا دونهم بطاعة الله وطاعتي وطاعة الأيمة من أهل بيتي، فمن تبعهم نجا ومن تركهم هلك، ولا يتركهم إلا مارق.[3]

كما يعتقد الفاطميون، أن الله سبحانه وتعالى لا يترك العالم بدون إمام ظاهر مكشوف أو باطن مستور، تنتقل الإمامة إليه بعد أبيه الإمام من نسل علي بن أبي طالب وأن الإمام هو حجة الله على عباده، وهاديهم إلى الطريق القويم، ويجب على المؤمن أن يتبع هذا الإمام ويعتقد بولايته.

فالولاية هي الأصل الذي يدور عليه موضوع الفرائض، هذا الاعتقاد الجينيالوجي[4] للسلطة التي هي في آن واحد روحية وزمنية، سنده الرئيسي فكرة النسب والأصل، وهو بمثابة وراثة يتوارث فيها الآباء و الأبناء السلطة والإمامة، وتنتقل بينهم بحكم مرجعية الأصل، حتى من منظور اشتقاقي للفظ الفاطميين الذي يعود حسب البعض إلى فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب[5].

---

[1])- حديث ضعيف، ينظر : علي بن أبي بكر الهيثمي، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تح. حسام الدين القدسي، ج9، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ﷺ، مكتبة المقدسي، القاهرة، 2015م، ص109.

[2])- القاضي النعمان:**دعائم الإسلام**، 15/1-16.

[3])- نفسه، ص -ص26-27.

[4])- من المثبت أن مصطلح جينيالوجيا قد ظهر في اللغة الفرنسية في القرن الثالث عشر ميلادي، وهو مشتق من الكلمة اللاتينية Généalogie والمنحدرة من الكلمة الإغريقية Généalogos، وتعني كلمة Généa في اللغة الإغريقية " الأصل" بينما تعني كلمة logos "علم"، أما فعل Généalogéin فيدل على "ذكر الأصول وتعدادها"، وقد أصبحت الكلمة المركبة Généalogie تدل بصفة عامة في غالبية اللغات الأوربية على سلسلة من الأسلاف، تربطهم قرابة نسبية يفترض أنها تنحدر من أصل مشترك واحد، وتشكل تلك السلسلة شجرة النسب لأسرة أو لشخص ما، كما تدل في الوقت ذاته على العلم المتخصص في البحث عن أصول ونسب العائلات، ينظر: مصطفى حسيبة، **المعجم الفلسفي**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م، ص157.

[5])- بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، المرجع السابق، ص ص67-68، وانظر الملحق رقم 07.

قام الشيخ الصدوق[1] بتفسير لفظ المولى، في حديث الغدير بمعنى واجب الطاعة قال: فهو معنى الإمامة، لأن الإمامة إنما هي مشتقة من الائتمام بالإنسان، والائتمام هو الإتباع والاقتداء والعمل بعمله والقول بقوله[2]، لذلك بني الإسلام عند الشيعة الإسماعيلية على سبع دعائم، الوَلاية وهي أفضلها وبها وبالولي يوصل إلى معرفتها والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد،[3] وأصبحت الولاية أصلا في العقيدة الشيعية الفاطمية، فيقولون "لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي ولي الله".[4]

ويَرَوْنَ أيضا أن الولاية ليست جزئية، لأنها يجب أن تشمل جميع الأمة الإسلامية وقد أطلقوا على المكان الذي توجد فيه هذه الأمة، التسمية العامة "بدار الإسلام" وعلى ذلك فلا يجب أن يطاع فيها غير سلطة شرعية واحدة هي سلطة الإمام الفاطمي[5].

**4- ظروف تولية علي بن أبي طالب ﵁**

يعلق الشيعة آمالاً كبرى على ظروف هذه التولية، فقد وُجِدَ محمد ﷺ وعلي﵁في منتصف الطريق بين مكة والمدينة، بالقرب من مكان يعرف باسم "غدير خم" وهنا أوصى النبي ﷺ إلى علي بالإمامة من بعده، ففي أثناء حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة بالقرب من غدير خم قام محمد ﷺ خطيبا في الحجيج، فقال: ( ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟)، قالوا: بلى يا رسول الله، قال:( فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله).[6]

ويرون أن رسول الله قد صدع بأمر الله تعالى في غدير خم ونادى لذلك: الصلاة الجامعة وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب، وكانت الفرائض ينزل منها شيء بعد شيء، وكانت الوَلاية آخر الفرائض فأنزل الله تعالى:﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[ المائدة: 3]، وعن أبي جعفر محمد بن علي ﵇ أن رجلا قال:يا ابن رسول إن الحسن البصري

---

[1]- هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، ويعرف بالصدوق وكانت أمه جارية ديلمية، ولد قريبا من سنة 305هـ بمدينة قم، وكان أبوه علي بن بابويه من أكابر علمائها المرموقين، بلغت مؤلفات الشيخ الصدوق 345 مؤلفا، توفي في الري سنة 381هـ، ينظر: الشيخ الصدوق علي بن بابويه القمي، **الاعتقادات**، تح. مؤسسة الإمام الهادي، ط3، بيام إمام هادي، إيران، 1392هـ، ص ص15، 95.

[2]- محمد قدردان قراملكي، المرجع السابق، ص14.

[3]- القاضي النعمان:**دعائم الإسلام**، 1/ 33.

[4]- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص52.

[5]-نفسه، ص63.

[6]- نفسه، ص52.

حدثنا أن رسول الله ﷺ قال: إن الله أرسلني برسالة فضاق بها صدري وخشيت أن يكذِّبني الناس فتواعدني إن لم أبلغها أن يعذبني، قال أبو جعفر: فهل حدثكم بالرسالة؟ قال: لا.. قال الرجل: يا بن رسول الله جعلني الله فداك وما هي؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أمر المؤمنين بالولاية، وفرض ولاية ولاة الأمر فلم يدروا ما هي، فأمر الله نبيه عليه السلام أن يفسر لهم ما الولاية، مثل ما فسر لهم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما آتاه ذلك من الله ضاق به رسول الله ﷺ[1].

## 5- حق الأدارسة والفاطميين في الإمامة:

أثبت الشيعة أحقيتهم في الإمامة، عن طريق وراثة وصاية النبي ﷺ لعلي كرم الله وجهه فهم من ذرية الحسن والحسين عليهما السلام، فالأدراسة أبناء الحسن والفاطميون أبناء الحسين وجعفر الصادق الأمين، الذي هو من أفضل ذرية علي أمير المؤمنين وانتسابهم إلى فاطمة الزهراء نجلة سيد المرسلين ﷺ ويرون أن من يزعم غير ذلك مفتر آفك،[2] فقد نقل عن أيمة أهل البيت عليهم السلام، الإشارة إلى أمر عبد الله المهدي فمن ذلك: أن موسى الكاظم بن جعفر الصادق سئل عن ظهور القائم متى يكون؟ فقال: إن ظهور القائم مثله كمثل عمود من نور سقط من السماء إلى الأرض رأسه بالمغرب وأسفله بالمشرق.[3]

وكان المهدي بالله الرابع من ولد إسماعيل وسلالته وصفوته، ثبت أن الإمامة لإسماعيل وذريته، إذ الإمامة لإسماعيل وعقبه،[4]حتى قال بعضهم: "وأنت إذا سلمت من العصبية والهوى وتأمَّلت ما قد مرّ ذكره من أقوال الطاعنين في أنساب القوم، علمت ما فيها من التعسف والحمل مع ظهور التلفيق في الأخبار، وتَبَيَّنَ لك منه ما تأبى الطباع السليمة قبوله، ويشهد الحس السليم بكذبه وقد عُلِمَ ان الكذب على الله تعالى والافتراء عليه في دعوى استحقاق الخلافة النبوية على الأمة والإمامة لهم شرعا بكونه من ذرية رسول الله ﷺ وآل بيته من أعظم الجنايات وأكبر الكبائر"[5].

---

[1]- القاضي النعمان: **دعائم الاسلام**، 1/ 14-15.

[2]- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 247/5.

[3]- تقي الدين أحمد المقريزي: **إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تح. جمال الدين شيال، ج1، ط1، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1416هـ/1996م، ص53.

[4]- عبد الله كرماني، **المصابيح**، ص84.

[5]- المقريزي:**اتعاظالحنفا**، ص ص52-53.

وأكد على هذا الحق عبد الله المهدي، في رسالته التي أمر أن تقرأ على منبر القيروان وكل البلدان بعد توليه الحكم في بلاد المغرب، والتي قال فيها:"محمد صلى الله عليه وآله وسلم حامل حكمته ومستودع غيبه، وما يكون من بعده من كيد الكائدين وخيانة الخائنين وظلم الظالمين، إلى أهل بيته الذين سبق لهم وعده فيهم بالنصر والتأييد"[1]،وظلت فكرة المرجعية السند الأكبر للفاطميين، في طلب الوصول إلى السلطة، فهم يجدون مرجعيَّتهم في أصلهم الشيعي، ونسبهم الذي يرجع إلى إسماعيل بن جعفر الصادق،[2] فقد ذكر الإمام المعز لدين الله الفاطمي، في سجله إلى داعيته بالسند حليم بن شيبان فقال: "قال الصادق: الإيمان والعبادة التصديق بأمرنا واعتقاد إمامتنا وانتظار قائمنا والصبر على ذلك حتى يأتي أمر الله"، وقيل أيضا: "فإياك أن تقول أو تعتقد أن الله قد أهمل الخلق، ولا يهملهم طرفة عين من قيام إمام من أعقاب الرسل والأيمة، يقوم بأمر الأمة، فإن قال قائل بخلاف ذلك فقد أشرك وهو ما شاع في دعوتنا وذاع على ألسنة جماعة ممن ينسب إلينا"[3].

يكتسب الإمام الفاطمي حقه في الإمامة، بطريق الوراثة عن علي باعتباره خليفة النبي شرعا وزيادة على هذا يعتبر الإمام وريث النبي عن فاطمة رضي الله عنها[4]، وعبّرت عنها مصادرهم بالقول "فرّد إرث النبوة ومقاليد الإمامة إلى عترة[5] نبيه"[6]، فبهذا يكون الفاطميون بعد توليهم الخلافة، قد أعادوا إليهم ما سلب منهم منذ عقود.

أما الأمر الأول الذي أيّد حق الأدارسة والفاطميين في الإمامة،فهو"**النص**" فهم يقولون أن الرسول ﷺ نصّ على إمامة علي والحسن والحسين، نصا تشهد به الامة كافة بقوله(الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا وأبوهما خير منهما)[7]، ولم يُحْوِجْ الأمة إلى اختيارها في تنصيب الإمام بل نصّ عليها بهذا، لأن بالإمامة كمال الدين،[8]وذكرت مصادر الفاطميين أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام نصّ على

[1])- إدريس عماد الدين: عيون الأخبار، 171/5.

[2])- بوبة مجاني وآخرون، من قضايا التاريخ الفاطمي، ص57.

[3])- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**،249/5.

[4])- حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر، المرجع السابق، ص44.

[5])- العترة: نسل الرجل وعشيرته، ينظر: جبران مسعود، الرائد، ط7، المرجع السابق، ص539.

[6])- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 172/5.

[7])- لا وجود له في كتب الحديث السنية.

[8])- حوراء حسون، المرجع السابق، ص154.

إسماعيل، فلإمامة ثابتة لإسماعيل وولده إذ الإمامة في إسماعيل وذريته، فإذا نصّ عليه جعفر كان ذلك الحكم بأن لإسماعيل ولدا وعقبا[1].

جاء**النص** لإسماعيل وذريته دون إخوته، لأن حسب الإسماعيلية فقد جاء النص في علي دون غيره ومن علي جاء في الحسن، وبعده جاء في الحسين الذي اشار إليه النبي ﷺ بالإمامة، ثم لم يستحق أولاد الحسن النص بعد الحسين، وجاء النص على الولاء في أولاد الحسين إلى جعفر الصادق[2]، فكان جعفر الصادق أولى بالإمامة لقرب الرحم من الحسين.

يعتبر **النص** على ولاية العهد مظهرا مقدسا عند الشيعة، إذ يخضع لإرادة الله التي يجب أن يخضع لها الجميع، فتنصيب الإمام كان عن **نص** من رسول الله ﷺ وآله ووحي من الله، ليسوا كمن ولّت العامة على أنفسها ونصّبته لدينها، بغير وحي ولا نص من رسوله ولا تنزيل من كتابه،[3] فكان خلفاء الفاطميين يعتقدون أن الله أجرى الإمامة، على نظام من الدلالة والتعريف وبيان النص الجلي والتوقيف ارتفع به الالتباس واطّرد معه القياس،[4] ويرون أنهم المصطفون من ذرية الرسول ﷺ، الطاهرون من عترته الذين جرى النص فيهم من واحد إلى واحد وفي مولود عن والد، فالمهدي عبد الله لم ينتقل ولم يفارق هذه الدار حتى أقام أمير المؤمنين القائم بأمر الله، لولاية عهده، نصّ عليه بالخلافة من بعده.[5]

هذه الدلالة الصريحة أو "**النص**" غير واضحة في الروايات الفاطمية، فلسنا ندري إن كان النص عبارة عن أمر مكتوب أو وصية، أو أمر شفوي أو حتى تلميح بسيط من جانب الإمام لخلفه، وقد يكون النص أمراً شفوياً له قيمة الأمر الكتابي، فليست لدينا أي وصية مكتوبة من الأيمة الفاطميون.[6]

فبعض المصادر ذكرت أن عبد الله المهدي، عهد إلى ابنه القائم بأمر الله بعهده وأقامه للخلافة بعده، وكتب بذلك إلى شيعته في جميع الآفاق، وعرّفه أنه القائم بعده باستحقاق وسمّاه ولي عهد المسلمين، وخليفة أمير المؤمنين،[7]وكان هذا النوع من التعيين إستثناءا للقاعدة المعمول بها لاحقا.

---

[1]- عبد الله كرماني، **المصابيح**، ص78.

[2]- نفسه، ص -ص77-78.

[3]- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 245/5.

[4]- المستنصر بالله الفاطمي: **السجلات المستنصرية**، تح. عبد المنعم ماجد، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1954م، ص111. ص111.

[5]- إدريس عماد الدين، **عيون الأخبار**، 241/5، 245.

[6]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص -ص57-58.

[7]- إدريس عماد الدين، **عيون الأخبار**، 189/5-190.

فبعد المهدي اعتمد الخلفاء الفاطميون، على أسلوب التكتُّم والستر وعدم البوح إلا للمقربين منهم، فهذا القائم بالله يقول لخادمه الوفي جوذر: "يا جوذر إنه لا يحل للحجّة بعد الإمام حتى يقيم حجة لنفسه، ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتي، وقد ارتضيتك لهذه الأمانة دون جميع الخلق... ولدي إسماعيل هو حجتي وولي عهدي، فاعرف له حقه واكتم أمره أشد كتمان"[1].

أما الأمر الثاني في تأييد حق الفاطميين في الإمامة هو **التأويل**، فالقول بالظاهر والباطن مبدأٌ أساسي من مبادئ عقيدتهم، وهم يبنون على وجود الظاهر والباطن ضرورة وجود التأويل الذي هو مهمة رئيسية من مهام الإمام المتفرد بعلم القرآن والمحيط بفهم معانيه الباطنية[2]، وهو ما خالفهم فيه الأدارسة.

كتفسير قول الله تعالى:﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[الأعراف: 172]، والأصل عندهم استحالة إخراج الذراري، مثل الذر على ما جاء في الآية التفسير في الظاهر وأخذ إقرارها بأن الله تعالى، ربهم مع الموجود في حكمته تعالى أن لا يقبل قول الصبيان عن الأطفال فضلا عن الذر لكونهم غير مكلفين ولا مؤاخذين[3].

ومثال ذلك قول الرسول ﷺ: ( بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)،[4] واستحالة القول مع مع كون الموضع في الظاهر خاليا، مما وصفه به من روضة، وجب من حيث أن الرسول حكيم أن تكشف المعان التي توافق العقول وتقبلها، ويصح بها التنزيل حقا منطويا على الحكمة، وتلك المعاني هي نسميها تأويلا باطنا شرحا وبيانا إذ التأويل واجب.[5]

ويعتقدون أن ما جاء به محمد ﷺ من القرآن والشريعة، مخالف ظاهره لأحكام العقل، لذلك وجب إظهار الباطن، وهذا لا يتأتّى إلا **بالتأويل**، الذي يعتبرونه علم من العلوم،[6] فسور القرآن لا تذكر

---

[1])- منصور العزيزي الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، تح. محمد كامل حسين، عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر، 1962م، ص ص39-40.

[2])- حوراء حسون، المرجع السابق، 155.

[3])- عبد الله الكرماني، **المصابيح**،ص43.

[4])- رواه البخاري عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ( ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي)، ينظر: صحيح البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم 1196، ص288.

[5])-عبد الله الكرماني:**المصابيح**، ص43.

[6])- نفسه، ص- ص42-43.

اسم علي ولا طبعا أسماء الأيمة الفاطميين، إلا أن تفسير هذه السور(أي التأويل) لعب دورا هاما في تأييد هذا الحق، فلأيمة كانا يتوارثون المعنى الصحيح للقرآن (في رأيهم)، كما يتوارثون "الوصاية". وحتى يثبتوا حقهم في الخلافة، أوّلوا معظم آي القرآن لصالحهم، ومثال ذلك قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[فاطر: 32]، قال: إيانا عنى بهذا، السابق منا الإمام والمقتصدالعارفبحق الإمام، والظالم لنفسه الشاك الواقف منا[1]، وقال الله ﷻ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾[الشورى:23]، فسئل رسول الله ﷺ من هم؟ فقال: علي وفاطمة والحسن والحسين.[2]

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل:43]، يعني عندهم أن الله تعالى برحمته قد دلّنا على ما نستنبط منه علم مالا نعلمه، فرجعنا في معرفة علم الأفلاك وحركاتها وأعدادها ومراتبها ودرجاتها وبيوتها وجميع ما يتعلق بها، إلى أولياء الله الذين هم من آل محمد الذي هو الذكر، وإلى الشرائع النبوية والسنن الوضعية، التي هي ميزان أهل الديانة التابعين لها في معرفة ما يراد معرفته، ليكون من تصورها بحسب ما توجبه قوانينها، اليقين الذي لا يعتريه شك، وقوله تعالى﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[يس: 12]، فيعني بهذا القول عندهم كل مؤمن عرّفناه بإتباع الإمام الذي يقوم ببيان تأويل كتاب الله.[3]

انتهج الفاطميون أسلوبا سريا منظما، أمام المجازر والمطاردات التي سلطت نحوهم من طرف العباسيين، هذا الأسلوب الذي تفرد به الشيعة الإسماعيلية باقتدار وحنكة، ونجحوا في تأسيس دول أوشك بعضها أن يقضي على الخلافة العباسية، كالدولة الفاطمية التي تحولت إلى إمبراطورية كبرى تضم معظم بلاد المغرب ومصر والشام واليمن، وروّج الدعاة لمذهبها في سائر بلاد المشرق الإسلامي[4].

---

[1])- القاضي النعمان:**دعائم الاسلام**، ص53.

[2])- القاضي النعمان: **الهمة في آداب اتباع الأئمة**، تح. محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، مصر، 1988م، ص40.

[3])- قاسم شهيد محمد غياض، محمد عباس نعمان الجبوري، تأويل الآيات القرآنية المتعلقة بالمسائل الدينية بين الاسماعيلية والامامية الاثني عشرية "الإمامة أنموذجا" دراسة مقارنة، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف، ع.49، 1997م، ص244.

[4])- محمود اسماعيل: **فرق الشيعة بين الفكر الساسي والنفي الديني**، المرجع السابق، ص46.

ونجحوا في انتهاج السرية والكتمان، حتى التبس الأمر على المؤرخين، فلم يقفوا على حقيقة القائمين بهذه الدعوة، أَهُمْ من الدعاة أم من الأيمة الحقيقيين من أبناء إسماعيل، ففي عهد عبد الله وقبله وضعت خطط الدعوة السرية، واستطاع القائمون بها تكوين مجتمعات إسماعيلية قوية عمادها التقية والتخفي[1].

اعتمد الإسماعيليون طريقة الكتمان والسرية وهو القول بالتقية، وهي من عقائد الشيعة الإمامية واحتجوا بقولالله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِٱلۡمَصِيرُ﴾[آل عمران: 28]، وبناءً على ذلك روي عن الإمام الصادق قوله "التقية ديني ودين آبائي" وقال "من لا تقية له لا دين له"[2]، وهذا أيضاً خالفهم فيه الأدارسة، إذ لا لم يؤمنوا بالتقية.

فكان الأمر كذلك عند الفاطميين، والتزم كل الأئمة بمبدأ السرية والكتمان، ففي عهد القائم أوصى بولاية العهد لابنه المنصور لخادمه جوذر في سرية تامة، وقال له "أنا آخذ عليك عهد الله وغليظ ميثاقه أن تكتم عني ما أظهره وأكشفه لك، ولدي إسماعيل هو حجتي وولي عهدي، فاعرف له حقه واكتم أمره أشد كتمان حتى أظهره في الوقت الذي يشاء الله ذلك ويختاره"، يقول جوذر "فكتمت أمر المنصور بالله في نفسي لم يطّلع على ذلك مني أحد سبع سنين[3].

ويقول المنصور بالله "إنه لما كان من أمر الله في المهدي ما كان، لم يتقدم القائم للصلاة عليه حتى أخذ بيدي وخلا بي فقلّدني عهده وأسرّ إليّ في ذلك واستكتمني إياه فوالِهِ ما علم بذلك منه إليّ بعد الله غيري وأقمت مدة حياته ثلاث عشرة سنة ... وأنا كأقل الأبعدين"[4].

**رابعاً: الأيــمة الأدارسة والفاطميون في المغرب:**

**1- الأيــمة الحسنيون الأدارسة:**

**أ- الإمام إدريس الأكبر 172-177هـ/788-793م**: إنه إدريس بن علي الحسن المثلث بن عبد الله الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب[1]، وأمه عاتكة بنت عبد الملك بن الحرث

---

[1])- حسن ابراهيم حسن، طه أحمد شرف: **عبيد الله المهدي** ( إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب) مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1947م، ص ص271-272.

[2])- الكربلائي، المرجع السابق، ص85.

[3])- العزيزي الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، ص40.

[4])- إدريس عماد الدين: **تاريخ الخلفاء الفاطميون**، ص، ص253، 255.

الشاعر خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي[2]، التي أنجب أبوه عبد الله منها أخويه عيسى وسليمان، كما تزوج أبوه أيضاً من هند ابنة أبي عبيدة من آل عبد العزى وأنجب منها إخوته محمد النفس الزكية وموسى، أما أخواه يحي وإبراهيم فهما من أم ثالثة تسمى قريبة بنت عبد الله[3]، ولد في المدينة المنورة[4]، وعندما أصبح شاباً انضمّ إلى ثورات أفراد عائلته من العلويين، حتى كانت موقعة فخ الشهيرة، التي جعلته يطلب المنفى في بلاد المغرب الإسلامي.

ولما وصل إلى المغرب الأقصى، اتَّصَلَ بأمير قبيلة أوربة وزعيمها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد المعتزلي الذي كان يسوس قبيلته، فخلع عبد الحميد طاعة بني العباس، حيث كان من ولاّتهم وتنازل لإدريس عن الرياسة، كان ذلك سنة 172هـ/788م[5]، فهذا الفعل من رئيس أوربة يوحي بأخلاق عالية منه، لأن البربر لا يتنازلون عن حقوقهم، إلا إذا كانوا مقتنعين تمام الاقتناع بجدوى فعلهم هذا، أو أن المدة التي قضاها إدريس في ضيافة إسحاق، كان لها تأثير كبير على مستقبل القبيلة والمغرب الأقصى بصفة عامة.

فقد أقام إدريس في ضيافة إسحاق ستة أشهر، أمن فيها واطمأّن وبانت خلالها شمائله الحميدة الموروثة عن آبائه وأجداده، فكان كريماً حَسَنَ الطوّية صادق النية متواضعاً بليغاً متفقهاً في الإسلام وأكبّ إدريس على تثقيف مضيفه، وتعليمه أصول الإسلام وأحكامه[6]، حتى اجتمعت القبائل عليه من كلِّ جهةٍ ومكان، يقول ابن عذاري: "فأطاعوه وعظّموه وقدّموه على أنفسهم، وأقاموا معه مغتبطين بطاعته ومتشرِّفين بخدمته طول حياته، وكان رجلاً صالحاً، مالكاً لشهواته، فاضلاً في ذاته، مؤثراً للعدل مقبلاً على أعمال البرِّ"[7]، فاستحق بهذا أن يتقدّم على غيره من العرب والبربر، وأن يسوس القبائل

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 6/ 16.

[2]- سعدون عباس نصر الله، المرجع السابق، ص-ص33-34.

[3]- محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص59.

[4]- لم يحدد المؤرخون السنة التي ولد فيها الإمام إدريس الأول، حتى أن أبا الفرج الأصفهاني في كتابه مقاتل الطالبيين، ذكر سنة الوفاة مع عدد سنوات العمر لأكثر الطالبيين، ما عدا قلة منهم لم يذكر سنوات العمر ومنهم إدريس فيقول بالنسبة لوالد إدريس عبد الله بن الحسن: توفي في محبسه وهو ابن خمس وسبعين سنة 145هـ/762م، ينظر، سعدون عباس، المرجع السابق، ص34.

[5]- إبراهيم بحاز: **القضاء في المغرب الإسلامي**، ط2، جمعية التراث، الجزائر، 1427هـ/2006م، ص140؛ إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص64.

[6]- سعدون عباس: المرجع السابق، ص69.

[7]- ابن عذاري: **البيان**، 119/1.

ويحكمها بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ[1]، وبعد سنة من توليه الإمامة، خرج يدعو القبائل للدخول في طاعته، فقصد بلاد السوس الأقصى ودخل ماسة، فأطاعوه ورجع غانماً منتصراً، وفي سنة 174هـ/790م توجه إلى رباط تازا فأجابته جميع القبائل الغربية[2]، وبذلك نجح بتأسيس دولةٍ معارضةٍ جديدة في المغرب الإسلامي، بعد دولة المدراريين في سجلماسة (140هـ/757م)، ودولة الرستميين في تيهرت (160هـ/777م)، وبعدما أتاح وقتاً لجيشه للاستراحة، خرج نحو الشرق يريد تلمسان وما جاورها من قبائل مغراوة[3]، ولما وصل إليها ضرب مخيمات جيشه قريباً منها، وخرج إليه محمد بن خزر بن صولان المغراوي فطلب منه الأمان، فأمّنه إدريس الأول وبايعه محمد بن خزر وجميع وجوه تلمسان وقبيلة مغراوة، وجعل ابن خزر والياً على المدينة وأمر ببناء مسجدها وبصنع منبر له نقش عليه اسمه، قال ابن خلدون: "إنه لا يزال في صفح المنبر لهذا العهد"[4]، ثم رجع إلى أوليلي في شهر صفر 174هـ/790م[5]، وأصبح ظاهراً للعيان أن ما تنبّأَتْ به أوربة ومغراوة تجسّد على أرض الواقع، وصار بإمكانهما تحقيق الريادة والسيطرة على باقي القبائل الأخرى.

ولـمَّا عَظُمَ أمر إدريس الأكبر وبلغ خبره إلى هارون الرشيد[6]، بعث إليه من بغداد سليمان بن جرير ليخدمه ويتقرب منه لكونه من وطنه وأهل بلده، فحنَّ إليه إدريس وقرّبه لأجل ذلك، وصار ابن جرير يعرِّفُ الناس بأنه في العراق سيد وفاضل، وأنه كان عندهم في شأن عظيم ودرجةٍ رفيعةٍ، فاستحسن الإمام إدريس فعله وأدبه وقرّبه، فكان يخلو معه إلى أن وجد فيه الفرصة فسمّه في تفاحة، فمات الإمام في أوائل شهر ربيع الأول سنة 177هـ/793م[7]، لكنه لم يترك ولداً مولوداً إلا أنه ترك جارية حملاً منه

---

[1]- بيّن المولى إدريس منهجه في الحكم، في رسالة بعثها إلى القبائل المغربية، عن هذه الوثيقة ينظر: علال الفاسي وآخرون، **الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية**، سلسلة في سبيل وعيٍ إسلامي، ع. 31، شركة بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1988م، ص18-22.

[2]- ابن عذاري: **البيان**، ص-ص119-120.

[3]- مغراوة قبيلة زناتية بترية، يقول عنهم ابن خلدون، أنهم ينتشرون ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الأقصى، ينظر: ابن خلدون: **العبر**، 3/7-4.

[4]- نفسه، 17/4.

[5]- إسماعيل العربي،المرجع السابق، ص66.

[6]- هارون الرشيد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولد بالري 27 ذو الحجة سنة 145هـ/762م من أمٍّ يمانية جرشية يقال لها الخيزران، وبويع بالخلافة سنة 170هـ/786م، ينظر، الطبري: **تاريخ**، ص1654.

[7]- محمد الخطابي الإدريسي: **الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية**، مطبعة الشباب، مصر، 1349هـ، ص37.

في الشهر السابع اسمها كنزة، فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن إدريس، وقال لهم أن تصبروا على الجارية حتى تضع حملها، فإن كان ذكراً ربيناه فإذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه[1].

**ب – الإمام إدريس الثاني 177-213هـ/793-828م**: لما وضعت كنزة حملها، أخرج راشد الطفل وأطلع الناس عليه، وكان ميلاده في يوم الاثنين الثالث من شهر رجب عام 177هـ/793م[2]، وسمّي إدريس باسم أبيه ثم تكفّل به راشد، فحفظ القرآن وهو ابن ثمانية أعوام، وعلّمه الحديث والنحو والشعر والحِكَمَ وسير الملوك وسياساتهم وأيام الناس، ورياضة ركوب الخيل والرمي وغير ذلك مما جرت العادة على تعليمه لأبناء الملوك والأمراء، بحيث أنه لم يكد يبلغ سنّ الحادية عشرة حتى أتقن كلّ ذلك وبرع فيه[3] وذلك بفضل المولى راشد، الذي حرص على تنشئته هذه النشأة، حتى يكون أهلاً لمنصب الإمامة بعد أبيه إدريس الأكبر، وحتى تبقى القبائل مجتمعةً على بيعة آل بيت رسول الله ﷺ.

وبعد توجيه الدعوة للبربر لمبايعة إدريس الثاني، لبَّت القبائل الدعوة وعقدوا اجتماعاً في جامع وليلي وتمت البيعة يوم الجمعة غرة ربيع الأول 188هـ/804م، وذلك بعد مقتل المولى راشد بعشرين يوماً، وله من العمر إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر، وقد بايعته قبائل المغرب وعلى الخصوص أوربة وصنهاجة وغمارة وزناتة، واستمرّ الإمام طيلة سنة 188هـ/804م يستقبل الوفود البربرية المؤيدة والمهنئة حتى سمي هذا العام بعام الوفود[4]، وهذا ما يثبت نجاح المشروع الذي أسسّه الإمام إدريس الأكبر، حيث حيث أن الدولة حافظت على قيامها رغم موت إدريس الأول، واستطاعت أن تقوم من جديد بفضل إخلاص المولى راشد وغيره.

ولما سمع الناس بإمامة إدريس بن إدريس في المغرب، قصدوه من كل مكان ووفدوا عليه من سائر البلدان، فكان ممن وفد عليه من قبائل العرب، خمسمئة فارس من إفريقية والأندلس، من القيسية والأزد والخزرج وبني يحصب والصدف، فسرَّ بهم ورفع منازلهم وجعلهم بطانته دون البربر[5]، ليس تفضيلاً للعرب للعرب على البربر وإنما أراد أن يستعين بهم في بناء الدولة الجديدة، نظراً لخبرتهم في الإدارة والحرب.

---

[1]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص24.

[2]- نفسه، ص25.

[3]- إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص74.

[4]- سعدون عباس، المرجع السابق، ص-ص95-97.

[5]- علي الجزنائي: **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تح. عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1411هـ/1991م، ص-ص17-18.

فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي، وهو من فرسان العرب المشهورين في إفريقية والأندلس، ثم اختار من البربر بهلول بن عبد الله بن عبد الواحد المطغري وجعله وزيراً، وعيّن على جهاز القضاء عامر بن محمد بن سعيد القيسي من قيس عيلان[1]، ووضع على الديوان الكاتب أبا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي، ثم خططّ مدينة فاس سنة 192هـ/808م واتخذها عاصمة ملكه[2].

ولما انتهى الإمام من بناء مدينة فاس، انتقل إليها بحاشيته واستوطنها واتخذها دار ملكه، وأقام بها إلى سنة 197هـ/812م، ثم خرج إلى دعوة القبائل بنفيس[3] وبلاد المصامدة، فوصل إليها ودخل مدينه نفيس ومدينة أغمات وفتح سائر بلاد المصامدة، ورجع إلى مدينة فاس فأقام بها إلى شهر المحرم سنة 199هـ/814م، ثم خرج إلى مدينة تلمسان فغلب عليها وافتتحها، ونظر في أحوالها وأصلح أسوارها وجامعها وصنع فيه منبراً وكتب اسمه فيه[4]، وأقام بها ثلاث سنين ثم رجع إلى مدينة فاس ولم يزل بها إلى أن توفي سنة 213هـ/828م وهو ابن ست وثلاثين سنة وكان سبب وفاته أنه أكل عنباً فشرق بحبة منه فمات من حينه، فكانت أيامه بالمغرب ستاً وعشرين سنة، وخلف من الولد اثني عشر ذكراً، أولهم محمد وعبد الله وعيسى وإدريس وأحمد وجعفر و يحي والقاسم وعمر وعلي وداود وحمزة[5].

بلغت الدولة الإدريسية على يد الإمام إدريس الثاني أقصى اتساع لها، إذ امتدت من وادي شلف بالمغرب الأوسط شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى الصحراء جنوباً وقد سادها الأمن والاستقرار، وانصرف الإمام إلى تنظيم شؤونها، فنشر الإسلام في أصقاعها النائية التي لم يصل إليها والده الإمام إدريس الأول من قبل وطبّق أحكام الشريعة الإسلامية في أرجائها وجنى الأموال المستحقة[6]، واستطاع هو وأبوه إدريس الأول أن يُحْدِثَا تحولاً جذرياً في الحياة السياسية للمغرب الأقصى، ليصبح متميزاً ومختلفاً عن أقطار المغرب الإسلامي الأخرى.

---

[1])- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص29.

[2])- سعدون عباس، المرجع السابق، ص100.

[3])- اسم نهر ينبع بجبال الأطلس الكبير جنوبي مراكش، ينحدر شمالا إلى أن يصبّ في وادي نفيسة، تاركاً مراكش إلى شرقه وعل ضفاف هذا النهر توجد بلاد نفيس التي تسكنها قبائل بربرية شديدة البأس، ومدينة نفيس قديمة وأزلية غزاها عقبة بن نافع سنة 62هـ/681م، وفيه الروم والنصارى والبربر فافتتحها وبنى فيها مسجداً، ينظر: مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، نشروتعليق. سعد زغلول عبد الحميد، الكويت، دس، ص208.

[4])- الجزنائي، **زهرة الآس**، ص27.

[5])- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص50-51.

[6])- سعدون عباس، المرجع السابق، ص105.

**ج- الإمام محمد بن إدريس الثاني 213- 221هـ/828-836م**: هوالأمير محمد بن الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالبوأمه حرّة من أشراف نفزة[1]، ولمـّاولِّي قسم المغرب بيت إخوته[2]، وذلك بإشارة جدّته كنزة أمُّ إدريس الثاني أما تلمسان فبقيت لولد عمِّه سليمان بن عبد الله، واستمرت بأيديهم إلى أن تلاشى أمرهم بدخول العبيديين عليهم، وأقام محمد بن إدريس في دار ملكه بفاس، وإخوته ولاةً على بلاد المغرب قد ضبطوا أعمالها وسدوا ثغورها وأمّنوا سبلها وحسنت سيرتهم في ذلك[3]، إلى أن قاموا على بعضهم بعضاً وكثر الهرج وقتل بعضهم بعضاً، فقام محمد يساعده أخوه عمر وأعادا النظام والاستقرار إلى الدولة، ثم توفي سنة 221هـ/836م، فكانت أيامه بعد أبيه ثمانية أعوام[4]، وترك دولة قويةً قائمة بكل مؤسساتها الإدارية والعسكرية، لكن عوامل الضعف والسقوط بدأت تظهر بصراع الإخوة على السلطة، هذا الصراع الذي كانت تغذِّيه أطراف كثيرة، من مصلحتها أن تعود الفوضى وتسود النعرة القبلية الضيِّقة.

**د- علي بن محمد بن إدريس الثاني 221-234هـ/836-848م**: بعد وفاة محمد بن إدريس الثاني ولِّي مكانه باستخلافه ابنه علي الملقب بحيدرة، وقد بويع وسنه لم تكن تتجاوز التاسعة وبضعة أشهر، فقام بأمره الأولياء ورجال دولة أبيه من العرب والبربر وأحسنوا تربيته وكفالته، وقد سار علي بن محمد الذي اشتهر بالذكاء والفضل، على سيرة أبيه وجدّه في الحكم بالعدل والقسطاس، فكانت أيامه أيام سلامٍ ورخاء واستمر عهده بدون أحداثٍ تذكر حتى توفي في رجب سنة 334هـ/848م[5]، وقد يفسّر هذا الاستقرار بأنه كان ثمرة للتوازنات السياسية التي حدثت في عهد علي بن محمد، بفضل مستشاريه ورجال دولته المحيطين به.

**هـ- يحي بن محمد بن إدريس الثاني 234-250هـ/848-864م**: يقول ابن خلدون عن يحي: "فقام بالأمر وامتدّ سلطانه وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه، واستجدت فاس في العمران وبنيت بها الحمامات والفنادق للتجار، وبنيت الأرباض ورحل إليها الناس من الثغور القاصية"[6]، لكن الظاهر أن

---

[1]- قبيلة بربرية بترية، ينظر، ابن خلدون: **العبر**: 6/ 122.

[2]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص51.

[3]- الناصري: **الاستقصا**، ص228-229.

[4]- الخطابي الإدريسي: **الدرر**، ص39.

[5]- إسماعيل العربي: دولة الأدارسة، المرجع السابق، ص129.

[6]- ابن خلدون: **العبر**، 4/ 20.

هذا الرخاء لم يدم طويلاً، حيث سيطرت زناتة على فاس، ثم استولى عبد الرحمن الناصر صاحب الأندلس عليها وبقيت تتأرجح بين أبناء السلالة الإدريسية تارةً وغيرهم تارةً أخرى، إلى أن انقرضت الدولة الإدريسية على يد الشيعة

**2- الأيمة الفاطميون:**

**أ- عبد الله المهدي:**

هو عبد الله بن أحمد بن الحسين بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي( زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[1]، وقيل هو عبد الله بن التقي بن الوفي بن الرضى، وهؤلاء الثلاثة يقال لهم المستورون في ذات الله، والرضى المذكور: ابن محمد بن اسماعيل ابن جعفر المذكور، واسم التقي: الحسين، واسم الوفي: أحمد، واسم الرضى: عبد الله، وإنما استتروا خوفا على أنفسهم لأنهم كانوا مطلوبين، من جهة الخلفاء من بني العباس وإنما تسمى المهدي عبد الله استتارا[2].

كانت ولادته بسلمية من أرض الشام، في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ستين ومائتين وقيل ولد بالكوفة[3]، توفي ودفن بالمهدية سنة( 322هـ/934م)، وكان عمره ثلاثا وستين سنة وكانت ولايته منذ دخل رقادة ودعي له بالإمامة إلى أن توفي أربعا وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما[4].

من أهم صفات المهدي، الجود فكان ينفق على سعة، ولم يكن ذلك راجعا إلى ماله بل لأنه كان جوادا بطبعه، وقد استطاع بفضل جهوده أن يجذب إليه أهل سلمية وعمالها، حتى لهجت الألسن بالثناء عليه، وامتاز بالصدق حتى في أحرج الأوقات، وكان قوي الساعد شديد البطش، وحين تولى الإمامة وتقلد الدعوة في شبابه، كان ممتلئا بالقوة والنشاط[5].

كما كان فصيح اللسان، يمتلك قدرة عجيبة على الاقناع، مهيب الطلعة يُؤَثِّر في السامع، محبا لعمل الخير، جريئا بهدوء لا يعرف التردد، مغرما بالقراءة والتزوُّد بالعلم واقتناء الكتب، وتربية الخيول والصيد[6]، يعتبره الإسماعيليون المستعليون -إماما مستودعا- وهذا الاصطلاح يعطي تفسيرا بأنه كان

---

[1]- محمد بن حماد الصنهاجي: **اخبارملوك بني عبيد وسيرتهم**، تح. التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ/1981م، ص23.

[2]-نفسه، نفس الصفحة.

[3]- المقريزي:**إتعاظ الحنفا**، 43/1.

[4]-نفسه، 72-73.

[5]- حسن ابراهيم حسن، طه أحمد شرف، عبيد الله المهدي، المرجع السابق، ص ص315-318.

[6]- جاسم عثمان مرغي: **الشيعة في شمال افريقيا**، ط1، مؤسسة البلاغ، سوريا، 1425هـ/ 2004م، ص366.

إماما وكيلا أو وصيا، أو نائبا للإمام لفترة زمنية محددة، وليس له صلاحية توريث الإمامة لأحد من أولاده، بينما يعتبره الاسماعيليون النزاريون، إماما مستقرا وصاحب نص ثابت،[1] له صلاحية توريث الإمامة لمن يقع اختياره عليه من أولاده[2].

دعي له بالخلافة يوم الجمعة من شهر ربيع الآخر سنة( 297هـ/910م )، برقادة والقيروان وبالقصر القديم، وأقبل المهدي في أنصار دولته، فسلم عليه شيوخ أهل القيروان بالخلافة والإمامة وهنؤوه بالفتح والسلامة،[3] كان أول ما قام به بعد السيطرة على عاصمة الأغالبة رقادة، هو محاولته تصفية الأجواء والقضاء على كل ما من شأنه أن يُثْنِيَهُ عن مهمته التي جاء من أجلها.

فقد سبقه إلى المغرب أبوعبد الله الشيعي، واستطاع أن يصبح موضع ثقة عند الكتاميين وعلت مكانته بين أهالي بلاد المغرب، فأثار هذا حنق عبد الله المهدي عليه، فخشي أن يفتتن به الناس فيضعف بذلك نفوذه، لذلك أمر بقتل كلٍّ من أبي عبد الله وأخيه أبي العباس في جمادى الآخرة من سنة (297هـ/910م)، فأثار هذا أهالي بلاد المغرب، فثارت طرابلس واشتبك الكتاميون مع أهل القيروان، وعادوا إلى بلادهم وأقاموا طفلا ادعوا أنه المهدي وزعموا أن أبا عبد الله الداعي لم يمت، فعهد عبد الله إلى ابنه أبا القاسم قتالهم، فهزمهم وقتل الطفل الذي ولوه باسم المهدي[4].

وعندما استقرت الأحوال، بنى المهدي مدينته المهدية، وهي جزيرة متصلة بزند،[5] بناها وجعلها دار ملكه وجعل لها سوراً محكما وأبوابا عظيمة، زنة كل مصراع مائة قنطار، وكان ابتداء بناءها في شهر

---

[1])-أوجد مبدأ النص اضطرابا كبيرا بين الشيعة، فعدد لا يحصى من فرق وطوائف الشيعة نشأ نتيجة للنص، الذي لم تتفق عليه ويدين الفاطميون أنفسهم بوجودهم إلى هذا الانشقاق، فهم جعلوا النص من جعفر الصادق(ت 148هـ/765م) إلى ابنه إسماعيل، بدلا من ابنه موسى الكاظم، فتسمى الفاطميون باسم الإسماعلية، كما تسمى أنصار موسى بالإمامية وذلك لاعتقادهم في إمامة موسى الكاظم، وبسبب النص أيضا انقسم الفاطميون في مصر، إلى قسمين رئيسيين النزارية أنصار نزار الابن الأكبر للخليفة المستنصر، والمستعلية أنصار المستعلي الابن الأصغر للمستنصر، ينظر: عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص61.

[2])- جاسم عثمان مرغي، المرجع السابق، ص367.

[3])- القاضي النعمان:**افتتاح الدعوة**، ص، ص292، 299.

[4])- محمد جمال سرور، المرجع السابق، ص27.

[5])- الزند موصل طرف الذراع في الكف، ينظر: محمد الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، 2010م، ص116.

ذي القعدة سنة(303هـ/916م)، فكان يأمر الصنّاع بما يعملون وأمر أن تنقر دار الصناعة[1] في الجبل تَسَعُ مائة شيني[2] وعليها باب مغلق، ونقر في أرض المهدية أهراء للطعام، ومصانع للماء وبنى فيها القصور والدور، ولما فرغ قال:"اليوم آمنت على الفاطميات"[3].

شبهه المقريزي[4] بالخليفة العباسي أبو العباس السفاح[5]، الذي خرج من الحميمة بالشام يطلب الخلافة والسيف يقطر دما، وأبو سلمة الخلاّل يؤسس له الأمر ويبث دعوته، وعبد الله خرج من سلمية في الشام وقد أذكيت العيون عليه، وأبو عبد الله الشيعي ساع في تمهيد دولته وكلاهما تم له الأمر، وقتل من قام بدعوته[6].

حاول المهدي إخضاع مصر لسلطته مرات عديدة، فملك الفيوم والصعيد[7]، كانت المحاولة الأولى في حياته سنة(301هـ/913م)، فحاربهم جيش الخلافة العباسية وأجلاهم عن مصر إلى المغرب، وفي سنة (302هـ/914م)، أنفذ إلى مصر قائده حباسة من البحر فغلب الإسكندرية، لكنه مني بالهزيمة، أما آخر محاولة فكانت سنة (306هـ/918م)، بقيادة أبي القاسم ابنه، حتى وصل الصعيد والتقى بجيش الخلافة، وكانت بينه وبين القائم عدة وقعات وغُلِبَتْ عساكر القائم، ووقع فيهم الغلاء والوباء، فمات كثير منهم ورجع من بقي إلى إفريقية بينهم القائم[8].

---

[1]- لفظ الصناعة – بكسر الصاد- مأخوذ من قولك صنعه يصنعه صنعا، والصناعة ويستصنع من أمر، أما في العرف فالصناعة اسم لمكان قد أعدّ لإنشاء المراكب البحرية، التي يقال لها السفن، ينظر: المقريزي، **الخطط المقريزية**، تح. محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ص5.

[2]- الشيني أو الشاني أو الشينية أو الشونة والجمع شواني، السفينة الحربية كانت تسير بمائة وأربعين مجدافا وفيها المقاتلة والجدّافون، ينظر: التهميش رقم(2)، المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، 1/ 70.

[3]- المقريزي، نفسه، ص71.

[4]- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن ابراهيم البعلي العبيدي الحسيني، أصله من بعلبك من حارة المقارزة وإليها ينسب، كان يدعي النسب الفاطمي، ولد بالقاهرة سنة 766هـ/ 1365م، وتوفي فيها سنة 845هـ/1441م، ينظر: شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م، ص140.

[5]- أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، بويع بالخلافة في شهر ربيع الأول سنة 132هـ/749م، ينظر: ابن الأثير:**الكامل في التاريخ**، ص775.

[6]- المقريزي:**اتعاظ الحنفا**، 1/ 72.

[7]- القاضي النعمان:**افتتاح الدعوة**، ص326.

[8]- المقريزي: **اتعاظ الحنفا**،86/1، 71.

**ب- القائم بأمر الله أبو القاسم محمد**

القائم بأمر الله، ابن المهدي بالله أبو القاسم محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وبن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وعلى آله الطاهرين[1].

ولد بسلمية في المحرم سنة ثمانين وقيل سبع وسبعين ومائتين، ورحل مع أبيه إلى المغرب وعهد إليه من بعده[2]، عُيِّن القائم وليا للعهد بطريقة استثنائية، خالفت القاعدة المعمول بها سابقا عند الإسماعيلية، حيث تم تعيينه في وقت مبكر أي قبل قيام الخلافة الفاطمية بحوالي سنتين، وحثّ المهدي على إشراك ولي عهده، في تسيير شؤون الدولة[3]، فكانت باسمه تنفذ الكتب والعهود، وإليه ترفع المسائل وعليه تفد الوفود، وكان أبوه كلفا به شديد المحبة له، متيمنا لكل ما عسى أن يفعله[4].

بويع بالخلافة بعد وفاة المهدي، وعمره سبع وأربعين سنة[5]، استلم الحكم بعده سنة(322هـ/933م)، وأخفى موت المهدي خوفا من أن ينقلب الناس ضده إذا علموا بموته، ولما تمكن من تثبيت يده في الحكم، أظهر الأمر وتلقّب بلقب القائم بأمر الله[6].

حققّ القائم أكبر انتصار له، عندما تمكن من استقطاب قبيلة "صنهاجة"، التي تتفرع من البرانس، فقرّب زعيمها زيري بن مناد، ودفعه إلى عقد مصالحة مع قبيلة "كتامة"، التي كانت الحروب متواصلة ومستمرة معها منذ مدة بعيدة[7].

اقتفى أثر والده وعمل جاهدا على تعزيز وازدهار الدعوة الإسماعيلية، وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم، ووجه اهتمامه الزائد لتنظيم وتقوية البحرية الإسماعيلية، فشكّل أسطولا عظيما، تمكن بواسطته

---

[1]- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 5/248-249.

[2]- المقريزي: اتعاظ الحنفا، 1/74.

[3]- فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م)**، نقله إلى العربية. حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994، ص ص435-436.

[4]- ابن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ص47.

[5]- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 5/245.

[6]- حيدر الكربلائي، المرجع السابق، ص117.

[7]- عارف تامر: **القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج**، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ/1982م ص10. ص10.

قهر العصابات البحرية المالطية، التي كانت تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد، والقيام بأعمال النهب والسلب والتخريب[1].

وسيّر جيشا في البحر إلى بلد الروم، فسبى وغنم في بلد جنوة[2]، واحتل اسطوله البلاد الايطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم، كما فتح جزيرة صقلية، ورغب بأن يتوسع في المغرب الأقصى، ليتمكن من القضاءعلى الثورات الداخلية، التي كان قد أشعلها أنصار العباسيين والأمويين، وجهزّ جيشا لغزو المغرب الأقصى، فوصل إلى فاس[3] وإلى تكرور[4]، كما سيّر جيشا إلى مصر[5].

وأهم الأحداث التي ظهرت في خلافة القائم بأمر الله الفاطمي، هي خروج أبي يزيد مخلد بن كيداد عن طاعة الخلافة الفاطمية سنة (333هـ/945م)، فاشتدت قوته وكثر أتباعه، واستطاع أن يهزم الجيوش التي خرجت في طلبه، فحاصر قسطيلية وفتح تبسة ومجانة وبلاد أخرى من المغرب[6].

وفي رمضان سنة (334هـ/946م) مات القائم، وقام من بعده ابنه المنصور، فكتم موته خوفا من أبي يزيد، فكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر واثنتي عشرة يوما وعمره ثمانيًا وخمسين سنة[7].

### ج- المنصور بنصر الله أبو الطاهر اسماعيل

ابن محمد القائم بن عبد الله المهدي، ولد بالمهدية في أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل ولد بالقيروان في سنة اثنين وثلاثمائة، وقيل بل في سنة إحدى وثلاثمائة[8]، لم يكن في بني عبد الله المهدي مثله، وكان بطلا شجاعا فصيحا يخترع الخطبة لوقتها[9].

---

[1]- جاسم عثمان مرغي، المرجع السابق، ص368.

[2]- المقريزي:**اتعاظ الحنفا**، 74/1.

[3]- فاس مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر وأجّل مدينة قبل أن تختط مراكش، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ص230.

[4]- تكرور بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب وأهلها أشبه الناس بالزنوج، ينظر: الحموي، نفسه، ص38.

[5]- جاسم عثمان مرغي، المرجع السابق، ص369.

[6]- أبي يزيد مخلد بن كيداد، رجل من بني يفرن أصله من بني ويسيان توزر وعشيرته من أهل تطاوين، ينظر: الدرجيني:**طبقات**، ص، ص96-97.

[7]- المقريزي:**اتعاظ الحنفا**، 82/1، 86؛ القاضي النعمان:**إفتتاح الدعوة**، ص334.

[8]- المقريزي: نفسه،88.

[9]- ابن حامد الصنهاجي:**أخبار ملوك بني عبيد سيرتهم**، ص59.

بويع له بالخلافة في شوال سنة (334هـ/946م)، وكانت ولايته الخلافة –بعد أبيه– ثماني سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام، وقيل كان عمره تسعا وثلاثين سنة[1]، تم تنصيبه في قصر الخلافة بحضور" شيوخ الدعوة"، حيث افتتح الاجتماع شيخ الخطبة صولات رئيس قبيلة لهيصة أحد بطون كتامة، الذي قرأ الوصية مرتين متتابعتين ثم تقدم إلى الخليفة فقرأ الوصية للمرة الثالثة، ليكون التصريح بتعيين إسماعيل وليا للعهد، ثم أمر الحاضرين بمبايعته، فسجد شيوخ الدعوة تعبيرا عن موافقتهم على القرار[2]، أما البيعة العامة فلم تنتظم إلا بعد اندلاع ثورة البربر، فكانت بسيطةً في ميدان الحرب التي شهدت انتصار إسماعيل على هذه الثورةسنة(366هـ/947م)، حيث نادى المؤذنون لصلاة الظهر: السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، وتلقّب الخليفة الجديد في الحين بالمنصور بالله، وهنأه الناس بالخلافة ثم طلب بإرسال الكتب إلى الأمصار لتأكيد تعيينه، واثبات ذلك في الطراز وفي دار الضرب أي السكة[3].

تقدمت الدولة الإسماعيلية في عهده تقدما كبيرا، في جميع النواحي وقضى على جميع الثورات في البلاد، واستتبّ له الأمر وانتشرت دعوته انتشارا قويا[4]، وأطفأ الله بالمنصور الفتنة واستنقذ به الأمة، وسار بالعفو والصفح[5].

واجه المنصور ثورة أبي يزيد، التي لم تكن كباقي الثورات الأخرى.. فهي الثورة التي كانت تهب مرة من جهة، ثم تخمد لتعود للظهور في جهة أخرى، وهي أشد عنفا واندفاعا[6] وصاحب هذه الثورة يدافع عن مبادئه وثوابته، لذلك حينما أصبح أبا يزيد في قبضة المنصور سأله: أتذكر أنك تطاولت حتى وصل بك الأمر إلى قرع باب المهدية؟ فأجابه: كل ما فعلته كان حقا.. وتلبية لأمر الله، كان ذلك سنة(339هـ/951م).

كان المنصور يرى، بأن العاصمة لأية دولة يجب أن تكون بعيدة عن البحر، لأنها في جميع الأحوال تكون عرضة للأخطار المتأتية من الأساطيل البحرية، فاستقدم وهو في القيروان المهندسين والخبراء، ووضع الحجر الأساس للعاصمة المنصورية، وأمر أن يكون لها سور كبير وخمسة أبواب هي: الباب القبلي، والشرقي، وباب زويلة، وباب كتامة، وباب خاص بدخول وخروج الجيش سماه باب

[1]– المقريزي،**اتعاظ الحنفا**،88/1.

[2]– فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص ص436–437؛ حورية مدني، المرجع السابق، ص28.

[3]– حورية مدني، المرجع السابق، ص28.

[4]– حيدر الكربلائي، المرجع السابق، ص119.

[5]– القاضي النعمان:**افتتاح الدعوة**، ص334.

[6]– عارف تامر، المرجع السابق، ص83.

الفتوح، ثم بنى قصر الخلافة وسماه "قصر الهداية" كان ذلك في سنة(334هـ/946م)[1]، في منطقة صبرة، وهي مدينة بقربها فاستمر عليها الاسمان إلى الآن وصبرة أشهر، وكانت المنصورية دار ملكهم وملك من بعدهم[2].

غزا المنصور بلاد الروم ففتح أكثر أرض قلورية[3]، وأتى بفيئها وسبيها[4]، وتوفي إسماعيل يوم الجمعة أواخر شوال سنة احدى وأربعين وثلاثمائة، أو سنة تسع وثلاثين وكانت ولايته سبع سنين وسبعة عشر يوما[5]، وكان له من العمر إحدى وأربعين سنة[6].

**د- المعز لدين الله أبو تميم معد**

وهو معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبد الله، كنيته أبو تميم، لقبه المعز لدين الله، مولده بالمهدية في رمضان سنة تسع عشر وثلاث مئة، وولي وله اثنان وعشرون سنة، ومدة أيامه ثلاث وعشرون سنة[7]، تولى مهام الإمامة والخلافة، بعد وفاة أبيه يوم 29 شوال سنة(341هـ/953م) وذلك في حفل رسمي حضره شيوخ وأعيان وأفراد الحاشية[8].

عندما قام المعز لدين الله بالإمامة، أوقد زعماء بعض القبائل نار الحرب، فنهض إليهم، حتى أتوه محكِّمين له في أنفسهم، وغزا بني أمية في الأندلس، فأحرق أساطيلهم ودار صناعة مراكبهم، واحتوى المرية وما فيها، وهاجم بلاد الروم فسبى قلورية وهدم كنائسها وخرّب مدائنها، والتقى أسطوله، أسطول إمبراطور بيزنطا فقاتله وهزمه، حتى بذل له الجزية[9]، ونظر المعز لدين الله في كل فن، وبرع في كل علم وإن تكّلم في فن منها أربى على المتكلمين، وكان فيه نسيج وحده في العالمين، أما علم الباطن ووجهه فهو البحر الذي لا تخاض لجته ولا يدرك آخره، أما القول في التوحيد وتثبيت الدين والرد على أهل

---

[1]-عارف تامر، المرجع السابق، ص108.

[2]- الصنهاجي: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ص-ص60-61.

[3]- قِلَّوْرِيَةُ: جزيرة في شرقي صقلية وأهلها أفرنج ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص392.

[4]- القاضي النعمان:**افتتاح الدعوة**، ص334.

[5]- الصنهاجي،**أخبار**، ص81.

[6]- المقريزي، **إتعاظ الحنفا**، 1/ 88.

[7]- ابن عذاري: **البيان**، 234/1؛ المقريزي، نفسه، ص93.

[8]- حورية مدني، المرجع السابق، ص28.

[9]-القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص236-237.

اقتراف البدع والملحدين، فهو واحده وهو علمه ومناره وعمدته[1]، وأما الفقه والحلال والحرام ومسائل الفتية والأحكام، فذلك مجاله وميدانه، وأما الطب والهندسة وعلم النجوم والفلسفة، فأهل النفاذ في كل فن من ذلك بين يديه وكلهم في ذلك عيال عليه[2].

كان المعز لدين الله أول من ملك مصر من بني عبيد[3]، ففي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة أنفق أربعة ألف ألف دينار على العساكر، التي سيّرها إلى مصر مع القائد جوهر، ففتحت في نصف رمضان سنة ثمان وخمسين، وكان رحيله إليها في نفس السنة يوم الرابع عشر ربيع الأول، وكان معه ألف حمل مال ومن السلاح والخيل والعدد ما لا يوصف[4].

**خامساً: الوِلاَيَةُ أو طاعة الإمام**

تعتبر الوِلاَيَةُ من المبادئ الرئيسية عند الشيعة عامة، والزيدية والإسماعيلية خاصة، وهي بمعنى الطاعة للإمام والهدف من هذا هو تثبيت وتأييد النص، لأن الأيمة في رأيهم خلق من خلق الله جل جلاله وعباد مصطفون من عباده، افترض طاعة كل إمام منهم على أهل عصره وأوجب عليهم التسليم لأمره[5] فقال الله تعالى﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[النساء: 59]، فجعل الطاعة فريضة وصل بها طاعة ولاة أمره، فهم القائمون لله بحقه والداعون إليه من رغب عن طاعته، واستخصّهم بالإمامة التي هي أعظم الدرجات بعد النبوة، وفرض على العباد حقوقها وأمرهم بأدائها، وجعلها موصولة بطاعته وضاعف لهم الثواب بقدر ما والوا من أُمروا بولايته[6].

فقد دعا إدريس بن عبد الله في أول خطبة له إلى اتِّباعه وطاعته لأنه كما قال: "وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عمّ رسول الله ﷺ، ورسولالله وعلي بن أبي طالب جداي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنة، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت اسد الشفيقة

---

[1]- القاضي النعمان:**المجالس والمسايرات**، تح. الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996م، ص148.

[2]-نفسه، نفس الصفحة.

[3]- ابن عذاري: **البيان**، ص234.

[4]- المقريزي: **اتعاظ الحنفا**، 97/1.

[5]- القاضي النعمان:**دعائم الاسلام**، 45/1.

[6]- إدريس عماد الدين:**عيون الأخبار**، 201/5.

جدتاي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺوفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أماي، والحسن والحسين ابنا رسول ﷺأبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدي والزاكي أخواي"[1]ودعا لها عبيد الله الفاطمي فقال:" كل من تمسك بطاعته فقد تمسك بالعروة الوثقى وفاز في الآخرة والأولى "[2]، غير أننا نلاحظ الأدارسة كانوا أقلّ غلواً وتشدداً من الفاطميين، الذين كان على أتباعهم أن يسلِّموا لهم كل التسليم، فلا يعترضوا عليهم إذ كل فعلهم حكمة وصواب فيما عرفه العباد أو جهلوه ورضوه أو كرهوه، فأفعالهم بأمر الله وبالتالي فما يظهر من اختلاف في أحكامهم إنما هو لحكمة، والعلم في رأي الإسماعيلية هو ما جاء عن الأيمة من آل محمد ﷺ، وهو العلم الذي يجب قبوله ونقله وتعلمه[3].

فجعل الإسماعيليون الفاطميون، الولاية فرض جوهري من فروض الدين والمجتمع والدعامة الأولى من الدعائم السبعة التي بني عليها الإسلام، وهي الوِلاية والطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد فالولاية سلطة الإمام وعصمته، والتي يجب أن تكون شاملة تجمع كل الأمة الإسلامية، وفق شروط البيعة المتمثلة في واجب كل فرد من أسرة الإمام ومن أعيان دولته ووجهائها، الدخول فيها وإعلان الطاعة له[4].

له[4].

قال المعز لدين الله، وهو يروي رؤية رآها في المنام عن بعض الأولياء، من الذين اختصهم المنصور وكان ميتا، قال: "رأيته بعد أن مات بليلة وقد مرّ بي وهو في غمرة وشدّة فلما كانت الليلة الثانية رأيته في أحسن حال وأقبل إليّ ضاحكاً، فقلت ما حالك؟ وماذا صرت إليه؟ فقال: إلى خير والحمد لله، ما خلق الله في الخلق مثل أبيك، والله ما زال بي حتى خلّصني قصراً من شدة شديدة وأمرٍ عظيم"[5]، وبهذا يكون الإمام الفاطمي مخلِّصاً لأوليائه حتى في الآخرة.

ويؤمنون بشفاعة الإمام لمن تولاّه، قال المعز لدين الله، سمعت المنصور بالله يقول: إذا لم أدخل يدي هاهنا – وأومأ إلى إبطه – في خلاص من ظلم نفسه ممن تولاني، فبماذا أستحق الفضل[6]، لذلك كانت طاعة الإمام واجبة في رأي الفاطميين، وهو مبدأ مدرك بالعقل، لأن الإمام هو أساس الوحدة

---

[1]– هذه رسالة بعثها إدريس بن عبد الله إلى القبائل البربرية، نقلت عن كتاب المرجع الشافي للإمام عبد الله بن حمزة، أحد أيمة الزيدية، نقلا عن علال الفاسي وآخرون، المرجع السابق، ص22.

[2]– إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 173/5.

[3]– حوراء حسون، المرجع السابق، ص– ص153-152.

[4]– حورية مدني، المرجع السابق، ص– ص34-35.

[5]– القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص87.

[6]– نفسه، ص106.

الاجتماعية والدينية للأمة الإسلامية[1]، وهي واجبة أيضاً عند الأدراسة، فعلى الرعية أن تطيع الإمام لأنه من أبناء علي وفاطمة رضي الله عنهما، وقد استوفى شروط الإمامة وأصبح أهلاً لها.

### 1- صفات الإمام الفاطمي

#### أ- الحد الأدنى والأعلى من اتصاف الإمام بصفتي (العلم والعصمة)[2]

يتصف الإمام بصفة العلم الإلهامي والعصمة، فيكون الخليفة الحقيقي للنبي ويكون مثله في الحجية والمرجعية العلمية والدينية، ويرون أن الإمام هو الولي المطلق والإنسان الكامل المرتبط بعلم الغيب وهو واسطة الفيض الإلهي وحجة الله في الأرض[3].

ويعتقد الإسماعيلية أن أسرار الشرائع وبواطنها، وقف على الأيمة وحدهم، وأنه لا يمكن معرفة هذه الأسرار إلا عن طريقهم، أو عن طريق أنصارهم من الدعاة، وكان أول من روّج لهذه النظرية عبد الله بن ميمون القداح[4]، ويرون أن أئمتهم ورثوا علم النبي ﷺ، وكان هذا منذ عهد الإمام جعفر الصادق[5].

كان الأيمة الفاطميون شغوفون بالعلم، حتى قال المعز لدين الله: "والله ما تلذذت بشيء تلذذي بالعلم والحكمة، لو وجدت من أفضي إليه بها لكنت قد بلغت غاية المنى والشهوة"[6]، واهتموا ببناء دور العلم وتشجيع العلماء والمفكرين على الاشتغال بعلوم الحكمة، والحرص على تنظيم الدروس والمناظرات والحث على طلب العلوم الفلسفية( علوم الحقائق)، أي الحقائق المختفية في الباطن والتي يكشف عنها التأويل الذي هو جوهر العقيدة الإسماعيلية[7]، بالإضافة إلى ما سبق يعتقدون بأن الحكمة، تنتقل من الإمام المقبوض إلى خليفته، فقد سأل النعمان المعز لدين الله جملة من المسائل، فتعذّر عليه الجواب عنها، ولكنّه حين قُبِضَ المنصور تهيأ له الجواب دفعة بدون تدبر ولا روية، فتأكد له ما قيل أن الله ينقل

---

[1])- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص63.

[2])- وهو ما ليس موجوداً عند الأدارسة.

[3])- محمد حسن قراملكي، أجوبة الشبهات، المرجع السابق، ص، ص21، 23.

[4])- ميمون القداح من أصول فارسية، شغلت أسرته مكانا كبيرا في تاريخ الدعوة الاسماعيلية في دورها الأول وهو دور الستر، واعتمد الأئمة العلويون عليهم إعتمادا تاما منذ عهد جعفر الصادق (148هـ/765م)، فكان ميمون القداح اليد المحركة للإمام محمد بن اسماعيل، ينظر: حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف، المرجع السابق، ص156.

[5])- الكربلائي، المرجع السابق، ص85.

[6])- القاضي النعمان: **المجالس**، ص93.

[7])- بوبة مجاني، من قضايا التاريخ الفاطمي، المرجع السابق، ص105.

ما كان عند الماضي من الأيمة، إلى التالي منهم في آخر لحظة تبقى من نفس الماضي[1]، ليكون هذا العلم وطريقة انتقاله معجزةً إلاهية، تضاف إلى الإمام الفاطمي.

واكتسب الإمام الفاطمي صفة روحية، جاءت من تولية النبي ﷺ لعلي وذريته من بعده، وتمثلت في المعارف والأسرار التي نقلها محمد ﷺ إلى ابن عمه وإلى عقبه[2] فقانون الوراثة الشيعي، سمح بأن يتلقى أسرار العلم من لم يبلغ سن الرشد بعد، وعلى هذا الأساس كان من الممكن أن يلي الإمامة من كان قاصرا[3]، غير أن حكم الفاطميين في المغرب، لم يشهد وصول إمامٍ قاصر إلى سدة الحكم.

تمثلت أسرار العلم التي ورثها الفاطميون في علم التأويل، هذا العلم الذي فسروا به القرآن الكريم بوجهة نظر شيعية إسماعيلية، فهذا المعز لدين الله في تفسيره للآية الكريمة﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:07]، يقول: فنحن والله هداتهم في كل عصر منا هاد لمن كان في عصره منهم، والله نحن أعلام الحق ونحن هداة الخلق ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:29][4]

كان المهدي ذا حجة بالغة، الحجة التي يُخاطبُ بها العالم من علمه ويخاطب بها الجاهل من حيث يعقل[5]، لقد كان يخاطب المرأة ويقيم لها الدليل، مما هو من حيلة النساء، كما يخاطب الصانع من من صناعته، ويخاطب الخيّاط من إبرته وخيطه وحلقته ومقصه، ويخاطب الراعي من عصاه وكسائه وفرقه[6] وفرقه[6] وكرزه[7]، وكان كثير العطاء والإحسان، موصوفا بالكرم والجود بالمال، مع حرصه على أن لا يُضيِّع يُضيِّع أقل شيء منه أو يستهين به، فلا يترك منه واجبا ولا يصرفه في غير حقه[8]، فقد روي عن المعز لدين الله الفاطمي أنه قال "من سعد منكم فإنما سعد بنا"، فالسعادة من الله عز وجل لعباده إنما أجراها على أيدي أوليائه[9].

---

[1]- حوراء حسون، المرجع السابق، ص154.

[2]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص68.

[3]- حورية مدني، المرجع السابق، ص31.

[4]- القاضي النعمان:**المجالس**، ص118.

[5]- إدريس عماد الدين:**عيون الأخبار**، 212/5.

[6]- الفرق: القطعة من الغنم، ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، 10/ 304.

[7]- الكرز، جمعه أكراز وكرزة، وهي خرج الراعي والكيس من الصوف والشعر، ينظر: جبران مسعود، المرجع السابق، ص664.

[8]- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 177/5.

[9]- القاضي النعمان، **المجالس**، ص- ص8-9.

كما أن في عُرْفِ الفاطميين، أنه يمكن للإمام أن يتنبأ لأمور مستقبلية، فقد أمر المهدي ببناء مصلى خارج المهدية، جعله عَلَمًا وقال: "إلى هنا ينتهي مخلد الدجّال" فكان الأمر في ذلك كما قال، وهذا حديث معروف مشهور، وهذه من معجزات الأيمة التي آتاهم الله علمها وورثوا عن رسول الله ﷺ معرفتها، فأنبأوا بها قبل كونها، مما يشهد بفضلهم وعلو قدرهم وسمو محلهم[1].

ويزيدون على ذلك بأن المهدي كان يعلم أن مصر لا تفتح على يديه، فقد بعث القائم بأمر الله إلى مصر مرتين، وهو عالم بأنها لن تفتح، لكنه أراد تأكيد الحجة عليهم بدعوته، وأن لا يدع شيئا من المجهود إلا بلغ منه ما في نفسه[2].

عارض القائم بأمر الله الدعاة الذين غلوا فيه وفي الأيمة السابقين، فقال: "وقالوا إنهم يعلمون الغيب" فلعنهم وقال:"هؤلاء الصادون عنا الكاذبون علينا، والله ما أرادوا بما وصفونا به إلا تكذيبا لنا وأبعدوا الناس عنا، لأنهم إذا وصفونا لهم بما ليس فينا فلم يرى الناس ذلك ولا وجدوه عندنا لم يروا أناّ أيمة، فالغيب الذي تعلمه الأيمة هو ما غاب عن الناس من العلم، الذي أودعهم الله إياه واستحفظهم سره"[3].

وكان المنصور بارع في علم النجامة، وقال عنها: "والله ما طلبتها وتعلمتها لشيء مما يراه الناس من القضايا.. إلا لما يدلنا عليه من توحيد الله جل ذكر"[4]، وقال عنه المعز لدين الله: "أتيت المنصور حسب العادة، فوجدته تحت بعض تلك الأشجار في يوم صائف وحار حاسر الرأس وقد حلقه، وإن العرق ليرشح منه وهو يؤلف كتابا يكتب نسخته"[5]، وبهذا استحق الأيمة الفاطميون منصب الإمامة الشيعية.

أما عن العصمة، فقد روي عن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: "الإمام منا لا يكون إلا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخِلْقَة فيُعْرَفُ بها، لذلك لا يكون إلا منصوصا، فقيل له: يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: "هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن، لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عز وجل﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ

[1]- إدريس عماد الدين:**عيون الأخبار**، 210/5-211.

[2]- نفسه، 208/5.

[3]- القاضي النعمان:**المجالس**، ص84.

[4]- نفسه، ص-ص131-132

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الاسراء:09][1]، ويذهبون إلى عصمة الأيمة، وهي عندهم الامتناع بالاختيار عن اقتران الذنوب والخطايا، نتيجة لطف الله بهم وهو لطف يختص به عن فعل المعصية ولا يمنعه على وجهها القهر، أي أن لا يكون هناك مبرر لارتكاب المعصية وترك الطاعة، رغم وجود القدرة عليها ما دام الإمام هو الوصي فلا بد أن يكون معصوما من الخطأ والنسيان[2].

ولابد أن يكون الإمام معصوما من الافعال التي تظهر منه، ولا يجوز أن يكون في باطنه بخلاف ذلك، ولا يجوز أيضا أن يكون قبل تولية الإمامة، قد كانت تقع منه القبائح في الظاهر وكل ذلك يخرجه من باب العصمة[3].

ولأن الإمام يقوم مقام النبي ﷺ، فيما يتعلق به من أمر الدين وحفظ نظامه، فلو كان غير معصوم، لا يقع إلا من أن يسلك بالأمة غير سبيل النبي في بعض أحكامه أو كله، وكان ذلك مؤديا إلى الظلم وحمل الناس على شق العصا ومفارقة الجماعة[4].

ولمـّا كان أخذ الزكاة والصدقات والخمس، إلى القائم مقام الرسول ﷺ وآله وكان في الطبع حب المال وطلبه، وجب أن يكون معصوما، كما لا يجب على الإمام أن يخطئ فيما يجيب به عما يسأل وأيضا في إقامة الحدود ونزع الشك للعامة في صلاتهم وعبادتهم وجهادهم، كل هذا أوجب أن يكون الإمام معصوماً[5]، وأوجب الله طاعة الإمام، وهذا لم يفترض إلا لعصمته، ووجب أن يكون أمينا ثقة معصوما ما لا يجوز عليه الخيانة فيما يستودع ولا الخطأ فيما يجعل إليه[6].

يرى الفاطميون أن الإمام معصوم من الخطأ، وطاعته جزء من الإيمان[7]، وهو معصوم من جميع الخطايا الكبائر والصغائر، فالإمام أُحتيج إليه ليقوم مقام الرسول ﷺ لإقامة الدين وحفظ نظامه، ولا

---

[1]- أبو جعفر الصدوق: **معاني الأخبار**، تح. محمد كاظم الموسوي، ج1، ط1، العتبة الحسنية المقدسة، العراق، 1435هـ/2014م، ص221.

[2]-حيدر محمد عبد الله الكربلائي، المرجع السابق، ص85.

[3]- أبي جعفر الطوسي:**تلخيص الشافي**، تقديم، تعليق. حسين بحر العلوم، ج1، ط1، مؤسسة انتشارات المحبين، إيران، 1382هـ/1962م، ص200.

[4]- الكرماني:**المصابيح**، ص59.

[5]- نفسه، ص60.

[6]- نفسه، ص61.

[7]- حورية مدني، المرجع السابق، ص31.

يتأتى هذا إلا إذا كان معصوما، وتكون عصمته سبب ائتلاف الجماعة على الطاعة[1]، وقد يكون الائتلاف أيضاً بعدم وجودها، عندما يُعلم أن وجود سيدنا آدم عليه السلام على الأرض، كان من الخطيئة وكيف يتعلم الإنسان إذا لم يخطئ.

**سادساً: ولاية العهد عند الأدارسة والفاطميين( التولية)**

لما توفي الإمام إدريس الأكبر لم يترك ولداً يلي الأمر بعده، لذلك جمع المولى راشد القبائل وأعلمهم أن الإمام خلّف أمةً له حاملا في الشهر السابع، ودعاهم لانتظار ولادة الأمة كنزة، فلما ولدت ذكراً قام راشد بأمره وأمر البربر، فسمّاه إدريس وأدّبه أحسن أدب وأقرأه القرآن وعلّمه السنة والفقه، ولما صار في سن الحادية عشر بويع له بجامع وليلي[2].

وخلف إدريس الأصغر من الولد ثلاثة عشر ذكراً، لكنه ولّى الابن الأكبر محمد، الذي ولد من امرأة من أشراف نفزة، فقام بتقسيم البلاد على إخوته، وعندما دنى أجله استخلف ابنه علي فسار بسيرة في العدل والفضل والدين وضبط الثغور، إلى أن توفي وولى بعده ابن أخيه يحي، الذي أساء السيرة فضيّع الإمامة، فانتقلت من بني محمد بن إدريس إلى بني عمهم عمر بن إدريس، فوُلِّي علي بن عمر بن إدريس فاستقام له الأمر، ثم ولي الإمامة بعده يحي بن القاسم بن إدريس، إلى أن اغتيل وولى بعده ابن عمه يحي بن إدريس وكان فصيحاً كريماً شجاعاً، إلى أن جاء قائد عبيد الله الشيعي، فصالحه على أخذ البيعة للشيعة[3].

تقوم التولية في الدولة الفاطمية، على ما جاء به المذهب الإسماعيلي، والممثل في شخص الخليفة الممنوح نوع من القداسة والعصمة، واختياره لولي عهده يعبر عن إرادة الله[4]، فميراث الإمامة المقدس يتم'بالنص' أي بالدلالة الصريحة للإمام على من يخلفه، والنص مبدأ جوهري يوضح لنا الطريقة التي عالجت بها العقيدة الفاطمية تعاقب أئمتها بعد علي رضي الله عنه حتى الإمام الحاضر، ونص الإمام على خَلَفِهِ لا يهم أحدا غيره، فليس للأمة ولا لأي فرد أن يطلب سبب هذه التولية[5].

---

[1])- حوراء حسون، المرجع السابق، ص155.

[2])- الجزنائي: **جنى زهرة الآس**، ص15-16.

[3])- ابن الخطيب: **أعمال**، ص، ص202، 210.

[4])- حورية مدني، المرجع السابق، ص27.

[5])- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص- ص55-56.

يختار الإمام ولي العهد، بمقتضى النص الذي يعبر عن إرادة الله والإمام الحاكم بوصفه المستودع الوحيد لعلم الله، فهو المؤهل دون غيره لتعيين خلفه، إذ صرح الإمام المكتوم الأخير الحسين بن أحمد في سلمية، باسم المهدي وقلّده ولاية العهد قبل وفاته بمدة قليلة وأعلم أتباعه بذلك القرار في كتاب، وأخذ له البيعة من جميع الدعاة في سائر الجزائر، فتولى المهدي الإمامة سنة (270هـ/884م)، وشرع الدعاة إثر ذلك في الدعوة له جهرا في شرق البلاد الاسلامية وغربها[1].

يُنعتُ خلف الإمام بلقب "ولي عهد المؤمنين"، ويشترط علماء الدين الفاطميين أن يكون الشخص المنصوص عليه، من سلالة علي وزوجته فاطمة، ولا يوجد في عقيدتهم غير هذا الشرط[2]،فكان القائم بأمر الله أول ولي عهدٍ في تاريخ الدولة الفاطمية، عيِّن وليا للعهد سنة (299هـ/319م) وعمره عشرون سنة، فكان يقود الجيوش الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي ومصر[3].

أما عن ولاية عهد المنصور فقد كانت بشكل مختلف، فقد ظهرت في عصر أبيه القائم بأمر الله، الخلافات العائلية والتنافس على الحكم، ودور أمهات الأولاد في صرف ولاية العهد عن هذا إلى ذاك، من ذلك أن القائم كتم تعيينه للمنصور وليا للعهد أكثر من عشر سنوات، قال المنصور:"لما كان من أمر الله في المهدي ما كان، لم يتقدم القائم للصلاة عليه، حتى أخذ بيدي وخلا بي فقلدني عهده، وأسّر إليّ ذلك واستكتمني إياه، فواله ما علم بذلك منه إليّ بعد الله غيري"[4].

لقد تمّ تعيين المنصور وليا للعهد بصورة عادية، ففي الوقت الذي دَفَنَ فيه القائم بأمر الله والده، وبعد أن أصبح إماما، بادر إلى تعيين حجته، لأنه "لا يحل للحجة بعد الإمام أن يدفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه"[5].

أما المعز لدين الله عندما نصّ عليه والده بولاية العهد، خرج متبوعا بموكب عظيم، كما أن الدولة قامت بتوزيع أموال طائلة وخلع سنية كثيرة على كبار الموظفين، كذلك فُرِّق الطعام على الناس وقد كان سجل ولاية العهد يقرأ أمام جميع الناس بالقصر، وعلى منابر القاهرة والإسكندرية، وحتى في البلاد المجاورة كما يكتب اسمه مع اسم الخليفة في البنود والسكة والطراز[6].

---

[1]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص ص432-433.

[2]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص- ص56، 60.

[3]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص240.

[4]- القاضي النعمان:**المجالس**، ص448.

[5]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص436.

[6] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص60-61.

**سابعاً: البيعة أو "العهد على الطاعة" عند الشيعة:**

يتطلب الإقرار بالوَلاية، القيام بشرائط البيعة، وكلمة البيعة تعني العهد على الطاعة ويجب على كل فرد من أسرة الإمام، ومن وجوه دولته الدخول فيها، لأنها برهان لولاء كل مؤمن وحتى كل مسلم، ولا يستثنى من ذلك النساء اللائي يجب أن يشتركن في عقد البيعة للإمام[1].

لقد انعقدت الإمامة في المغرب، للمولى إدريس بن عبد الله ببيعة أهل الحل والعقد له، من وجوه الناس وزعمائهم، عند وصوله إلى المغرب ونزوله على اسحاق بن عبد الحميد الأوربي بوليلي واستقراره بها إذ جمع الأمير عشيرته، وعرّفهم نسب إدريس وقرابته من رسول الله ﷺ، وقرّر لهم فضله ودينه وعلمه واجتماع خصال الخير فيه[2]، فسرّهم أن يكون بينهم وقالوا: الحمد لله الذي أكرمنا به وشرّفنا بجواره وهو سيدنا ونحن العبيد، فما تريد منا؟ قال: "تبايعونه" قالوا: "ما منا من يتوقف عن بيعته" فبايعوه بمدينة وليلي يوم الجمعة رابع رمضان المعظم سنة 172هـ/788م[3]، وقد تدفعنا هذه الرواية إلى التساؤل عن سرِّ هذا الإجماع حول مبايعة الإمام إدريس للوهلة الأولى؟ وكأن القبيلة كانت قد تحضّرت لهذا الأمر من قبل وهذا أمر وارد، فأخبار العلويين كانت تصل باستمرار إلى المغرب الإسلامي، ما جعل شريحة عريضة من قبائل المغرب تتعاطف معهم.

وهكذا بويع الإمام إدريس، إماماً ومؤسساً للدولة الإدريسية في بلاد المغرب، من طرف قبيلة من أعظم قبائل المغرب وأكثرها عدداً، وذلك على السمع والطاعة والقيام بأمره، والاقتداء به في صلواتهم وغزواتهم وسائر أحكامهم[4]، فكان جوابه لهم بقوله: "أيها الناس لا تمدنّ الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا"[5]، ثم توافدت بعد ذلك القبائل المغربية مبايعة، مثل قبيلة زناتة وزواغة وزواوة ولماية وسدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغمارة[6]، فاستقرّ له الأمر وشرع بإرساء قواعد الدولة الفتية وتنظيم أحوالها.

---

[1]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص64.

[2]- الحميري: **الاستقصا**، 1/ 211.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- نفسه، نفسالصفحة

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

[6]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص20.

وفتح سائر بلاد المغرب الأقصى، ونشر بها الإسلام وقضى على اليهودية والنصرانية التي كانت فاشية بها، وظل يجاهد إلى أن استشهد رحمه الله، فبايع أهل المغرب ولده إدريس وهو ما يزال حملاً[1] فلما شبّ سار فيهم بسيرة والده إدريس الأكبر.

واستقر نظام الحكم في المغرب منذ عهد الأدارسة، على ما خططّه إدريس الفاتح، من التمسك بالإسلام الذي هو الحق، واتخاذ البيعة وسيلة لاختيار الأيمة والملوك، مما أصبح سمة البلاد في بلاد المغرب الأقصى، إذ قامت وانحصرت في ثلاثة شروط: أولها البيعة للاضطلاع بأعباء الرعية، وثانيها الحرص على صيانة الشريعة الإسلامية، وثالثها الإخلاص لله سراً وعلانيةً[2].

أما عند الفاطميين فلم يكن العهد على الطاعة نصاً يقرأ، وإنما كانت تُضْرَبُ المضارب الواسعة وتفرش الفرش النفيسة، ويتقدم الناس في الغداة يسلمون على الإمام على مراتبهم، وكان على قاضي القضاة، أو داعي الدعاة أن يقوم بمراسيم البيعة، فيقدم رجال الدولة بين يدي الإمام، ويُعبَّرَ عن البيعة مجازا بتقبيل الأرض بين يدي الإمام[3]، أو بتقبيل اليد أو الرجل أو الذيل وأن يقول الشخص هذه العبارة "السلام على أمير المؤمنين"[4].

كانت البيعة تقام في القصر الكبير، فيعتلي الخليفة العرش وقد لبس لهذه المناسبة تاجا حتى وإن كان طفلا، وهذا التاج لم يكن غير عمامة مرصّعة بالأحجار الكريمة يلبسها الخليفة في جميع الحفلات الفاطمية[5].

وتتوالى الوفود على الإمام من كل جهة ومكان[6]، لمبايعته باعتباره "أميرا للمؤمنين" والرئيس الأعلى الأعلى لأتباعه من المؤمنين وجميع المسلمين، الذين هم على مذهبه، وتعلن البيعة للعامة، بإصدار السجلات إلى عمّال الخلافة واصفة ومعلنة في عبارات مزوّقة خبر تولية الإمام، فيدعى له على المنابر في خطبة صلاة الجمعة، ويُنقش اسمه على قطع النقود، ويطرز على رايات الجيش وبنوده، وعلى ذلك لم

---

[1])- الحميري: **الاستقصا**، ص217.

[2])- يوسف الكتاني: نظام الحكم الإسلامي المغربي،مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، المغرب، ع.1، السنة 30 ، 1981م، ص241.

[3])- إدريس عماد الدين:**عيون الأخبار**، 161/5، 169.

[4])- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص64.

[5])- نفسه، ص65.

[6])- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**،174/5.

يكن ثمة فرق كبير بين الرسوم الفاطمية، وما كان متبعا في مبايعة غيرهم من الخلفاء، على الأخص العباسيين[1].

**ثامناً: سلطات ووظائف الإمام عند الأدارسة والفاطميين:**

أقرّ الإمام إدريس النظم المالية والإدارية، واتبع أصول الشريعة فيما يتعلق بالجبايات، وتأثر بالنظم الإدارية القديمة في تقسيم الدولة إلى عمالات، وبرغم استئثاره بالحل والعقد إلا أنه استعان بعدد من الوزراء معظمهم من أوربة، من أمثال عبد المجيد بن مصعب وأخيه عمر وراشد بن مرشد[2]، وما يُثْبِتُ استئثاره ببعض الوظائف السامية مثل القضاء، قول ابن عذاري: "وكان رجلاً ... مؤثراً للعدل مقبلاً على أعمال البرِّ"[3].

كما ذكر ابن أبي زرع، أهم الوظائف التي تقلّدها الإمام إدريس الأكبر في قوله: "بايعوه على الإمارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم"[4]، وهو ما يعني أنه كان يقوم بالوظائف الدينية كإقامة الجمعة والصلاة بالناس والوعظ والإرشاد، إلى جانب ذلك الوقوف على حراسة العقيدة الإسلامية، بتطبيق ما شرعه الله لعباده من أحكام.

وزاد الإمام إدريس على هذه الوظائف، وظيفة الجهاد التي قادها لنشر الإسلام بين قبائل المغرب الأقصى، التي كانت على دين النصرانية ودين اليهودية، فأسلم جميعهم على يديه، وذلك بفضل جيش عظيم من خيرة رجال قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة، واستطاع أن يفتح كل بلاد المغرب الأقصى وتلمسان[5]، ثم سار الأبناء من بعد إدريس الأكبر بسيرة جدهم في العدل والفضل والدين والحزم وإقامة الحق وتأسيس البلاد وضبط الثغور.

أما في الإمامة الفاطمية، فإن الإمام الفاطمي ذو سلطة مطلقة، لأنه مفوض من الله معيّن بالنص وهو المعصوم من الخطأ وعالم بأمور الدين، لأنه صاحب معجزة تأويل النصوص[6]،ويستعين الإمام في ممارسة الأعمال بولي العهد وعدة أشخاص من أعيان البلد، الذين يتقاسمون المناصب العليا في الدولة[7]،

---

[1]- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، المرجع السابق، ص66.

[2]- محمود اسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص-ص64-65.

[3]- ابن عذاري: **البيان**، ص119.

[4]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص20.

[5]- نفسه، ص-ص20-21.

[6]- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص127.

[7]- حورية مدني، المرجع السابق، ص26.

وأول الوظائف التي يمارسها ضمن سلطته، هي المهام الدينية، فيعيِّنُ الإمام الفاطمي بنفسه الدعاة من قبله، ويكلفهم بنشر العقيدة التي يشرحها لهم ويقوم بتفسير المعنى الصحيح للقرآن، بالنظر إلى معرفته للمعنى الباطن والظاهر منه، ويكلف دعاته من جهة أخرى بتقديم التفسير أو التأويل للنص القرآني إليه، فإذا نال موافقته وضع عليه علامته، فيصبح الكلام الذي يلقى مقدسا، غير قابل للتبديل أو التغيير وأحيانا كان الإمام يرتِّب في قصره محاضرات أو مجالس يلقيها بنفسه[1].

كما يقيم الإمام صلاة الجمعة، فقد روي عن الإمام المعز لدين الله أنه كان يوم الجمعة وقد تهيأ للخروج ليصلي بالناس، فقيل له إن المسجد قد غصّ بالناس، فقال: ما كان أحسن ذلك لو كان عن نية صادقة وضمائر خالصة وقبول للمواعظ وعمل بما يؤمرون[2].

كان الفاطميون يخصون أئمتهم بالتبحر في علوم الدين، وعلى ذلك يكون الإمام جزءا لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية عندهم، لأن الدين لا يكون تاما بدون علم الإمام، والواقع أن هذا العلم، جعل الإمام في مرتبة فوق مرتبة غيره من البشر[3]، وحسب معتقداتهم أن الدين لا يكون تاما إلا بعلم الإمام[4]. الإمام[4].

ومن الوظائف الواجبة عليه، إقامة كتاب الله جل ثناؤه وسنة نبيه ﷺ وآله، والأخذ لمظلومها من ظالمها ولضعيفها من قويِّها ولوضيعها من شريفها، والتفقد لمعاشها واختلاف حالاتها، وهذا كله وهو ينظر إليهم نظرة المشفق على عياله بجهده[5].

فقد ينشغل الناس بدنياهم ويتلذذون بها، لكن الإمام شغله إقامة أودهم[6] وصلاح أحوالهم والنظر والنظر فيما يعود عليهم ويحمي حماهم، ويدفع عن بيضتهم ويحقن دماءهم ويحصن حريمهم وأموالهم، ويكف أيدي المتطاولين إليهم[7].

فعندما نُصِّبَ الإمام المهدي على رأس الدولة، دوّن الدواوين وأمر بجمع الأموال وأحيا ديوان الخراج، ونصب ديواناً للكشف وديوانا للضياع، وديوانا لأموال للهاربين مع زيادة الله الأغلبي، واتخذ

---

[1]-عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص67.

[2]- القاضي النعمان:**المجالس**، ص121.

[3]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص67.

[4]- حورية مدني، المرجع السابق، ص35.

[5]- إدريس عماد الدين:**عيون الأخبار**،201/5.

[6]- الأود: الاعوجاج، ينظر: جبران مسعود، المرجع السابق، ص135.

[7]- القاضي النعمان:**المجالس**، ص120.

العبيد من السودان والروم، ونصب ديوانا للعطاء وأمر بإثبات الموالي وأبناء العبيد، وأقام بيتا للمال وأقام له ديوانا[1].

وكان المهدي يجلس للناس، وينظر إلى شكواهم ويزيل المظالم ويقيم الشريعة ويأمر بإقامة الحدود ويظهر تحريم الخمر وسائر المحرمات، ويضع العلامة على الأوراق الرسمية، التي كانت أغلبها تفتتح بالبسملة وبعدها الحمدلة مباشرة، وهذه الأخيرة تتكون من مصطلح خاص، يشتمل بالضرورة على صيغة الحمد، يُعلِّمُ به الخليفة بيده على الأوراق الرسمية، في مكان يتركه الكاتب بعد البسملة وهي ما عرفت باسم العلامة[2].

كما أن من وظائفه وضع التوقيعات[3]، فكان أول توقيع أخرجه المهدي في الغد من وصوله إلى رقادة أمر أن يدعى به على المنابر، وانفذه إلى خطيبي رقادة والقيروان بالدعاء بعد الصلاة على محمد ﷺ، وعلى علي رضي الله عنه وفاطمة والحسن والحسين والأيمة من ولده[4].

وسأل المعز لدين الله أحد قضاته عن أمر رفع إليه في بعض الحكام، فكتب إليه أن ذلك يقال عنه عن غير حقيقة يثبت بها، فوقّع إليه تحت ذلك:"قد سترنا وكذلك قال مولاك علي بن الحسين عليه السلام لم يعش مع الناس إلا من جهلهم"[5].

بالإضافة إلى هذا كان المهدي يخرج في مواكب فخمة ومنظمة، لاستقبال الوفود ويجلس في مجلسه مع الفقهاء والشيوخ، بوصفه خليفة وإماما[6]، ويستقبل رسل الملوك ويدير دقّة الأمور الحربية، وكان موظفو الدولة مسؤولون أمامه، فهو يفوض سلطته إلى عدد كبير من الموظفين، وزراء وولاة وقواد وقضاة ودعاة وغيرهم من أرباب الوظائف، فكانت سلطة هؤلاء مستمدة من سلطته التي لا يمنحها إلا للذين حازوا ثقته وبرهنوا على إخلاصهم الشديد لعقيدة الدولة[7].

---

[1]- القاضي النعمان:**إفتتاح الدعوة**، ص-ص303-304؛ إدريس عماد الدين، **عيون الأخبار**،176/5-177.

[2]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص10.

[3]- التوقيعات هي الأجوبة التي يكتبها الملوك والخلفاء عن رسالة أو طلب أو استشارة، ترفع إليهم وقد يكون التوقيع بمبادرة منهم، ينظر: هامش رقم(1)، القاضي النعمان:**المجالس**، ص98.

[4]- القاضي النعمان:**افتتاح الدعوة**، ص293.

[5]- القاضي النعمان:**المجالس**، ص98.

[6]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص424.

[7]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص72.

قرّر عبد الله المهدي بفضل سياسته، إشراك عصبيات مغربية أخرى في الجيش حتى لا تنفرد كتامة وحدها بهذه المهمة، فتمتلك القوة وتتحكم في أمور الخلافة، فيذكر حاجبه جعفر الصقلي، أنه عند قدوم المهدي من سجلماسة إلى رقادة، وأثناء مروره ببلاد صنهاجة عند الموضع الذي بنيت فيه أشير، سأل عن جبل صنهاجة فأُشير له عليه فقال: "لنا في هذا الجبل كنز"، والمراد بالكنز هو قبيلة صنهاجة التي اعتنق كبيرها زيري بن مناد المذهب الشيعي[1]، وحاول الخلفاء الفاطميون أن يكسبوا بعض القبائل الزناتية، فولوا زناتيا مكناسيا على تيهرت، وكلفوه بالتوسع شرقا فاستولى على سجلماسة سنة (309هـ/921م)[2].

## تاسعاً: الألقاب الخلافية وشارات الملك

### 1- الألقاب الخلافية

**أ- الإمام**: كان من أهم ألقاب الأدارسة والفاطميين "الإمام" الذي اشتقت منه كلمة إمامة، التي هي الإئتمام وهو الاتباع والاقتداء والعمل بعمله والقول بقوله، وطاعة الإمام واجبة متفرعة عن وجوب طاعة النبي ﷺ[3]، كما أنه يحمل معنى الإحاطة بالعلوم الدينية والدنيوية، ولأنه لقب علي ﷺ، وكان ينقش على قطع النقود ويذكر في المراسلات الرسمية لذلك كان من أهم وأقدم ألقابهم.

فالإمام الإسماعيلي هو مصدر كل علم، وهو المفسر للشرع وإليه يرجع الفقهاء، في كل ما يشكل عليهم من أمور الدين، وهذا العلم ورثه الأيمة عن النبيﷺ، حسب ما جاء على لسان أيمتهم وفي كتبهم الفقهية والفلسفية[4].

**ب- أمير المؤمنين**:اختار عبد الله المهدي أن يُلّقب بهذا اللقب، بعد تأسيسه الخلافة الفاطمية في المغرب، لأنه يدرك جيدا الفرق بين الإيمان والإسلام، ففي قول الله تبارك وتعالى﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات:14]، فدلّ ظاهر كتاب الله جل ذكره على أن الإيمان شيء والإسلام شيء، لا على أنهما شيء واحد كما زعم العامة وقد روينا عن أبي عبد الله جعفر بن محمد أنه قال: "الايمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان

[1]- بوبة مجاني، من قضايا التاريخ الفاطمي، المرجع السابق، ص87.

[2]- نفسه، ص86.

[3]- محمد حسن قدردان قراملكي، المرجع السابق، ص14.

[4]- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص119.

والإسلام هو الظاهر والإيمان هو الباطن الخاص في القلب[1]، ففي رأيهم الإسلام ظاهر بينما الايمان من صنع الله في القلب، فهو باطن يشمل فكرة الإقرار التي هي اعتراف بالوحي، الذي هو إيمان بالله وبالنبي وبالأيمة الفاطميين[2].

فورد لقب أمير المؤمنين، في أول مرسوم أصدره المهدي من قصر الخلافة برقادة إلى العالم الإسلامي، فقال"اللهم صلّ على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك، عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين..."[3]، وهو ما لم نجده عند الأدارسة الحسنيين، إما لأنهم لم يتخذوا هذا اللقب أو أن نقص الكتابات وانعدامها عن تاريخهم كان هو السبب في ذلك.

**ج- المهدي:** اتخذ عبد الله الفاطمي هذا اللقب بعد توليه الإمامة في المغرب، واسم المهدي من الهدي: وهو إخراج شيء من شيء وهو الطاعة والورع[4]، ويشير هذا اللقب إلى رجل هداه الله إلى الطريق المستقيم.

استغلت نظرية المهدي المنتظر كثيرا في التاريخ الإسلامي، إما من طرف السلطة القائمة آنذاك لتثبيت حكمها، أو من المعارضة التي كانت تهدف إلى إسقاط تلك الأنظمة وتأسيس دول جديدة، فقد قال الرسول ﷺ ( يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فتسع، فتنعم فيه أمتي نعمة لم ينعموا مثلها قط تؤتى أكلها ولا تدخر منهم شيئا، والمال يومئذ كدوس فيقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذ)[5].

كان أول من تلقب به من العلويين محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، ثم اعتقد الناس بمحمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي أنه المهدي المنتظر، لتشابه اسمه باسم الرسول ﷺ، وتلقب به عبد الله فكان داعيته في المغرب أبو عبد الله الشيعي يحرص على إعلام أتباعه أنه لا يعمل إلا لحساب مولاه "المهدي المنتظر" والإمام المنحدر من نسل الرسول ﷺ[6]، ثم سار خلفاؤه على على سنته في اتخاذ اللقب حتى آخر ملوكهم.

---

[1]- القاضي النعمان:**دعائم الاسلام**، 1/ 12.

[2]- عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص74.

[3]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص424.

[4]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج15، ص355.

[5]- سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب 34، رقم الحديث 4083، ص1366.

[6]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص -ص422-423.

اتخذ الفاطميون الألقاب التي كان يحملها أيضا، الخلفاء العباسيون في بغداد والأمويون في قرطبة لكي ينافسوا الآخرين على خلافة المسلمين، ويعبروا من جهة أخرى عن أحقيتهم في السلطة، من خلال اتخاذهم للألقاب التي تلقّب بها غيرهم.

فكان الإمام الفاطمي، يتلقب ببعض ألقاب الكناية المكانية "كالحضرة الشريفة" ولقب "صاحب الزمان" و"السلطان" و"الشريف القاضي" [1]، كما اتخذ ولاة العهد الأسماء الفخرية الخاصة جريا على النمط، كالقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله على نمط التقاليد العباسية، واهتمّ ديوان الانشاء في عصر الفاطميين بتنظيم الألقاب وترتيبها رغبة أو تلبية لأوامر الخلفاء[2].

**2- شارات الملك:**

لم يعرف البلاط الفاطمي، في بلاد المغرب مظاهر الترف والبذخ، كالذي عرفه في مصر، لأن الفترة الزمنية التي قضاها الفاطميون في بلاد المغرب، والمهام الخطيرة التي أنيطت بها، جعلت الاهتمام ينصبّ على الأمور المالية والعسكرية، أكثر من الاهتمام بالحياة الخاصة في البلاط ومظاهر الترف[3]، وقد يكون عدم اهتمامهم هذا، دليلاً على عزمهم وتخطيطهم للرحيل، عن المغرب الإسلامي حينما يحين الوقت لذلك.

**أ- العرش:** كان الخلفاء الفاطميون، يظهرون في الاحتفالات الرسمية على سرير(عرش) يرجع تاريخ استعماله إلى عهد المهدي، وفي زمن المعز أيضا حيث كان يجتمع بشيوخ كتامة وهو جالس على عرشه[4].

عرشه[4].

**ب- التاج:** يرجع استعماله إلى عهد المعز، وكان ينعت عندهم بالتاج الشريف ويعرف بشدة الوقار وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام، وفيه جوهرة عظيمة وحولها جواهر أخرى دونها[5]، ومركّب من شريط دائري تعلوه ثلاث ورقات في شكل مثلث، ويبدو أن هذا النموذج تدل على وجوده رخامة منحوتة، اكتشفت في المهدية وتختلف عن تيجان ملوك النصارى[6].

---

[1]- حورية مدني، المرجع السابق، ص38.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- بوبة مجاني، النظم الإدارية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص129.

[4]-فرحات الدشراوي، المرجع السابق ص429.

[5]- القلقشندي: **صبح الأعشى**، ج3، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1332هـ/1914م، ص472.

[6]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص428؛ حورية مدني، المرجع السابق، ص24.

**ج- الخاتم:** كان لخاتم الخلفاء عندهم مقام عظيم، إذا تناوله الوزير أو غيره ليختم به كتابا وقف على رجليه تعظيما للخلافة، فإذا أرادوا ختم كتابٍ سخنوا الطين أو المداد وطبعوه على صفح القرطاس أو على جسم ليّن كالشمع، حتى ترسم صورة الختم عليه في آخر الكتاب، ويكون ذلك اشارة إلى صحة الكتاب، ويسمون الختم أيضا علامة[1]، كان عند الفاطميين من ذهب ينقش عليه عبارات في شكل شعار يشير إلى انتصار قضيتهم، فخاتم المهدي حمل عبارة "بنصر الدائم ينتصر الإمام القاسم" أما الإمام المنصور فشعاره كان يعبر عن تأثره بالمذهب الاسماعيلي "بنصر الباطن الظاهر، ينتصر الإمام أبو الطاهر"، وأخيرا شعار المعز "في سبيل الله الواحد الأوحد، يدعو الإمام معد"[2].

**د- المظلة:** تُحملُ على رأس الخليفة عند ركوبه، وهي قبّة على هيئة خيمة في رأس عمود بدائرة[3]، كان أبو القاسم يتخذ مظلة في أيام أبيه، والمظلة التي اختصوا بها دون سائر الملوك، شبه درقة في رأس رمح محكمة الصنعة رائقة المنظر، ظرف من الصناعة في الصياغة ونظم الأحجار الغالية، ما يروق مرآه ويدهش من رآه، يمسكها فارس من الفرسان يعرف بها فيقال صاحب المظلة، وكانت عندهم خطة يتداولها من يؤهل لها، فيحاذي بها الملك من حيث كانت الشمس، فتقيه حرها بظلها[4].

**هـ- الطبل والمذبتان:** وهما مذبتان عظيمتان، كالنخلتين ملويتان محمولتان عند رأس فرس الخليفة في الركوب[5]، فكان الطبل والمذبتان من شارات السيادة التي استخدمها الفاطميون منذ الوهلة الأولى في المغرب الاسلامي، تأثرا بأهل الشام[6].

**و- الألوية:** أخذ الفاطميون في أول خلافتهم بتسميتيْ اللواء والراية، اللذين كانتا سائدتين في كل العصور الاسلامية التي سبقتهم، منذ عصر الرسول ﷺ وعصر خلفاءه الراشدين، ومن جاؤوا بعدهم من خلفاء الأمويين والعباسيين.

فكانت الأعلام وأعلاها اللواءان المعروفان بلواءي الحمد، وهما رمحان طويلان ملبسان بأنابيب من ذهب إلى حد أَسِّنَتِهِمَا، وبأعلاهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم المذهب، ملفوفتين على الرمحين غير

---

[1]- جرجي زيدان: **تاريخ التمدن الاسلامي**، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص134.

[2]- حورية مدني، المرجع السابق، ص25؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص430.

[3]- القلقشندي:**صبح الأعشى**، 473/3.

[4]- ابن حماد الصنهاجي: **ملوك بني عبيد**، ص- ص47-48؛ فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص428؛ حورية مدني، المرجع السابق، ص25.

[5]- القلقشندي:**صبح الأعشى**، ص474.

[6]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص430؛ حورية مدني، المرجع السابق، ص28.

منشورين، يخرجان لخروج المظلة إلى أميرين معدين لحملهما[1]، وكانت راية الفاطميين بيضاء، تتألف من رقعة من الكتان مستطيلة الشكل، رسمت عليها أحيانا أهلة من ذهب، في كل منها صورة سبع من الديباج الأحمر، وبذلك يعتبر الفاطميون أول من استعمل الهلال كشعار في الرايات الاسلامية[2]، وكان يثبت إسم الخليفة ولقبه في الألوية المقدمة إلى قواد الجيش عند توجههم إلى القتال، وكانت هذه النقائش مستوحاة من المذهب الاسماعيلي، تبعا لتوجيهات الخليفة[3].

**ز- البنود:** هي عبارة عن قطع من القماش، تكتب عليها الشعارات، وهي رايات لطاف ملونة من الحرير المرقوم، ومكتوب عليها "نصر من الله وفتح قريب" أو شعارات أخرى مثل "سيهزم الجمع ويولون الدبر" و"قلجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً"، طول كل راية ذراعان، عددها إحدى وعشرون راية، يحملها أحد وعشرون فارسا من صبيان الخليفة على ظهور البغال[4].

**ح- السكة:** كانت السكة من مظاهر سلطة الخليفة، أو الأمير أو من ينوب عنهما وأهم شارة من شارات الدولة وأحد ركائز مقوماتها الاقتصادية، لأنها وثائق رسمية معاصرة للأحداث، ولها صلة بالفنون الاسلامية كالكتابات وتطور الخط العربي، فالكتابات الواردة على السكة تشمل أسماء الخلفاء وألقابهم وأسماء مراكز الصناعة وتواريخ إصدارها، إلى جانب العبارات التي تظهر بعض الحقائق التاريخية، خاصة بعد دخول المغرب الأقصى تحت سيادة الإمامة الإدريسية، التي عززت وجودها ببناء دار السكة في فاس، أما فيما يتعلق بالإمامة الفاطمية فقد كان الداعية أبي عبد الله الشيعي، أول من ضرب دنانير جديدة تخليدا لانتصاراته على الأغالبة، فكتب على وجه السكة، "بلغت حجة الله" وعبارة "تفرق أعداء الله" في الظهر، أما في عهد المهدي فقد ضربت على طراز الدنانير الأغلبية، شكلا ومضمونا باستثناء ظهور إسم المهدي وألقابه الشيعية[5].

**ط- الطراز:** من شارات الخلافة، وهو قديم في الدول من عهد الفرس والروم، وذلك أن يرسم الملوك والسلاطين أسماءهم أو علامات تختص بهم، في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير، كما جعلها

---

[1]- القلقشندي:**صبح الأعشى**، ص473.

2)- صالحبن قربة،الرايات والأعلام في الدولة الفاطمية، قصة الاسلام، http://islamstory.com/ar/artical/3408277، 2021/03/16، سا 09.06.

[3]- فرحات الدشراوي المرجع السابق، ص430.

[4]- القلقشندي: **صبح الأعشى**، 474/3؛ حورية مدني، المرجع السابق، ص ص38-39.

5)- صالح بن قربة:المسكوكات الفاطمية في حضارة المغرب الاسلامي، مجلة الدراسات الأثرية، الجزائر، مج1، ع1، دس، ص ص34، 36؛ وانظر الملحق رقم03 والملحق رقم09.

الخلفاء على ملابس أجنادهم ورجال دولتهم، شارة الخلافة واسم الخليفة أو لقبه أو نحو ذلك، وبقاء هذا الطراز على شارات الدولة وبنودها وكساءها يدل على بقاء سلطانها[1]،وكان الطراز من أعمال العبيد الرقّامين بالذهب فيما يلبسه الأيمة، وفي البسط من عجيب أعمالهم ومعجز صنعتهم، وهذه النقوش كانت مأخوذة من المذهب الاسماعيلي والمطابقة لتوجيهات الخليفة وتحتل مساحة كبيرة من الأقمشة والبسط المطروزة[2].

**عاشراً: حاشية الخليفة الفاطمي وآداب اللقاء في حضرته:**

**1- حاشية الخليفة:**

فرض النظام المركزي للدولة الفاطمية في بداياته، على أفراد الحاشية دوراً ثانويا انحصر في تطبيق أوامر الإمام، هذه الحاشية ينتمي أفرادها إلى فئات عرقية مختلفة، أبرزها فئة العرب والبربر والصقالبة الذين رافقوا المهدي عند مجيئه إلى المغرب.

**أ- العرب:** منهم عدد قليل من الموظفين، الذين كانوا مباشرين لمهامهم في العهد الأغلبي السابق وأقرهم المهدي في مناصبهم لمواصلة سير النشاط الإداري[3]، وحتى لا تتوقف أجهزة الدولة عن العمل فيحدث اضطراب وفوضى.

**ب- الصقالبة:** احتل الصقالبة مكانة مميزة عند الأيمة الفاطميين، بداية من عهد الإمام عبد الله المهدي الذي اصطحبهم معه في رحلته إلى المغرب، وقرّبهم وائتمنهم على أسراره، كما عُرِفُوا بولائهم الشديد للسلطة الفاطمية، فجازاهم الأيمة بأن منحوا لهم أهم المناصب في الدولة.

اختص هؤلاء في الفترة الأولى من تاريخ الدولة، برعاية أهل الدار والوقوف يمين ويسار العرش، ثم تطور دورهم إلى شغل منصب الحجابة، أثناء المواكب الرسمية التي يحضرها الخليفة، وعهدت لهم في المرحلة الأخيرة من حكم الفاطميين المهمات العسكرية، حتى أن أحدهم خلف المنصور على افريقية وأسقط الجباية عنهم، وكانت له إمامة صلاة الجمعة[4].

**ج- كتامة:** رافقت كتامة نشأة الدولة الفاطمية، وكانت سيف الداعي أبي عبد الله الشيعي، الذي أخضع المغرب الاسلامي، لذلك خُصُّوا بمعاملة خاصة، رغم الفتنة التي كادت أن تعصف بهذا الوثاق

---

[1]- جرجي زيدان، المرجع السابق، ص -ص145-146.

[2]-حورية مدني، المرجع السابق، ص26.

[3]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص439.

[4]- حورية مدني، المرجع السابق، ص33.

الغليظ الذي كان بين كتامة وابي عبد الله، ونجح الأيمة بعد المهدي بإعادة كتامة إلى مكانها المنوط بها، فهم في نظر القائم بأمر الله " كحواري عيسى وأنصار محمد ﷺ وآله وقال لهم: "أنتم خبيئة الله لهذا الحق المحمدي الفاطمي المهدي حتى أظهره الله وأعلاه"[1].

وقال عنهم المنصور "أهل دعوتنا وأنصار دولتنا" "اللهم إني أصبحت راضيا عن كتامة"،[2] وقال فيهم المعز لدين الله "إني قد أنزلت كباركم مني منازل الأخوة وصغاركم منازل الأولاد... وأنتم اليوم معنا في خير زمان مع خير إمام، برٌ بكم، عطوف عليكم، محسن إليكم يقيلكم العثرة ويغفر لكم الزلّة ويحسن إلى محسنكم ويتغمّد عن مسيئكم"[3].

## 2- آداب اللقاء في حضرة الإمام:

اتخذ الإمام لنفسه في الحياة العامة صورة مُتَّفَرِدَة، فهو العالم والمتعالي بمكانته عند الله والمعصوم لذلك وضعت آداب للوقوف بين يديه، وهي أن يسلم الداخل عليه ثم يقبِّل الأرض بين يديه، وقبل أن ينحني لتقبيل الأرض، يجب عليه أن ينطق بالعبارة التالية "السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" وأن يقف أمام الإمام ليُمَكِّنَهُ من مشاهدته[4].

كان قاضي الدولة الفاطمية، أبو حنيفة النعمان في المنصورية إذا دخل على المنصور بالله قبّل الأرض بين يديه تعظيما له وإجلالا لمكانه، ويرى أن الله تعالى لم يلزمه بذلك، بل هو من وجوه التأديب والارشاد والاختبار والامتحان[5]، ويرى أن الحضرة العلية للإمام تفرض ذلك، فيقول:"فوالله ما دريت ما أقول ولا عوّلت إلا على تقبيل الارض، ثم أومأ إليّ بيده فقبّلتها"[6]،كما وقف الشعراء بين يدي الأيمة منهم سعدون الورجيني[7] الذي مدح المهدي، وكان من شعراء بني الأغلب، أُسِرَ في بلاد الروم وفدي وجاء زائرا

---

[1]- أبي علي منصور الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، تح. محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر 1962م، ص54.

[2]- الجوذري: **سيرة جوذر**، ص59.

[3]- النعمان: **المجالس**، ص96.

[4]- فرحات الدشراوي، المرجع السابق، ص426.

[5]- القاضي النعمان، **المجالس**، ص ص57-58.

[6]- نفسه، ص51.

[7]-كان شاعرا مشهورا في العصر الأغلبي بنزعته السنية، سواء في مدحه بعض الأمراء أو في رثائه.. كما اشترك في الحياة الإدارية وفي حرب صقلية وناله الأسر وافتدي، غير أنه بعد دخول المهدي إلى رقادة مدحه بقصيدة هامة ضمنها تأكيد نسبه العلوي وما جرى له ولداعيه أبا عبد الله من خطوب، وأصبح من المحظوظين في الدولة وأعجب به المهدي وداعيه أبو عبد الله فأجزلا له العطاء، ينظر: موسى لقبال، **دور كتامة في الخلافة الفاطمية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م، ص230.

زائرا للإمام المهدي[1]، وبالإضافة إلى الورجيني مجّد شعراء آخرون أمثال: علي بن محمد الأيادي الذي اشترك في الحياة السياسية ومدح المهدي، وعاصر القائم والمنصور وخلّد انتصاره على خصمه الثائر أبي يزيد بقصيدة طويلة، وأيضا الشاعر محمد بن البديل، الذي مدح عبد الله المهدي غداة دخوله رقادة بأبيات فيها مبالغة[2].

قال الورجيني في مدح الإمام المهدي:

أعَنْ ابن فاطمة تصدين امرأ

بنت النبي وعترة التطهير

كفي عن التثبيط إني زائر

من أهل بيت الوحي خير مزور

كانت هذه قصة نجاحٍ ثانية، كتبها شيعة علي ﷺعلى أرض المغرب الطيّبة، بعد الصفريين والإباضيين، بفضل اجتهادهم وجهادهم وحبّهم لآل بيت الرسول ﷺ، رغم الاختلاف الكبير بين الأدارسة والفاطميين، إلا أنهم وصلوا إلى غايتهم وحكّموا عليهم ذرية رسول الله ﷺ، من أبناء الحسن والحسين رضي الله عنهما، وأسسوا دولاً عمّرت لقرون.

[1])- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 175/5.

[2])- لقبال، المرجع السابق، ص ص230-231.

## الفصل الثالث: الإمامة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي (524-668هـ/1130-1270م)

**أولاً: الأوضاع السياسية ف ي المغرب قبيل ظهور محمد بن تومرت**

**ثانياً: محمد بن تومرت إمام الموحدين**

**ثالثاً: الإمامة في عقيدة المهدي ابن تومرت:**

1- مفهوم الإمامة عند ابن تومرت

2- وجوب الإمامة عند ابن تومرت

3- طبيعة الإمام عند ابن تومرت

4- أركان الإمامة عند مهدي الموحدين

5- بيعة ابن تومرت على الإمامة

**رابعاً: الخلافة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي**

1- مرحلة الخلافة الشورية بقيادة عبد المؤمن بن علي

2- مرحلة الخلافة بالنظام الوراثي

**خامساً: خلفاء عبد المؤمن بن علي**

**سادساً: البيعة وولاية العهد عند الموحدين**

**سابعاً: سلطات الإمام الموحدي ووظائفه**

**ثامناً: الألقاب الخلافية وشارات الملك**

**تاسعاً: أهل الدار ( الحاشية الخاصة)**

**عاشراً: أدب اللقاء مع الإمام والخليفة الموحدي**

## الفصل الثالث: الإمامة الموحدية في بلاد المغرب الإسلامي (524-668هـ/1130-1270م)

دفعت الظروف الاجتماعية والاقتصادية، بعض الشخصيات المثابرة والطموحة، إلى إحداث تحوُّلٍ سياسي من خلال إنشاء الدول، وتكرر هذا الفعل كلما تراجعت السلطة، في أداء مهامها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية، وهو ما حدث نهاية عصر الدولة المرابطية والزيرية، وساهم في ظهور دولة الموحدين في بلاد المغرب الإسلامي.

### أولاً: الأوضاع السياسية في المغرب قبيل ظهور محمد بن تومرت:

كانت تحكم المغرب أوائل القرن السادس دولة المرابطين التي تأسست سنة 448هـ/1056م وشمل نفوذها كامل المغرب الأقصى والأندلس، واستمرت دولةً قائمة إلى أن أطاح بها الموحدون نهائياً سنة 541هـ/1147م[1]، أما المغربان الأوسط والأدنى، فقد كانا تحت سيطرة الدولة الصنهاجية التي خلفت الدولة الفاطمية، يقول المقريزي: "واستدعى المعزُّ يوسف بن زيري الصنهاجي وقال: تأهب لخلافة المغرب"[2]، وكان ذلك سنة (361هـ/972م)،لكن في النصف الأول من القرن الخامس انقسمت هذه الدولة على نفسها، حيث استقل أحد أفراد الأسرة الزيرية وهو حمّادبقسم كبير من المغرب الأوسط وانفصل سياسياً عن الزيريين وأعلن مناصرته للمذهب السني المالكي ودعا لآل العباس[3].

وعندما سقطت هذه الدول، تمكنت دولة الموحدين من بسط نفوذها على جميع المغرب الإسلامي والأندلس، حيث تميزت هذه الدولة بنظامها الخلافي الذي بُنِيَ واستقرّ بعد مروره بمرحلتين مفصليتين، هما مرحلة الدعوة التي أقامها الإمام محمد بن تومرت ومرحلة تأسيس الدولة التي بناها الخليفة عبد المؤمن بن علي، وحتى نفهم جيدا موضوع بحثنا هذا، سنبدأ بالمرحلة الأولى التي كان بطلها المغربي المصمودي محمد بن تومرت، فقدأُسِيلَ حبر كثير عن هذه الشخصية المغربية، التي يراها البعض غامضة نظرا لكثرة الأساطير التي نسجت حولها، فأجلّها البعض ووصفها البعض الآخر بالعنيفة والوحشية، فما حقيقة هذه الشخصية؟

---

[1]- عبد المجيد النجار: **تجربة الاصلاح في حركة المهدي بن تومرت**، ط2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، 1415هـ/1995م، ص44.

[2]- المقريزي: **اتعاظ**، 99/1.

[3]- علي الهادي الادريسي: **الإمامة عند ابن تومرت**، إشراف. أبوعمران الشيخ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1986/1987م، ص68.

**ثانياً: محمد بن تومرت إمام الموحدين:**

**1- نسبه ومولده:** هو محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل، بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ[1]، المكنى بأبي عبد الله والملقب بالمهدي والمعروف عند بعض المؤرخين بفقيه السوس[2]، وتثبت له كثير من الروايات نسبا ينتهي إلى علي بن أبي طالب وفاطمة بنت محمد ﷺ[3]، فكان محمد المسمى المهدي القائم بدولة الموحدين حسن القد، أسمر اللون، رقيق البشرة، أفلج أقنا غائر العينين، خفيف العارضين له شامة سوداء في خده الأيمن[4]، ولد بقرية تسمى" ايجل" بمنطقة السوس، جنوب المغرب الأقصى سنة 474هـ/1081م، أسرته كانت من أواسط القوم غير بارزة الثروة، إلا أنها كانت على مكانة دينية[5]، يقول ابن خلدون: "كان أهل بيته أهل نسك ورباط"[6].

يختلف المؤرخون في اسم المكان الذي ولد به ابن تومرت، إذ يذكر المراكشي أنه ولد بضيعة تعرف بأيجلي أَنْ وَارْغَنْ، في حين يذكر ابن القطان أنه ولد بموضع يسمى تومكران[7]، هذه الضيعة من قرى هرغة الواقعة على سفح جبل إيجليز من قوم شرفاء (إسرغينن)، وكان أبوه أمغار القبيلة أي شيخها[8] تعلم تعلم في قريته ونال منها الحظ الوافر من العلم على اعتباره كان شغوفا بطلب العلم والمعرفة، وهذا ما

---

[1]- البيذق: **المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب**، تح. عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، المغرب، 1971م، ص12.

[2]- بلاد السوس الأقصى ومدينته هي تارودانت، وبلاد السوس كثيرة عمارتها متصلة بعضها ببعض وبها من الفواكه الجليلة أجناس مختلفة وأنواع كثيرة، والغالب على أهلها الجفاء وغلظ الطبع وقلة الانقياد وهم أخلاط من البربر المصامدة، ينظر: الادريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص ص227-228.

[3]- ينظر عن نسب ابن تومرت، تاريخ ابن خلدون، 301/6، طبعة بيروت؛ الحلل الموشية، ص103؛ المعجب، ص126، طبعة بيروت؛ نظم الجمان، ص87؛ تاريخ الدولتين للزركشي، ص11.

[4]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص181.

[5]- النجار، تجربة الاصلاح عند ابن تومرت، المرجع السابق، ص56.

[6]- ابن خلدون: **العبر**، 301/6.

[7]- علي الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص97.

[8]- عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999م، ص684.

أكّده ابن خلدون حين قال: "وشبّ محمد هذا قارئا محبا للعلم وكان يسمى إسّافو[1] أو إسّفَاوْ ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها"[2].

أما عن كنيته "تومرت"، فقيل إنها كانت لأبيه ومعناها باللسان البربري (الفرحة)، ذلك أنّ أم والد ابن تومرت كانت تنادي ابنها "آتومرت اينو"، أي يا فرحتي واستمرت تلك الكنية معه، أما محققو نظم الجمان فيرون أن لفظ تومرت تعني على الأرجح ضربا من الأكسية الجلدية، ووصفه ابن أبي زرع[3] بأنه ذا ذا سياسة ودهاء ومكر[4] وناموس عظيم، وكان مع ذلك عالما فقيها راويا لحديث النبي ﷺ، حافظا له عارفا بالأصول عالما في علم الاعتقاد والجدل، فصيح اللسان مقداما على الأمور العظام، وكان مع ذلك متيقظاً في أحواله، ضابطا لما ولي من سلطانه[5].

وأما المراكشي[6] فيقول عنه: "وكان قد وضع له في النفوس هيبة وفي الصدور عظمة، فلا يراه أحد إلا هابه وعظّم أمره وكان شديد الصمت كثير الانقباض، إذا انفصل عن مجلس العلم لا يكاد يتكلم بكلمة، وكان لا يتعذّر عليه مراد ولا يمتنع عليه مطلوب قد سُخِّرت له الرعية وذلِّلت له الجبابرة"[7]، وقال

---

[1]- نسجل أن لفظة "آسافو" لها معاني مجازية في لهجات البربر، منها ما يطلق على صاحب الفطنة والنباهة والحيلة القوية، كما يطلق على سريع الغضب والمستجيب لكل إثارة بحسم شديد، كما يمكن أن تطلق على من لا يقبل الإهانة ولا يرضى أن يبيت على ضيم ولا يهدأ حتى يرد الصاع صاعين، ينظر: عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص101.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 301/6.

[3]- ابن أبي زرع مؤرخ عاش في كنف الدولة المرينية، لم يجمع المؤرخون على تحديد سنة معينة لمولده والأكثر احتمالا أنه ولد نهاية الدولة الموحدية أي سنة 660هـ/1262م أو669هـ/1270م، وتوفي سنة 741هـ/1340م.

[4]- وصف ابن أبي زرع الامام ابن تومرت "بالمكر وبأنه كان سفاكا للدماء غير متورع فيها ولا متوقف عنها يهون عليه سفك دم عالم عالم من الناس في هوى نفسه وبلوغ غرضه، مهد الملك لغيره بالخدع"، هذا الكلام لا يمكن الجزم به إلا بعد تحقيق عميق، لأن ابن أبي زرع عاش في كنف دولة معادية لدولة الموحدين، وقد يكون هذا الكلام مبالغ فيه لإرضاء السلطة المرينية.

[5]- ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص ص181-182.

[6]- عبد الواحد المراكشي، ولد في مدينة مراكش سنة 581هـ/ 1185م، وتعلم فيها ثم انتقل إلى فاس حيث تعلم القرآن عن جماعة جماعة مبرّزين في علم القرآن والنحو، ثم عاد إلى مراكش وعبر إلى الأندلس وتوفي في مصر سنة 648هـ/ 1250م، ينظر: مقدمة كتاب المعجب للمراكشي، ص3.

[7]- عبد الواحد المراكشي: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ/ 2005م، ص ص129-130.

وقال عنه ابن خلدون: "وكان حصورا[1] لا يأتي النساء، وكان يلبس العباءة المرقّعة، وله قدم في التقشف والعبادة، ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم[2] والله تعالى أعلم"[3]، كان ميلاده وطفولته في أوج الدولة المرابطية، حيث كان المجتمع المغربي يستعيد دوره في التاريخ بعد الركود الذي أصابه عقب انهيار دولة الأدارسة، توفي عن عمر يناهز بين الخمسين سنة والخمس والخمسين سنة، في سنة 524هـ/1130م[4]، في يوم الأربعاء وقيل يوم الخميس الخامس والعشرون من شهر رمضان المعظم[5]، وقبره في مسجده لصق داره في تينملل[6]، بعد أن أسسّ أمور دولته وأحكم تدبيرها ورسم لها مستقبلها.

ولمّا كان اليوم الأخير أراد أن يودِّع أتباعه الوداع الأخير، فكان مشهدا رهيبا أجهشت له النفوس بالبكاء، حيث ركب بغلته يشدُّه اثنان من أصحابه، وجمع الناس ليسمعهم كلامه، فوعظهم حتى أضحى النهار، ثم قال: أعرفوني وحقّقوني أنا مسافر عنكم سفرا بعيدا، فقال الحاضرون: إن كنت تسير إلى الشرق نسير معك، فقال: ليس هذا سفرا يسافره معي أحد إنما أسافر وحدي ثم دخل ولم يره أحد أبدا[7].

---

[1])- وقوله "حصورا" هو الذي لا يأتي النساء، وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحي أنه كان حصورا ليس كما قال بعضهم، إنه كان هيوبا أو لا يأتي النساء، بل أنكر هذا حذّاق المفسرين ونقّاد العلماء، وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب، أي لا يأتيها، كأنه حصور عنها وقيل مانع نفسه من الشهوات، والمقصود أنه مَدْحٌ ليحي بأنه حصور، ليس أنه لا يأتي النساء بل معناه قاله هو وغيره: أنه حصور من الفواحش والقاذورات ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن، بل يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم، حيث قال ﴿ هب لي من لدنك ذرية طيبة﴾[آل عمران: 38]، كأنه (قال: ولدا) له ذرية ونسل وعقب والله سبحانه وتعالى أعلم، ينظر: أبو الفداء اسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم، تح. مصطفى السيد محمد وآخرون، ج3، ط1، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1421هـ/2000م، ص، ص 55،57.

[2])- العصمة عند ابن تومرت غير تلك التي عند الإمامية من الشيعة، سنناقش ذلك نهاية البحث إن شاء الله.

[3])- ابن خلدون، **العبر**، 305/6.

[4])- علي الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص98.

[5])- البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م، ص43.

[6])- ابن خلدون: **العبر**، 305/6.

[7])- البيذق: **أخبار**، ص42؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص ص66-67.

## 2- رحلته إلى المشرق:

تلقى ابن تومرت دراسته الأولية بالكتاتيب في قريته، فتعلم القرآن حفظا ورسما وقراءةً، على عادة أهل المغرب، ولا يبعد أن يكون بعد هذه المرحلة قد تناول شيئا من العلوم الشرعية، وخاصة علوم الفقه لنفاق سوقها[1] في ذلك الوقت، وشيئا من علوم اللغة والآداب لما أصبح عليه فيما بعد من فصاحة لسان وتضلع في العربية، وقد كان يبدي اهتماما كبيرا وشغفاً بطلب العلم[2].

ولما بلغ من العمر سبعة وعشرين عاما، شدّ الرحال سنة 500هـ/1107م إلى المشرق فحجّ وطلب العلم، ودامت رحلته خمسة عشر عاما كان لها الأثر الكبير في بناء شخصيته[3]، دافعه في ذلك ككل المغاربة في ذلك العصر، أداء فريضة الحج وإشباع نهمه ورغبته في طلب العلم، وقد يكون دافعه هو اكتشاف المشرق، والتعرف عن كثب على الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للمسلمين في ذلك القطر، ومن ثمة مقارنتها بكل ما عاشه في بلاده السوس ببلاد المغرب الأقصى.

رحل إلى المشرق في شهور سنة501هـ/1108م، في طلب العلم ومرّ بالأندلس ودخل قرطبة وهي إذ ذاك دار علم، ثم أجاز إلى الاسكندرية وحجّ ولقي جملة من العلماء يومئذ وفحول النظّار وأفاد علما واسعا[4]، وانتهى إلى بغداد التي أقبل فيها بشكل تام على طلب العلم، فالتقى بأكابر العلماء وتتلمذ على يد عدد منهم، من بينهم الفقيه أبو بكر الشاشي[5]، فأخذ عنه شيئا من أصول الفقه وأصول الدين، وسمع الحديث على المبارك بن عبد الجبّار[6]، ونظائره من المحدّثين وقيل إنه لقي أبا حامد

---

[1]- أي لرواج علوم الفقه في ذلك العصر.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 301/6.

[3]- نفسه، 58/6.

[4]- نفسه، 301/6-302.

[5]- هو محمد بن أحمد بن الحسين ابن عمر، أبو بكر الشاشي نسبة إلى مدينة وراء نهر سيحون يقال لها الشاش وهي ثغور الترك، ولد ولد سنة 419هـ/ م، بميتافارقين وكان أشعّريا في الاعتقاد شافعيا في الفروع، له من التصانيف: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء والمعتمد، والترغيب في المذهب، والشافي في شرح مختصر المزني وغيرهم من التصانيف، وكان في جملة شيوخه في المشيخة البغدادية توفي سنة 507هـ/ م عن ثمان وسبعين سنة، ينظر: أبو بكر الشاشي، **من فوائد أبو بكر الشاشي**، تح. سمير بن حسين، مكتبة الرشد ج2، ط1، الرباط، 1418هـ/1998م، ص ص5،3 .

[6]- المبارك عبد الجبار، كان محدثا مكثرا، المهدي لم يطل تتلمذه عليه توفي سنة 500هـ/1106م، ينظر، المراكشي: **المعجب**، ص127.

الغزالي، بالشام أيام تزّهده[1]، إذ أن الإمكان التاريخي والجغرافي يتيح هذا اللقاء، فقد تزامن وجود الرجلين بنفس المنطقة (ما بين بغداد وطوس) خلال الخمس سنوات الأولى من قدوم المهدي إلى بغداد، إلى حين وفاة الغزالي سنة 505هـ/ م[2]، ومن مرجحات وقوع هذا اللقاء الصدى الذي كان للغزالي بالمغرب، وحرص ابن تومرت على اللقاء بمشاهير العلماء، إذ الغرض من رحلته طلب العلم[3]، ورأى ابن تومرت في رحلته مشايخ وسمع منهم، وأخذ عنهم علما كثيرا وحفظ كثيرا من حديث النبي ﷺ، ونبغ في علم الأصول والاعتقادات[4]، وهذا لشغفه بالعلم الذي تميّز به منذ الصبا، حيث وجد ضالته في بغداد التي كانت تزخر بثراء علمي، ويؤمُّها فطاحل العلماء.

فتربى على التحرر العقلي، الذي انتهى إلى شجب الفروعية واعتماد التأصيل، وتعلّمَ آداب الجدل وقوة العارضة في الحوار، فإذا كانت معلوماتنا عن إقامته في المشرق والمشايخ الذين أخذ عنهم قليلة، بل أحيانا متناقضة أو خاطئة، فإن الأمر بخلاف ذلك بالنسبة لما أخذه من علوم ساهمت في صقل أفكاره السياسية والدينية، والتي رأت النور بعد عودته إلى بلاد المغرب[5]، كما أسهمت بيئته الجبلية الجبلية ببذر الحدة والجدية والحذر، كل هذا ساهم في بناء شخصيته ونضجه الفكري، وإيمانه بتحمُّل مهمة الإصلاح[6].

---

[1])- المراكشي: **المعجب**، ص ص126-127.

[2])- يرى مؤرخون آخرون أن التسلسل الكرونولوجي للأحداث يؤكد، أن اللقاء بين ابن تومرت والغزالي لم يحدث أصلا، فإحراق أول نسخة من إحياء علوم الدين تمّ في مطلع سنة 503هـ/1102م، والبحث عن بقية النسخ لنفس الغاية استمر طيلة تلك السنة، وابن تومرت عَلِمَ بحكاية إحراق الكتب عندما حلّ ببغداد، وكان الغزالي الذي تاقت إلى الحياة التأملية الهادئة، قد تركها صوب مسقط رأسه طوس بخرسان، حيث اعتكف رفقة ثلة من تلامذته إلى أن وافته المنية سنة 509هـ/1115م، ولا نجد أي إشارة في أي مصدر عربي عن انتقال ابن تومرت إلى خرسان، ينظر: أمبروسيو هويثي ميراندا، **التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية**، تر. عبد الواحد أكمير، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004م، ص ص36-37.

[3]) يؤيد هذا الرأي ابن أبي زرع، ويقول أن ابن تومرت لازم الغزالي ثلاث سنين لاقتباس العلم منه، ينظر، ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص172.

[4])- نفسه، نفس الصفحة.

[5])- ميراندا، المرجع السابق، ص37.

[6])- النجار، المرجع السابق، ص73.

### 3- عودة ابن تومرت إلى المغرب وإشهار دعوته:

رجع ابن تومرت إلى المغرب، وهو يحمل في جعبته الكثير من الأفكار يريد تجسيدها على أرضِ الواقع ليغيّر بها حياة الناس ويعيدهم حسب رأيه إلى الطريق المستقيم، طريق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال عنه ابن خلدون: "وانطوى هذا الإمام راجعا إلى المغرب بحراً متفجراً من العلم وشهاباً وارياً من الدين"[1]، وشرع المهدي في رحلة العودة سنة 510هـ/ 1116م، فكان خلالها يتوقف في كل القرى والمدن التي يمر بها ينشر العلم ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبدأ من مكة فأوذي وأخرج من البلد وانتقل إلى مصر[2]، حيث كرّ راجعا إلى الإسكندرية، فأقام بها يختلف إلى مجلس أبي بكر الطُّرطوشي الفقيه وجرت له بها وقائع في معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أفضت إلى أن نفاه متولي الإسكندرية عن البلاد.[3]

قصد بعد الإسكندرية طرابلس بحرا، حيث بقي مدة يعلِّمُ الناس العقيدة على الطريقة الأشعرية ثم انتقل إلى المهدية ودرّس علم الأصول، ثم غادرها إلى المنستير ثم إلى تونس، حيث أقام يدرِّس العلم وينهى عن المنكر[4]، ويُظْهِرُ الورع والتقشف والزهد في الدنيا[5]، ثم واصل سيره إلى أن نزل بجاية، فأظهر بها تدريس العلم والوعظ واجتمع عليه الناس ومالت إليه القلوب[6]، وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة، وكان من المترفين فأغلظ له ابن تومرت ولأتباعه، وتعرض لتغيير بعض المنكرات في الطرق، فأمره صاحب بجاية بالخروج عنها، فخرج متوجها إلى المغرب[7]، ولحق بملالة على فرسخ من بجاية(1.65كلم)، بها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه، وطلبهم السلطان صاحب بجاية بتسليمه فأبوا، وأقام بينهم يدرِّس العلم أياماً وكان يجلس إذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق، قريبا من ديار ملالة[8].

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 302/6؛ وانظر، المراكشي: **المعجب**، ص127.

[2]- ابن خلدون: نفسه، 301/6؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص62.

[3]- المراكشي، **المعجب**، ص127.

[4]- البيذق: **أخبار**، ص11.

[5]- ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص173.

[6]- المراكشي: **المعجب**، ص127.

[7]- ابن خلدون، **العبر**، 302/6.

[8]- نفسه، نفس الصفحة،

يقول المراكشي: "في ملالة لقي عبدَ المؤمن بن علي وهو متوجه إلى المشرق في طلب العلم، فلما رآه ابن تومرت عرفه بالعلامات[1] التي كانت عنده، فاستدعاه وخلا به وسأله عن اسمه واسم أبيه ونسبه، فتسمى له وانتسب وسأله عن مقصده فأخبره أنه راحل في طلب العلم إلى المشرق، فقال له ابن تومرت: أَوَ خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: شرف الدنيا و الآخرة، تصحبني وتعينني على ما أنا بصدده، من إماتة المنكر وإحياء العلم وإخماد البدع، فأجابه عبد المؤمن إلى ما أراده"[2]، فابن تومرت يعي جيداً خطورة المهمّة التي تنتظره، والتي تستدعي تظافر الجهود وإعداد العدة، لضمان نجاح مشروع الإمامة في المغرب الإسلامي.

وخرج من ملالة وصحبه من أهلها رجل اسمه عبد الواحد[3]، ولحق بوانشريس وصحبه منها البشير البشير من جملة أصحابه، ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره، فأحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ووبّخه على منتحله ذلك وخلافه لأهل قطره، ونصحه بالعدول عن ذلك لكنه أبى[4]، وأقام بمسجد بظاهرها يُعرَف بالعبّاد، ثم توجه نحو فاس ولما وصل أظهر ما كان يظهره، فسمع الفقهاء بكلامه وأشاروا على والي البلد بإخراجه حتى لا يفسد عقول الناس، فأمره بالخروج فخرج متوجها إلى مراكش[5].

كان في طريقه إلى مراكش، يضم إليه من الرجال الذين يلمح فيهم النجابة وقوة الشكيمة، كما كان دوما يغيِّر ما يجده من مناكير، بالأخص اختلاط النساء بالرجال في مجالس اللهو والطرب والخمر سالكا مسلك اللين تارة ومسلك العنف تارة أخرى، غير مميِّز بين الحكّام والفقهاء والعامة[6].

دخل مراكش وعبد المؤمن بن علي في رفقته، فكان يمشي في أسواق المدينة وشوارعها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويريق الخمر ويكسّر آلات الطرب من غير إذن أمير المسلمين ولا أمر من أحد من القضاة أو الوزراء، فلما سمع به أمير المسلمين علي بن يوسف أمر بإحضاره، ولما مثل بين يديه

---

[1]- نحى المراكشي في هذه العبارة منحى مؤرخي الدولة الموحدية، الذين صبغوا الأحداث التي مرت على المهدي بصبغة الإعجاز والأسطورية، فالعلامات التي كانت عنده، معناها أنه كان يعلم أنه سيلتقي برجل بهذه المواصفات، والحقيقة غير ذلك لأن المهدي له من الخبرة والفطنة والذكاء ما يؤهله لذلك.

[2]- المراكشي، **المعجب**، ص128.

[3]- نفسه، ص129.

[4]- ابن خلدون: **العبر**، 303/6.

[5]- المراكشي: **المعجب**، ص ص129-130.

[6]- ابن خلدون: **العبر**، 301/6-302؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص64.

نظر إلى تقشفه ورثاثة حاله، فاستحقره وهان عليه أمره وقال له: ما هذا الذي بلغنا عنك؟ قال: وما بلغك أيها الأمير؟[1]، إنما أنا رجل فقير طالب للآخرة ولست بطالب دنيا، ولا حاجة لي بها غير أني آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأنت أولى من يفعل ذلك، فإنك المسؤول عنه وقد وجب عليك إحياء السنة وإماتة البدعة، وقد ظهرت بملكك المنكرات وفشت البدع، وقد أمرك الله بتغييرها وإحياء السنة بها إذ لك القدرة على ذلك وأنت المأخوذ به والمسؤول عنه.[2]

ثم عاد ولقي الأمير المرابطي بالمسجد الجامع، في صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له القول، ولقي ذات يوم الصورة أخت علي بن يوسف حاسرة قناعها، على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم فوبّخها، ودخلت على أخيها تشتكي ما كان منه[3]، فعقد له مجلسا حضره أشهر الفقهاء، على رأسهم مالك بن وهيب الأندلسي(ت 525هـ/1130م) لكنه ظهر عليهم[4]، فَمُلِئُوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب الأشعرية في تأويل المتشابه، وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في إقراره كما جاء[5] فأرسل الأمير في طلب ابن تومرت للقبض عليه، فتفطن لذلك وخرج من المدينة نحو جبل درن[6] قاصدا مدينة أغمات[7].

وخرج من أغمات يرافقه أصحابه إلى منطقة السوس[8]، لحق أولا بمسفيوة ثم هنتاتة ولقيه من أشياخهم عمر بن يحي بن وانودين بن علي وهو أبو حفص، ثم ارتحل المهدي عنهم إلى ايكيلين (إيجليز)

[1])-ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص174.

[2])- نفسه، ص174.

[3])- ابن خلدون، **العبر**، 303/6.

[4])- المراكشي: **المعجب**، ص-ص130-131؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص64.

[5])- ابن خلدون: **العبر**، 303/6.

[6])- جبل درن الأعظم الذي ليس جبل مثله إلا القليل، في السمو وكثرة الخصب وطول المسافة واتصال العمارات ومبدؤه من البحر المحيط في أقصى السوس ويمُرّ مع المشرق مستقيما حتى إلى جبال نفوسة، فيسمى هناك بجبل نفوسة، ينظر: الادريسي، نزهةالمشتاقفياختراقالآفاق،ص229.

[7])- مدينة أغمات وريكة، أسفل جبل درن من جهة الشمال في فحص أفيح طيّب التراب كثير النبات والأعشاب والمياه، ومدينة أغمات أهلها هوارة من قبائل البربر المتبربرين بالمجاورة، ينظر: الشريف الإدريسي، نفسه، ص ص231-232.

[8])- بين مدينة أغمات وبلاد السوس ست مراحل، وبلاد السوس قرى كثيرة وعماراتها متصلة بعضها ببعض، وبها من الفواكه الجليلة أجناس مختلفة وأنواع كثيرة، سكانها أخلاط من المصامدة، ومدينتاها هما تارودانت وتويوين، ينظر: الادريسي، نفسه، ص ص227-228.

من بلاد هرغة فنزل على قومه، وذلك سنة 515هـ/1121م وبنى رابطة للعبادة فاجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره، وأخذ في هذا المكان الواقع على مدخل مدينة مراكش يمهّد لإعلان مهدويته، وأخذ يعلّمهم أن المهدي يُعْرَفُ بستة أشياء: "الحسب والنسب والزمان والمكان والقول والفعل، فأما الحسب فحسب حزب الموحدين، وأما النسب فإنه من ذرية فاطمة، وأما الزمان فيأتي في آخر الزمان، وأما المكان فالمكان الذي قام منه، وأما القول فإنه قال: أنا المهدي (وهو صادق) في قوله، وأما الفعل فإنه يفتح الدنيا شرقها وغربها"[1].

وكان يسميهم المؤمنين ويقول لهم: ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم، وأنتم العصابة المعنيون بقوله عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرُّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله"، وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ويقتل الدجّال، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ولا يزال الأمر فيكم إلى قيام الساعة[2].

### 4- تنظيم ابن تومرت للموحدين:

نظّم ابن تومرت جماعة الموحدين إلى طبقات، حسب أهميتها ودورها المنوط بها فكان الأمر كالآتي:

أ- **أهل الدار**: تتكون من تسعة عشر نفرا حسب رواية كتاب الأنساب، دون أن يحدد وظيفتهم الجماعية أو الفردية باستثناء ثلاثة أعضاء منهم، فقال: "وممن كان يختص بخدمة المعصوم ﷺ من أصحابه أبو موسى الصودي والد زينب أم المؤمنين امرأة الشيخ أبي محمد البشير رحمه الله، وأبو محمد وسنار ابن عبد الله وأبو محمد عبد العزيز بن عبد الله الغيغائي"[3]، بالإضافة إلى هؤلاء إخوته، أبو موسى موسى عيسى وأبو محمد عبد العزيز وأبو العباس أحمد الكفيف وأخته أم أبي بكر زينب، وكان له عمٌ اسمه وابوركن بن وكليد وعمّة اسمها حواء بنت واكليد وابن عم اسمه بن وابوركن[4].

---

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، تح. عمار طالبي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص254.

[2]- المراكشي: **المعجب**، ص133.

[3]- البيذق: **المقتبس من كتاب الأنساب**، ص ص26-27.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

توخى الإمام في أهل داره صفات خاصة، ويبدو أن بعضهم كان يقوم بمهمات إدارية وعسكرية ودعائية، لكن أغلب الظن أن اختصاصهم الأساسي خدمة المهدي، لاسيما أن ثلثهم كان من هرغة قبيلة المهدي، وكان فيهم أخوَا ابن تومرت: عيسى وعبد العزيز[1]، ثم رتّب العشرة والخمسين وتمكّن في الملك أي تمكين، وسمىّ العشرة من أصحابه السابقين الأوّلين وجعل الخمسين للرأي والشورى[2]، وهو ما يدل على أنه مطّلعٌ ومدركٌ لمهامه كقائد لهذه الجماعة.

**ب– الجماعة أو العشرة**: وهم المهاجرون الأوّلون الذين أسرعوا إلى إجابته[3]، عبد المؤمن بن علي، والشيخ أبو علي عمر الصنهاجي والشيخ أبو حفص عمر الهنتاتي، وإسماعيل بن مخلوف وإبراهيم بن إسماعيل الهرغي، وإسماعيل بن مومى وأبو يحي بن مكيث ومحمد بن سليمان وأبو محمد عبد الله بن مالوتات، وأبو محمد عبد الله بن عبد الواحد المكنى البشير[4]، فكان لهم وظائف محددة يقومون بها، فعبد المؤمن كان يسميه ابن تومرت صاحب الوقت، البشير وظيفته التمييز وسليمان الحضري كتابة الرسائل بإذن منه، وابراهيم الهزرجي مهمته القضاء، وأبا عمران بن تمارا أمين الجماعة، ومحمد بن سليمان بإمامة الفريضة، وأبا حفص الهنتاتي بوظيفة الحجابة[5].

**ج– أهل الخمسين**: هم الطبقة الثانية بعد الجماعة، والتي لا تجمعها قبيلة واحدة بل من قبائل شتى[6]، سماهم المهدي آيت الخمسين[7]، ويتكون مجلسهم من قبائل الموحدين الأساسية، في مقدمتها قبيلة ابن تومرت هرغة ومن تينملل وهنتاتة، بالإضافة إلى كدميوة وكنفيسة وصنهاجة وهسكورة[8]، ويُعدُّ بمثابة مجلس استشاري لم يستمر بعد المهدي وحلّ محله الأشياخ[9].

---

[1]– عز الدين عمر موسى: **الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب السلامي، بيروت، 1990م، ص ص139-140.

[2]– ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص177.

[3]– المراكشي: **المعجب**، ص133.

[4]– ابن خلدون: **العبر**، 304/6؛ وانظر، الزركشي: **تاريخ الدولتين**، ص6.

[5]– عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص ص212-213.

[6]– المراكشي: **المعجب**، ص133.

[7]– ابن خلدون: **العبر**، 304/6.

[8]– البيذق: **كتاب الأنساب**، ص ص35،32.

[9]– عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص213.

**د- الطلبة**: هؤلاء انشغلوا بالعلم من المصامدة في عصر ابن تومرت، وبعده ظهرت فئة طلبة الحضر وهم علماء جاؤوا من بلدان أخرى، خاصة من الأندلس لتعليم الموحدين علوم أخرى.

**ه- قبائل الموحدين**: وكان المهدي اختّص بهذا اللقب أهل السابقة من القبائل، الذين نصروه وآزروه قبل فتح مراكش وكانوا ثمانية قبائل، سبعة من المصامدة: هرغة وهم قبيلة الإمام وهنتاتة وتينملل وهم الذين بايعوه مع هرغة على الإجارة والحماية، وكنفيسة وهزرجة وكدميوة ووريكة[1]، أما القبيلة الثامنة في قبائل الموحدين هي كومية قبيلة عبد المؤمن بن علي كبير أصحابه، وكانوا قد دخلوا في دعوته قبل الفتح فكانت لهم المزيّة بسابقة عبد المؤمن وسابقتهم[2]، بذلك تكون صورة المجتمع الموحدي في عهد ابن تومرت تكونت من ثلاث فئات هي: الأنصار والمهاجرون والرعية، وهي صورة تشبه بنية المجتمع الاسلامي الأول المكّون من ثلاث فئات أيضا وهي الأنصار والمهاجرون والطلقاء[3].

## 5- المهدي وأحداث الثورة على المرابطين

بدأ ابن تومرت بخلع مبايعة علي بن يوسف عن أعناق تابعيه وأصحابه، فزحف إليهم عامل السوس أبو بكر بن محمد اللمتوني بمكانهم من هرغة، فدعوا إخوانهم من هرغة وتينملل لنصرتهم واجتمعوا إليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة، فكانت مقدمة الفتح وترددت عساكر لمتونة إليهم مرة بعد مرة فانتصر عليهم الموحدون، وكان الإمام يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره، وتسابق كافتهم إلى الدخول في دعوته[4].

وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة، حتى استقاموا فقاتل هزرجة وأوقع بهم مراراً ودانوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم أبو دوقة اللمتوني فغلبهم ورجع، وأتبعه بنوسكيت فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا فيهم قتلا وأسراً ثم غزا بلد عجرامة،[5] أعقبتها هجومات عسكرية متتالية على المرابطين وأنصارهم، ولما كانت سنة 517هـ جهزّ جيشا عظيما من المصامدة جلهم من أهل تينملل، مع من انضاف إليهم من أهل السوس وقال لهم: اقصدوا هؤلاء المارقين المبدِّلين الذين تسموا بالمرابطين، وأمّر

[1]- قبيلة مصمودية ومجاورون لهنتاتة، ينظر، ابن خلدون: **العبر**، 365/6.

[2]- نفسه، 359/6.

[3]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص219.

[4]- ابن خلدون: **العبر**، 304/6.

[5]- نفسه، 305/6.

على الجيش عبد المؤمن بن علي، وقال: "أنتم المؤمنون وهذا أميركم"، فاستحق عبد المؤمن من يومئذ لقب "أمير المؤمنين"[1].

وفي سنة 524هـ/1130م جهّز جيشا كبيرا لغزو مراكش بقيادة أبي محمد البشير[2]، الذي زحف إليهم فلقوه بكيك وهزمهم الموحدون، ثم اتجهوا نحو أغمات فلقيهم جموع لمتونة فهزمهم الموحدون أيضاً، وتتبعوهم إلى مراكش[3]، فلقيهم المرابطون قريباً منها بموضع يدعى "البحيرة"، بجيش ضخم أميره الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين، والتقت الفئتان فهُزِمَ الموحدون وفُقِدَ البشير من أصحاب المهدي وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء[4]، فلما جاء الخبر لابن تومرت بهزيمة جيشه قال: أليس قد نجى عبد المؤمن؟ قالوا: نعم، قال: لم يفقد أحد[5].

وأخذ يهوّن عليهم أمر الهزيمة، ويذكرهم أن قتلاهم شهداء لأنهم ذابُّون عن دين الله مظهرون للسنة، فزادهم ذلك بصيرة في أمرهم وحرصا على لقاء عدوِّهم[6]، وبعد هذه المعركة اشتدّ المرض بالمهدي، وتوفي يوم الأربعاء وقيل يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم، من عام أربعة وعشرين وخمسمائة[7]، وترك وراءه رجالاً تشبَّعوا بفكره ومذهبه، ماضون لتحقيق هدفه رغم الصعوبات والعراقيل.

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص- ص135-136.

[2]- البيذق: **أخبار**، ص-ص39-40؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص66.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 304/6.

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- المراكشي: **المعجب**، ص136.

[6]- نفسه، نفس الصفحة؛ في الحادثة نفسها يذكر ابن أبي زرع رواية غريبة، قال: "ومن حيله وتهاونه في سفك الدماء أنه أخذ قوما من أتباعه ودفنهم أحياء، وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره وقال لهم إذا سُئلتم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا من مضاعفات جهاد لمتونة وعلوِّ الدرجات التي نلنا بالشهادة فجِّدُوا في جهاد عدوكم، فإن ما دعاكم إليه الإمام المهدي حق، ونهاية المهمة أغلق المنافس التي كانت تركت لهم، فماتوا من ساعتهم غما"، انتهى كلام ابن أبي زرع والسؤال المطروح كيف يفعل ابن تومرت هذا وهو يعي عِظَمَ قتل النفس عند الله عز وجل، وعظم التمثيل والتعذيب قبل القتل، لذلك ففي تاريخ الموحدين هناك أخبار كثيرة يجب الوقوف عندها للتثبُّتِ والتحَقُّقِ منها قبل نقلها.

[7]- البيذق: **أخبار**، ص43.

**6- مذهب الإمام محمد بن تومرت:**

لاحظ ابن تومرت أن المغاربة فقدوا الصلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولم يعد القرآن والحديث هما المنهل الأصلي المباشر للنفوس والعقول، ووجد الزيغ طريقة إلى الناس، فآل الأمر إلى ما آل إليه في البيئة المغربية، وهو الذي تلقى العلم من الفقهاء الأصوليين المبرّزين، في التفسير والحديث أمثال الغزالي والهراسي والشاشي، ولم يتلق علمهم فقط بل تلقى أيضاً روحا ثورية منهجية تنتصر لمنهج التأصيل فأسَّس هذا التغيير على فكرة أساسية هي الرجوع المباشر إلى أصول الدين المتمثلة في نصوص القرآن والحديث، وانتهج الطريقة النظرية الاستدلالية إلى الخاصة من العلماء، وقصد فيها شرح المنهج الأصولي والاستدلال عليه في مجموعة من الرسائل، منها رسالة أعز ما يطلب ورسالة في الشريعة لا تثبت بالعقل ورسالة في أصول الفقه، وحقيقة الأصل كما قرّرها هي "كل ما ثبت من السمع الذي هو الكتاب والسنة والاجماع بالأصل المقطوع به وهو التواتر"[1]، وقد فصّل المهدي في كتابه أعز ما يطلب، عملية التواتر، التي يشترط فيها حصول العلم.

ويرى أن الأصول ترجع في مظاهرها الثلاث(الكاتب والسنة والاجماع)، إلى أصل واحد تنحصر فيه وهو "أمر الله ونهيه" وهما في الحقيقة الأصلان اللذان بهما تثبت الأحكام، وعليهما يترتب التكليف، وفيما عدا الأمر والنهي الالهيين الثابتين بالتواتر، لا يصلح أي شيء لأن يكون أصلاً للأحكام، لا العلم الظني ولا القياس ولا خبر الآحاد[2].

يقول ابن تومرت في كتابه أعز ما يطلب ، "فجاء المهدي في زمان الغربة ،وخصصّه الله بما أودع فيه من معاني الهداية ووعده قلب الأمور عن عادتها وهدمها بهدم قواعدها ،ونقلها إلى الحق بإذن الله ،حتى تنتظم الأمور على سنن الهدي وتستقيم على منهاج التقوى وينهدم الباطل من قواعده وتنهدم بانهدامه فروعه ويثبت الحق من أصله ، وتثبت بثبوته فروعه ويظهر العلم من معادنه، ويشرق نوره في الدنيا بظهوره حتى يملأها عدلاً"[3]، ففي هذه الفقرة يظهر ابن تومرت، مدى إيمانه ويقينه بصدق دعوته

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص-ص30-31؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص ص94،97.

[2]- نفسه، نفس الصفحة؛ عرّف جمهور المحدثين والأصوليين خبر الواحد(الآحاد)، بأنه ما لم يجمع شرط التواتر، وهو" ما رواه جمع لا يمكن تواطؤهم وتوافقهم على الكذب عن مثلهم من أوله إلى آخره، ومستند روايتهم الحس وأفاد خبرهم العلم لسماعه"، ينظر: أسماء عبد الله محمد الموسى، **حجية خبر الآحاد عند الأصوليين**، كلية الآداب، جامعة البنات، الرياض، 1467هـ/2006م، ص724.

[3]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص234.

وأيضاً ثقته بتأييد الله ونصرته، وطبّق المهدي أفكاره بتنشيط دراسة القرآن والحديث، وجعلها أساسا في الجانب التربوي لدعوته وقام بتعليمهم مجموعة من الآيات والأحاديث، خاصة تلك المتعلقة بالعبادات والجهاد، وألفّ مختصرين لاثنين من أهم مدونات الأحاديث، هما مختصر الموطأ ومختصر مسلم واقتصر على نصوص الأحاديث وحذف الأسانيد تسهيلا لشيوعها، وبقيت من مؤلفاته الفقهية رسالة في الصلاة ،يظهر فيها بوضوح المنهج الأصولي، فكان يريد إظهار أنموذج في الفقه المؤصل يكون مثالا يحتذيه الفكر الشرعي في المغرب[1]، وكان هذا من الأسباب التي ساهمت في نجاح دعوته، إذ لا يمكن القيام بثورة فكرية دون الاعتماد على الجانب النقلي في العلوم الشرعية وغير الشرعية.

وكان لقي بالمشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم، واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السلفية والذبِّ عنها بالحجج العقلية، وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات والأحاديث ودعا إلى القول بالتأويل واتباع مذاهب الأشعرية في كافة العقائد، ووجوب تقليدهم وألّف كتاب المرشدة في التوحيد على رأيهم[2]، فكان على مذهب أبي الحسن الأشعري[3]، في أكثر المسائل إلا في إثبات الصفات، فإنه وافق المعتزلة في نفيها وفي مسائل قليلة غيرها[4]، ويضيف صاحب المعجب أن ابن تومرت كان يبطن شيئا ن التشيُّع، غير أنه لم يظهر منه للعامة شيء[5].

كان القرن الخامس الذي نشأ فيه ابن تومرت، قرنا قد نضج فيه الفكر الإسلامي وزالت عداوة أغلب المذاهب الفقهية لعلم الكلام، وذلك بفضل تأثير المدرسة الأشعرية والأشاعرة[6]، إذ استطاعوا أن

---

[1])- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص45؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص ص97-98.

[2])- ابن خلدون: **العبر**، 6/ 302.

[3])- أبو الحسن علي الأشعري(260-324هـ) من الأئمة، كان معتزليا ثم جاهر بخلافهم ولد في البصرة وتوفي ببغداد، ألفّ حوالي 300كتاب منها: "الإبانة عن أصول الدين" "اللمع في الردِّ على أهل الزيغ والبدع" "مقالات الاسلاميين".

[4])- المراكشي، **المعجب**، ص132.

[5])- إذا كان ابن تومرت يبطن شيئا من التشيع، لماذا يخفيه؟ وكيف عرف المراكشي ما أبطن ابن تومرت؟

[6])- أصحاب أبي الحسن علي الأشعري، هؤلاء كانوا من جملة السلف إلا أنهم باشروا علم الكلام وأيدوا عقائد السلف بحجج كلامية وبراهين أصولية وصنّف بعضهم ودرس بعض، حتى جرى بين أبي الحسن الأشعري وبين أستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصلاح والأصلح، فتخاصما وانحاز الأشعري إلى طائفة الصفاتية فأيّد مقالتهم بمناهج كلامية وصار ذلك مذهبا لأهل السنة والجماعة، وقالوا أن الله له صفات لا يمكن جحدها، وكما دلّت الأفعال على كونه عالماً قادراً مريداً، دلّت على العلم والقدرة والإرادة، فعُرِفَ أن الاعتبارين مختلفان فلا يخلوا إما أن يرجع الاختلاف إلى مجرد اللفظ أو إلى الصفة وبطل رجوعه إلى اللفظ المجرد وأثبتوا الصفات معاني

يجعلوا من علم الكلام أحد علوم الدين، أما في المغرب فلم يسترجع العقل مكانته إلا في العصر الموحدي، بفضل ابن تومرت الذي عاين حالة الفكر في المغرب والمشرق، وإذا كان المشرق قد وصل إلى مرحلة تحصين المذاهب الكلامية، فإن المغرب كان غارقا في التقليد والجهل بأصول الحوار والمناظرة[1]، كما تأثر بآراء المعتزلة، الذين كانوا يسمون أنفسهم بأهل العدل والتوحيد، ومذهب الاعتزال معروف من قديم في المغرب، فقد أشار اليعقوبي والبكري والادريسي إلى أن قبيلة أوربة التي ساندت المولى إدريس كانت تدين بالاعتزال، وأن مملكة الأدارسة كانت موطنا للاعتزال وأن عبد الله والد المولى إدريس كان يعتبر في الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة[2].

ويظهر تَأَثُرُ المهدي بالمعتزلة، فيما ذهب إليه من التنزيه المطلق الذي أقامه على النفي والسلب لكل ما عسى يُشْتَّمُ منه تجسيم أو تشبيه للذات الالهية، وهو الأصل الأول من أصولهم الخمسة "التوحيد"[3]، لأن الله كما يقول "موجود على الاطلاق من غير تشبيه ولا تكييف، لو اجتمع العقلاء بأجمعهم على أن يكيِّفُوا بصر المخلوق أو سمعه أو عقله، لم يقدروا على ذلك مع أنه مخلوق"[4].

كما مزج ابن تومرت دعوته ببعض ما قال به الظاهرية، والمذهب الظاهري كان معروفاً بالمغرب على يد الفقيه الأندلسي أبي محمد ابن حزم الظاهري في القرن الخامس الهجري[5]، ورأى أن يستغل هذا المذهب لصالحه وأن يأخذ منه ما يراه مناسبا لدعوته، فترك الجانب الاعتقادي الظاهري، لأنه يتعارض مع مذهب الاعتزال، وأخذ الجانب الفقهي الظاهري الذي يحارب التقليد والاحتكار المذهبي، وكان

---

قائمة لا أحوالاً، ينظر: الشهرستاني، **الملل والنحل**، تح. عبد العزيز محمد الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة، 1387هـ/1968م، ص ص99،97 .

[1]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص86.

[2]- أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دس، ص107.

[3]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص267؛ وانظر، النجار، المرجع السابق، ص92.

[4]- ابن تومرت، نفسه، ص217.

[5]- تنقسم دعوة ابن حزم إلى قسمين: القسم الأول هو الجانب الفقهي، وفيه يرى ابن حزم عدم التقيد بآراء مذهب من المذاهب السنية المعروفة، وهو ما يسمى بالتقليد أي ما تمسّك به الآباء من المذاهب، فابن حزم حارب التقليد وقال بأن كل إنسان حر في أن يحكم فكره فيما يراه مناسبا، بشرط أن يستند في ذلك إلى حجج القرآن والسنة واستمرار العمل، أي ما أجمع عليه الصحابة والتابعون وعلى هذا الأساس هاجم ابن حزم فقهاء المالكية، الذين كانوا قد تعاونوا مع السلطان وكونوا دكتاتورية مالكية في الاندلس، أما القسم الثاني من دعوة ابن حزم، فيتناول مسألة العقيدة ويرى فيه ضرورة التفسير الحرفي الظاهر للقرآن والسنة، وعلى هذا الأساس أنكر التأويل وهاجم المعتزلة القائلين به، ينظر: العبادي، المرجع السابق، ص ص108-109.

غرضه من ذلك هو محاربة فقهاء المالكية الذين قوى نفوذهم على عهد المرابطين[1]، وأراد المهدي أن يضمن لدعوته النجاح، فجعلها مزيجا من التيارات والأفكار الثقافية والفقهية والاعتقادية المختلفة، التي كانت معروفة في المغرب لكنها كانت في معظمها ممنوعة من الظهور ومحرمة على الناس[2]، لكنه لم يعاد المذهب المالكي بل لخّص موطأ مالك وصحيح مسلم وجعلهما أساسا لحركة الموحدين، ربما يعود سبب ذلك إلى معرفته العميقة أن المغاربة متعلقون بهذا المذهب[3]، أو لأنه هو نفسه كان متأثرا بالمذهب المالكي.

وقد تُلخِّصُ فقرة من كتاب البيذق عقيدة المهدي بن تومرت، فمما نقل عن أشياخ الموحدين أن الإمام المهدي قبل وفاته قال لأصحابه، "اسألوني عما بدا لكم من أمر دينكم ودنياكم؟ فقالوا: نسألك عن الرزق، قال لهم: ما عسا أن أقول لكم في أمر مقسوم مفروغ منه؟ فقالوا له أفنطلبه؟ فقال إن كنتم تعلمون له موضعا فالتمسوه فيه، فقالوا له أفنسأل الله فيه؟ فقال لهم إن كنتم تعلمون أنه ينساكم فذّكروه فقالوا أفنتوّكل على الله فيه؟ فقال لهم إن التوّكل في الحقيقة هو الشك، فقالوا فما الحيلة؟ فقال لهم ترك الحيلة والتسليم إلى ما قسمه القاسم"[4]، وهذا لبُّ الأشعرية ومضمونها.

فكان المهدي بذلك مالكيا أشعريا، حاول استغلال أفكار المذاهب الأخرى، ليمكِّن لعقيدته في المغرب الاسلامي، فأخذ من المعتزلة عقيدتهم في إنكار الصفات الإلهية، لتكون أداة في حربه على المرابطين المثبتين لهذه الصفات، وأخذ من الظاهرية معارضتهم للتقليد ودعوتهم لحرية الفكر، ثم حصّن هذه العقيدة وحماها عندما جعلها دستورا لأتباعه الموحدين، وقرّر أن كل من يكذِّب بها كافر أو جاحد أو منافق أو زائغ، أو مبتدع أو مارق أو فاجر أو فاسق، أو رذل أو نذل لا يؤمن بالله واليوم الآخر[5].

---

[1]- العبادي، المرجع السابق، ص109.

[2]- نفسه، ص110.

[3]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص152.

[4]- البيذق: **أخبار**، ص43.

[5]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص236.

**ثالثاً: الإمامة في عقيدة المهدي ابن تومرت**

كانت الإمامة ركناً أساسياً، ترتكز عليه عقيدة محمد بن تومرت، هذه العقيدة التي يمكن أن نختصرها فيما يلي: العلم والإمامة والثورة على الحكام الفاسدين في رأيه، واستغلّ معرفته بعلم الكلام ليجادل فقهاء المرابطين، ويأتي بنوع جديد من الإمامة في بلاد المغرب.

**1- مفهوم الإمامة عند ابن تومرت**

يرى ابن تومرت أن الإمامة، عادة الله وسنته في الذين خلو من قبل، لا بدّ من العمود الذي قامت به السموات والأرض في سائر الأزمان في الدنيا، متى زال العمود خرّ السقف من فوق وسقط على الأرض ومتى اتبع الحق أهواء الناس فسدت السموات والأرض[1].

ويميل إلى الرؤية الأشعرية في نشأة الإمامة، فالإمام بعد النبي ﷺ أبو بكر، ويستغلُّ الأدلة الأشعرية في إثبات إمامته وذلك حين يقول:" اختاره لهم رسول الله للصلاة ورضيه لهم إماماً في دينهم، رضاه لهم فاعتقد المسلمون ذلك ورضوا بما رضي به رسول الله"[2]، ويرى أن مدة خلافة النبوّة ثلاثين سنة بعد المصطفى ﷺ ثم ظهرت بعد ذلك أفراق وأهواء ونزاع واختلاف[3]، وهو بهذا يعترف بشرعية الخلفاء الراشدين، ويقرّر أن الأمر بعدهم فتنة وتبديل وتغيير وتلبيس وتدليس وذهاب الأيمة وظهور المبتدعة، ولم يعلّل كيف لا يخلو زمان من إمام قائم بالحق وفي الوقت نفسه يكون الأمر تلبيسا وتدليسا وابتداعاً؟ ولم يفسر كيف يتتابع الأيمة في حلقة زمنية متصلة بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام[4].

ويَعْتَبِرُ الإمامة ركن من أركان الدين، وعمدة من عمد الشريعة ولا يصحّ قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة، في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة، وهي عمدة الدين وعموده على الاطلاق في سائر الأزمان وهو دين السلف الصالح، والأمم السالفة إلى ابراهيم وما قبله، وهو أمر حتم

[1]-ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص ص230-231.

[2]- إبراهيم امهيري، **محمد بن تومرت وآراؤه الفكرية**، إشراف. عبد الفتاح محمد العيسوي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، جامعة سبها، ليبيا، 2006م، ص108.

[3]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص232.

[4]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص141.

من خالفه يقتل لا دفع في هذا الدافع ولا حيلة فيه لزائغ، ثبت بثبوت نصوص الكتاب وقواطع الشرع وبيان العلم ودام ما دامت السموات والأرض[1].

ويقرّر أن الإمامة أمر الله، ليس لأحد من البشر الخوض فيها، ولا ينسبها لنفسه إلا الجاهل بوجود الله، البعيد عن سبيله ومنهاجه، لأن الأمر لله من قبل ومن بعد[2]، ويربط ابن تومرت الإمامة بحقيقة وجودها فبدونها يقول: "لا يصح قيام الحق في الدنيا إلا بوجوب اعتقاد الإمامة في كل زمان من الأزمان إلى أن تقوم الساعة"[3]، وهكذا تصبح الإمامة الحقيقية ضرورية لسعادة الدنيا قبل الآخرة، فما شقاء الناس في الحياة الدنيا إلا حين آلت الإمامة إلى غير أهلها، واستشرى الفساد وعمّ الظلم[4]، وفي ذلك يقول: "الرؤساء الجهال استولوا على الدنيا وأن الملوك الصم البكم استولوا على الدنيا وأن الدّجالين استولوا على الدنيا"[5]، فكيف السبيل إلى القضاء على هؤلاء، إن ذلك لن يتحقق إلا بإرجاع الاعتبار إلى الإمامة بصفتها عمدة الدين وعموده على الإطلاق[6].

وأدرج المهدي هذه العقيدة ضمن نظرية شاملة صاغها في الإمامة، وهي أن الإمام وهو نفسه المهدي المنتظر، "العلم به واجب، والسمع والطاعة له واجب، واتباعه الاقتداء بأفعاله واجب، والتصديق به واجب على الكافة والتسليم له واجب، والرضى بحكمه واجب والانقياد لكل ما قضى واجب، والرجوع إلى علمه واجب"[7]، فالإمامة عنده معناها الاتباع والاقتداء والسمع والطاعة والتسليم، وامتثال الامر واجتناب النهي والأخذ بسنة الإمام في القليل والكثير والعضِّ عليها بالنواجذ والأخذ بالقوة والاستمساك بها[8]، وإذا تأملنا هذه الأقوال في حقيقة الإمامة أدركنا تميّز ابن تومرت عن الجميع، عندما ركّز على مسألة الاتباع والانقياد الكلي للإمام، ذلك أنه ابن بيئته ويعلم جيدا المستوى والدرجة العلمية، التي يقف عندها معظم المغاربة في ذلك العصر.

---

[1])-ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص236.
[2])- نفسه، ص235.
[3])- ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، ص229.
[4])- عبد الهادي الادريسي، نفسه، ص136.
[5])- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص238.
[6]) امهيري، المرجع السابق، ص103.
[7]) ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص234.
[8])- نفسه، ص236.

وربما لأنه لم تكن تهمّه الدلالة النظرية للإمامة، لأنه لم يكن منتصرا لأي مذهب من المذاهب، وإنما كان يهمه المنحى العملي لها، وهو الالتزام باقتداء الإمام والتسليم له في كل شيء، وهو هنا يوجه نقده إلى إمامة بني العباس وإمامة الفاطميين، التي أصبحت إمامة صورية ومجرد غطاء يحتمي وراءها المتسلطون وطلاّب الدنيا، ويهدف في آن واحد إلى إعادة الإمامة الفعلية التي يمارسها إمام حاصل على الشروط[1].

لا يقدّم ابن تومرت تحليلا مذهبيا للإمامة، ويبحث فقط عما يعطي المصداقية لإمامته التي أعلنها للناس، ولهذا كان الهدف السياسي غالبا عنده على النسق الفكري، ومن هنا أيضا يتجلى المنهج التومرتي الانتقائي، حتى أنه خالف أستاذه الغزالي الذي أضفى الشرعية على أيمة آخرين بعد الخلفاء الراشدين، على رأسهم الخليفة العباسي المستظهر بالله[2].

عند المهدي الإمامة هي التمكّن من قيادة الأمة عمليا، وهي القدرة على تغيير الواقع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الأوضاع، بعد أن أصبحت تتقاذفها أهواء الحكّام لا شريعة الإسلام، ثم يوصي كل مؤمن أن يكون داعما للإمامة، بأن "يتذّكرها كل يوم بكرة وعشيّة، ويدعو إليها وينشرها ويُرغِّبُ فيها ويحض عليها، حتى ينتفع بها في الدنيا والآخرة"[3].

ويرى أن الداء كامن في الجهل بالشريعة، وفي البدع التي لحقت بها، وفي تولي أمور المسلمين غير المؤهلين ويرى أن الخلاص من ذلك، يتّم على يدِ من سيحيي سنن الله وهو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر المهدي المعلوم والإمام المعصوم، فحركة ابن تومرت لم تكن حركة سياسية فقط بمعنى السيطرة على الدولة وإنما كانت تجسيدا لثورة فكرية على أسُسٍ نقلية، عكس ما ذهب إليه أصحاب النزعة العقلية[4].

### 2- وجوب الإمامة عند ابن تومرت:

إن التأكيد على، إماتة البدع ومحاربة الفساد وإحياء السنة وإقامة العدل عند ابن تومرت، تؤدي حتما إلى وجوب الإمامة، حتى أنه يقول في أول كتاب الإمامة "هذا باب في العلم وهو وجوب اعتقاد

---

[1]) امهيري، المرجع السابق، ص102.

[2])- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص141.

[3])- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص236.

[4])- امهيري، المرجع السابق، ص121.

الإمامة على الكافة"، ثم يوضح طبيعة هذا الاعتقاد على الكافة فيقول: "وهي ركن من أركان الدين وعمدة من عمد الشريعة"، إن الإمامة عنده ركن من أركان الدين، وعلى هذا فهي من الأصول وليست من الفروع في حين عدَّها الأشاعرة من الفروع وفرض من فروض الكفايات كالجهاد والقضاء[1].

ويُعلنُ أن وجوب الإمامة والاعتقاد بها، "دين والعمل بها دين والتزامها ما بقيت الدنيا وإظهارها وإشهارها ونشرها وتعليمها وتقريرها ورسوخها في قلب الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والأنثى"[2] ويرى أن الإمامة تجبُ عندما تختلّ أمور المسلمين، ومتى ضُيِّع أمر الإمام أو عُصي أو نُوزع أو خُولف أو أهمل أو عُطِّل ولم يرجع إليه أو استبدَّ دونه،[3] وكأن ابن تومرت يصف عصره مشرقاً ومغرباً، ويقدم البراهين على أن الإمامة أصبحت واجبة، لأن أحوال المسلمين متدهورة وأمور الإمام معطّلة.

وهي واجبة لأنها تسمح بإسناد الأمور إلى أولي الأمر، لأن إجماع الأمة واتفاقها لا يصِّح، وهو غير ممكن نظراً لاختلاف الأهواء والمشارب والعصبيات، كما أنها سبيل إلى إقامة العدل، فالظالم لا يهدم الظلم ولا يقوم بالعدل أبدا لظلمه، إذ لا يقوم بحقوق الله إلا العدل الرضي[4].

كما أنها واجبة لأنها طريق إلى طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله، والمسارعة إليها هي المسارعة إلى مرضاة الله ومرضاة رسوله، فموالاة الإمام موالاة الله ورسوله، وتعظيم حرماته تعظيم حرمات الله ورسوله وبموافقته تُنَالُ السعادة وبطاعته تنال البركات، وفي مسابقة الناس إلى ما يحبه مسابقة إلى ما يحبه الله ورسوله وبموافقته وطاعته تُنَالُ الأجور العظيمة[5]، وبالإضافة إلى ما سبق فهي واجبة، لأن لولاها ما قسِّمت الفيء والغنيمة والأموال والحقوق بين المسلمين، وبها حكم كل إمام وخليفة بعد الرسول ﷺ، كما أن بها تضرب الرقاب وترفع الحدود، وبها يساق كل حق وينفَّذ كل حكم[6]، وهي واجبة لأنها مسؤولة عن عن إماطة البدع ومحاربة الفاسدين وإحياء سنة الرسول ﷺ وإقامة العدل بين الناس[7]، والإيمان بالمهدي واجب وأن من شكّ فيه كافر، وما من زمان إلا وفيه إمام قائم بالحق في أرضه من آدم إلى نوح، ومن

---

[1]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص137.
[2]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص235.
[3]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص231.
[4]- نفسه، ص230.
[5]- نفسه، ص، ص235،231.
[6]- نفسه، ص232.
[7]- امهيري، المرجع السابق، ص103.

بعده إلى ابراهيم قال الله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة البقرة: 124][1].

## 3- طبيعة الإمام عند ابن تومرت

وضع ابن تومرت كل إمام في منزلة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فقال: "ما من نبي إلا وله حواريون يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، وهذا كلهِ بيّن في الدين واضح لا شك فيه، ولا يكّذب بهذا إلا كافر أو جاحد أو منافق"[2].

### أ- علم الإمام

يرى ابن تومرت أن فساد أحوال الأمة وظهور المناكر، كان سببه تولي قيادة الأمة حكام جاهلون، وهو رأي يتعارض فيه مع رأي الغزالي، القائم على وجود أيمة يفتون وأيمة يحكمون، فذلك في رأيه لم يؤد إلا إلى البلبلة وخاصة وأنه عاين أحوال المغرب والمشرق معا عن كثب[3].

وجعل علم الإمام كذلك النور الذي يسطع وسط ظلمة حالكة، فتهتدي به الأمة نحو الحق والعدل فيقول: "يظهر العلم من معادنه ويشرق نوره في الدنيا بظهوره"[4]، ورأى أن الحل يكمن في ظهور أيمة يمتازون بكمال العلم وحسن السياسة في آن واحد فيقودون الأمة بالعدل الربّاني، لذلك يجب على الكافة الرجوع إلى علم الإمام دون سواه، وأن من عمل بغير علمه وقع في التلبيس والبعد عن الحق،[5] لهذا يقول: "التأويل دونه بعدٌ والسبيل دون سبيله بعدٌ والعمل بغير سنته بعدٌ"[6]، فالإمام في نظر المهدي

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص229، 238.

[2]- نفسه، ص236.

[3]- عبد الهدي الادريسي، المرجع السابق، ص146؛ من رأينا أن ابن تومرت لم يعارض الغزالي في هذا الجانب، فمنذ وصوله إلى المغرب وهو يتعامل مع الجميع على أساس أنه إمام لا حاكم، ولو كان كذلك لكان حضّر أحد أقاربه للحكم بعده لا عبد المؤمن بن علي.

[4]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص234.

[5]- امهيري، نفسه، ص110.

[6]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص234.

رجل بلغ درجة الاجتهاد القصوى، بواسطة التحصيل العلمي الذي يسمح له أن يميّز بين الظلم والعدل وبين الباطل والحق، فيرشد الأمة نحو الصواب ويقودها وفقا لحقيقة الشرع[1].

فسَّر بعض الباحثين قول ابن تومرت: "وأنه معصوم فيما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه" إن الإمام لا يجوز له الخطأ في الأمور جميعها، واتضح لهم أنه يخالف مبدأ أهل السنة في خطأ الإمام القائم على قول الخليفة أبي بكر الصديق: "إذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوِّموني"، وقول عمر المشهور "أصابت امرأة وأخطأ عمر"[2]، لكن إذا أمعنّا النظر في قوله فهمنا منه، أنه لا يقصد العصمة أو الخطأ في أمور الدنيا، بل "فيما دعا إليه من الحق" أي لا يجوز له الخطأ في دعوته التي يدعو الناس إليها.

يعتقد ابن تومرت أن الأمة ضالة في دنياها ما لم تتبع علم الإمام، وترجع إليه في كل دقيقة وجليلة وأن تسند له الأمور على وجهها، وأن يتبرأ الكل من الأمر إلا له، من غير حرج ولا ضيق، ولا تهمة ولا سوء ظن،[3] ويعتبر أن الأمة غير قادرة على الاهتداء إلى الحق والصواب من تلقاء نفسها ولا سبيل لها إلا علم الإمام، فعلم الإمام إذن شرط وضعه ابن تومرت، لكل من أراد أن يكون حوارياً مهدياً في هذه الأمة.

**ب- نسب الإمام**

استندت خلافة الموحدين على الأسس الشرعية اللازمة كالنسب الفاطمي والأصل العربي، لهذا قالوا بانتماء كل من المهدي وعبد المؤمن إلى الرسول ﷺ[4]، لكن ابن تومرت لم يشر ولو بأدنى إشارة إلى إلى شرط النسب في ما كتب عن الإمامة، ولكنه أعلن انتسابه إلى آل البيت، كما انتسب خليفته عبد المؤمن إلى قبيلة قريش، وينتهي نسب المهدي إلى الفرع الحسني حسب أغلب الروايات، ثم إنه لم يذكر شيئاً عن حق آل البيت في ذلك عموما، بل اعتبر أن الأمر بعد الخلفاء الراشدين نزاع واختلاف.

---

[1]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص148.

[2]- هذا رأي عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص145؛ و رأي امهيري، المرجع السابق، ص109.

[3]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص ص230-231.

[4]- حسن علي حسن: **الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس** " عصر المرابطين والموحدين "، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980م، ص56.

لكنه انتسب نسبا نبويا يخوِّل له القيام بالإمامة دون منازع، ففي إحدى رسائله المثبتة في كتاب "أخبار المهدي" تحمل توقيعه كما يلي: "من محمد بن عبد الله العربي القرشي الهاشمي الحسني الفاطمي المحمدي"[1] وأيضا في خطبة المبايعة أكدّ هذا النسب بقوله: "وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل"[2].

لذلك يؤكد البيذق على نسب ابن تومرت بقوله: "بنقلٍ ممن يوثق بنقله من قرابته وغيرهم: هو محمد بن عبد الله بن وكليد بن يامصل بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله، هذا نسبه الصحيح"[3].

ولا يستبعد ابن خلدون أن يكون ابن تومرت طالبيا، فنَسَبُ الكثير من المصامدة وأهل السوس من بيت سليمان، الذي التحق بالمغرب إثر أخيه إدريس، ونزل تلمسان وافترق ولده في المغرب، فمن ولده كل طالبي بالسوس، وقيل بل هو من قرابة إدريس اللاحقين به إلى المغرب، وأن رباحاً الذي في عمود النسب إنما هو ابن يسار العباس بن محمد بن الحسن، وعلى الأمرين فإن نسبة الطالبي وقعت في هرغة من قبائل المصامدة، ورسخت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم، فلبس جلدتهم وانتسب بنسبهم وصار في عدادهم.[4]

فللنسب النبوي أهمية عند طلاب الإمامة، لأن كل من ادَّعاها في العصور الإسلامية الأولى دون أن ينسب نفسه إلى آل البيت أو إلى قريش عُدَّ خارجيا، فالذهنية المغربية مفطورة منذ العهد الأول للإسلام على الولاء المطلق للأشراف ولآل البيت بصفة خاصة، وهذه الذهنية هي التي كان يخاطبها ابن تومرت بالنسب الفاطمي[5]، أيضا لا يمكن أن نغفل عن حقيقة تأثر المهدي نفسه بهذه الذهنية المتجذرة

---

[1]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص149.

[2]- ابن القطان: **نظم الجمان**، تح. محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص125.

[3]- البيذق: **كتاب الأنساب**، ص12.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، 301/6.

[5]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص- ص149-150، يقول عبد الهادي الادريسي ان هذه الذهنية بقيت حتى القرن العشرين حينما نجا الملك الحسن الثاني من الأسر عقب ثورة الجيش ضده، فيروي الملك في كتابه التحدي أن ضباط الصف الذين كانوا يسجنونه سرعان ما تغيّر موقفهم، حين عرفوا أن سجينهم هو الملك، فقرأوا جميعا فاتحة الكتاب ثم أحاطوا به يستقبلون أوامره بدقة وقال عنهم "قبل هنيهة كنت سجينا بين أيديهم وما أن عرفوني حتى أدى أحدهم لي التحية العسكرية وانحنى على يدي يقبلها"، ينظر، عبد الهادي الإدريسي، نفسه، الهامش رقم(2)، ص151.

في بلاد السوس والمغرب الأقصى من عهد الأدارسة، وهو يعرف جيدا ماذا تعني كلمة الشريف عند أهل السوس وخاصة إذا علمنا أنه لم يذهب في رحلة طلب العلم إلا وعمره سبع وعشرين سنة.

وقد يكون سبب انتسابه لآل البيت، هو عزمه على تأسيس الخلافة الإسلامية، وكانت العادة قد جرت على أن لا يتلّقب بلقب الخليفة أو أمير المؤمنين، إلا من أثبت لنفسه النسب القرشي، إذ لم يحدث أن ادعى حاكم سنيٌّ الخلافة أو إمرة المؤمنين دون أن ينسب نفسه إلى قريش، كما هيّأ تلميذه وصفيُّه عبد المؤمن بن علي لخلافته وإمرة المؤمنين، وذلك في الحادثة التي أوردها المراكشي، عن تقليد ابن تومرت عبد المؤمن هذا اللقب، بقوله: "أنتم المؤمنون وهذا أميركم"[1].

**ج- طاعة الإمام**

لم يترك ابن تومرت الحديث عن الإمامة والإمام في كتابه، حتى عرَّف أصحابه وأتباعه وجوب اتباع الإمام وطاعته، ودعاهم إذا سمعوا به أن يذهبوا إليه، فيؤمنوا به ويصدِّقوه، وأن يسمعوا له ويطيعوه ويتّبعوه ويقتدوا بأفعاله، وأوجب عليهم التسليم له والرضى بحكمه، فقال: "فالعلم به(الإمام) واجب والسمع والطاعة له واجب وإتِّباعه والاقتداء بأفعاله واجب، والإيمان والتصديق به واجب على الكافة، والتسليم له واجب، والرضى بحكمه واجب، والانقياد لكل ما قضى واجب، والرجوع إلى علمه واجب، وإتِّباع سبيله واجب، والإستمساك بأمره حتم، ورفع الأمور إليه بالكلية لازم".[2]

ويحذّر من الإعراض عنه وعصيانه، أو نزاعه والشّك فيه، وخيانته وإهمال أمره والاستخفاف بحقه، والتلبيس على قوله، فيقول: "والإعراض عنه بُعْدْ وعصيانه بُعْدْ ونزاعه بُعْدْ والشك فيه بُعْدْ والظن فيه بُعْدْ وخيانته بُعْدْ والأنفة عنه بُعْدْ، وإهمال أمره بُعْدْ والاستخفاف بحقه بُعْدْ وانكار أموره بُعْدْ والتلبيس على قوله بُعْدْ والتأويل دون تأويله بُعْدْ والسبيل دون سبيله بُعْدْ، والعمل بغير سنته بُعْدْ"[3].

[1])- عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص100.
[2])- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص234.
[3])- نفسه، ص234.

إن المهم عند ابن تومرت هو ما يسوغ شرعية إمامته، والدواعي الكامنة وراء إعلانها وقبول الناس لها قبول المستجيب والمطيع للإمام، في كل ما يدعو إليه والانقياد لحكمه، ففي هذا الصدد يقول: "وما جعل الله قائما بالحق في الأرض إلا ليطاع بأمر الله"، لأن بطاعته تصان الشريعة وتحفظ العقيدة[1].

ويدعو ابن تومرت أصحابه، لأن يطيعوا الإمام فلا يكابروه ولا يضادوه ولا يخالفوه ولا ينازعوه، لأنه فرد ميّزه الله تعالى عن بقية الخلق ومنحه رتبة الإمامة، فلا يمكن أن يصل أحد إلى ما وصل إليه، من العلم بالله والعمل والاجتهاد لمرضاة الله، ولأنه أيضا صادق في قوله، وأنه جاء لينهي حالة الفوضى والفساد المنتشر في الدولة الإسلامية، ويُخلّصَ الأمة من الجبابرة والدجاجلة، ثم يفتح الدنيا شرقها وغربها ويملأها بالحق والعدل[2].

وقدّم المهدي نموذجا للطاعة التي يجب أن تكون من الأمة نحو الإمام، فتحدث عن علاقة المؤمنين الأوائل بالرسول ﷺ، وقال: "فأطاعه أصحابه أحسن طاعة، ونصروه أحسن نصرة، وأعزوه أحسن اعزاز وأكرموه وعظّموه وعزّروه ووقّروه، وانقادوا له بالسمع والطاعة"[3].

## 4- أركان الإمامة عند مهدي الموحدين:

### أ- التوحيد

وضع ابن تومرت أركان الإمامة، التي يسّرت له وضع أسس الدولة الموحدية، فلم يكن مقلداً لأحد ولا متبنياً طريقته أو منتصراً لمذهبه، بل درس عقلية الأمة عامتها وخاصتها وعرف طبعها بصبر أغوارها، أو كما يقال بلغتنا المعاصرة كان خبيراً بسيكولوجية القيادة[4]، واكتشف دينامية العقيدة

---

[1])- عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص142.

[2])- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص239.

[3])- نفسه، ص231.

[4])- السيكولوجي باللغة الانجليزية Psychological وpsychologic، وهو كل ما تعلّق بعلم النفس، وباللغة الفرنسية Psychcogenic ومعناها نفسي المنشأ، وهو مصطلح في علم النفس يشير إلى السلوكيات والحالات التي تكون أسبابها نفسية وليست جسدية، ينظر: حامد عبد السلام زهران، **قاموس علم النفس**، عالم الكتب، مصر، 2017م، ص398؛ وأيضا، بديع القشاعلة، **المعاني**( مصطلحات في علم النفس)، شركة السيكولوجي، فلسطين، 2019، ص87، أما مصطلح القيادة، فهي فن التأثير على الأفراد وتنسيق جهودهم وعلاقاتهم وضرب المثل لهم في الافعال والتصرفات، بما يضمن ولاءهم وطاعتهم وتعاونهم واكتساب ثقتهم واحترامهم بما يكفل تحقيق الأهداف المنشودة، وللقيادة دور اجتماعي(وظيفة اجتماعية) يقوم بها القائد للمساعدة في تحقيق أهداف الجماعة وهي شكل من أشكال التعامل الاجتماعي بين الفرد(القائد) وأفراد الجماعة(المرؤوسين)، يقوم فيه بقيادة

الإسلامية وقدرتها على تجديد همة الأمة وطموحها[1]. وعرَّف التوحيد على أنه الأساس الذي بني عليه الدين الإسلامي، وأن المعنى بالتوحيد واحد، وهو إثبات الواحد ونفي ما سواه وهو معنى لا إله إلا الله، الواحد هو الحق وما دونه الباطل، نبّه الله تعالى على ذلك في كتابه فقال[ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ][ الحج: 62]، بيّن سبحانه أن اتّباع التوحيد هو الحق وأن اتّباع غير التوحيد هو باطل وضلال[2].

ولخّص شروط قول لا إله إلا الله، بقوله: "منها أن يكون(قول لا إله إلا الله) عن علم لا عن ضده ومنها أن يكون عن يقين لا عن شك، ومنها أن يكون عن إخلاص لا عن شرك، ومنها أن يقوله مع العمل ولا يتّكل، ومنها أن لا يقوله بلسانه دون قلبه، ومنها أن يقوله ابتغاء وجه الله لا لغيره، ومنها أن يَثْبُتَ عليه حتى يموت عليه لم يبدّل عنه ولم يغيِّر.[3]

ويرى ابن تومرت أن التوحيد أصل الإيمان، وأساس كل الشرائع والرسالات التي جاء بها النبيون والرسل من أول الأزمان إلى آخرها فيقول: "إن التوحيد هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، وأن دين الأنبياء واحد"،[4] ويُثبت ذلك بقول الله تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[الأنبياء:25]، وبقول النبيﷺ: (أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له)[5].

ويجيب في كتابه عن طرق إثبات العلم بالتوحيد، فيقول: "بضرورة العقل يعلم توحيده سبحانه وتعالى بشهادة واسطة أفعاله من وجه افتقار الخلق إلى الخالق، ووجوب وجود الخالق سبحانه، واستحالة دخول الشك في وجود من وجب وجوده، قال الله تبارك وتعالى:﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ

---

الجماعة والتأثير في سلوك أفرادها وتوجيه أعمالهم، ينظر: محمود عكاشة، محمد شفيق، **السلوك الاجتماعي**، بلد برنت للطباعة والتصوير، مصر، 1998م، ص104.

[1]- عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص193.

[2]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص268.

[3]- نفسه، ص269.

[4]- نفسه، ص271.

[5]- نفسه، ص- ص271-272.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[ابراهيم: 10]، نبّه على دخول الشك في من يعلم وجوده بضرورة العقل، وهو الله سبحانه[1].

ويأتي بعد هذا تدّبر الإنسان في جميع الخلق، بدايةً من نفسه حيث أنه لم يكن شيئاً ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا﴾[مريم: 09]، ثم النظر في خلق السموات والأرض وجميع المخلوقات، فكلها في نظر ابن تومرت أفعال يستحيل وجودها دون فاعل، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[البقرة: 164][2].

وقال: "التوحيد هو إثبات الواحد ونفي ما سواه، من إله أو شريك أو ولي أو طاغوت، كل ما يعبد سواه يجب نفيه والكفر به والتبرؤ منه"، هذا التعريف لا يتضمن الجانب التصوري للتوحيد، وإنما يتضمن الجانب التعبدي الرامي إلى تقويم عقيدة الأنصار واقناعهم بفساد عقيدة المرابطين، ويقرر أن الدين لا يقوم إلا بالتوحيد في قوله: "إن التوحيد هو أساس الدين الذي بني عليه"، ولهذا لم يرسل الله نبياً ولا رسولاً برسالة إلى الناس إلا وكان أساس رسالته التوحيد.[3]

يقتدي ابن تومرت في هذه المسألة بالسلف المنكر للتأويل والتشبيه، إذ يقول في هذا الصدد: "ما ورد من المتشابهات التي توهم التشبيه والتكييف، كآية الاستواء وحديث النزول وغير ذلك من المتشابهات في الشرع يجب الإيمان بها كما جاءت مع نفي التشبيه والتكييف، ولا يتبع المتشابهات في الشرع إلا من في قلبه زيغ وأشار إلى قوله تعالى:﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾[آل عمران: 07]،وإذا كان النص القرآني يحث على عدم الخوض في

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص272.
[2]- نفسه، ص215.
[3]- عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص167.

الآيات المتشابهات، فإن العقل البشري أيضا عاجزٌ عن تصور ما شبّه الله به نفسه، وفي ذلك يقول المهدي: "للعقول حد تقف عنده لا تتعداه، وهو عاجز عن التكييف"[1].

إن الإسلام دين التوحيد على الإطلاق لأن أول أركانه، شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإذا كان الأمر هكذا فلماذا خاض المسلمون في مسألة التوحيد؟ إن السبب الأساسي المتفق عليه بين المتكلّمين هو وجود آيات متشابهات في القرآن الكريم، وقد قام المسلمون في بأغلب الأحيان بردِّها إلى آيات محكمات، وحين ظهرت المذاهب رأت المعتزلة أن الآية الكريمة ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[الكهف:29]، محكمة لموافقتها لرأيهم في حرية الاختيار بينما يرى أهل السنة أنها من المتشابهات، في حين يرون في الآية الكريمة﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الانسان:30]، محكمة ويراها المعتزلة متشابهة.[2]

أثارت بعض آيات القرآن الكريم جدلا بين المسلمين في مسألة التوحيد، منها قوله تعالى:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه:5]، وقوله تعالى﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾[الفتح:10]، وقوله تعالى:﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾[المائدة:64]، فكان بعضهم يثبتون لله تعالى صفات أزلية ولا يفرّقون بين صفات الذات وصفات الفعل، ويثبتون حتى صفات جبرية مثل اليدين والرجلين ولا يؤولون ذلك، في حين وقف البعض الآخر من السلف موقفا معارضا للتأويل والتشبيه في آن واحد، وذهب أهل الرأي إلى التأويل من أجل التنزيه، وكان منهم المعتزلة الذين فسّروا كل الآيات التي يفهم من ظاهرها التجسيم والتشبيه، تفسيرا مجازيا لكي يبعدوا كل شبهة إنسية في حق الله[3].

---

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص217؛ وانظر، امهيري، المرجع السابق، ص ص123-124.

[2]- اختلف المفسرون في تفسير وبيان كلٍّ من المحكم والمتشابه، فقالوا المحكم ما تختلف فيه الشرائع وأنه ما كان دليله واضحا لائحا كأدلة وحدانية الله، والمتشابه ما يحتاج في معرفته إلى التدبر والتأمل، وأيضا قيل أن المحكم ما أحكم الله فيه بيان الحلال والحرام والمتشابه ما أشبه بعضه بعضا في المعاني وإن اختلفت ألفاظه، ينظر: طه جابر العلواني، **نحو موقف قرآني من اشكالية المحكم والمتشابه**،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2010م، ص ص9-10.

[3]- عبد الهادي، المرجع السابق، ص ص165-166.

واقتفى ابن تومرت طريق الأشاعرة في اثبات الصفات وانكار التأويل والتشبيه، إذ يقول: "وما ورد من المتشابهات التي توهم التشبيه والتكييف كآية الاستواء، وحديث النزول وغير ذلك من المتشابهات في الشرع يجب الإيمان بها كما جاءت مع نفي التشبيه والتكييف، لا يتبع المتشابهات في الشرع إلا من قلبه زيغ"[1].

إن التوحيد عند ابن تومرت هو اثبات الواحد ونفي سواه من إله، أو شريك أو ولي أو طاغوت، كل ما يعبد سواه يجب نفيه والكفر به والتبرؤ منه، ويقدّم أدلة من السنة النبوية على ذلك فيقول: "بيّن الرسول التوحيد وفسّره بقوله:(من وحّد الله وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُمَ ماله ودمه وحسابه على الله)[2]، وقال ﷺ: (بني الاسلام على خمس، على أن يعبد الله ويكفر بما دونه...)[3]، ونبه فيه بغاية ما يمكن فيه النفي من الجحد والانكار والكفر مما سوى الواحد القهار، وقال فيما معناه بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، أثبت الواحد ونفى ما سواه[4].

وإذا علم نفي التشبيه بين الخالق والمخلوق، نتج عن ذلك التسليم بوجود الخالق المطلق، وينتج من تنزيه الخالق وإطلاق وجوده نفي الغيرية عنه، وهذا يؤدي إلى العلم بوجوب دوام الله واستحالة تغيُّره[5]، ويظهر من هذا النص أن ابن تومرت معتزلي التحليل، أشعري التصور ولكنه حزمي من حيث الاعتقاد في أسماء الله وصفاته، لأن ابن حزم يرفض أن يطلق لفظ الصفات على الله، لأنه تعالى "لم ينص قط في كلامه المنّزل على لفظة الصفات، ولا على لفظة الصفة ولا حفظ عن النبي ﷺ أن لله صفة أو صفات"[6].

جعل ابن تومرت من التوحيد وسيلة لمحاربة المرابطين، إذ كانوا يتمسكون بمذهب مالك ويكرهون المتكلمين وعلم الكلام، وينفرون من الرأي والتأويل والخوض في مسائل التوحيد، ويرون الاقتداء بالسلف في قبول النصوص على علاّتها، وإقرار المتشابهات كما جاءت والإيمان بها كما هي، فهاجم المرابطين

---

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص217.

[2]- حديث صحيح، ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم (38) ص53.

[3]- حديث صحيح، ينظر: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الاسلام ودعائمه العظام، حديث رقم (20)، ص45.

[4]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص- ص267-268.

[5]- نفسه، ص219.

[6] ابن حزم: الفصل، 120/2؛ وانظر، عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص ص169-170.

وفقهاء المالكية من هذه الناحية، وقال بضرورة تأويل النصوص ونفي التشبيه عن الخالق، واتّهم المرابطين بالتجسيم والشرك[1].

كما كان يسمي أصحابه بالموحدين تعريضا بالمرابطين في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم[2]، وهو يعني بذلك أن أصحابه هم الذين يفهمون معنى التوحيد الخالص، ومعنى تنزيه الذات الإلهية من الصفات المشَبِّهَة[3].

تتجلى الغاية العملية من التوحيد عند ابن تومرت، في جمع الأمة حول هذا الركن الأساسي في الإسلام ومحاولته إذابة كل الفوارق العرقية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين أفراد المجتمع الواحد، ولكي يسهل فهم التوحيد وحفظه وتطبيقه في الواقع، كتب ابن تومرت رسالة قصيرة سمّاها المرشدة، بدأها بقوله: "اعلم أرشدنا الله وإياك أنه وجب على كل مكلف، أن يعلم أن الله عز وجل واحد في ملكه، خلق العالم بأسره ..."[4].

**ب- المهدوية**

المهدي لغة مفعول من "هُدِيَ"، والهدي هو الرشاد وهو ضد الضلال، وفي الحديث ( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين)، والمهدي الذي قد هداه الله إلى الحق، قد استعمل في الأسماء حتى صار كالأسماء الغالبة[5]، أما عند ابن الأثير فالمهدي الذي هداه الله إلى الحق، ويريد بقوله "الخلفاء المهديين" أبابكر وعمر وعثمان وعلياً رضي الله عنهم، وإن كان عاما في كل من سار سيرتهم.[6]

---

[1]- العبادي، المرجع السابق، ص ص106-107.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 305/6.

[3]- العبادي، المرجع السابق، نفس الصفحة.

[4]- محمد بن خليل السكوني: **شرح مرشدة محمد بن تومرت**، تح. يوسف احنانا، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1993م، 1993م، صص11،9.

[5]- ابن منظور: لسان العرب، 353/15-354.

[6]- النهاية في غريب الحديث والأثر، 254/5.

ودعا النبي ﷺ لمعاوية ﷺ فقال: (اللهم اجعله هاديا مهديا، واهدي به)[1]، ودعا أيضا ﷺ لجرير بن عبد الله البجلي ﷺ بقوله:( اللهم ثبّته واجعله هاديا مهديا)[2]، كما دعا ﷺ لأبي سلمة ﷺ فقال:( اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغبرين)[3].

استغلّ ابن تومرت ظاهرة محبة آل البيت، التي تجذرت منذ قيام الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى والتي لا يستبعد أن يكون هو نفسه قد نشأ عليها، لأن كرامة المهدي كانت منسوبة إلى إدريس الثاني حيث عثر على نقود تعود إلى سنة 197هـ/818م، تحمل نقش العبارة التالية "محمد رسول الله والمهدي هو إدريس بن إدريس"، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على المكانة التي كان يحظ بها الإمام إدريس بن إدريس، فلأول مرة جمع بين مفهومين هما النسب الشريف والمهدوية، الذين سيشكلان مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي والسياسة في المغرب[4].

أعلمَ ابن تومرت أتباعه أن النبي ﷺ بشّر بالمهدي، الذي يملأ الأرض عدلا وأن مكانه الذي يخرج منه المغرب الأقصى، فقام إليه عشرة رجال أحدهم عبد المؤمن فقالوا: لا يوجد هذا إلا فيك فأنت المهدي فبايعوه على ذلك[5].

جعل ابن تومرت يَذْكُرُ المهدي، ويشوّق إليه وجمع الأحاديث التي جاءت فيه من المصنفات، فلما استقرت في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونَعْتُهُ، ادعى ذلك لنفسه وقال: "أنا محمد بن عبد الله "، ورفع نسبه إلى النبي وصرّح بدعوى العصمة لنفسه، وأنه المهدي المعصوم وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استقرّ عندهم أنه المهدي[6]، الذي خصّه الله بما أودع فيه من معاني الهداية، فيشرق نور الله في في الدنيا بظهوره، حتى يملأها عدلاً كما ملئت جوراً، بوعد ربه كما وعد وبفضله كما سبق، وأن أمر

---

[1]- الحديث بسندٍ صحيح، ينظر: البخاري، التاريخ الكبير، 240/5، حديث رقم 791.

[2]- الحديث صحيح، ينظر: سنن ابن ماجة، باب في فضل جرير بن عبد الله البجلي، حديث رقم 159، ص56.

[3]- الحديث صحيح، ينظر: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر، حديث رقم 920، ص634.

[4]- Garcia-Arenal Mercedes, **la conjonction du sufisme et du sharifisme au Maroc** : **le Mehdi comme sauveur**, Revue du monde Musulman et de la Méditerranée, N°55-56, p. 234.

[5]- ابن الأثير: **الكامل**، ص1614.

[6]- المراكشي: **المعجب**، ص132.

المهدي حتم من خالفه يقتل، لا دفع في هذا لدافع، ولا حيلة فيه لزائغ ثبت بثبوت نصوص الكتاب وقواطع الشرع وبيان العلم ودام ما دامت السموات والأرض[1].

يختلف تصور ابن تومرت للمهدوية عن غيره، بحيث ربطها بالظروف الاجتماعية التي كانت تتصف بالجور، والمهدي عنده يمثل الحاكم الكامل الذي ينبغي على الأمة أن تؤمن به لكي يقودها إلى العزّة، فهو وحده القادر على ذلك وتؤهله هذه المكانة أن يزيل الغمّة عن الأمة التي فرضها عليها الطغاة، فمهمة المهدي سياسية حضارية، تقوم على قطع دابر من كان سبباً في ضعف الأمة وضياع حقوقها وحدود الله[2].

ويبيّن أسباب ظهور المهدي، بقوله: "وأن العلم ارتفع وأن الجهل عمّ وأن الحق ارتفع وأن الباطل عمّ وأن الهدي ارتفع وأن الضلال عمّ وأن العدل ارتفع وأن الجور عمّ، والرؤساء والجهّال استولوا على الدنيا وأن الدجالين استولوا على الدنيا، وأن الباطل لا يرفعه إلا المهدي، والحق لا يقوم إلا بالمهدي، وأن المهدي معلوم في العرب والعجم والبدو والحضر، وأن العلم به ثابت في كل مكان وفي كل ديوان"[3].

وحينما يصف المهدي يقول: "المهدي أعلم الناس بالله وأقربهم إلى الله، به قامت السماوات والأرض وبه كشفت الظلمات، وبه تدمغ الأباطيل وبه تظهر المعارف، وبموافقته تنال السعادة وبطاعته تنال البركات وفي مسابقة الناس إلى ما يحبه مسابقة إلى ما يحبه الله ورسوله، وبموافقته وطاعته تنال الاجور العظيمة"[4].

اعتبر ابن تومرت المهدي معصوماً من الباطل والضلال، والفساد والبدع والكذب والجهل فقد وجبت طاعته في كل أمر، إذ أن سلطاته مطلقة لا يحدها إلا الكتاب والسنة، وبهذا يكون الحاكم في دور المهدية مختارا من الله ومفوضاً منه، وسلطاته مطلقة على البشر[5]، ثم أوجب طاعته والاقتداء به فقال: "فالعلم به واجب والسمع له والطاعة له واجب، واتباعه والاقتداء بأفعاله واجب"[6]، أراد ابن

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص، ص234،236.

[2]- عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص ص189-190.

[3]- ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، ص238.

[4]- نفسه، ص235.

[5]- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص113.

[6]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص234.

تومرت من خلال هذا تعبئة الأنصار، فأكسبهم الثقة بأنفسهم وسعى إلى إقناعهم بأنهم على درب الحق سائرون، وأن حركتهم إنما هي استجابة للأمر الإلهي الداعي إلى القيام بأمر الله ومقاومة الفساد، وهذا لا يتأتى إلا بعقيدة المهدي المنتظر، الذي يعود نسبه إلى آل البيت[1].

لم يرّكز ابن تومرت كثيرا على ابراز حقيقة المهدوية الدينية، بل سلك في ذلك طريقا مغايرا، حينما تحدث عن الدواعي والأسباب المؤدية إلى ظهور المهدي، وهو بذلك يسير في خط أهل السنة، فالأسباب الموجبة لظهوره أسباب اجتماعية، يقول: "وأما الزمان فيأتي في آخر الزمان"، لقد كان ابن تومرت مبتكرا في أسلوب الثورة على الأوضاع القائمة حين اهتدى إلى إضفاء الشرعية الإلهية على حركته،[2] ويصبح بفضل المهدوية الشخص الذي أرسله الله ليعيِّن حاكم الأرض المستقبلي[3].

**ج- العصمة**

العصمة مصدرها عصم ومعناها صفة من لا يقع في الخطأ والرذيلة[4]، وهو نفسه المعنى الذي أعطاه ابن تومرت للعصمة حين قال: "وأنه (الإمام) معصوم فيما دعا إليه من الحق، لا يجوز عليه الخطأ فيه"[5]، فالإمام من منظوره لا يكون إلا معصوماً من الباطل ومعصوما من الضلال، ومعصوماً من العمل بالجهل ومعصوماً من الجور والبدع، لأن الباطل لا يهدم الباطل والضلال لا يهدم الضلال والجور لا يهدم الجور[6].

ويستّمر ابن تومرت في توضيح مفهوم العصمة عنده فيقول: "وأن يكون (الإمام) معصوما من الكذب وأن يكون معصوما من العمل بالجهل، وأن يكون معصوما من الباطل لأن المبطل لا يهدم

[1])- النجار، المرجع السابق، ص ص125،122.

[2])- امهيري، المرجع السابق، ص ص141،138.

[3])- Remmm, **le Mahdi dans le Maghreb médiéval**, Mchael brett, 23/03/2021, h : 14 :40, http://journals.openedition.org/remmm/250

[4])- جبران مسعود، المرجع السابق، ص553.

[5])- ابن تومرت، **أعز ما يطلب**، ص ص238-239.

[6])- نفسه، ص229.

الباطل"[1]، ومن خلال ما ذكر ندرك أن العصمة عنده معناها الامتناع، أي منع النفس من ارتكاب الأفعال المنهى عنها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

رأى ابن خلدون أن ابن تومرت قال بعصمة الإمام تقليدا لرأي الإمامية الشيعية[2]، بينما يرى آخرون أنه لم ينتحل النظرية الشيعية، بل خالفها في جوهرها إذ اعتبر أن الإمام الحق بعد الرسول ﷺ هو أبو بكر وبعده عمر بن الخطاب وبعده عثمان وبعده علي، ثم اضطرب الأمر بعد ذلك إلى أن يأتي الإمام الحق وهو المهدي، كما تخلو هذه النظرية من القول بالغيبة والرجعة، وما قال به من عصمة الإمام يخالف أيضا العصمة عند الشيعة، بل هو أقرب أن يكون صيغة مبالغا فيها للشروط التي يشترطها أهل السنة في الإمام[3].

يرى ابن تومرت أن الإمام يجب أن يكون معصوما من بعض الصفات حتى يستحق الإمامة، ويفهم منه أن ابن تومرت احتفظ بالمعنى اللغوي للعصمة بدل المعنى المذهبي، وجعل بالتالي توافر هذه الصفات من الأمور التي ينبغي أن يراعيها الناس حين يبايعون أئمتهم[4].

واستنبط أن من أسباب الفوضى السياسية، تعدد مراكز القوى وتضارب أهدافها في الدولة الواحدة وعليه فإن وجود شخص قوي يعلو على الجميع له السلطة والعلم الكلي، له القدرة على تحقيق العدل والحق،[5] ولما كان اختلاط الحق بالباطل والهدى بالضلال والعدل بالجور، كان لابدّ من تصور إمام إمام معصوم مما أصاب القائمين من رذائل ومفاسد واختلافات، سببها حكّام ظلمة يسوسون البلاد بالباطل والباطل لا يدفع الباطل في رأيه، لذلك نَخْلُصُ أن ابن تومرت اقتبس صورة العصمة من الإمامية واقتبس محتواها من أهل السنة، فهي ضرورة سياسية لا غير وليس لها أي طابع مذهبي[6].

سعى ابن تومرت إلى أن يجمع القبائل الكثيرة والمختلفة عن بعضها البعض، وأراد أن يُذِيبَ الاختلاف الذي بينها بالاتفاق، ولا يصح هذا الاتفاق إلا إذا اجتمع الجميع حول إمام معصوم جاهد

---

[1]– ابن تومرت: **أعزما يطلب**، نفس الصفحة.

[2]– ابن خلدون: **العبر**، 302/6.

[3]– النجار، المرجع السابق، ص127.

[4]– عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص176.

[5]– امهيري، المرجع السابق، ص130.

[6]– عبد الهادي، نفسه، ص ص178–179.

نفسه ومنعها من الباطل والظلم، فيقول: "ولا يدفع الاختلاف إلا بالاتفاق، ولا يصح الاتفاق إلا بإسناد الامور إلى أولي الأمر، وهو الإمام المعصوم من الباطل والظلم"[1].

فالجانب الأول تتضمنه العصمة من الباطل، وهي تعني عصمة الإمام من الآراء والمبادئ والتعاليم التي يدعو إليها ويبشر بها، فهي كلها حق ولا يداخلها الباطل بحال من الأحوال كالكذب والجهل والابتداع وغيرها من الطرق المؤدية إلى الخطأ، وهو ما أكده في قوله: "إنه معصوم فيما دعا إليه من الحق لا يجوز له الخطأ فيه"[2].

والجانب الثاني تتضمنه العصمة من الظلم، وهو يتعلق بسياسة الناس والقيام على شؤونهم وتدبير أمورهم، وقد أكد المهدي عصمة الإمام في تصرفاته في هذا الجانب، وعبّر عن ذلك بالعصمة من الفساد كما في قوله: "لايقوم بحقوق الله إلا العدل الرضى المعصوم من الفساد"[3].

وتصبح العصمة كرامة من الكرامات عند ابن القطان، حين يقول: "وهذه الصفة كرامة من كراماته (المهدي) خصّه الله تعالى بها، فمن عصمته، عصمته من أهل الإسكندرية، فإنه رأى بها مناكر فغيّرها وأغلظ في أمرها، فقامت عليه العامة والغوغاء، فصاروا يقطعون به في طريقه إلى مجلس الطرطوشي، ولم ينله من بأسهم على غربته وشحط داره أكثر من هذا".[4]

وعصم الله ابن تومرت أيضاً، في السفينة المتوجهة من الإسكندرية إلى المغرب، والتي رأى بها المناكر فغيّرها وأغلظ في أمرها، ثم حضر وقت الصلاة فأمرهم بها، فلم يصغوا له فشدّد عليهم حتى غضبوا وهموا بإلقائه من المركب، فهال عليهم البحر وكادوا يغرقون[5]، ثم يقدم ابن القطان أمثلة أخرى عن عن حوادث مرّ بها ابن تومرت وخرج منها معصوما، أي محفوظا وممنوعاً من أذى الآخرين.

---

[1]- ابن تومرت: **أعز ما يطلب**، ص230.

[2]- نفسه، ص257؛ وانظر، عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت ( حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثرة بالمغرب )، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1403هـ/1983م، ص249.

[3]- ابن تومرت: **أعز ما** يطلب، ص246.

[4] ابن القطان: **نظم الجمان**، ص91.

[5]- نفسه، ص92.

5-3-4-4 **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**: اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بلا خلاف من أحدهم لقوله تعالى:﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران: 104]، ثم اختلفوا في كيفيته[1].

كان ابن تومرت يمشي في الأسواق، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكسر المزامير وآلات اللهو ويريق الخمر حيثما وجده، يفعل ذلك في أي بلد حلّ فيه وأي موضع نزل به، إلى أن وصل مدينة فاس فأقام بها يدرس العلم.[2]

## 5- بيعة ابن تومرت على الإمامة:

تعني البيعة العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلِّم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر، فكانوا إذا بايعوا الأمير وعقدوا عهده جعلوا يدهم في يده توكيدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع والمشتري فيسمى بيعة، مصدر باع وصارت البيعة مصافحة بالأيدي بالإضافة إلى "أَيْمَانَ البيعةِ"، لأن الخلفاء كانوا يستحلفون على هذا العهد ويستوعبون الأيمان كلها لذلك، فسمي هذا الاستيعاب[3].

اتخذ المهدي، طريقة عملية في عقد البيعة مغايرة للفريقين معاً، ما دام قد قرّر أن يتجاوز القائمين في بغداد وفي القاهرة، وعزم أن تكون إمامته فتحا جديدا للدنيا شرقها وغربها، وتتمثل الطريقة التي اتّبعها حسب رواية البيذق، أنه أخذ العهد على الناس بإشراكهم في الطعام والملح، وذلك حينما أقام للقبائل المناصرة له مأدبة[4]، في إيكيلي (إيجليز) هرغة في سنة أربعة عشر وخمسمائة، وهو تقليد متّبع إلى يومنا هذا في عقد التحالفات بين القبائل والفئات[5]، فقال البيذق عن هذه المأدبة: "ثم عمل آسماس[6]وعمل

---

[1]- ابن حزم: **الفصل**، 132/4.

[2]- ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص173.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 356/1.

[4]- امهيري، المرجع السابق، ص114.

[5]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص153.

[6]- آسماس هي الوليمة بالبربرية، ينظر: عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص153؛ يتكون آسماس من ثلاثة عناصر اللحوم والملح والحبوب، واللحوم من الأنواع المحلية فالخروف والكبش يعتبر المفضل في ختام عقد الاتفاقات أو الاحتفال بمناسبتها، مما يشير إلى الدور المهم الذي يلعبه لحم الضأن في الأماكن الحضرية، وحتى في الريف عند استقبال ضيوف مميزين، وهي وجبة تقدم في

الملح بيده، وقال هنا عهد الله وعهد الرسول بيننا وبينكم على الكتاب والسنة"، فلما صنع الطعام قال الناس: الإمام لا يأكل ولا يشرب، فأومأ بيده نحو ذراع كبش وقرص منه وألقاه في فمه، ثم قال لهم: إنما أنا آكل كما يأكل الناس وأشرب كما يشرب الناس وأنا من بني آدم يلزمني ما يلزمهم"[1].

ثم أخذ يرسل البعثات إلى القبائل الأخرى لكسب جانبها وأمر دعاته أن يبتعدوا عن أساليب العنف والقسوة، إذ كان عارفا بطبيعة القبائل والأسلوب الذي يتناسب معها[2]، فتآمر أبو بكر بن عمر اللمتوني، عامل المرابطين على السوس مع بعض أهل هرغة على قتله، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك، ونُقِلَ المهدي إلىجبل تينملل وبنى داره ومسجده بينهم[3].

وفي تينملل[4]اجتمع إليه وجوه المصامدة فشرع في تدريس العلم والدعاء إلى الخير، من غير أن يظهر إمْرَةً وطلبة ملك، ولما استوثق منهم دعاهم إلى القيام معه أولا على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير، وأمر رجالا منهم ممن استصلح عقولهم بنصب الدعوة واستمالة رؤساء القبائل[5]، وأخذ يستنقص المرابطين وينسبهم إلى الكفر والتجسيم ويدعو إلى خلع طاعتهم[6]، وفي ذات يوم من سنة 515هـ، انتظم موكب مشهود حضره كافة الأتباع، ونراه يختار لهذه المناسبة شجرة

---

التجمعات الكبيرة، وأصبح هذا تقليداً في الدولة الموحدية، حيث عمله الخليفة عبد المؤمن بن علي بعد عقد الصلح مع الثائرين عليه وعمله أيضا الخليفة يوسف أبو يعقوب في اشبيلية بعد وفاة عبد المؤمن بن علي، عندما جاءه الموحدون لبيعته، ينظر: Mehdi Ghouirgate : **''Asmas, le plat emblematique des Almohades''**, ARABICA , N°62, Leiden, 2015, p(10,19) .

[1]- البيذق: **أخبار**، ص33.

[2]- أسامة عبد الحميد حسين السامرائي، **محمد بن تومرت وثورته على المرابطين(دراسة تاريخية)**، رسالة تقدم كجزء من متطلبات درجة الماجستير في التاريخ الاسلامي، إشراف. ابراهيم ياس خضير الدوري، جامعة تكريت، العراق، 1423هـ/2002م، ص ص111-112.

[3]- ابن خلدون: **العبر**،304/6.

[4]- أعلى جبل درن مجموعة من القلاع والحصون، تزيد عن نيف وسبعين حصنا ومنها الحصن المنيع القليل مثله في حصون الأرض بنية وتحصنا ومنعة وهو في أعلى الجبل، واسم الحصن تانملت وهو كان عمدة المصمودي محمد بن تومرت حين ظهر بالمغرب، وهو الذي زاد في تشييده ونظر في تحصينه، وجعله مدخرا لأمواله وبه الآن قبره لأنه أمر بذلك فلما مات بجبل الكواكب احتمله المصامدة إليه وحمه ودفنوه بهذا الحصن وقبره في هذا الوقت بيت جعله المصامدة حجا يقصدون إليه من جميع بلادهم وعليه بناء متقن كالقبة العالية لكنها غير مزخرفة ولا مزينة، ينظر: الادريسي: **نزهة المشتاق**، ص230.

[5]- المراكشي، **المعجب**، ص132.

[6]- ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص173.

الخروب، إيحاءً منه إلى أنصاره أنه لا يتصرف إلا كما تصرف النبي ﷺ ، واعتبار فعلهم معه مماثلا لفعل الصحابة مع الرسول ﷺ، ما يدعونا إلى هذا الاستنتاج، تركيزه الشديد في كتابه أعز ما يطلب على العلاقة بين النبي ﷺ وأصحابه على الولاء غير المشروط والاقتداء التام به[1]، للوصول إلى مرضاة الله تعالى مصداقا لقوله عزّ وجلّ [لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ][سورة الفتح: 18].

قام ابن تومرت خطيبا في الناس وقال: "الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي بما يشاء، لا رادَّ لأمره ولا معقِّب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبشِّر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل، وأزيل العدل بالجور، مكانه المغرب الأقصى وزمنه آخر الزمان واسمه اسم النبي عليه الصلاة والسلام، ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم، وقد ظهر جور الأمراء وامتلأت الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل"[2].

ولما انتهى من الخطبة يقول عبد المؤمن بن علي: "بادر إليه عشرة رجال منهم أنا فقلت له: هذه الصفة لا توجد إلا فيك، فأنت المهدي فبايعناه على ذلك"[3]، فكان أول من بايعه أصحابه العشرة، ويُستشّف من اتخاذ عشرة من الأصحاب تقليدا للنبي ﷺ في العشرة المبشرين بالجنّة والذين كان منهم مجلس شورى سيدنا عمر ﷺ، فنخلُصُ إلى أن المصدر الذي اعتمد عليه ابن تومرت في البيعة هو السنة النبوية[4].

وتقدّم إلى البيعة من هنتاتة[5]، أبو حفص عمر بن يحي وأبو يحي بن يكييت ويونس بن وانودين وابن يغمور، ومن تينملل[1] أبو حفص عمر بن علي الصناكي ومحمد بن سليمان وعمرو بن تافراتكين وعبد الله بن ملويات، ودخلت قبيلة هرغة[2] في أمره كلهم، ثم دخل معهم كدميوة.[3]

---

[1]- امهيري، المرجع السابق، ص115.

[2]- ابن القطّان المراكشي: **نظم الجمان**، ص125.

[3]- نفسه، نفس الصفحة.

[4]- عبد الهادي الادريسي، المرجع السابق، ص ص153-154.

[5]- قبيلة مصمودية، كانت في المرتبة الثالثة بعد قبيلة هرغة وقبيلة تينملل وكل من جاء بعدهم فإنما جاء على أثرهم وتبعاً لهم بما كانوا كانوا عليه من الكثرة والبأس، ومكان شيخهم أبي حفص عمر بن يحي من صحابة الإمام والاعتزاز على المصامدة، وموطنهم المعروف

وبسط يده فبايعوه على ذلك، وقال: أبايعكم على ما بايع عليه أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله[4]، ثم دعوا إلى بيعته على التوحيد وقتال المرابطين، فبويع يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من سنة خمس عشر وخمسمائة.[5]

**رابعاً: الخلافة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي:**

رأينا في ما سبق، كيف وضع ابن تومرت أولى اللبنات في صرح الامبراطورية الموحدية، وعندما رحل ترك الناس على الاتفاق الذي كان ينشده، وترك فيهم بعضاً من أصحابه كلهم مؤهلون ليكملوا مسيرته التي بدأها، لذلك مرت هذه المرحلة بمرحلتين: الأولى كانت خلافة شورية، والثانية تحوّلت إلى وراثية، وهذا بفضل الخليفة عبد المؤمن بن علي.

**1– مرحلة الخلافة الشورية بقيادة عبد المؤمن بن علي:**

عمد ابن تومرت في خلال نشره لدعوته تنظيم أصحابه في نظام إداري معيّن، على قمة هذا التنظيم هيئة العشرة أو الجماعة، وهم المهاجرون الذين أسرعوا إلى إجابته، وهذه الهيئة تختص بالعظيم من الأمور الخاصة بالدعوة، واحتّل عبد المؤمن مكانة سامية في مجلس العشرة، فكان يسميه المهدي صاحب الوقت ولم يترك ابن تومرت أصحابه وأتباعه، إلا وقد عهد إلى عبد المؤمن بن علي أن يتولى خلفا له

---

بهم من جبال درن وهو الجبل المتاخم لمراكش، وهم على توسط من الاستبداد والخضوع، ولهم في قومهم مكان بامتناع معقلهم وإطلاله على مراكش، ينظر، ابن خلدون: **العبر**،360/6.

[1]– قبيلة من المصامدة، كانوا اخوة هرغة في التعصب لدعوة المهدي والاشتمال عليه والقيام بأمره، وبنى داره ومسجده بينهم فكان يعطيهم من الفيء بقدر عظمهم من الابتلاء، وقُبِرَ بينهم بهذا العهد، ينظر: ابن خلدون، نفسه، نفس الصفحة.

[2]– هرغة وهم قبيل الإمام المهدي قد دثروا وتلاشوا وانتفقوا في القاصية من كل وجه، لما كانوا أشد القوم بلاءً في القيام بالدعوة وأصلاهم بنارها بقرابتهم من صاحبها وتعصبهم على أمره، ينظر: نفسه، نفس الصفحة.

[3]– كدميوة كانوا تبعا لهنتاتة وتينملل في الأمر وجبلهم لصق جبل هنتاتة وكان رؤساءهم لعهد الموحدين بنو سعد الله، ينظر: ابن خلدون: **العبر**، 364/6.

[4]– المراكشي، **المعجب**، ص132.

[5]– محمد بن إبراهيم الزركشي: **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تح. محمد ماضور ، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ص14.

قيادة الموحدين، وقد عبّر ابن تومرت عن رغبته هذه، حين جمع اهل الجماعة وأهل الخمسين وذلك في مرضه قبيل وفاته وأخبرهم باختياره لعبد المؤمن خلفا له[1].

يقول المراكشي: "قبل موت ابن تومرت بأيام يسيرة استدعى المسمّين بالجماعة وأهل الخمسين، فلما حضروا بين يديه، قام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وصلى على محمد ﷺ وقال:... وعليكم في جميع أموركم بمزج الرأفة بالغلظة واللين بالعنف واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة، إلا على الذي صلح عليه أمر أوّلها وقد اخترنا لكم رجلا منكم وجعلناه أميرا عليكم، هذا بعد أن بلوناه في جميع أحواله من ليله ونهاره ومدخله ومخرجه، واختبرنا سريرته وعلانيته فرأيناه في ذلك كله ثبتاً في دينه متبصراً في أمره، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه، وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعا مطيعا لربه، فإن بدل أو نكص على عقبه أو ارتاب في أمره ففي الموحدين أعزهم الله بركة وخير كثير، والأمر أمر الله يقلده من يشاء من عباده"[2].

ولما توفي المهدي خشي أصحابه من افتراق الكلمة، وما يُتَوَقَّعُ من رفض المصامدة خلافة عبد المؤمن بن علي لكونه من غير جلدتهم، فأرجأوا إعلان موته إلى أن تتمكن الدعوة من نفوسهم، وزعموا أنه حي ثلاث سنين، يموّهون بمرضه ويقيمون سنّته في الصلاة والحزب الراتب، ويدخلون إلى بيته كأنه اختصهم بذلك، فيجلسون حوالي قبره ويتفاوضون في شؤونهم، بمحضر أخته زينب ثم يخرجون لإنفاذ ما أبرموه[3].

إن كتم موت المهدي فترة من الوقت، يدل على البراعة السياسية التي كان يتمتع بها عبد المؤمن إذ أن الدعوة الناشئة في صراع مسلح مع المرابطين، وقد مني الموحدون بهزيمة ساحقة عند أسوار مراكش في معركة البحيرة، ولم يمكث ابن تومرت بعدها كثيرا إذ مرض ومات، ومن هنا كان كتمان خبر وفاة ابن تومرت حتى لا يفجع الموحدون فجيعتين في فترة زمنية متقاربة، مما يعرّض الدعوة لخطر التفتت وبذلك يسهل على المرابطين القضاء عليها[4].

---

[1]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص ص63-64.

[2]- المراكشي: **المعجب**، ص138.

[3]- ابن خلدون: **العبر** 305/6-306.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص65.

وما يدل على أن ابن تومرت كان قد اختار خليفته قبل موته قول البيذق:" أسرعت يوم البحيرة نحو المعصوم فأعلمته فقال لي: عبد المؤمن في الحياة؟ قلت: نعم، قال لي: الحمد لله ربّ العالمين، قد بقي أمركم، هل جرح؟ قلت شجّ في خده الأيمن، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الأمر باقٍ، ثم قال لي: ارجع إليه وقل له الأمر باقٍ ولا تجزعوا، فرجعت حتى لقيته فأعلمته ففرح وفرحنا.[1]

والخليفة هو عبد المؤمن بن علي بن عَلْوِى بن يعلا بن الحسن بن كنونة بنت إدريس بن إدريس بن عبد الله بن القاسم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويذكر أيضاً أن نسبه: عبد المؤمن بن علي بن علوى بن يعلا بن علي بن حسن بن نصر بن الأمير أبي نصر بن مقاتل بن كومى بن عون الله بن ورجايغ بن ينفر بن مراو بن مطماط بن صطفور بن نفور بن زحيك بن يحي بن هزرج بن قيس بن عيلان، والصحة أن هذا النسب ينتهي إلى مقاتل بن كومى بن عون الله، والأسماء من بعد عون الله إلى قيس بن عيلان فيها اختلاف وتصحيف وتقديم وتأخير، فأصل الخليفة وإخوته وقرابته بنو كنونة من مضر جذم النبي أي أصل النبي ﷺ[2].

ولد بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا في آخر سنة 487هـ/1094م، كان أبيض ذا جسم عممٍ تعلوه حمرة، شديد سواد الشعر، معتدل القامة، وضيء الوجه، جهوري الصوت، فصيح اللسان، جَزْلَ المنطق وكان محبَّباً إلى النفوس، لا يراه أحد إلا أحبه بديهةً[3].

له من الولد اثنا عشر[4] أو يزيدون، منهم الخليفة بعده يوسف، شقيق يوسف أبوحفص، أبو عبد الله المخلوع، أبو محمد عبد الله صاحب بجاية، أبو سعيد عثمان صاحب غرناطة، أبو علي الحسن، أبو الربيع سليمان، أبو زكريا يحي، أبو إبراهيم إسماعيل، أبو إسحاق ابراهيم، أبو يوسف يعقوب، لأبو الحسن علي أبو زيد عبد الرحمن، أبو سليمان داود، أبو موسى عيسى، أبو العباس أحمد، والبنات صفية وعائشة[5]، وتولى عبد المؤمن في هذه الفترة تلقينهم أمور دينهم، حتى إذا استحكم أمرهم وتمكنت الدعوة

---

[1]- البيذق: **أخبار**، ص40.

[2]- البيذق: **المقتبس**، ص ص18،13؛ أثبت عبد الواحد المراكشي هذا النسب، ينظر، المراكشي: **المعجب**، ص139؛ ابن عذاري: **البيان المغرب**: 3/173-174؛ الحلل الموشية: ص142.

[3]- المراكشي: **المعجب**، ص ص139-140.

[4]) البيذق: **أخبار**، ص ص76-77.

[5]- ابن عذاري، **البيان**، 3/174؛ يوافق قول ابن القطان ما ذكر ابن عذاري بذكر ستة عشر ولدا وبنتين، ينظر، ابن القطان: **نظم الجمان**، ص، ص208،206.

من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم، وذكر أبو حفص الهنتاتي تقديم عبد المؤمن، فأظهر بعضهم معارضتهم للأمر، لكن الشيخ أبو حفص أسرع وأظهر للناس موت المهدي وأنه عهد بالأمر إلى عبد المؤمن وأن الجماعة انقادت لرغبة ابن تومرت، حتى أن يحي بن يغمور كان يقول في دعائه إثر صلواته: "اللهم بارك في الصاحب الأفضل" فرضي الجميع وانقادوا[1].

بذلك يكون عبد المؤمن بويع بيعتان، الأولى إثر موت الإمام المهدي عام 524هـ/1130م بيعة خاصة، اقتصرت هذه البيعة على أهل الجماعة، وبعبارة أدق من بقي من أهل الجماعة حيث أن نصفهم استشهد في معركة البحيرة، ولم يبق سوى عبد المؤمن بن علي وأبو حفص عمر بن علي وأبو ابراهيم وأبو حفص بن يحي وعبد الله بن ملوية، فكان اختيار أهل الجماعة لعبد المؤمن تنفيذاً لوصية المهدي، يضاف إلى ذلك عامل هام، وهو أن عبد المؤمن في هذه الفترة لم تكن له قبيلة بالمغرب الأقصى يستند إليها، وبالتالي انعدم عنصر المنافسة[2]، والبيعة الثانية حين أُعْلِنَ عن موت المهدي عام 529هـ/1135م وكانت بيعة عامة، حيث مدة خلافته اثنين وثلاثين سنة وستة أشهر.[3]

وظهر في هذه الفترة المخالفون لعبد المؤمن، ذلك أنه كان من بعد وفاة المهدي، يكنف عبد العزيز وعيسى أخوي ابن تومرت ويحسن إليهما، وإلى يصلاتن صهرهما بالإحسان التام والإنعام العام، ولكن يصلاتن كان يغويهما ويوقد نار الحسد في جوانحهما، ويجعل نقض العهد وخلع الطاعة غذاءً بجوارحهما فلما كان ايابه من غزاته، أمر بقتل يصلاتن وصلبه بمرأى من جميع الأنام، أما أخوي المهدي فقد أمر بهجرهما، ثم سُرِحُوا إلى فاس وأُعطوا ومُنحوا فلم يقنعوا، حتى صدر القرار بقتلهما وصلبهما في جذعين في ذي القعدة 548هـ/1153م[4]، كما ذكر البيذق الثائرين على عبد المؤمن ووصفهم بالمنافقين، كان عددهم ثلاث وثلاثون، منهم الفقيه ابن عياض في بلاد المغرب، والمعارضين له بالأندلس وعددهم ثلاثة عشر ويذكر كيف أنّ الخليفة أخذهم أخذ عزيز مقتدر[5].

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 306/6.

[2]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص64.

[3]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص204.

[4]- ابن عذاري: **البيان**، 132/3-133.

[5]- البيذق، **أخبار**، ص، ص82،89.

في هذه المرحلة من الخلافة الشورية، لم يفعل عبد المؤمن كما يفعل طلاب الملك والرياسة، الذين يسلطون كل اهتمامهم على كيفية وطريقة الاحتفاظ بالحكم، بل بدأ منذ سنة 526هـ/1132م بالغزو وفتح بلاد المغرب، ففتح تاسغيموت وهو حصن منيع على الجبل، كان له باب من حديد، وفتح درعة وتادلا، وفي سنة 529هـ/1135م فتح السوس وتارودانت، وفي سنة 532هـ/.1138م هزم زناتة بجبل غياثة[1].

ثم أخذ من البلاد وهران وساق غنائمها، واتجهت العساكر نحو مديونة ومنها نزلت في تلمسان، وقلع الخليفة من تلمسان يريد المغرب، فكان استفتاح فاس عام 540هـ/1146م وقد مكث عليها تسعة أشهر، ومنها إلى مكناسة ففتحها أيضاً على يده[2]، وانتقل بعد ذلك إلى مراكش فحاصرها أحد عشر شهرا ثم ملكها وكان أخذه لها عام 541هـ/1147م[3]، وبعد أن سيطر عبد المؤمن على مقاليد الأمور في العاصمة مراكش وأحكم قبضته على المغرب الأقصى، نراه يوجه اهتمامه إلى الشرق حيث خرجت الجيوش الموحدية إلى طرابلس في إفريقية[4].

ودخل جيش عبد المؤمن إلى الأندلس، في عشرين ألفاً من المقاتلين يقودهم أبوحفص الهنتاتي عام 546هـ/1151م[5]، فخرج الخليفة إلى سلا وجازت العساكر إلى غرناطة وهرب ابن مردنيشوابن همشكودخل الموحدون غرناطة حتى إلى المسجد الجامع[6]، ثم رجع إلى المغرب عام 547هـ/1152م وسار إلى المهدية[7]، وبرز على أهل تونس بروزاً عظيماً، فوحّد أهل تونس ثم قام منها إلى المهدية

---

[1])- ابن القطان، **نظم الجمان**، ص، ص253،223؛ غياثةمنطقة بنواحي فاس.

[2])- البيذق: **أخبار**، ص ص63،56.

[3])- نفسه، ص63.

[4])- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص44.

[5])- أحمد المقري التلمساني: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م، ص378.

[6])- البيذق: **أخبار**، ص81.

[7])- المقري: **نفح الطيب**، ص378.

فملكها[1]، يقول ابن خلدون أن عبد المؤمن عندما قرّر غزو بلاد المغرب، خرج في رحلة طويلة منذ عام 534هـ/1140م إلى عام 541هـ/1147م ولم يراجع فيها تينملل[2].

قسّم عبد المؤمن الدولة الموحدية بالمغرب والأندلس، إلى ولايات وعمالات وعيّن ولاة عليها، تمثلت هذه الولايات في: ولاية بلاد السوس، وولاية سجلماسة، وولاية مراكش، وولاية فاس، وولاية تلمسان وولاية بجاية، وولاية افريقية ثم ولاية سلا، ثم أنشئت ولاية سبتة كولاية مستقلة أحيانا وأحيانا تلحق بمالقة أو الجزيرة الخضراء[3].

تقيّد عبد المؤمن في هذه الفترة باستشارة الأشياخ في كل خطوة يخطوها، يقول ابن خلدون:" فأجمع الرحلة إلى غزو افريقية بعد أن شاور الشيخ أبا حفص وأبا إبراهيم، وغيرهما من المشيخة فوافقوا"[4]، فوافقوا"[4]، ويُظْهِرُ البيذق في مناسبة أخرى سلطة الأشياخ، حينما يروي حادثة وقعت بين إبراهيم شقيق شقيق عبد المؤمن ومحمد بن أبي بكر بن بيكيت كانت نتيجتها مقتل إبراهيم، فغضب الخليفة لقتل أخيه وقال يُقتل بن بيكيت فقام له أبو حفص وأبو الحسن يوكوت بن وكاك وقالا له:"ألم يقل المهدي بأن أهل الجماعة وصبيانهم عبيدهم كل من في الدنيا"، فصمت الخليفة عند ذلك[5].

ثم مرض الخليفة وكان الأمير عمر وزيره، وتوفي يوم الثلاثاء من جمادى الآخرة، من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[6]، ونقل إلى تينملل يوم الجمعة غرة شعبان، وكان عمره ثلاث وستون وقيل أربع وستون سنة ودفن بجانب قبر المهدي ابن تومرت[7].

---

[1]- البيذق، **أخبار**، ص80.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 306/6.

[3]- مغنية غرداين: **نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة ( 5-7هـ/11-13م)**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف. لخضر عبدلي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 1436-1437هـ/ 2015-2016، ص218.

[4]- ابن خلدون: **العبر**، ص315.

[5]- البيذق: **أخبار**، ص55.

[6]- نفسه، ص81.

[7]- ابن عذاري: **البيان**، 173/3؛ ابن القطان: **نظم الجمان**، ص205.

**2- مرحلة الخلافة بالنظام الوراثي:**

وفد إلى الخليفة عبد المؤمن عام 547هـ/1152م وفد من إشبيلية في جملة من وفد، وورد فيه القاضي أبو موسى عيسى بن عمران، فأنشد في معنى التحريض على البيعة للسيِّد أبي عبد الله ابن الخليفة عبد المؤمن فقال:

طال انتظار العالمين لبيعة فقلوبهم كالنار ما لم تعقد

فَلَيُرِيَنَّكَ الله بعد تمامها عمرا يطول بنصر دين محمد

فاستحسنها أمير المؤمنين وشاع قبول هذه الأبيات، عند أشياخ الموحدين فتكلموا في ذلك بإجماع وقالوا: إن القول قولهم على أصح الاتفاق، وبأنهم هم الذين يرغبون في ولاية العهد لأكبر أبناء الخليفة عبد المؤمن، وجاء الناس من طلبة الحضر والأشياخ بالرغبة في أن يَصحّ هذا الأمر، وتوالت الرغبات يوما بعد يوم وصرحوا أن السهد لهم في انتظام الأمر العزيز بالعهد الكريم، فقبل أمير المؤمنين منهم واستحسن القول عنهم[1].

لقد اختار عبد المؤمن أكبر أولاده محمد، وقبل أن يُتمّ له البيعة وحتى لا يحدث الشقاق بين الأخوة أسند للقادرين منهم ولايات هامة حيث ولاّ أكثر أولاده حنكة وسياسة، فأعطا للسيد أبي محمد عبد الله بجاية ،وولاّ عمر تلمسان وأعطا اشبيلية ليوسف، وعمر ويوسف شقيقان أمهما صفية بنت أبي عمران، وولاّ أباسعيد غرناطة، وولاّ عليا فاساً، وولاّ أبا الربيع تادلا وسمّا السوس لابنه أبي زيد ابن اللمطية، وأرسل معهم أشياخا يعلِّمونهم ويدربونهم ويقرأون عليهم[2].

اختصّ عبد المؤمن ابنه أبا عبد الله بولاية عهده[3] عام 548هـ/1153م، حيث أعطى الخلافة الخلافة لابنه وبايعه الناس وأمير المؤمنين بسلا[4]، ولما كملت رغبة الموحدين في البيعة للابن أبي عبد الله، أخذوا بيده وارتبطوا لمعاهدة عهده، تحرك الخليفة من حضرته مراكش إلى سلا، لتشييع كبراء العرب

---

[1]- ابن عذاري، **البيان**، 134/3.

[2]- البيذق، **أخبار**، ص- ص76-77؛ يذكر ابن عذاري أن التولية جاءت بطلب من الأشياخ فقال: "رأوا (الأشياخ) أن العزة تابعة لهم في تولية السادات البنين وأن الخير لهم في ذلك وللمؤمنين، يوالون الرغبات في تولية هاته الولايات، فقبل منهم ما باشروا به من رغباتهم، وأسعفهم في طلباتهم"، ينظر، ابن عذاري، نفسه، ص136.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 316/6.

[4]- البيذق: **أخبار**، ص78.

الوافدين عليه بالطاعة مع بعض أمرائهم من إفريقية، وفي نفسه أن يربط فيها العهد الميمون والطاهر المصون، فلما وصل سلا انعقدت البيعة لابنه محمد على أوفى شروطها[1].

وأمر بإرسال الكتب إلى الأقاليم للإعلان، وتوضيح رغبة الموحدين في البيعة المذكورة المؤذنة لهم ببسط الآمال وذلك من إنشاء ابن عطية، فوصلت البيعات من كل الجهات، ووفدت الشعراء من الأندلس للتهنئة على هذه البيعة السعيدة[2]، ولماّ أسندت لمحمد بن عبد المؤمن ولاية العهد، وتم تسخير كل الوسائل اللازمة لإعلانها، وأخذت أيضاً كل الوقت لنشرها في مختلف ربوع البلاد، حيث مكث في منصب ولي العهد مدة عشر سنين، في هذه الأثناء رتّب عبد المؤمن الجهاز السياسي لدولته وكوّن المجالس الاستشارية التي كانت تعينه على اتخاذ القرارات بموافقتها ومصادقتها عليها، كما تقوم المؤسسات التنفيذية في الإدارة والخطط الدينية والجيش بتنفيذ ما يقع تحت سلطاتها، فكان هذا النظام هو الغالب في دولة الموحدين في مختلف أطوارها[3].

بذل عبد المؤمن براعةً في تسيير دفة الحكم، فعمد إلى مصاهرة الشيخ أبي حفص كبير هنتاتة، وذلك حتى يكسب وُدَّ وتأييد هذه القبيلة، التي تعتبر من أعظم قبائل المصامدة وأكثرها جمعاً وأشدِّها قوة، وتبرز أهمية الشيخ أبي حفص زعيم هنتاتة، في أن عبد المؤمن لم يطمئن إلى وصوله إلى الحكم إلا بعد أن وافق الشيخ أبي حفص عمر على ذلك وصرّح به، وهكذا استمدّ عبد المؤمن من شخصية أبي حفص وزعامته لقبيلته سنداً يعضد مركزه[4].

ثم عمد إلى إعادة الاستقرار في ربوع دولته، بعد أن التفّ بأخوي ابن تومرت بعض الناكثين من الموحدين من سائر القبائل في نفر قليل، فقبض عليهم وسُجنوا ونَفَذَ الأمر بعد احضارهم وشهادة إخوانهم عليهم بأنهم كانوا من الغادرين المنافقين، فامتثل الموحدون ما أمروا به من قتلهم في أيامٍ وذلك يوما بعد يوم[5].

[1]- ابن عذاري: **البيان**، 135/3.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- عمر موسى، المرجع السابق، ص111.

[4]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص65.

[5]- ابن عذاري، **البيان**، ص139.

كما قام بخطوةٍ فريدةٍ حينما أقبل إلى المغرب مع سادة العرب بأجمعهم، بأولادهم وعيالهم إلى سلا وقسّمهم على البلاد، ثم رغّبهم في الجهاد ببلاد الأندلس فكان له ما أراد، وجاز معه منهم إليها أربعة عشر ألفا[1].

وعرفت عاصمة ملك عبد المؤمن، نهضة علمية عمّق جذورها كبار العلماء الذين تواردوا عليها من الأندلس، لمّا وجدوا من عناية عبد المؤمن ورعايته[2]، ولمّا كانت سنة550هـ أمر عبد المؤمن بإصلاح المساجد (كما فعل في مراكش بعد فتحها، حيث يقول البيذق: "وهُدِّمت جوامعها لأجل تشريقها وتحريفها عن القبلة وإمالتها إلى المشرق"[3] ) وبنائها في جميع ممالكه وبتغيير المنكرات ما كانت، وأمر مع ذلك بتحريق الفروع وردّ الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الأحكام منها، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والعدوة[4].

واعتنى بالعلوم الدينة بمختلف دراساتها، وكذلك الآداب والفلسفة والطب والهندسة والعلوم والرياضة وما عرفت به من حساب وجبر وفلك وتنجيم، ثم علوم الفلاحة والتاريخ والجغرافية وغيرها، كما سمح للمرأة في عهده باكتساب العلم والتفوُّق في مختلف الدراسات، حيث عرف التاريخ زينب بنت عبد المؤمن، وحفصة الغرناطية بنت الحاج الركوني التي قَدِمَتْ على عبد المؤمن ضمن وفد الأندلس، ثم أنشدته شعراً تقدمت فيه بمطلبها الذي تحقق، وورقاء بنت ينتان وأم العز العبدرية التي كانت تتقن القراءات السبع وتدَّرِسُ البخاري، وأم المجد مريم بنت أبي الحسن الغافقي، صاحب أول مدرسة ومكتبة حرتين للعلوم بسبتة، والطبيبة أم عمر وابنة الطبيب ابن زهر. إلخ[5].

اهتمّ عبد المؤمن بكل ما يتعلق بالحياة والناس، فكان يشرف بنفسه على عملية البناء ونقل المياه، فيقول البيذق في هذا الشأن: "وأمر(عبد المؤمن) بساقية من غبولة[6] أن تحفر وتهبط إلى سلا

---

[1]- البيذق، **أخبار**، ص- ص80-81.

[2]- عبد الكريم فيلالي: **التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير**، ج3، ط1، شركة ناس للطلبة، القاهرة، 2006م، ص39.

[3]- البيذق، **أخبار**، ص66.

[4]- أبو العباس أحمد الناصري: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح. جعفر ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ص112.

[5]- فيلالي، المرجع السابق، ص- ص38-39.

[6]- عين غبولة: عين ماء كانت معروفة بهذا الاسم، وهي واقعة عن شمال الطريق الممتد بين الرباط والدار البيضاء (20كلم)، ينظر: البيذق: **أخبار**، هامش رقم(158)، ص73.

والخليفة ساكن فيها، وأمر برباط الفتح أن يحفر أساسه وبنى فيها قصرا ومكث في خدمة الساقية والأساس وبناء القصر خمسة أشهر"[1]، كما شيّد مدنا أخرى مثل تازا وجبل الفتح، كما أنشأ مآت الأربطة والمساجد من برقة إلى السوس[2].

وبلغت جيوشه النظامية والمتطوعة نحو نصف مليون، ثبت أنه كان ضمنها مائة ألف فارس وتتوفر كلها على السلاح والملابس، حيث وفّر منها ما يفوق عدد الجيوش بعشرات القناطر من الحديد التي أعلن عن صنعها يوميا، كما خلف أسطولا لحراسة السواحل الممتدة لأكثر من خمسة آلاف ميل وقوامه ثمانمائة قطعة تجوب عباب البحر فكان بذلك أضخم أسطول في العالم[3].

ولما حلّت سنة558هـ/1162م، وضع عبد المؤمن الخطة لغزو روم الأندلس واستنفر القبائل حيث بلغ عدد المقاتلين نحو ثلاثمائة ألف، من المتطوعة ثمانون ألفا ومن الفرسان مائة ألفٍ، وتجمعت هذه الجيوش حول الرباط في مساحة من مائة وخمسين كيلومتر مربع، في انتظار عبد المؤمن الذي خرج بفرسانه من مراكش متوجها إلى تينمل في يوم الخميس 15ربيع الأول من نفس السنة[4].

تحرّك عبد المؤمن إلى زيارة الإمام المهدي في فصل الشتاء والبرد، فزار وودّع وانصرف وقد ظهر في تلك الحركة تصرفاً غريباً من ابنه محمد، الذي بدى عليه شرب الخمر وظهور السكر عليه، وذلك أنه كان يتقيأُ على ثيابه وأطنابه[5] وهو راكب على فرسه في المحلّةِ، على مرأى من أشياخ الموحدين والعامِّ من الناس الزائرين، فعلم عبد المؤمن أن الأخبار التي وصلته من سكره وعبثه كانت صحيحة، وأخذ يفكر في خلعه من ولاية العهد[6].

عاد الخليفة لإتمام خطته لغزو الأندلس، وفي طريق عودته قطع وادي نفيس أثناء حمله وفيضانه زمن القرِّ وتهاطل الثلج، فتبللت كل ثيابه حتى استبدلها على لهيب النار، وواصل السير ولم يُقِمْ بمراكش

---

[1]- البيذق: **أخبار**، ص73.

[2]- فيلالي، المرجع السابق، ص38.

[3]- فيلالي، المرجع السابق، ص38.

[4]- نفسه، ص- ص35-36.

[5]- الاطنابة: جمعه أطانيب، وهو سير( السير قطعة من الجلد مستطيلة، جمعها سيور وسيورة وأسيار) يوصّل بوتر القوس، ينظر، الرائد، المرجع السابق، ص ص87، 457.

[6]- ابن عذاري: **البيان**، 172/3.

بعد العودة من تينملل، بل اتجه إلى رباط الفتح التي وصلها مجهداً بعد طيِّ المراحل، وقد بلغ الغضب منه منتهاه بسبب ما وقف عليه من تصرفات ولده محمد ولي العهد، وما كاد يستقرّ به المقام حتى جمع أشياخ الموحدين ورجالات الدولة للتشاور، ووضع التخطيط للمعركة في الاندلس، لكنه مرض واشتدّ به المرض وزادت آلامه[1]، فدعا الأشياخ إلى سريره وأخطرهم بتنحية ولده محمد وتولية يوسف، باعتباره أصلح من يتولى الخلافة وأوصاهم بتنفيذ إرادته ومبايعته، ولا سيما الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي عميد الأشياخ، واستوثق من ولده أبي حفص بتقديم شقيقه الأصغر يوسف، وفي يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة أسقط اسم محمد من الخطبة[2].

تعاقب على كرسي خلافة الموحدين بعد الخليفة الأول عبد المؤمن بن علي، وذلك في الفترة من سنة 558هـ/1162م وهي السنة التي مات فيها الخليفة عبد المؤمن، حتى سنة 610هـ/1213م وهي السنة التي مات فيها الناصر، ثلاثة من الخلفاء هم على الترتيب: يوسف بن عبد المؤمن الذي توفي سنة 581هـ/1184م، ثم ابنه يعقوب المنصور الموحدي الذي توفي سنة 595هـ/1198م، ثم ابنه الناصر الذي مات سنة 610هـ/1213م،[3] ثم تلت هذه الفترة مرحلة الضعف في الدولة الموحدية حكم فيها عشرة خلفاء آخرهم الخليفة أبو العلاء إدريس سنة 668هـ/1270م.

**خامساً: خلفاء عبد المؤمن بن علي**

**1- الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (558-581هـ/1162-1184):**

أبو يعقوب هو يوسف بن عبد المؤمن بن علي، أمه وأم أخيه أبي حفص امرأة حرّة اسمها زينب ابنة موسى الضرير، كان موسى هذا من شيوخ أهل تينملّ وأعيانهم، من ضيعة يقال لها أنسا، وكان عبد المؤمن يستخلفه على مراكش إذا خرج عنها[4].

[1]- فيلالي، المرجع السابق، ص ص36-37.
[2]- محمد عبد الله عنان: **دولة الاسلام في الأندلس(عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس)**، ج3، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411هـ/1990م، ص394.
[3]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص70.
[4]- المراكشي، **المعجب**، ص167.

ولد يوسف بتينملل سنة 533هـ/1139م،كنيته أبو يعقوب وبنوه الذكور ثمانية عشر كبيرهم يعقوب المنصور الخليفة بعده[1]، كان أبيض تعلوه حمرة شديد سواد الشعر، مستدير الوجه، كان حسن الحديث، طيب المجالسة، أَعْرَفُ الناس كيف تكلمت العرب وأحفَظُهم لأيَّامها ومآثرها وجميع أخبارها في الجاهلية والإسلام، كما كان له نصيب في علم الأدب واتساع في حفظ اللغة وتبَحُرٌ في علم النحو، ثم طمح به شرف نفسه وعلوُّ همته إلى تعلم الفلسفة، فجمع كثيرا من أجزائها وبدأ بعلم الطبّ[2].

يقول البيذق عن بيعته: "بويع الخليفة الرضي سيدنا أمير المؤمنين ابن الخليفة أمير المؤمنين رضي الله عنهما ورزقنا ببركتهما، البيعة العامة وتمت له يوم الجمعة الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة 558هـ"[3]، وبذلك يكون قد بويع في الليلة التي توفي فيها أبوه، بتقديم أخيه أبي حفص شقيقه له في ولايته وحمايته[4]، وذلك باتفاق من الموحدين كافة، ورضا من الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي خاصة، وبقي أخوه أبو حفص وزيرا في رتبة وزارته، فأرسل إلى يوسف وهو والياً على اشبيلية وأعطاه الولاية وبايعه الناس، ودعاه إلى مراكش فنزل في قصر أبيه، ثم جاز إلى برِّ الاندلس وبقي فيه سبع سنين ثم عاد إلى مراكش وبقي فيها[5]، فدامت خلافته اثنين وعشرين سنة وعشرة أشهر واثنى عشر يوماً[6]، وكان تسيير تسيير أمور الدولة في بدايتها مناصفة بينه وبين أخوه أبو حفص، وفي هذا يقول ابن عذاري: "وتوالى استبداد السيد أبي حفص على معنى الوزارة والإمارة، بإنفاذ الأوامر السلطانية عن أمره على ما كان عليه عند أبيه، على رضى من الأمير يعقوب أخيه واتفاقٍ واجماعٍ من شيوخ الموحدين، فكانت بينهما أخوة مبرورة"[7].

وفي سنة 563هـ/1168م، أجمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف، فجددت بخلوص الضمائر وطيب السرائر، ونفذ الأمر بذلك إلى السيد أبي إبراهيم بن عبد المؤمن بإشبيلية، وأُخْبِرَ بتجديد

---

[1]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص ص157-158.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- البيذق، **أخبار**، ص44.

[4]- ابن عذاري: **البيان**، 177/3.

[5]- البيذق: **أخبار**، ص82.

[6]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص158.

[7]- ابن عذاري: **البيان**، 178/3.

البيعة فأخذت له البيعة بإشبيلية وسائر بلاد الأندلس، التي كانت تحت طاعته كمدينة قرطبة وغرناطة ومالقة وغرب الأندلس[1].

وجّه الخليفة يوسف جلّ جهوده، لدعم السلطة السياسية للموحدين في الأندلس، حيث نراه يرسل الجنود في حملات متتابعة إلى الأندلس، فكانت الأولى سنة 566هـ/1170م لضبط ثغورها وإصلاح أحوالها، حتى إذا عاد إلى المغرب أخذ في الأهبة والاستعداد مرة أخرى لغزوة كبرى سنة 579هـ/1183م إلا أن هذه الغزوة لم يكتب لها النجاح[2]، رغم ذلك اتسعت مملكته فيها وصارت سراياه تغير إلى باب طليطلة[3]، ثم رجع إلى مراكش، وذهب إلى إفريقية فمهّدها[4]، كما واجهته ثورة في جبال غمارة بقيادة مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة، حيث تبعه خلق كثير ودخل مدينة تازا، إلا أن الخليفة استطاع القضاء على الثورة وقتل زعيمها[5].

أكمل يوسف أبو يعقوب سياسة أبيه، باستقدام القبائل العربية وإشراكها في الحياة السياسية للدولة حيث جاءه بمراكش خبر قدوم جموع العرب من إفريقية، بصحبة أبي زكريا صاحب بجاية والسيد أبي عمران صاحب تلمسان، فاستقبلهم بعساكره استقبالاً مهيباً، وكان يوم قدومهم عليه يوماً مشهوداً[6] فكانت أيام أبي يعقوب أعياداً وأعراساً ومواسم، كثرةَ خصب وانتشار أمنٍ، ودرور أرزاقٍ واتّساع معايش، لم يرى أهل المغرب أياماً قط مثلها[7]، ونَعِمَ الناس في عصره بالاستقرار والأمن، لأنه كان عادلاً ودعا ولاته لأن يحكموا بالعدل ويضعوا للعباد موازين القسط[8].

---

[1])- ابن عذاري: **البيان**، 195/3.

[2])- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص47.

[3])- طُلَيْطُلَةُ وعند المغاربة طُلَيْطَلَةُ: مدينة كبيرة بالأندلس يتصل عملها بعمل وادي الحجارة من أعمال الأندلس وهي غربي ثغر الروم وبين الجوف والشرق من قرطبة وكانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم، بينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس، ينظر، الحموي، نفسه، ص- ص39-40.

[4])- المقري: **نفح الطيب**، 379/4.

[5])- حسن علي حسن، نفسه، ص46.

[6])- ابن خلدون: **العبر**، 322/6.

[7])- المراكشي: **المعجب**، ص182.

[8])- عبد الملك بن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، تح. عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م، ص227.

ونهى عن سفك الدماء في رسالة بعثها إلى جميع البلاد بالعدوة والأندلس، قال فيها: "ولما كان الأمر كذلك تعيّن ووجب وثبت وترتب أن نخاطب جميع عمال الموحدين، أعزهم الله شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً خطاباً يتساوى فيه جميعهم ويتوازى في العمل فيه كافتهم، بأن لا يحكموا في الدماء حكماً من تلقائهم ولا يهرقوها ببادٍ أو برأي من آرائهم، ولا يُقْدِمُوا على سفكها بما يظهر إليهم ويتقرر فيما يرونه لديهم إلا بعد أن ترفع إلينا النازلة بوجهها وتؤدى على كنهها، وتشرح حسب ما وقعت عليه وتنهى بالتوثُّق والبيان على ما انتهت إليه، وتقيّد بالشهود العدول المعروفين في مواطنهم بالعدل والرضى..."[1].

وأمر ببناء المسجد الجامع بإشبيلية، وبناء الصومعة بها سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، وأتمّها ابنه يعقوب المنصور بعده، وبنى دار صنعة الإنشاء بسبتة[2]، كما تميّز عصره بذلك الامتزاج الحضاري بمجتمع بمجتمع الأندلس، الذي قضى أكثر من أربعة قرون في تقدم علمي لم يتوقف، رغم ما عرفته هذه البلاد آخر عهد الأمويين وفي عهد المرابطين من هزّاتٍ عنيفة أثّرت على المظهر دون المخبر، فظهر في دولته رجال فكر وعلماء، مثل ابن الطفيل الفيلسوف الأندلسي الغرناطي[3]، الذي كان قاضياً وطبيباً وفلكياً، وابن رشد[4] الذي ميّز بين الدين والفلسفة، بطريقة لم ينهجها المشارقة فكان من أعظم علماء عصر يوسف بن عبد المؤمن[5].

---

[1]- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص227.

[2]- مجهول: **الحلل الموشية**، ، ص- ص157-158.

[3]- أبو بكر محمد بن طُفَيل، أحد فلاسفة المسلمين وفيلسوف الأندلس وعالمها ولد سنة493هـ/ 1100م، قرأ على جماعة من المتحقّقين بعلم الفلسفة، منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة، صاحب كتاب "حيّ بن يقظان"، حاول التوفيق بين الفلسفة والدين، ينظر، المراكشي: **المعجب**، ص169.

[4]-أسرة ابن رشد من أكبر الأسر الأندلسية وتعتبر من مفاخر قرطبة، شغلت زمناً طويلا مركزاً مرموقاً في الفقه والقضاء والسياسة وعندما ولي يوسف أبو يعقوب المنصور، آزر ابن رشد وشجّعه على التفلسف، ولد عام 520هـ بمدينة قرطبة، فكان إمام عصره في الفقه وعلوم الفلسفة، وكان فيلسوفاً ذا حظوة وجاه عظيمين عند الملوك والخلفاء، ففي سنة 548هـ/1153م كان في مراكش حيث قدّمه ابن الطفيل للخليفة يوسف، فأصبح الخليفة شديد الشغف به، ينظر: محمد يوسف موسى، **ابن رشد الفيلسوف**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ص ص18،7.

[5]- فيلالي، المرجع السابق، ص45.

ولما كانت سنة 579هـ/1183م تجهّز أبو يعقوب للغزو، واستنفر أهل السهول والجبال من المصامدة والعرب وغيرهم، وخرج بجيوشه قاصداً جزيرة الأندلس يريد فتح شنترين[1]، فمرّ بإشبيلية ثم قصد شنترين وحاصرها شهراً ، فخاف المسلمون هجوم البرد وفيضان نهر تاجُهْ، فأشاروا على أبي يعقوب بالرجوع إلى إشبيلية فإذا انقضى الشتاء عادوا إليها، فقبل ذلك منهم ووافقهم دون أن يأذن بذلك، لكن الناس علموا بالخبر وباتوا يعبرون الليل كله وأبو يعقوب لا علم له بذلك، فلما رأى الروم عبور العساكر خرجوا منتهزين للفرصة في خيل كثيفة ، وحملوا على المسلمين وهزموهم حتى بلغوا الخيمة التي فيها أمير المؤمنين أبو يعقوب، وقُتِلَ على باب الخيمة من أعيان الجند خلقٌ كثير، وطُعِنَ الخليفة تحت سُرَّته طعنة مات منها بعد أيام يسيرة[2]، حيث وجد ميتاً وذلك في الثامن عشر لربيع الآخر من سنة 580هـ/1184م[3].

## 2- خلافة يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن(580-595هـ/1184-1198م):

هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، يكنى أبا يوسف وأمه رومية اسمها ساحر، ولد سنة 548هـ/1153م، بويع في حياة أبيه بأمره بذلك، فكانت مدّة ولايته منذ وفاة أبيه ستَ عشرة سنةً وثمانية أشهر وأياماً[4]، كنيته أبو يوسف وتلقّب بالمنصور بالله، وبنوه الذكور ثمانية[5].

بايعه المصامدة والناس عامة من جميع الأصناف في إشبيلية، وكان الذي سعى في بيعته وقام بها ورغّب فيها، ابن عمّه أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن عبد المؤمن، فتمّ له الأمر وبايعه الناس، يحسبون ذلك بإذن أبيه، فلما فرغ ممّا أراده أعلن وفاة أبيه عند خواصِّ الدولة، فلماّ استوسق أمره عبر البحر بعساكره إلى سلا، وبها تمت بيعته واستجاب له من كان معارضاً له من أعمامه من ولد عبد المؤمن،

[1]- شنترين: مدينة متصلة الأعمال بأعمال باجة في غربي الأندلس، ثم غربي قرطبة على نهر تاجُهْ قريب من انصبابه في البحر المحيط، وهي حصينة بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً، وبينها وبين باجة أربعة أيام، ينظر، الحموي: **معجم**، 367/3.

[2]- المراكشي: **المعجب**، ص- ص182-183.

[3]- ابن عذاري، **البيان**، 267/3.

[4]- المراكشي، **المعجب**، ص185.

[5]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص159.

فكانت سنة 580هـ/1184م[1]، ولما حلّت سنة 595هـ/1198م أصيب بوعكة أدت إلى وفاته بعد فترة جهادٍ وكفاح استمرت خمسة عشر عاماً منذ توليه منصب الخلافة.

أظهر يعقوب أبهة ملك الموحدين، ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل وبسط الأحكام الشرعية وأظهر الدين وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام الحدود على القريب والبعيد وكثرت الفتوحات في أيامه، وأول ما نظر فيه عند صيرورة الأمر إليه بلاد الأندلس، فنظر في مصالحها وقرّر المقاتلين في مراكزهم، وفي سنة 586هـ/1190م أنفذ إليها جيشاً من الموحدين والعرب، ففتح أربع مدن مما بأيدي النصارى من البلاد التي كانوا أخذوها من المسلمين قبل ذلك بأربعين سنة[2].

اهتم يعقوب المنصور بالبناء والتشييد، وشرع في بناء مدينة الرّباط التي على ساحل البحر والنهر من المنطقة التي تلي مراكش، وبنى فيها مسجداً عظيماً، وفي سنة 585هـ/1189م أمر أن يبنى له على النهر الأعظم – نهر إشبيلية– حصن، وأن تبنى له في ذلك الحصن قصورٌ وقباب، ففي طول أيامه لم يخْلُ من قصر يستجِدُّه أو مدينة يعمرها، كما زاد في مدينة مراكش في أيامه زيادة كثيرة[3].

كما وجّه جهوده للقضاء على الحركات التمردية، التي بدأت من إفريقية حيث انتقض أهلها على الموّحدين، وظهور خطر بنو غانية[4]، الذين خرجوا سنة 580هـ/1184م من جزيرة مُنُرقة قاصدين مدينة بجاية فملكوها وأخرجوا من بها من الموحدين وتَبِعَتْ بجاية، قفصة التي نزع أهلها أيديهم من طاعة الخليفة الموحدي ودعوا لبني غانية[5]، فخرج يعقوب المنصور سنة 582هـ/1186م قاصداً تونس وتمكّن من إعادة الأمور إلى نصابها وعاد إلى عاصمته سنة 584هـ/1188م.[6]

---

[1])– المراكشي، **المعجب**، ص188.

[2])– المقري: **نفح الطيب**، 380/4.

[3])– المراكشي: **المعجب**، ص، ص207،188.

[4])– هما يحي ومحمد ابني علي، من قبيلة مسوفة يعرفان بابني غانية– وهي أمّهما–، كان قد وجههما أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس، وولاّ يحي مدينة بلنسية ثم ولاّه قرطبة، وكان أخوه محمد والياً من قبله على بعض أعمال قرطبة، فلما مات يحي واضطربت أمور المرابطين، عبر محمد من الأندلس إلى جزيرة مُيُرقة في حشمه وأهل بيته، فملكها والجزيرتين اللّتين حولها ميرقة ويابسة، واستقلّ محمد بمملكة هذه الجزر، ينظر، المراكشي، نفسه، ص ص189–190.

[5])– المراكشي، نفسه، ص ص193–194.

[6])– حسن علي حسن، المرجع السابق، ص48.

ولما كان في سنة 585هـ/1189م غزا النصارى مدينة شِلْب وملكوها، فتجهّز المنصور في جيوش عظيمة وعبر البحر إلى الأندلس ونزل على شلبٍ[1] هذه، وحاصرها حتى خرج عنها الغزاة، ولم يكفه ذلك وأخذ حصناً من حصونهم يقال له طُرَّش، وفي سنة 590هـ/1194م نقض ألفونسو الثامن ملك قشتالة[2] العهد الذي بينه وبين الموحدين وعاث في الأرض الفساد، فعبر إليه الخليفة يعقوب المنصور في جمادى الآخرة من سنة 591هـ/1195م بجموع عظيمة، ولما كان يوم الأربعاء وهو الثالث من شعبان من هذه السنة التقى المسلمون وعدوُّهم فأنزل الله على الموحدين فرجه وأيّدهم بنصره، وسميت هذه المعركة بوقعة الأرك[3].

وكان في جميع أيَّامه وسِيَرِهِ مؤثراً للعدل متحرِّياً له بحسب طاقته وما يقتضي إقليمه والأمة التي هو فيها فمن ذلك أنه كان يتولى الإمامة بنفسه في الصلوات الخمس، وكان يقعد للناس عامّة لا يُحجَبُ عنه أحد وأمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهرٍ مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكّامهم[4].

ونقل المنصور بني هلال وبني جشم إلى المغرب الأقصى، حين أتوه طائعين وكان ذلك 584هـ/1188م، فأنزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط، فيما بين قصر كتامة المعروف بالقصر الكبير إلى أزغار البسيط الأفيح هناك إلى ساحل البحر الأخضر، فاستقروا بها وطاب لهم المقام، وأنزل قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط الأفيح ما بين سلا ومراكش، وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لإحاطة جبل درن بها، فلم ييمموا بعدها قفراً ولا أبعدوا رحلةً[5].

ولما دنت وفاته جمع بنيه والموحدين، وقال لهم: "أيها الناس أوصيكم بتقوى الله وأوصيكم بالأيتام واليتيمة، قيل وما الأيتام واليتيمة؟ فقال: الأيتام أهل جزيرة الأندلس وهي اليتيمة، فإياكم والغفلة عما يصلحها من تشييد الأسوار وحماية الثغور، وترتيب أجنادها وتوفير رعايتها، ولتعلموا أعزكم الله تعالى

---

[1])–شلب: مدينة بغربي الأندلس، بينها وبين باجة ثلاثة أيام وهي غربي قرطبة، وهي قاعدة ولاية أشكونية، وبينها وبين قرطبة عشرة أيام للفارس المجدّ، ينظر، الحموي: **معجم البلدان**،3/357.

[2])– قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته طليطلة، ينظر، نفسه، ص352.

[3])– المراكشي: **المعجب**، ص– ص199–200.

[4])– نفسه، ص ص202،204.

[5])– الناصري، **الاستقصا**، ص151.

أنه ليس في نفوسنا شيء أعظم من همها، ولو مدّ الله لنا في الخلافة الحياة لم نتوان في جهاد كفارها، حتى نعيدها دار إسلام، ونحن الآن قد استودعناها الله تعالى وحسن نظركم فيها، فانظروا للمسلمين وأجروا الشرائع على منهاجها"، وكانت وفاته بمراكش في ربيع الأول سنة 595هـ/1199م، ودفن بحاضرة تينملل لصق أبيه وجدّه، وولي بعده ابنه.[1]

### 3- خلافة أبي عبد الله محمد بن يعقوب المنصور(595-610هـ/1199-1213م):

أبوعبد الله هذا هو محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، واسم أمّه زَهر وهي روميةوكانمولدهفيآخرسنة 576هـ/1180م[2]، كنيته أبو عبد الله، وتلقّب بالناصر لدين الله، له من الأولاد ثلاثة أكبرهم أبو يعقوب يوسف المنتصر الخليفة بعده[3].

بويع له بعهد أبيه إليه في سنة 595هـ/1199م بعد وفاة أبيه، وقد كان أبوه أمر ببيعته في سنة 586هـ/1190م، وسنّه إذ ذاك عشر سنين إلا أشهراً، ولم يزل مرشّحاً للخلافة معروفاً بها إلى أن مات أبوه واستقلّ في التاريخ المذكور، وسنّه يوم بويع له البيعة الكبرى العامة سبعة عشر سنة وأشهر[4]، فكان أول ما شرع فيه الناصر لدين الله بعد توليه أمر الخلافة تجهيز الجيوش إلى إفريقية، ذلك أن يحي ابن غانية كان استولى على أكثر بلادها، أيام اشتغل الموحدون عنه بغزو الروم، وأمّر على الجيش السيد أبا الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن، فانهزم الموحدون ورجعوا إلى بجاية، ثم جهّز جيشاً آخر فسار حتى بلغ قسنطينة، وقضعلىثورةعبدالرحمنالجزوليفيالسوسسنة 597هـ/1201م، واستطاع في عهده أبا زيد عبد الرحمن بن عبد المؤمن سنة 609هـ/1212م، أن يدخل جزيرة مُيرقة ويقتل أميرها ابن غانية، كما فتحت جزيرة مُنُرقة أيضاً، وفي سنة 601هـ/1205م قصد بجيشه إفريقية وأعادها إلى السلطة الموحدية[5].

ورجع إلى مراكش سنة 604هـ/1208م، ولما انتقض ما بينه وبين ألفونسو ملك قشتالة من المعاهدة، تحرك في أوّل سنة607هـ/1210م وقصد بلاد الأندلس، ونزل على قلعة عظيمة للروم تدعى

[1])- مجهول: **الحلل الموشية**، ص160.

[2])- المراكشي، **المعجب**، ص219.

[3])- مجهول، **الحلل الموشية**، ص160.

[4])- المراكشي: **المعجب**، نفس الصفحة.

[5])- نفسه، ص، ص227،224.

شَلْبَتْرَة، ففتحها بعد حصار وتضييق عليها شديد، هذا الأمر جعل ألفونسو يخرج إلى قاصية بلاد الروم مستنفراً عظماء الروم ورجال الدين، فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة وغيرها من بلاد الروم، وسار بهم نحو بلاد المسلمين، ولما سمع الخليفة الناصر بتقدّم جيوش النصارى، خرج من مدينة جيّان[1] والتقى بألفونسو بموضع يعرف بالعِقاب، حيث كان جيش ألفونسو أكثر تنظيماً وأحسن ترتيباً، فدهم عليهم وهم في غير أُهبة فانهزموا وقتل من الموحدين خلق كثير، كان هذا يوم الاثنين منتصف صفر سنة609هـ/1212م[2].

ثم عاد إلى مراكش، فلم يزل بها حتى وافته المنيّة شهر شعبان من سنة610هـ/1213م، وهو الذي ولى على إفريقية شيخ الموحدين أبا محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي، جد ملوك الحفصيين بعد ذلك[3]، وبدأت بعد هذه المرحلة، مرحلة الضعف والانحصار في الدولة الموحدية، إذ تعاقب على كرسي الحكم تسعةً من أحفاد عبد المؤمن بن علي، فكانت البداية مع يوسف المنتصر بالله، الذي بويع وسنّه عشرة أعوام وأربعة أشهر ويومين، والذي لم تكن له حركة تذكر، إلى آخر خليفة منهم وهو أبو العلاء إدريس بن السيد أبي عبد الله محمد بن السيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن، ولي سنة 665هـ/1267م وكانت مدّته سنتين وأحد عشر شهراً، كانت أيامه نَكِدَة لكثرة المخالفين عليه، إلى أن توفي بمراكش سنة 668هـ/1270م، وبوفاته انقرضت دولة بني عبد المؤمن من المغرب[4].

## سادساً: البيعة وولاية العهد عند الموحدين:

لم يطرح ابن تومرت على أتباعه مباشرة فكرة البيعة، بل قام خطيباً فيهم وهو في السوس الأقصى وتحت شجرة الخروب وقال: "الحمد لله الفعّال لما يريد القاضي بما يشاؤه لا رادّ لأمره، لا معقّب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله المبشِّر بالإمام المهدي، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يبعثه الله إذا نُسِخَ الحق بالباطل ، ونسخ العدل بالجور، مكانه المغرب الأقصى،

[1]- جَيّان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة ألبيرة، مائلة عن ألبيرة إلى ناحية الجوف في شرقي قرطبة، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، ينظر، الحموي: **معجم**، ص195.

[2]- المراكشي، **المعجب**، ص ص230،227.

[3]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص161.

[4]- نفسه، ص ص170،161.

وزمانه آخر الزمان، والاسم الاسم والنسب النسب والفعل الفعل"[1]، فلما فرغ من كلامه قام إليه أصحابه، وقالوا: يا سيدي هذه الصفة لا توجد إلا فيك، فأنت هو المهدي فبايعوه في أثناء ذلك على ما بايع به الصحابة رسول الله ﷺ، وأن يكونوا يداً واحدة على القتال والدفاع، وتتابع المصامدة بعد ذلك عليه بالمبايعة[2]، فهذه الرواية توحي بأن ابن تومرت بحكم جهل الناس لطريقة البيعة وكيفتها في تلك المناطق من المغرب الأقصى، يكون قد لقَّنَ أصحابه قبل ذلك الاجتماع كيف تؤدى البيعة له، حتى إذا ما رأوهم تبعوهم في ذلك.

ثم جاءت بيعة عبد المؤمن بن علي، التي كانت نتيجةً لوصية ابن تومرت، الذي استدعى قبل موته بأيام يسيرة أهل الجماعة وأهل الخمسين، وأوصاهم بمبايعة عبد المؤمن وقال: "وهذا المشار إليه هو عبد المؤمن، فاسمعوا له وأطيعوا"، فبايع القوم عبد المؤمن ودعا لهم ابن تومرت، ومسح وجوههم وصدورهم واحداً واحداً،[3] فكانت هذه البيعة في حياة ابن تومرت وتلتها البيعة التي ضمّ فيها عبد المؤمن الموحدين وجمع المجلس سنة 527هـ/1133م، فقال له أبو ابراهيم وعمر أصناك وعبد الرحمن بن زكو ومحمد بن محمد وهم من المشيخة أمدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الإمام المهدي، فمدّ يده فبايعوه، ثم تبعهم سائر الناس حتى إلى الليل وكانت البيعة ثلاثة أيام متوالية[4].

كتب عبد المؤمن بن علي في حياته عهداً بالولاية لابنه الأكبر محمد، وبايعه الناس وكتب ببيعته إلى سائر البلاد، وذلك حفاظاً على هدوء الدولة واستقرارها، فظل ولياً للعهد خلال مدّة حكم أبيه، ولمّا لم يتمّ هذا الأمر، كتب الخليفة ليوسف في حضرته وبين يديه وبأمره، ونقله من خط الشيخ أبي إبراهيم يوم الثلاثاء السادس من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين، فبويع له بعد وفات أبيه وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين، وتمت البيعة دون أن يتأخر أحد بفضل تصرُّف وحسن تدبير شقيقه عمر[5]، وكانت هذه البيعة بمحضر من أفراد الأسرة وطبقات الموحدين والوزراء ورجال الدولة[6].

---

[1]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص107.

[2]- نفسه، ص- ص106-107.

[3]- المراكشي: **المعجب**، ص ص137-138.

[4]- البيذق، **أخبار**، ص ص45-46.

[5]- فيلالي، المرجع السابق، 39/3.

[6]- حسن علي حسن، المرجع السابق، ص71.

كما كتبيوسف لابنه يعقوب بعهد البيعة، ليلة الجمعة أول شعبان سنة 558هـ/1163م، وبويع له في حياة أبيه بأمره بذلك، أما يعقوب فقد أمر بالبيعة في حياته لابنه محمد الملقب بالناصر سنة 586هـ/1190م وسنُّه إذ ذاك عشر سنين إلا اشهراً، فلم يزل مرشحاً للخلافة معروفاً بها، إلى أن مات أبوه واستقلّ بالأمر من بعده، فكان سنّه يوم بويع له البيعة الكبرى العامة سبع عشرة سنة وأشهر[1].

**سابعاً: سلطات الإمام الموحدي ووظائفه:**

كان خلفاء الدولة الموحدية في مرحلة ازدهارها، يهيمنون على شؤون الحكم ويشرفون على كل الوظائف الخلافية فكانوا يؤمون الناس في الصلاة، فإمامة الصلاة هي أرفع هذه الوظائف كما يقول ابن خلدون: "فأما إمامة الصلاة، فهي أرفع هذه الخطط وأرفع من الملك بخصوصه المندرج معها تحت الخلافة ولقد يشهد لذلك استدلال الصحابة في شأن أبي بكر ﷺ، باستخلافه في الصلاة على استخلاف في السياسة على قولهم ( ارتضاه رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاه لدنيانا)، فلولا أن الصلاة أرفع من السياسة لما صحّ القياس"[2].

واستمرّ الخلفاء في إمامة الصلاة إلى عهد يعقوب المنصور، الذي كان يتولى الإمامة بنفسه في الصلوات الخمس، إلى أن أبطأ يوماً عن صلاة العصر إبطاءً حتى كاد وقتها يفوت، وقعد الناس ينتظرونه ولما رجع لامهم بقوله: ما أرى صلاتكم إلاّ لنا، وإلاّ ما منعكم أن تقدِّموا رجلاً منكم فيصلي بكم؟ فكان ذلك سبباً لقطعه الإمامة[3]، وبذلك يكون أول خليفةٍ يتخلى عن هذه الوظيفة.

وزاد الخلفاء على هذه الوظيفة الدينية، وظائف أخرى اختصوا بها دون غيرهم من الرعية، فكانوا يعلنون الجهاد ويقودون الجيوش، ويولّون الوزراء والولاة والقضاة والعمّال ويشرفون على أعمال البناء[4] كما فعل إمامهم ابن تومرت عندما شرع ببناء مدينة تينملل سنة 519هـ/1125[5]، وبالإضافة إلى هذا هذا كانوا يبرمون العهود ويصادقون على مواثيق الصلح[6].

---

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص ص219،186.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 371/1.

[3]- المراكشي: **المعجب**، ص-ص202-203.

[4]- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص370.

[5] البيذق: **أخبار**، ص94.

[6]- ابن عذاري: **البيان**، 335/3.

وتولى يعقوب المنصور القضاء، فكان يجلس للقضاء بين الناس في مسائل مخصوصة لا يستطيع غيره إنفاذ الحكم فيها، وكان يشترط على القضاة أن يسمع حكمهم في جميع القضايا، وطلب أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر، في كل شهر مرّتين ليطّلع بنفسه على أحوال الأسواق والأسعار ويعرف أخبار الحكّام في بلاده، فإذا جاءه وافد من أقطارها كان أوّل ما يسأله عن عمّاله وقضاته وولاته[1].

واهتمّ الخلفاء الموحدون بالرسائل الرسمية، أو الرسائل الديوانية وهي التي تصدر عن الحكّام والسلاطين أو عن دواوين إنشائهم[2]، يتناول فيها الكتّاب على لسان حكّامهم مواضيع مختلفة، فهي تصدر عن ديوان الخليفة يوجهها إلى ولاته وقادة جيشه وأعدائه، فكان لكل خليفة كاتب يتولى الكتابة عنه في شؤون الدولة ومهامها، كما كان الديوان مخصص لحفظ ما يتعلق بوثائق الدولة، ويسمى عند الموحدين "دار صنعة الانشاء" الخاصة بحفظ الدواوين والسجلات[3].

وكانت تصدر عن كثير من خلفاء الموحدين وبعض أمرائهم، توقيعات[4] عريقة في الإجادة والصنعة على ما يَقْدُمُ إليهم من القصص أو الشكاوي، لا سيما يعقوب المنصور فقد كان مضرب الأمثال في هذا الباب، ومن أمثلة هذه التوقيعات ما وقَّعَ به عبد المؤمن بن علي، على قصيدةٍ وجهّها له أبو جعفر بن عطية[5] يستعطفه لمّا نكبه، فوقّع عبد المؤمن على القصيدة بما يلي: "الآن وقد عصيت من من قبل وكنت من المفسدين"[1].

---

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص203.

[2]- ديوان الانشاء: اسم مركّب من مضاف وهو ديوان ومضافٍ إليه وهو الإنشاء، أما الديوان فاسم للموضع الذي يجلس فيه الكتّاب وهو بكسر الدال، قال وأصله دوّان فأبدلت إحدى الواوين ياء فقيل ديوان وجمعه دواوين، فالكاتب ينشئ لكل واقعةٍ مقالاً وقد كان الديوان في الزمن المتقدم، يعبّر عنه بديوان الرسائل تسميةً بأشهر الأنواع التي تصدر عنه، لأن الرسائل أكثر أنواع كتابة الانشاء وأعمّها، وربما قيل ديوان المكاتبات ثم غلب عليه هذا الاسم وشهر به واستمرّ عليه، ينظر، القلقشندي: **صبح الأعشى**، 1/ 89-90.

[3]- مزوزية حداد: **سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية**(515-668هـ/1121-1269م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف. مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، السنة الجامعية 1433- 1434هـ /2012-2013م، ص،ص9،4.

[4]- سبق شرح المفردة في فصل الامامة الفاطمية.

[5]- أبو جعفر أحمد بن عطية، وزير عبد المؤمن وكاتبه، كان كاتباً لعلي بن يوسف المرابطي، وعندما سقطت دولتهم هرب وغيّر هيئته هيئته وتشبه بالجند ودخل في جند عبد المؤمن، وخرج إلى السوس لقتال ثائرٍ قام هناك، فلما انهزم الثائر طلب أبو حفص عمر إينتي

نجد في توقيعات الملوك الموحدين، ما يعبّر عن سعة المعرفة وقوة التركيز، فقد كانوا يعبرون عن الكلام الطويل بكلمة أشبه ما تكون ببرقية مختصرة، وكلنا يعرف جواب الناصر بن يعقوب المنصور عندما كتب إليه ألفونسو رسالةً يستدعيه فيها للقتال، : فقال: "الجواب ما ترى لا ما تسمع"[2]

ثم نظر الموحدون في وضع العلامة في الكتابات بخط الخليفة، فاختاروا " الحمد لله وحده " لما وقفوا عليها بخط الإمام المهدي في بعض مخاطباته، فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم[3]، وكانوا يكتبونها بيدهم بخط الثلث في رأس المنشور[4]، وذلك تقليداً للرسالة المشهورة التي اعتبرت بمثابة دستور دأب الخلفاء على ترديدها، وهي في الواقع نموذج لما كانت عليه الرسائل التي كان يبعثها الخلفاء إلى أمراءهم في الأقطار، هذه الرسالة حررت في تينملل بتاريخ 16 ربيع الأول 543هـ/1148م وهي الرسالة التي جعل عليها الخليفة الموحدي العلامة بخط يده[5].

يرمز وضع العلامة إلى مدى تحكم الخليفة في تسيير أمور دولته، فبعد وفاة عبد المؤمن بن علي كان أبي حفص عمر بن عبد المؤمن هو الذي يسيِّرُ الأمور، ويضع العلامة على الرسائل، حتى سنة 562هـ/1167م، حيث وقع الاتفاق على أن يكتب أبي يعقوب يوسف العلامة، وتنفذ الأوامر على أمره وحده[6].

---

وهو من الجماعة أن يكتب عن هذه المعركة للموحدين في مراكش، فَدُلَّ على أبي جعفر فاستدعاه، ولما بلغت الرسالة عبد المؤمن استحسنها واستدعى أبا جعفر واستكتبه، وزاده إلى الكتابة الوزارة، ينظر، المراكشي: **المعجب**، ص-ص140-141.

[1]- محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ /1977م، ص203.

[2]- محمد العرائشي : أوليات، مجلة الدعوة، المغرب، ع.229، ماي 1983م، ص139.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، 320/6؛ ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، التهميش رقم(5)، ص78.

[4]- المنوني، المرجع السابق، ص270.

[5] – ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص230.

[6]- ابن عذاري: **البيان**، 190/3؛ ابن صاحب الصلاة، نفسه، ص225.

**ثامناً: الألقاب الخلافية وشارات الملك**

**1- الألقاب الخلافية الموحدية**

**أ- لقب الإمام**

لقد عَدّ ابن تومرت نفسه إماماً في موكب الأيمة، من لدن آدم إلى محمد عليهم السلام بتفويض من الله واختيارٍ منه، فإمرة المؤمنين أو خلافة النبي لا تكونان إلا بوصية من سلف أو اختيار من جماعة، إذن فهو ليس بخليفة للنبي وإن جاء ليجدد دينه، وليس بأمير للمؤمنين وإن وجب عليهم السمع والطاعة له فهو إمام باختيارٍ من الله[1].

فسمي ابن تومرت بالإمام أولاً، والسبب عند ابن خلدون في قوله: "فكان كلهم يسمى بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخفاء، حتى إذا يستولون على الدولة يحوّلون اللقب فيمن بعده إلى أمير المؤمنين"[2]، ولكن هذا لا ينطبق على ابن تومرت، لأنه جهر بدعوته من الاسكندرية بالمشرق إلى أن وصل إلى أقصى المغرب الإسلامي.

كان ابن تومرت قبل إعلان مهديته يتلقب بالإمام، ولما أصبح مهدياً كانت الإمامة نتيجةً لها إذ أن المهدي لا يكون إلا إماماً، وأصبح لقبه "الإمام المعصوم والمهدي المعلوم"، ولا نجد استثناء لهذا اللقب إلا ما ذكره ابن القطان من أن ابن تومرت، كتب في أحد وجهي لوائه "المهدي خليفة الله"[3]، وكلمة خليفة لا تعني إلا الإمامة نفسها، لأن خلافة الله هي النيابة عنه والحكم في الناس بتفويض، مثل خلافة داود إذ قال له ربه: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَـٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾[ص: 26][4].

وحافظ عبد المؤمن وخلفاؤه على لقب الإمام من بعد ابن تومرت، إذ يستدل من بعض المصادر أن لقب الإمام كان يطلق على الخليفة بعد البيعة العامة مباشرةً، وهو نفسه ما أشار إليه ابن عذاري

[1]- عمر موسى، المرجع السابق، ص112.

[2]- ابن خلدون: **العبر** 383/1.

[3]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص168.

[4]- عمر موسى، المرجع السابق، ص112.

بقوله في بيعة الخليفة أبي يعقوب يوسف: "ونفذ الأمر بذلك إلى السيد أبي ابراهيم بن عبد المؤمن بإشبيلية معلماً بتجديد البيعة والإسمية الإمامية"[1].

**ب- لقب المهدي:**

تلقّب ابن تومرت بالمهدي، ولقّبه بذلك العشرة من أصحابه ساعة مبايعتهم له أول بيعة انعقدت له حيث يقول ابن القطان: "وقد وقفت على نسخة صك كتبه رضي الله تعالى عنه أوّله البسملة والصلاة: أقول وأنا محمد بن تومرت وأنا مهدي آخر الزمان"[2].

فكان لقب المهدي يحمل قضية المهدوية، التي سيترتّب عنها إدخال إصلاحات جذرية في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمغرب الإسلامي، وهو عندما تبنى هذه الفكرة وتلقّب بهذا اللقب إنما أراد أن يثق به أتباعه وينقادوا إليه، لأنه المهدي الذي هداه الله وكلّفه بإقامة الدين الصحيح وإشاعة العدل بين الناس.

وبقي الخلفاء الموحدون ينعتون ابن تومرت بهذا اللقب في رسائلهم الرسمية، كتلك الرسالة التي بعث بها كلٌّ من عمر أبي حفص وعثمان ابني الخليفة عبد المؤمن، سنة 560هـ إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف فجاء في مقدمتها: "والرضا على الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، الناهض بأمر الله تعالى قياماً بالواجب"[3]، أما عبد المؤمن فقد رفض وأنكر أن ينعت بهذا اللقب، عندما بعث له مقيم الدعوة بالأندلس رسولاً إليه، فلقيه في تلمسان وقدّم له الرسالة، فأنكر ما تضمنته من النعت بالمهدي ولم يجب عليها[4]، وقد يظن البعض من هذا التصرف أنه يرفض فكرة المهدوية بشكل عام، لكن هذا غير صحيح لأن عبد المؤمن وضع بينه وبين ابن تومرت حدوداً لا يتخطاها، والمهدوية حدٌّ من حدود إمامه ابن تومرت.

---

[1]- ابن عذاري: **البيان**، 195/3.

[2]- ابن القطان، نفسه، ص-ص88-89؛ ابن خلدون: **العبر**، 304/6؛ مجهول: **الحلل الموشية**، ص103.

[3]- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص202.

[4]- ابن خلدون: **العبر**، 312/6.

**ج- لقب المعصوم:**

أضاف ابن تومرت إلى لقب المهدي، لقب المعصوم وهو إشارة إلى مذهبه في عصمة الإمام[1]، وكانت العصمة عنده مقترنةً بالمهدوية، إذ لا يمكن للإمام أن يكون مهدياً ما لم يكن معصوماً، والعصمة في رأيه هي القدرة على ترك كل المعاصي ومجاهدة النفس، وتأديبها وترويضها على طاعة الله وفعل الخير.

كان ابن تومرت عارفاً بطبيعة البشر، وبخاصة قبائل المغرب الأقصى لأنه منهم وعاش مرحلته الأولى من حياته بينهم، ويعرف أنهم لن يتّبعوا رجلاً عادياً مثلهم، لذلك أراد أن يطمئنهم أنه معصوم من كل قولٍ أو فعل مذموم.

وعندما أرادهم أن يَذْكُرُوا هذه الصفة فيه دائماً، لقّب نفسه بها حتى يكسب حبهم وولاءهم، فيطيعوه ويجاهدوا في سبيل فكرته ومذهبه، ودعا أيمة المساجد أن يذكّروا الناس في كل خطبة جمعة بصفاته، فيقول ابن أبي زرع: "ويقولون الإمام المعصوم والمهدي المعلوم على منابرهم"[2].

**د- لقب الخليفة:**

تلقّب جميع حكام الدولة الموحدية بلقب الخليفة، وذلك خلافةً لعبد المؤمن بن علي الذي كان خليفةً للمهدي بن تومرت وصار كل حاكم خليفة للحاكم الذي سبقه[3]، وتنزّه ابن تومرت عن هذا اللقب لاعتقاده أنه لم يخلف أحداً كان قبله، بل هو الإمام ويخلفه من يأتي بعده، وفي كل هذا إشارة إلى تأثر ابن تومرت بالسنة النبوية الشريفة، حيث أن الرسول ﷺ كان هو الإمام وبعده جاء خليفته أبوبكر.

**هـ- لقب أمير المؤمنين:**

في سنة 517هـ/1123م، جهّز ابن تومرت جيشاً عظيماً من المصامدة لقتال المرابطين، وأمّر على الجيش عبد المؤمن بن علي، وقال: "أنتم المؤمنون وهذا أميركم"، فاستحق عبد المؤمن من يومئذ اسم إمرة المؤمنين[4]، ثم توارث الخلفاء هذا اللقب من خليفة إلى خليفة، منذ أن تسمى به أول خليفة

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 386/1.
[2]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص177.
[3]- غرداين، المرجع السابق، ص215.
[4]- المراكشي: **المعجب**، ص135.

عبد المؤمن بن علي إذ كان المهدي يسمي أصحابه بالمؤمنين ويقول لهم: "ما على وجه الأرض منيؤمنإيمانكم"[1].

تلقّب عبد المؤمن بأمير المؤمنين قبل وفاة ابن تومرت، لكن الخلفاء من بعده لم يتلقّبوا به إلا بعد تمام البيعة لهم، وفي هذا ابن عذاري يقول عن بيعة يوسف أبي يعقوب: "وكملت البيعة بأكمل خلوص السرائر وطيب الوفاء في الضمائر وتسميّ لنفسه باسم الأمير"[2].

وارتبط اسم أمير المؤمنين بعبد المؤمن وبنيه من بعده[3]، فقد تلقّب يوسف بن عبد المؤمن بأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين[4]، وكان إذا ما تسمى الخليفة بهذا الاسم قصدته الشعراء من كل قطر وامتدحته بأحسن المدائح[5].

**و- لقب السيِّد:**

فسّر ابن كثير قول الله تعالى عن النبي يحي، أنه كان ﴿سيِّداً﴾[آل عمران:39]، قال: قال أبو العالية والربيع بن أنس وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم: الحكيم، وقال قتادة سيِّداً في العلم والعبادة، وقال ابن عباس والثوري والضحاك: السيّد الحكيم التقي، وقال سعيد بن المسّيب هو الفقيه العالم، وقال عطية السيّد في خلقه ودينه، وقال عكرمة هو الذي لا يغلبه الغضب، وقال بن زيد هو الشريف[6].

وأطلق الموحدون على حكامهم لقب السيّد، فكانوا يضيفونه دائما للقب أمير المؤمنين في اجتماعاتهم ورسائلهم التي يكتبونها، حيث أن ابن عذاري يقول: "وقالوا لجميع من حضر: إن سيِّدنا أمير المؤمنين يقول لكم"[7]، أما بنو عبد المؤمن فكانوا يسمون أبناءهم بالسادة [8]، حتى ينالوا هم أيضاً شيئاً من شرف الخلافة والحكم، ويكون على الناس السمع والطاعة لهم.

---

[1]- غرداين، المرجع السابق، ص217.

[2]- ابن عذاري: **البيان**، 177/3.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 386/1.

[4]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص157؛ ابن عذاري، **البيان**، ص195.

[5]- شمس الدين أحمد بن خلكان: **وفيات الأعيان**، تح. إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ص239.

[6]- ابن كثير: **تفسير**، ص55.

[7]- ابن عذاري: **البيان**، 3/ 260.

[8]- الناصري: **الاستقصا**، 109/2.

وتلقّب يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بالمنصور بالله، وتبعه من جاء بعده بألقابٍ شابهت ألقاب الخلافة العباسية، فتلقّب أبو عبد الله محمد بالناصر لدين الله، ثم توالت الألقاب كالمنتصر بالله، والعادل بالله، والمأمون، والمعتصم بالله، والرشيد، والسعيد، والمرتضى، وآخرهم أبو العلاء إدريس حفيد أبي حفص عمر بن عبد المؤمن، الذي تلقّب بأبي دبوس لأنه كان في بلاد الأندلس لا يفارقه الدبوس، فشهر به وتلقّب بالواثق بالله والمعتمد عليه[1].

## 2- شارات الملك

### أ- راية الموحدين

أدت الرايات دوراً كبيراً في قيادة الجيش في الحرب والاستعراضات، وبدونها الجيوش لا تتحرك لأنها ترمز لأشياء كثيرة، من أهمها أنها ترمز لوجود القائد أو الخليفة أو الملك، وترمز للهدف والغاية من الجهاد وترمز لمعنى الوحدة والقوة والعصبة.

لذلك لم يهمل ابن تومرت هذا الجانب، ودعا أصحابه عند الغزو أن يقدموا أمامهم لواءً أبيضاً مع عدد من الرجالة يكون بينه وبين الأمير مقدار ربع ميل، وأمر أن يكتب على أحد وجهي الراية "الواحد الله، محمد رسول الله، المهدي خليفة الله" وفي الوجه الثاني "وما من إله إلا الله، وما توفيقي إلا بالله وأفوّض أمري إلى الله"[2]، ولم يكتفي بذلك بل أوجد وظيفة الإشراف على الأعلام السلطانية في ديوان جيش الموحدين، وسمى صاحب هذه الوظيفة صاحب العلامات.

وظلت الأعلام السلطانية ترافق خلفاء الموحدين في كل حروبهم وغزواتهم، فيسير الحاكم تحت اللواء مباشرةً، وقد يختار الخليفة أحداً من جماعته ليكون تحت الراية في مكانه، مثلما فعل يعقوب المنصور عندما جعل مكانه تحت الأعلام السلطانية أبا يحي أبي حفص[3].

كما ارتبطت الراية بمعاني الثبات والصبر، فكلما بقيت الراية ترفرف زاد الثبات عند الموحدين، لأنها علامة من علامات الخلافة فلا تنكّس أبداً، وعن هذا يقول ابن عذاري: "فعبأ الموحدون عساكرهم رفعوا راياتهم .. وتعاهدوا على الثبات والصبر على أعدائهم"[1].

---

[1]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص،ص169،159.

[2]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص168؛ وانظر، مزوزية حداد، المرجع السابق، ص-ص100-101.

[3]- المقري، **نفح الطيب**، 382/4.

وتكون الألوية في أحيان أخرى وسيلة لتنظيم الجيش وحصره وتجنيبه التشتت، فقد حدث أن كان الخليفة أبي يعقوب يوسف غازياً في الأندلس، وكانت المنطقة كثيفة الأشجار ووعرة المسالك، فأمر الخليفة الجيش بكل مكوناته أن يسير مجتمعاً، وأن تنشر الرايات البيض حوله لحصره وإظهار القدرة على جمعه[2].

### ب- البنود

يفصّل البيذق في مسألة البنود فيقول: "أمرنا المعصوم بالخروج وخرجنا، فلما اجتمعنا أخذ علماً أبيض فدفعه للخليفة الإمام عبد المؤمن بن علي وأخرج معه كدميوة، وأخذ علماً ثانيا أصفر فدفعه لأبي ابراهيم وقدّمه على هرغة، وأخذ علماً ثالثاً أحمر ودفعه لعبد الله بن ملوية وقدّمه على كنفيسة، ثم أخذ علماً رابعاً ودفعه ليالَلْتن وقدّمه على تينملل، ثم أخذ علماً خامساً ودفعه لعمر آينتي وتقدّم لهنتاتة ثم سائر القبائل على هذا الترتيب"[3]، يفهمُ من هذه الفقرة أن ابن تومرت أعطى اللواء الأبيض لعبد المؤمن ليكون راية الدولة الموحدية، ثم قسّم الرايات الملونة على القبائل الأخرى، لكن ما يثير التساؤل هنا هو لماذا اختار اللون الأصفر لقبيلته هرغة؟

وقد يصل عددها في الجيش الموحدي، إلى ستة عشر علماً كبيراً من البنود المذّهبة[4]، إلى جانب راياتٍ صغار ملونات بالخلدي[5] الأحمر والأصفر والأبيض[6]، ويأتي في ترتيب المسير اللواء ثم الخليفة ثم تتبعهم الرايات الكبار[7]، وخلف الرايات الوزير وأصحاب المهدي وأهل الجماعة وأولادهم، وشيخ طلبة الحضر وقاضي المحلّة والجماعة.

---

[1]- ابن عذاري: **البيان**، 184/3.

[2]- نفسه، ص266.

[3]- البيذق: **أخبار**، ص-ص36-37.

[4]- ابن عذاري: **البيان**، 217/3.

[5]- الخلدي: النسيج الحريري الدقيق، ينظر، ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، تهميش رقم (4)، ص355.

[6]- نفسه، نفس الصفحة.

[7]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص168.

ساعدت البنود على ترتيب القبائل وتنظيمها ومن ثمّة تمييزها عن بعضها البعض، ففي هذا المعنى يقول البيذق: "وذلك اليوم أمر أمير المؤمنين بقسمة المروس[1] بالبنود كل قبيلة ببندها"، كما أنها كانت تزيد من عظمة الجيش وعدّته، وترمي في قلوب الأعداء الخوف والذعر والهيبة.

## ج- الطبول

يأمر الخليفة بقرع الطبول عند الموحدين[2]، سواء عند البشرى أو الإيذان بالحرب، والحقيقة أنها عادة عرفت أيام المرابطين، استعملها يوسف بن تاشفين سنة 454هـ/1062م، ويظهر أنها نقلت في أغلب الظن من إفريقيا[3].

فوجدت الطبول عندهم بمقاييسها وأحجامها، وبالدلالات الخاصة لنقراتها ونبراتها كانت تترجم عن شكل آخر من أشكال المخاطبات السرية، لا تقِّل عن المخاطبات المفتوحة، بما تتوفر عليه من ضبط وإحكامٍ كانا يقومان مقام النحو والصرف في الرسائل المكتوبة، فهناك النقرة المنفردة والنقرات الثلاث المتوالية المتبوعة بنقرات مثلها متوالية تفيد جميعها إشارةً معينة، وهناك النقرة التي تدعو للنفير، والنقرة التي تأذن بالاستراحة، والتي تدعو للحذر والاستعداد إلى آخر ما يتحدث به العارفون[4].

وكانت العلامات والساقات[5] والطبول وراء الخليفة[6]، فإذا نزل موضعاً وأراد الرحيل منه ضرب الطبل الكبير إشعاراً للناس بذلك، ويصوِّر ابن عذاري حالة الناس بعد سماع الطبل فيقول: "فمن رجل حائرٍ لا يدري ما يصنع وآخر حازم قد أخذ بما يسمع"[7]، وقد تضرب الطبول لإعلان الانتصارات في

---

[1]- المروس: تكتب المرُوص ومعناها الناقة السريعة، ينظر، الرائد، المرجع السابق، ص733.

[2]- ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص74.

[3]- نفسه، التهميش رقم(3)، نفس الصفحة.

[4]- عبد الهادي التازي: **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، ج2، مطابع فضالة (المحمدية)، المغرب، 1406هـ /1986م، ص-ص48-49.

[5]- الساقات: السّاقة هو مؤخر الجيش أو الموكب، ينظر، جبران مسعود، المرجع السابق، ص428.

[6]- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص350.

[7]- ابن عذاري: **البيان**، 225/3.

المعارك أو وسيلة لطلب النجدة والاستغاثة، كما حدث في معركة شنترين للخليفة أبي يعقوب يوسف، عندما علم بدُنوِّ الروم من ساقته، أمر بضرب الطبول وإشراع الألوية في النُّصُول[1].

**د- مصحف عثمان**

كان بقرطبة وبجامعها الأعظم المشهور، مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، ذكر ذلك جماعة من المؤرخين منهم ابن بشكوال[2]، وكان ذلك المصحف الكريم متداولاً عند بني أمية وأهل الأندلس واستمر بقرطبة إلى دولة الموحدين فنقله عبد المؤمن إلى مراكش، يقول ابن بشكوال: "أخرج المصحف العثماني من قرطبة وغرّب منها وكان بجامعها الأعظم، ليلة السبت الحادي عشر من شوال سنة 552هـ/1157م في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن على وبأمره، وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان ﷺ إلى الأمصار: مكة والبصرة والكوفة والشام، وما قيل من أن فيه دم عثمان بعيد، وإن كان أحدها فلعله الشامي"[3].

فكان الخليفة عبد المؤمن إذا خرج، قدّم أمامه مصحف صاحب رسول الله ﷺ عثمان بن عفان ﷺ على حمل مرتفع، ووراءه مصحف الإمام المهدي، وعلى مصحف عثمان كلة[4] حمراء تصونه والمصحف المكرّم أحيط بالجوهر النفيس والياقوت الأحمر والأصفر والأخضر الغريب[5].

وكان خلفاء الموحدين، يحملون هذا المصحف الكريم بين أيديهم أنى توجهوا على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالاً طائلةً، وقد جعلوا تحته بردعةً من الديباج

---

[1]- ابن عذاري: **البيان**، 267/3، 185.

[2]- ابن بَشْكُوَال: هو أبو القاسم خلف عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال بن داحة بن داكة بن نصر بن عبد الكريم بن واقد الخزرجي الانصاري، سكنت أسرته مدينة شريون أحد حصون بلنسية بالأندلس، ولد بمدينة قرطبة يوم الاثنين من ذي الحجة سنة 494هـ، نشأ وهو يراوح بين قرطبة وإشبيلية، كان متسع الرواية حافظاً إخبارياً تاريخياً مقيّداً ذاكراً لأخبار الأندلس القديمة والحديثة وكتب بخطه علماً كثيراً، صنّف العديد من الكتب منها كتاب الصلة والغوامض والمبهمات وغيره من الكتب، توفي سنة 578هـ وكان عمره ثلاث وثمانين سنة، ينظر، ابن بَشْكُوَال، **الصلة**، تح. ابراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م، ص ص12،10،9،8،7.

[3]- نقلاً عن الناصري، الاستقصا، 112/2-113.

[4]- الكلّة: الستر الرقيق، غطاءٌ رقيق يخاط على الأشياء للحفاظ عليها، ينظر، جبران مسعود، المرجع السابق، ص672.

[5]- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة**، ص-ص350-351.

الأخضر يجعلونه عليها، وعن يمينه ويساره لواءان أخضران وموضع الأسنَّة منهما ذهب شَبَهَ تفاحتين[1]، ويكون خلف تلك الناقة في مواكبهم بغل محلى أيضاً عليه مصحف آخر، يقال أنه بخط المهدي ابن تومرت دون مصحف في الحجم محلى بفضة مموّهة بالذهب[2].

**هـ- القبّة الحمراء**

اتخذ خلفاء الدولة الموحدية في ترحلاهم قصراً متنقلاً، هو القبة الحمراء التي قال فيها ابن عذاري: "وقد ضربت له القبة الحمراء"[3]، وقيل عنها أنها قبة معظمة وميمونة[4]، فكان الخليفة إذا وصل مكاناً واسعاً أمر بضرب قبة ونزل بها مع اخوته وبنيه[5].

اهتمّ النظام الموحدي، اهتماماً ملحوظاً بإيجاد استمرارية معمارية بين السلطة في بعدها المستقر في القصور وبعدها المتنقل البدوي المتمثل في معسكر الخليفة، وذلك لمواجهة الحاجة الملحّة للخروج، وعرفوا كيف يستغلون المخيمات المعروفة منذ نشأة الإسلام، بالانتقال من مجرد مخيمٍ إلى القصر ثم إلى المدينة ومن هنا ظهرت فكرة القصر المتحرك[6].

تكون القبة الحمراء في محلة الخليفة، فتأخذ مساحة مغلقة محددة جيداً بلوحة قماشيةٍ بيضاء، بها بابان يواجهان الجنوب والشمال، وأمام الباب القبلي قبة جلوس الخليفة حيث الفوانيس الذهبية تملأ المكان وبرج مربع يطل على كل الجهات في المحلّة، كما توجد خيمة مخصصة للنشاط الفكري تسمى "خيمة الشعر"، وأخيراً مسجد كبير فيه محرابٌ مخصص للخليفة[7].

[1])- المنوني، المرجع السابق، ص319.

[2])- المراكشي: **المعجب**، ص166.

[3])- ابن عذاري: **البيان**، 263/3.

[4])- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص176.

[5])- ابن عذاري، **البيان**، ص217.

[6])- academia.edu, **un palais en mouvement : le camp califal almohade**, Mehdi Ghouirgate, 25/04/2021, h :15 :30 https://academia.edu/9437055/un palais-en-mouvement-le camp-califal-almohade, p10.

[7])- ibid. p10.

### و- السكة

تعتبر السكة من المصادر المهمة لدراسة تاريخ الدول، لما تقدمه من معلومات عن النقود المتعامل بها بين المسلمين في كل الحقب التي مرت على البلاد الاسلامية، بحيث يستفاد من قيمة الدينار والدرهم في معرفة المدى الذي وصل إليه ازدهار الدولة، ويستفاد أيضاً من النقوش الموجودة على وجهي العملة لمعرفة تفاصيل مهمة قد لا نجدها في المصادر المكتوبة، لذلك يقول ابن خلدون:" ... ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص ترسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوش خاصة به فيوضع على الدينار أو الدرهم بعد أن يقدر ويضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه تلك النقوش"[1]، فالعلامة التي يضعها الخليفة على النقود، قد تفسّر للباحث أموراً كثيرة يحتاجها في بحثه، كالتاريخ الذي نقشت فيه النقود وأسماء الخلفاء وألقابهم، كما يمكنه أن يستدِّل بفضل هذه النقوش على مذهب الدولة والخليفة.

انفردت السكة الموحدية عن بقية المسكوكات الإسلامية، في الزخرفة الداخلية للدينار الذهبي، حيث أحيطت كتابة مركز الوجه والظهر بمربعين متوازيين، تلامس أركان المربع الخارجي الدائرة الداخلية لهامش الدينار مشكلة بذلك أربع أوتار، نقشت عليها كتابة هامش الوجه والظهر، وتمّ ابتكار الشكل الهندسي المربع للعملة الفضية المتميزة بكتابتين مركزيتين من الوجه والظهر أيضاً، وهذا الطراز يبقى هو السائد إلى غاية الفترة المبكرة من التواجد العثماني[2].

ويُفْهَمُ من هذا أن العملة الموحدية، كانت ديناراً ودرهماً إلا أن شكلها كان مربعاً في الدرهم، أما الدينار فكان دائرياً ويرسم بداخله مربعاً، ويذكر أن شكل العملة تحدد في حياة المهدي بن تومرت، إلا أنه لم يقم بسك العملة حسب ما تذكر المراجع، لعدم استتباب أمر الموحدين.[3]

ويؤكد ابن خلدون أن من حدّد شكل النقود هو ابن تومرت، فيقول: "ولما جاءت دولة الموحدين كان ممّا سنَّ لهم المهدي اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل وأن يرسم في دائرة الدينار شكل مربع في وسطه ويملأ من أحد الجانبين تهليلاً وتحميداً، ومن الجانب الآخر كَتْباً في السطور باسمه واسم الخلفاء

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 380/1.

[2]- مورموش محمد: تاريخ المغرب الأوسط من خلال المسكوكات الاسلامية من سنة (85هـ/704م) إلى غاية (1246هـ/1830م)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف، ع10، المسيلة، جوان 2016م، ص-ص201-202.

[3]- غرداين، المرجع السابق، ص-ص287-288.

من بعده ...ولقد كان المهدي فيما ينقلُ يُنْعَتُ قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع، نعته بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله، المخبرون في ملاحمهم عن دولته".[1]

وقد تمّ صك أوّل عملة موحديةٍ في عهد عبد المؤمن بن علي وسميت العملة المؤمنية، نقش في أحد وجهيها "الله ربّنا، محمد رسولنا، المهدي إمامنا" وفي الوجه الآخر" لا إله إلا الله، الأمر كله لله، ولا قوة إلا بالله"، كما نجد بعده العملة اليوسفية نسبة ليوسف بن عبد المؤمن، واليعقوبية نسبة ليعقوب المنصور أما وزن العملة فلم يتعدّ الوزن الشرعي 4.729غراما[2].

وكانت فاس عاصمة لصك النقود، بحيث احتوت عُدْوَتَيها ( عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين) داراً للسكة، إلى جاء عهد الناصر فنقلها إلى دارٍ أعدّها بقصبة فاس بناها سنة 600هـ/1204م، وغالب ما كان يُسْبَكُ به الدينار ماء الذهب وأما الدراهم فكانت ترد من جميع الآفاق مختلفة السكة والوزن، كما أدخل يعقوب المنصور تغييرات على العملة، فأحدث ديناراً ضخماً[3].

تاسعاً: **أهل الدار ( الحاشية الخاصة)**

كان لحاشية الإمام والخليفة دور خاص في الدولة الموحدية، ومن المعلوم أن ابن تومرت سمى حاشيته بأهل الدار، وقد ذكر البيذق أسماءهم مفصلةً في كتابه، وهم: الشيخ أبو محمد عبد الواحد الشرقي، الشيخ أبو محمد وسنار، الشيخ أبو يوسف يعقوب آفغور الصودي، الشيخ أبو زيد تولوا، أبو محمد عبد العزيز الغيغائي، أبو اسحاق بن ابراهيم بن جامع، الشيخ أبو علي يونس بن تادرارت، الشيخ أبو زكريا يحيا بن أم وصوم التينملي، الشيخ أبو زكريا محمد الهرغي، الشيخ أبو ورسك الزناتي من بني ومانو، بالإضافة إلى هؤلاء إخوة المهدي الثلاثة وهم: الشيخ أبو موسى عيسى بن ومغار الهرغي، والشيخ أبو محمد عبد العزيز بن ومغار الهرغي، والشيخ أبو العباس أحمد ومغار الهرغي[4].

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 447/1- 448.

[2]- غرداين، المرجع السابق، ص288.

[3]- المنوني، المرجع السابق، ص-ص257-258.

[4]- البيذق: **المقتبس**، ص-ص25-26.

كان أهل الدار يخدمون ابن تومرت في ليله ونهاره، وأخصهم به عبد الواحد بن عمر وأبو محمد وسنار بن محمد وعبد الكريم أفغو وأخويه أبو محمد عبد العزيز وأبو موسى عيسى[1]، ويؤيد رأيه هذا عبد الواحد المراكشي عن أعباء أبي محمد وسنار، أحد أهل دار المهدي فيقول أن المهدي اختصه بخدمته "لما رأى من شدّته في دينه وكتمانه لما يرى ويسمع، فكان يتولى وضوءه وسواكه والإذن عليه للناس وحجابته والخروج من بين يديه"[2].

ولم تُذْكَرْ هذه الهيئة في عهد عبد المؤمن بن علي، وكأن هذه المنظومة قد تجاوزها الدهر وانتقلت الدولة من طور الإمامة إلى طور الخلافة، وأصبح من اللازم استبدالها بهيئة أخرى تتناسب مع العصر الجديد لذلك يقدم البيذق في كتاب الانساب بعض المعلومات عن محيط عبد المؤمن بن علي فيقول:" فأول ذلك أهل الرياض ويليهم أهل برج دار الكرامة، أهل برج أهل الدار، أهل برج الطبّالة وهو الباب الكبير المتوسط، هؤلاء الأربعة هم أهل السفر مع الخليفة رضي الله عنه"[3]، وبهذا نخلص إلى أن عهد عبد المؤمن اتسم بالبساطة، وربما بدأ بالتكوُّنِ في عهد يوسف وأخذ صورته النهائية في عهد يعقوب المنصور.

**عاشراً: أدب اللقاء مع الإمام والخليفة الموحدي**

وصل ابن تومرت بين العلم والعمل، وسعى إلى أن يكون ذلك العلم واقعاً في الحياة، فلم يرى أتباعه منه إلا نبل الأخلاق وأحسن الأعمال، لذلك وضعوه في منزلة رفيعة واتبعوا ما جاء به طواعية من أنفسهم، فكان لا يدخل عليه إلا خاصته من أهل الدار، أما عامة الناس فكانوا لا يرونه إلا إذا خرج إليهم، هذه العلاقة التي كانت تجمع ابن تومرت برعيته وصفها البيذق بقوله: "وفرش يللتن البرنوس، فلما رآه اسماعيل ايكيك قد فرش البرنوس للإمام المعصوم قال له: كيف تفرش البرنوس لنور العلم النور لا يكون إلا على النور فأزال من عليه كساءه وفرشها وقال اقعد أنت أحق بها منا فإن الله أمرنا بإكرامك رضي الله عنك"[4]، فكانت علاقته بهم علاقة الإمام بالمأمومين، لذلك لم تذكر المصادر أنهم قبّلوا يده كما يفعل الخلفاء والملوك.

---

[1]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص-ص86-87.

[2]- المراكشي: **المعجب**، ص128.

[3]- البيذق، **المقتبس**، ص58.

[4]- البيذق: **أخبارالمهدي**، ص33.

ذلك أنه عُرِفَ بلبس العباءة المرقّعة والملابس الصوفية، وتسمى بالعبد الفقير لله، ومال إلى التقشف في مأكله أيضاً فلا يزيد عما تقدمه له أخته من رغيف بقليل من سمن أو زيت، ولم يتغيّر عن هذه الحياة حتى عندما أقبلت عليه الدنيا[1].

وخلف عبد المؤمن ابن تومرت فاستحالت الإمامة إلى خلافة، وبدأت تظهر على الدولة سمات الملك حينئذٍ أصبحت حضرة الخليفة، توجب على الرعية بعض الطقوس المعمول بها في أنظمة الحكم الأخرى كتقبيل اليد، وهو ما حصل عندما دخل أبو محمد المالقي شيخ طلبة الحضر على الخليفة عبد المؤمن فقبّل يده وهنأه، وعندما جاءه ابنه أبا يعقوب يريد لقياه وتقبيل يمناه والتيمّن بمحيّاه، فأذن له بالقرب وتقبيل اليد المباركة[2]، وفي خلافة يوسف أبي يعقوب يقول ابن عذاري: "وخرج أهل إشبيلية إلى لقائه والتبرك برؤيته...ترجّل عن فرسه وتلاقيا فترامى ابن الجَدِّ على يد أمير المؤمنين وقبّلها ومسح بها وجهه"[3]، فكان هذا دأب كل من دخل على الخليفة من الرعية وأهل بيته، ونتيجة طبيعية للعمل الذي بدأه ابن تومرت، لبناء دولة قويةٍ وعظيمة.

كما كان الخليفة مقصد الشعراء من كل الأقطار، يأتون في مناسبات الأعياد والانتصارات للتهاني والتبريكات فينشدون أحسن أشعارهم، كما يؤكد ذلك ابن عذاري في قوله: "ووفد أهل الأندلس مع أشياخ إشبيلية وقرطبة وغرناطة مع الشعراء للتهاني باتصال المسرات والأماني.. وأنشد الشعراء أشعارهم وقضوا فيما وردوا به أوطارهم"[4]، وهذه أبيات قالها الشاعر علي بن حزمون في الخليفة يعقوب المنصور:

حَيَّتْك مُعطَّرَةَ النَّفَسِ نَفَحَاتُ الفَتحِ بِأَنْدَلُسِ

فَذَرِ الكُفَّارَ ومَأْتمَهُمْ إنّ الإسلام لَفي عُرُسِ

أَإِمَامَ الحَقِّ ونَاصِرَهُ طهَّرتَ الأرضَ من الدَّنَسِ[5]

---

[1]- ابتسام مرعي خلف الله: **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي 524-936هـ/1130-1529م**، دار المعارف، مصر، 1405هـ/1985م، ص344.

[2]ابن صاحب الصلاة، **المن بالإمامة**، ص90،71،95.

[3]- ابن عذاري، **البيان**، 262/3.

[4]- نفسه، 180/3.

[5]- المراكشي : **المعجب**، ص208.

هكذا بدت لنا إمامة وخلافة الموحدين، بالتسميتين معاً وهي إحدى مميزات هذه الدولة العظيمة ببلاد المغرب، التي ورثت إمارتين هما: المرابطية والزيرية، وجمعت بين العدوتين المغربية والأندلسية، كما أعادت للأندلس خلافتها التي سقطت سنة499هـ/1106م.

لذلك فإمامة الموحدين، هي فترة إمامة المهدي بن تومرت، ثم خلافة عبد المؤمن بن على لابن تومرت، ابتداءً من عام 524هـ/1130م، إلى سقوطها سنة 668هـ/1270م، فكانت هذه الخلافة عظيمة جليلة قوية بخلفائها وجيوشها التي كانت تبلغ ألف الألف، واستطاعت أن ترقى بالأمة في كل ميادين الحياة، فتطورت الظروف الاجتماعية والاقتصادية والفكرية للفرد في كنفها، فنالت مكانة عظيمة في المغرب والمشرق، وطلب منها العون والمدد لدفع الصليبيين في المشرق.

فالخلافة الموحدية هي آخر الإمامات في بلاد المغرب، وبسقوطها لم تعرف بلاد المغرب الإسلامي إمامة في العصور الوسطى، وأعقبتها ثلاث سلطنات في مغاربها الثلاث: الأدنى والأوسط والأقصى وهي بالتوالي: الحفصيون والزيانيون والمرينيون.

**الفصل الرابع: مسوّغات نجاح الإمامة وأثرها في بلاد المغرب الإسلامي**

أولاً: **جينالوجيا المذاهب الوافدة على المغرب الإسلامي**

1- مذاهب المحكّمة

2- مذاهب الشيعة

3- المذهب الأشعري

ثانياً: **سيكولوجية القيادة وفنُّ الإدارة الناجحة عند الأيمة**

1- الدعاية والإعلام

2- اختيار القادة والأصحاب وتدريبهم

3- أهمية الخطاب السياسي في عملية الإقناع

ثالثاً: **دور القبائل البربرية في إنجاح مشروع دولة الإمامة في المغرب الإسلامي**

**رابعاً: قيمة تجربة الإمامة وآثارها على بلاد المغرب الإسلامي**

1- الحدود الجغرافية لإمامة المغرب الإسلامي

2- حواضر الإمامات في بلاد المغرب

3- الأثر الاجتماعي والاقتصادي والفكري للإمامة في المغرب

أ- الأثر الاجتماعي

ب- الأثر الاقتصادي

ج- الأثر الفكري والثقافي

**سادساً: أسباب ضعف وسقوط الإمامة في المغرب الإسلامي**

**الفصل الرابع: مسوّغات نجاح الإمامة وأثرها في بلاد المغرب الإسلامي**

وبعدما كشفنا عدد وأنواع الإمامات، التي تشكلت في بلاد المغرب الإسلامي، بعد الفوضى السياسية وحالة اللاستقرار التي مرت بهذا البلد، تجلّت لنا بعض الأفكار التي أحاطت بموضوع الإمامة، كان أولها إظهار مسوّغات وبواعث هذا النجاح، الذي حققته الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي، وذلك من خلال الحديث عن المذاهب التي استقطبت قبائل المنطقة المغربية، ثم ذكر ما تميز به الأيمة من حسن القيادة، وأخيراً استحضار أسماء القبائل البربرية التي ساهمت مباشرة في قيام الإمامات، أما ثانيها فكان في الأثر الذي تركته الإمامة في بلاد المغرب، وثالثها في تبيين سبب سقوط كل إمامة من الإمامات.

**أولاً: جينيالوجيا المذاهب الوافدة على المغرب الإسلامي**

لقد أصبح للدراسات الجينيالوجية[1] تأثير كبير في العصر الحديث، خاصة في الدراسات السياسية التي تبرز دور العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في إدارة دفة الحكم من خلال تولي منصب الإمامة، خاصة بعد تطور مفهوم الجينيالوجيا عبر الأزمان، حيث أصبح بإمكاننا البحث في أصل كل الأشياء.

قد يتبادر لذهن القارئ عن الجدوى من الحديث عن المذاهب، في هذا الفصل خاصة وأننا تعرضنا لها في الفصول السابقة، لكن من وجهة نظرنا أن المذاهب كانت من الأسباب المباشرة في نجاح الإمامة لذلك فهي تستحق الرجوع إليها والتفصيل في تاريخ نشوءها، فقد كان مجيء المذاهب إلى المغرب حدثاً عظيماً، بالنسبة للمغاربة والمشارقة على حدٍ سواء فالمشارقة حققوا أهدافهم بتأسيس الدول، والمغاربة نجحوا بأن أصبحوا شركاءهم في النجاح، بل واستطاعوا أن ينشئوا هم أيضاً دولاً عمّرت قروناً من الزمن، لذلك وجب أن نصل إلى تفسيرٍ دقيق حول حقيقة هذه المذاهب وسرِّ نجاحها في المغرب.

كانت المحكّمة والشيعة من أقدم الفرق السياسية والدينية في الإسلام، وأبرزها أثراً في تاريخه، نشأتا في حضن حزبٍ واحدٍ، هو حزب أنصار علي بن أبي طالب ﷺ فتعاديتا فيما بينهما، ثم شاءت ظروف الخصومة المشتركة ضدهما من الخلافة المركزية، أن يتحالفا معاً على مضض، ولكن مبادئ كل منهما

[1])- جنيالوجيا Genialogies: تعني كلمة Généaفي اللغة الإغريقية 'الأصل' بينما تعني كلمة logos 'علم'، أما فعل Généalogein فيدل على 'ذكر الأصول وتعدادها' وقد أصبحت الكلمة المركبة Généalogie تدل بصفة عامة على سلسلة من الأسلاف تربطهم قرابة نَسَبية يُفترض أنها تنحدر من أصل مشترك واحد، وتشكل تلك السلسلة شجرة النسب لأسرة أو شخص ما، ينظر: مصطفى حسيبة، **المرجع السابق**، ص157.

كانت من البداية في تعارض تام مع مبادئ الأخرى[1]، وخاصة في المسألة التي ظهر فيها الخلاف آنذاك، والمتمثلة في استحقاق الإمامة.

لذلك لا يمكن أن نصل إلى نتيجة مرضية عن ظروف نشأة هذه المذاهب، إلا إذا رجعنا إلى البيئة التي ساعدت على ظهورها وتطورها فيما بعد، والتي تمثلت في مدينتين عريقتين هما البصرة[2] والكوفة من أرض العراق، فالبصرة كانت تسمى (تردم) الكلدانية[3]، وسميت بعد انقراضها (الخريبة) ثم سميت البصيرة، وبعد الفتح الإسلامي للمنطقة، أُسست البصرة وبني مسجدها الجامع الكبير، الذي قام بأدوارٍ للنهضة العلمية والأدبية أضاءت جوانب العالم، من إنتاج جهود الصحابة والتابعين وأساطين علماء البصرة وأدباءها[4].

حتى قيل عن البصرة: "وكانت البصرة بندر الآراء والنِّحَل"[5]، وأصبح المسجد الجامع كعبة طلاب العلم ومعهد العلماء والأفاضل، ومرجعاً لعلماء الإسلام في الرواية والإسناد، يجمعونه على اختلاف طبقاتهم وأجناسهم وأعمارهم، ويجتمعون حلقات حول العلماء المتصّدرين على مساندهم الموضوعة جنب سواري (أعمدة) المسجد، لكل عالم حلقة تعقد تحت ساريةٍ من سواريه، فصارت كل واحدة تعرف بعالمها، كحلقة الحسن البصري[6] مثلا وغيره فكان الداخل إليه لا يسمع إلا صرير الأقلام ودوي طلاب العلم[7]، وقال محمد الحريري[1] في المقامة البصرية: "وكُنْتُسَمِعْتُ أنّ غِشْيَانَ مَجَالِسِ الذِّكْرِ. يَسْرُو

---

[1]- ينظر تصدير عبد الرحمن بدوي لكتاب يوليوس فلهوزن: **أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام** (الخوارج والشِّيعة)، تر. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985م، ص1.

[2]- تقع البصرة في أقصى جنوب العراق، وهي في كلام العرب الأرض الغليظة، التي فيها حجارة تَقلعُ وتقطع حوافر الدواب وكان فتح البصرة في سنة 14هـ/635م، في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، ينظر، الحموي: **معجم**، ج1، ص، ص430، 432.

[3]- عن الحضارة الكلدانية، ينظر، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، دار الورّاق، بيروت، 2012م، ص601.

[4]- عبد القادر باش أعيان العباسي: البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصري، بغداد، 1381هـ/1961م، ص، ص14، 48.

[5]- ابن عساكر الدمشقي: **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، مطبعة التوفيق، دمشق، 1347، ص11.

[6]- الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد تابعي كان إمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النسّاك، ولد بالمدينة وشبّ في كنف علي بن أبي طالب، ولد سنة 21هـ/642م، وتوفي سنة 110هـ/728م، ينظر، الزركلي، المرجع السابق، ص226.

[7]- باش أعيان، المرجع السابق، ص48.

غَوَاشِيَ الفِكْرِ. فَلَمْ أرَ لإِطْفَاءِ مَا بِي مِنَ الجَمْرَةِ. إلاّ قَصْدَ الجَامِعِ بالبَصْرَةِ. وَكَانَ إذْ ذَاكَ مَأْهُولَ المسَانِدِ. مَشْفُوهَ الموَارِدِ. يُجْتَنَى مِنْ رِيَاضِهِ أَزَاهِيرُ الكَلاَمِ. وَيُسْمَعُ في أَرْجَائِهِ صَرِيرُ الأَقْلاَمِ"[2].

وفي هذا المسجد الجامع الكبير، ظهرت التيارات الإسلامية المختلفة، كالتيار السنّي والعلوي الشيعي والاعتزالي والصوفي، وأصبحت الرؤية تتضح شيئاً فشيئاً، عندما أخذت أسباب الفرقة تقوم على الرأي والحجة، وتستند إلى المؤلفات والمناظرات[3]، ومن هذه التيارات ولدت المذاهب الإسلامية التي جاءت إلى المغرب الإسلامي، كالإباضية والصفرية والزيدية والإسماعيلية ثم الأشعرية واستطاعت أن تجد ملاذاً وأنصاراً في هذا القطر من الدولة الإسلامية.

### 1- مذاهب المحكّمة:

لم تأخذ الفرق الإسلامية شكلها المذهبي، إلا بعد مدةٍ زمنية من ظهورها، لأنها حملت في البداية شكل الاحتجاج السياسي حول الإمامة أو الخلافة، خاصة بعد إقرار مسألة التحكيم[4]، فلما أراد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يبعث أبا موسى الأشعري لأمر التحكيم أتاه رجلان من الثوار، زرعة بن البرح الطائي وحرقوص بن زهير السعدي، يقول الطبري: "فدخلا عليه فقالا له: لا حكم إلا لله، فقال علي: لا حكم إلا لله، فقال له حرقوص تُبْ عن خطيئتك، وارجع عن قضيتك، واخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا"[5].

وما يؤكد هذه الفرضية هو بيعة الثوار عبد الله بن وهب الراسبي[6]، في الكوفة بعد خلافهم الأخير مع علي رضي الله عنه وذلك قبل أن تنتهي عملية التحكيم وتظهر نتائجها، فعندما أرسل علي رضي الله عنه أبا موسى للتحكيم، اجتمعت المعارضة في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم زهّدهم في الدنيا والرغبة فيما عند الله، بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحتساب ذلك لثواب الله، ثم قال لهم: "فاخرجوا بنا إخواننا من هذه القرية الظالم أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى

---

[1])- هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري البصري، ولد بالبصرة سنة 446هـ/1054م، وتوفي بها سنة 516هـ/ 1122م، الأديب الكبير صاحب المقامات الحريرية، ينظر، الزركلي، **الأعلام**، ج5، ص177.

[2])- أبو محمد الحريري البصري: **مقامات الحريري**، دار بيروت، بيروت، 1398هـ/1978م، ص412.

[3])- إحسان عباس: الحسن البصري سيرته شخصيته تعاليمه وآراؤه، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1990م، ص4.

[4])- عن التحكيم، ينظر: الطبري، **تاريخ الأمم**، ص-ص865-867.

[5])- نفسه، ص867.

[6])- انظر ترجمته، الدرجيني: **طبقات**، ج1، ص201؛ وانظر، إبراهيم بحاز وآخرون: معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر، ج3، ط1، المطبعة العربية، غرداية، 1999م، العلم رقم 18، ص426.

بعض هذه المدائن، منكرين لهذه البدع المضلة، وقال حرقوص بن زهير: ولا يلفتنّكم عن طلب الحق وإنكار الظلم، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون"[1]فقال حمزة بن سنان الأسدي: "يا قوم إن الرأي ما رأيتم، فولوا أمركم رجلاً منكم، فلا بدّ لكم من عماد وسناد وراية تحفُّون بها وترجعون إليها، فعرضوها على زيد بن حصين الطائي فأبى، وعرضوها على حرقوص بن زهير فأبى، ثم على حمزة بن سنان وشريح بن أوفى العبسي فأبيا، وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال: هاتوها أما والله لا آخذها رغبة في الدنيا، ولا أدعها فرقاً من الموت"[2] فبايعوه.

وفي سنة 64هـ/683م، افترق المحكّمة عندما عاد الثائرون على سياسة بني أمية من مكة واجتمعوا في البصرة، حيث بدأت تتشكل القواعد المذهبية لهذه المعارضة السياسية، التي كان يقودها ابن الأزرق الذي خرج من البصرة ووضع أسس مذهبه، فقال: فقد أنزل الله تبارك وتعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[التوبة: 1]، وقال: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[البقرة: 221]، فقد حرّم الله ولايتهم، والمقام بين أظهرهم، وإجازة شهادتهم، وأكل ذبائحهم، وقبول علم الدين عنهم ومناكحتهم ومواريثهم، وقد احتج الله علينا بمعرفة هذا، وحقّ علينا أن نُعَلِّمَ هذا الدين للذين خرجنا من عندهم، ولا نكتم ما أنزل الله والله ﷻيقول﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: 159][3]، وبهذا حدّد ابن الأزرق معالم مذهبه الجديد، فأعلن البراءة منهم ووصفهم بالمشركين وأجاز قتالهم.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن بعض رفقائه لم يوافقه في هذا الطرح منهم عبد الله بن إباض الذي قال بعد قراءته رسالة ابن الأزرق: "قاتله الله أيُّ رأيٍّ رَأَى، لوكان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً وحكماً فيما يشير به، وكانت سيرته كسيرة الرسول ﷺ في المشركين، ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول، إن القوم كفار بالنعم والأحكام، وهم برآء من الشرك، ولا تحلُّ لنا إلا دماؤهم وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام"، وهكذا خالف ابن إباضرأي ابن الأزرق ليؤسس لمذهب جديد يأخذ

---

[1]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص868.

[2]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص868.

[3]- نفسه، ص1054.

أحكامه وفقهه من الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، ويصبح له أتباع مخلصون يحملونه في صدورهم، ويؤسسوا به دولاً كان أبرزها دولة إمامة الرستميين في مدينة تيهرت، عام 160هـ/777م.

وخالف زياد بن الأصفر بن الأزرق وابن إباض، فلم يكفّر القعدة عن القتال، ولم يحكم بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار، وقال التقية جائزة في القول دون العمل، وقال ما كان من الأعمال عليه حد واقع، فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد، كالزنا والسرقة والقذف فيسمى زانياً، سارقاً، قاذفاً لا كافراً مشركاً[1]، أمّا ما كان من الكبائر ما ليس فيه حد لعظم قدره كالصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفّر بذلك، وأجاز ابن الأصفر تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية، كما كان له رأي في الزكاة في حال التقية، بأن جعلها سهماً واحداً، وقال: الشرك شركان، شرك هو طاعة الشيطان وشرك هو عبادة الأوثان، والكفر كفران: كفر بإنكار النعمة وكفر بإنكار الربوبية، والبراءة براءتان، براءة من أهل الحدود سنّة وبراءة من أهل الجحود فريضة[2]، وبهذا أسّس ابن الأصفر لمذهب الصفرية، الذي انتشر في المشرق وحقّق انتصارات على خصومه، ثم انتقل إلى المغرب بفضل دعاته الذين نجحوا بتأسيس دولة إمامة بني مدرار عام 140 هـ/757م.

**2- مذاهب الشيعة:**

أما فرقة الشيعة التي انقسمت على نفسها وتفرّعت، إلى فرق لا تعدُّ ولا تحصى، فأخذت كل فرقة منها لون المحيط الذي نشأت فيه ، لذلك قيل عن ظهور التشيع: "الشيعة الأولى ويسمون 'الشيعة المخلصين' وهم عبارة عن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير علي كرّم الله وجهه من المهاجرين والأنصار والذين تبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه وأحلّوه من الفضل محله... فقد كان معه ﷺ، في حرب صفّين من أصحاب بيعة الرضوان[3] ثمانمائة صحابي وقد استشهد منهم تحت رايته هناك ثلاثمائة، ومنهم من تقاعد عن القتال تورُّعاً واحتياطا لشبهة عرضت له[4]، لذلك كان التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حبٌّ لا يفرّق بين آل النبي ﷺ ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص من مكانة الصحابة رضي الله عنهم كما تفعل بعض الفرق الشيعية اليوم، وقد تطوّر هذا الشعور عند الشيعة، بعدما جرى من الحروب

[1]- الشهرستاني: **الملل**، ص137.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- عن بيعة الرضوان، انظر، الطبري: **تاريخ الأمم**، ص407.

[4]- السَّيد محمود الألوسي: **مختصر التحفة الاثني عشرية**، تح. محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ/ 1953م، ص3.

والمقاتل في آل بيت النبي ﷺ، وخاصة بعد مقتل علي ثم الحسين ﷺ، يقول النوبختي: "ثم افترقوا بعد مقتل الحسين عليه السلام فرقاً"[1]

لكن لم يدم التشيع على حاله الأول، بل دخلت عليه مؤثرات خارجية كثيرة، منها ما جاء عن طريق دخول بعض الأشخاص إلى التشيع، وهم يحملون معتقدات أخرى كاليهودية، مثل ابن سبأ الذي قال عنه الشهرستاني: "عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي ﷺ: أنت أنت يعني أنت الإله فنفاه إلى المدائن[2]، وقيل أنه كان يهودياً فأسلم، وكان في اليهودية يقول في يوشع بن نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي ﷺ وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ﷺ ومنه انشعبت أصناف الغلاة"[3].

كما أن من الباحثين من قرّر أن للتشيع نزعة فارسية، فالفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى ولم يترك ولداً فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ فقد اغتصب الخلافة من مستحقيها، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته، وقالوا إن طاعة الإمام واجبة، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى، وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام، ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً ومنهم من أظهر الإسلام واستبطن الكفر، واستمال أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت والدفاع عن علي وأبناءه رضي الله عنهم، ثم سلكوا مسالك حتى أخرجوهم عن الهدى[4]، فقيل: "إن مذهب الشيعة له مشابهة تامة ومناسبة عامة مع فرق الكَفَرة والفسقة الفجرة أعني اليهود والنصارى والصابئين والمشركين والمجوس"[5].

---

[1]) – الحسن النوبختي، سعد القُمّي: **فرق الشيعة**، تح. عبد المنعم الحفني، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1412هـ/1992م ص69.

[2]) – المدائن في بلاد فارس، سماها العرب الفاتحون بهذا الاسم، لأنها سبع مدائن بين كل مدينة وأخرى مسافة قريبة أو بعيدة، ينظر، الحموي: **البلدان**، ج5، ص75.

[3]) – الشهرستاني: **الملل**، ص174.

[4]) – ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح. محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ج2، ط2، دار الجيل، بيروت 1416هـ/1996م، ص273؛ ناصر القفاري: **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية (عرض ونقد )**، مج.1، ط2، د.د.ن، الرياض 1415هـ/1994م، ص84.

[5]) – الألوسي: **مختصر التحفة**، ص298.

وقد يكون هذا الزخم من الأفكار التي أظهرها الشيعة، ناجمة من العلاقة الجغرافية التي كانت تربط الكوفة[1] بمدائن الدولة الساسانية الفارسية[2]، يقول ياقوت الحموي: "فلما ملك العرب ديار الفرس واختطت الكوفة والبصرة انتقل إليهما الناس عن المدائن وسائر مدن العراق"[3]، وحملوا معهم معتقداتهم الدينية وثقافاتهم الشعبية، التي لا يمكن الانفصال عنها وتركها.

نشأت فرق الشيعة في الكوفة التي كان لها شرف احتضان فاتحي العراق وقاهري الدولة الساسانية، حتى أصبحت مركزاً عسكرياً مهماً، نافستها فيه البصرة في عهد عثمان بن عفان ﷺ، فأصبحت غير قادرة على إحراز غنائم كبيرة ولا على توسيع نفوذ رقعتها أكثر، وفي سنة 24هـ/645م عيّن الخليفة عثمان ﷺابن عمّه الوليد بن عقبة والياً عليها، والذي يقول عنه الطبري: "وإن كان مما زاد عثمان بن عفان الناس على يده أن ردّ على كل مملوك بالكوفة من فضول الأموال ثلاثة في كل شهر، يتسعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم"[4]، فهذا القرار الذي اتخذه الوليد يصوّر بداية أزمة اقتصادية واجتماعية، عندما يعجز السادة على تحمُّلِ نفقات الموالي، ويتدخل الوالي بإعطاء زكاة الأموال لهذه الفئة، كما يصوِّر أيضاً أن وضع هذه الفئة أصبح مزرياً وصعباً، واستدعى تدخلاً شخصياً من الوالي الوليد بن عقبة.

ثم يصف الطبري الوضع في الكوفة بدقّة بقوله: "فكتب (أمير الكوفة سعيد بن العاص سنة 30هـ/650م) إلى عثمان بالذي انتهى إليه: إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم والبيوتات والسابقة والقِدَمَة، والغالب إلى البلاد روادفٌ ردفت وأعراب لحقت، حتى ما ينظر إلى ذي شرف وبلاء من نازلتها ولا نابتتها"[5]، فابن العاص في هذه الرسالة، يشير إلى النمو الديمغرافي السريع السريع الذي حدث في الكوفة حتى أن البيوتات العريقة التي لها شرف السابقة لم يعد لها تأثير على مجتمع المدينة، وهو أمر بالغ الخطورة إذا تمكنت الغوغاء من فرض نفسها في ما هو آتٍ من الأيام.

---

[1]- الكوفة أرض بابل من سواد العراق، فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ينظر، الحموي: **معجم**، ص-ص490-491.

[2]- الدولة الساسانية أسسها أردشير بن بابك بن ساسان في إقليم فارس، سنة 224م وسقطت على أيدي المسلمين الفاتحين سنة 642م/31هـ، ينظر: مفيد رائف محمود العابد، **معالم تاريخ الدولة الساسانية**، ط1، دار الفكر، دمشق، 1460هـ /1999م، ص، ص39، 79.

[3]-الحموي: **البلدان**، ج5، ص75.

[4]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص734.

[5]- نفسه، ص735.

وعندما أجاب الخليفة عثمان ﷺعلى رسالة سعيد بن العاص قال له: "ففضِّل أهل السابقة والقدمة ممن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها تبعاً لهم إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحق وتركوا القيام به وقام به هؤلاء، واحفظ لكلٍّ منزلته واعطهم جميعاً بقسطهم من الحق، فإن المعرفة بالناس بها يصاب العدل"[1]، فأرسل سعيد إلى وجوه الناس من أهل الأيام والقادسية[2]، فقال أنتم وجوه من وراءكم، والوجه ينبئ عن الجسد فأبلغونا حاجة ذي الحاجة وخلة ذي الخلة... وخَلُصَ بالقراء والمتسمِّتين[3] في سمره، فكأنما كانت الكوفة يبساً شملته نار، فانقطع إلى ذلك الضرب ضربهم، وفشت القالة والإذاعة[4]، فكان ذلك رأي عثمان ﷺ واجتهاد سعيد بن العاص، الذي ربما لم يكن حلاً جذرياً لما تعانيه الكوفة من مشاكل اجتماعية واقتصادية، ستدفع الأمة الإسلامية في قادم الأيام إلى فتنة تقسم الحزب إلى أحزاب والمذهب إلى مذاهب.

ذكر الطبري فئة قرّبها سعيد بن العاص، والتي سيكون لها دور أساسي في تشكيل الأحزاب أو المذاهب، إنها فئة قرّاء القرآن، التي كانت دائماً في مقدمة جيوش النبي محمد ﷺ، فعن زيد بن ثابت ﷺقال: "أرسلإليَّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة[5]، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبوبكر ﷺ: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى إن استحرَّ القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمُر بجمع القرآن..."[6].

كما أدت فئة القرّاء دوراً مهماً في الكوفة، وشاركت في معركة صفّين وما بعد صفّين سنة 37هـ/657م، لكن وظيفتها الأساسية كانت القتال، وتتميز عن باقي أفراد الجيش بالتزامها الديني وخاصة القرآني، الذي كان حاضراً لديها بقوة[7]، بهذا اكتسبت هذه الفئة مركزاً قيادياً في الكوفة والبصرة،

---

[1]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص735.

[2]- هم المجاهدون الذين شاركوا في معركة القادسية ضد الفرس سنة 15هـ/636م، في يوم أرماث ويوم أغواث ويوم عماس وليلة القادسية، ينظر، الطبري، نفسه، ص-ص600-617.

[3]- السّمت: حسن النحو في مذهب الدين، والفعل سَمَتَ يَسْمُتُ سَمْتاً، وإنه لحَسَنُ السَّمْتِ أي حَسَنُ القَصْدِ والمذْهَبِ في دينه ودنياه، ينظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج2، دار صادر، بيروت، دس، ص46.

[4]- الطبري: **تاريخ الأمم**، ص-ص735-736.

[5] اليمامة إقليم من الجزيرة العربية، جرت فيه إحدى معارك الردة ضد أهل اليمامة، من قبيلة بني حنيفة الذين ارتدوا عن الإسلام وضد مسيلمة الكذاب، عن خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة، ينظر، الطبري، نفسه، ص512 وما بعدها.

[6]- أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم 4986، ص1274.

[7]- هشام جعيط: **الفتنة**، تر. خليل أحمد خليل، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000م، ص96.

والبصرة، جعلها تشعر بمكانتها التي تؤهلها لأن تكون معارضةً حقيقيةً، فلا تكتفي بالانشقاق والعصيان بل تأسس مذاهب دينية تناسبها، لتكون بديلاً عن المذاهب الموجودة.

هذه الظروف وغيرها كثير، أدّت إلى تنامي فكرة المعارضة السياسية للحكم المركزي في المدينة المنوّرة، وأُضيف إلى ذلك التعاطف مع علي وذرِّيته، وطغيان فكرة الانتصار لآل بيت الرسول ﷺ فظهر في الكوفة من دعا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، إلى الظهور وإعلان الإمامة في خلافة هشام بن عبد الملك[1]، وتمت له البيعة من أهل الكوفة، وأعلن العصيان على والي الأمويين وقاتله إلى أن قُتِلَ ودفن ليلاً[2]، واستمرّ أتباعه من بعده وسُمُّوا بالزيدية، قال عبد القاهر البغدادي: "اجتمعت الزيدية على القول بأن أصحاب الكبائر من الأمة يكونون مخلّدين في النار"[3]، وقال ابن النديم في الفهرست: "أكثر علماء المحدثين زيدية، وكذلك قوم من الفقهاء مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وجلة المحدثين"، كما برع الزيدية في علم الكلام، من أمثال فضيل الرسان وأبو خالد الواسطي ومنصور بن أبي الأسود[4]، فَكَثُرَ أتباع المذهب الزيدي في المشرق الإسلامي وتطلّعوا لنشره في أنحاء البلاد الإسلامية، حتى حتى وصل إلى المغرب الإسلامي، ونجح أنصاره في تأسيس دولة علوية في المغرب الأقصى، وهي دولة إمامة الأدارسة عام 172هـ/789م.

أما الفرقة الثانية من الشيعة، التي جاءت إلى المغرب فهي الإسماعيلية والتي تعتبر من فرقة الإمامية، الذين قالوا بإمامة الستة وأن السابع هو إسماعيل بن جعفر الصادق وليس أخوه موسى الكاظم كما يقول الاثنا عشرية، وكانت الدولة الفاطمية على المذهب الإسماعيلي، وهم عدة فرق منهم الواقفة والباطنية والنزارية والتعليمية[5]، فبالعراق يسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية، وبخراسان يسمون التعليمية والملحدة، ثم إن الباطنية القديمة قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج[6].

---

[1]- هو عاشر الخلفاء الأمويين حكم من سنة 105-125هـ/724-743م.

[2]- النوبختي والقمي: **فرق الشيعة**، ص31.

[3]- عبد القاهر البغدادي: **الفرق بين الفرق**، تح. محمد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، دمشق، 1367هـ/1948م ص25.

[4]- ابن النديم: **الفهرست**، ص253.

[5]- النوبختي والقمي: **فرق الشيعة**، ص78.

[6]- الشهرستاني: **الملل والنحل**، ص-ص191-192.

استمدت العقيدة الإسماعيلية أصولها من الأسس الشيعية العامة، ولكنها سرعان ما أوجدت لها مبادئ ابتعدت بها عن تلك الأسس العامة، حيث تبلورت الآراء الأساسية في عهد الستر، خاصة بعد أن داخلتها عناصر فلسفية محدثة، وظهور التعامل مع الأعداد خاصة العددين سبعة واثنى عشر والاعتقاد أن لكل شيء ظاهر وباطن وأنه لابد من التأويل وأن علم ذلك يختص به الإمام المعصوم واستمرت على ذلك حتى فترة الظهور بالمغرب الإسلامي، ثم تطورت على أيدي منظرين إسماعيليين كبار كالكرماني وناصر خسرو[1].

**3- المذهب الأشعري:**

أما عن المذهب الأشعري فقد أسسّه أبو الحسن الأشعري[2]، الذي تبحّر في كلام الاعتزال لكن عندما بدأت تراوده أسئلة كثيرة لم يجد لها جواباً شافياً، عند علماء المذهب في البصرة، حكي عنه أنه قال: "وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقمت وصليت ركعتين وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم، ونمت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر فقال رسول الله ﷺ: عليك بسنتي، فانتبهت وعارضتُ مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبّته ونبذت ما سواه ورائي ظهرياً"[3].

فكان مذهب الأشعري كما قال عنه ابن عساكر: "فكان أبو الحسن الأشعري رحمة الله عليه ورضوانه أشدهم بذلك اهتماماً وألدهم لمن حاول الإلحاد في أسماء الله وصفاته خصاماً وأمدهم سناناً لمن عاند السنة ...ألزم الحجة لمن خالف السنة والمحجة إلزاماً فلم يسرف في التعطيل ولم يغل في التشبيه وابتغى بين ذلك قواماً"[4]، وأثبت صفات الله تعالى وقال: هذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى، وقال العبد قادر على أفعاله إذ الإنسان يجد من نفسه تفرقة ضرورية بين الحركات، ومن مذهب الأشعري أن كل موجود يصح أن يُرَى، فإن المصحح للرؤية إنما هو الوجود، والباري تعالى موجود فيصح أن يُرَى، وقد ورد السمع بأن المؤمنين يرونه في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا

---

[1]- حوراء حسون، المرجع السابق، ص136.

[2]- هو علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، كان من الأيمة المتكلمين المجتهدين، ولد في البصرة سنة 260هـ/874م، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم ثم رجع وجاهر بخلافهم، توفي في بغداد سنة 324هـ/936م، قيل إن مصنفاته بلغت ثلاثمائة كتاب، ينظر، الزركلي، **الأعلام**، ج4، ص263.

[3]- ابن عساكر: **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، ص-ص38-39.

[4]- نفسه، ص26.

نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة: 22، 23]، وأثبت السمع والبصر للباري تعالى صفتان أزليتان، هما إدراكان وراء العلم يتعلقان بالمدركات الخاصة بكل واحد بشرط الوجود، وخالف الأشعري المعتزلة في الوعد والوعيد والأسماء والأحكام والسمع والعقل[1].

وقد أدى الإمام أبو بكر الباقلاني[2]، كحامل للواء الأشعرية دوراً رائداً في نشر المذهب الأشعري في بلاد المغرب، والسبب في ذلك أنه كان إلى جانب أشعريته في الأصول مالكياً في الفروع، ولهذا كان المغاربة يقصدونه للتتلمذ عليه في الفقه وأصوله، فيمدهم بأفكاره ومعتقداته الأشعرية، ثم إن الباقلاني كان يرسل بتلامذته إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي، للنهوض بعملية نشر الأشعرية، فتذكر المصادر في هذا السياق أنه بعث بكلٍّ من عبد الله الأذري وأبي طاهر البغدادي، إلى القيروان[3]، وممن أخذ عن الباقلاني من مشاهير علماء المغرب، والذين أدوا دوراً في نشر المذهب الأشعري به، أبو عمران الفاسي(ت430هـ/1039م)، حيث رحل إلى بغداد سنة 399هـ/1008م وتلقى أصول المذهب عن القاضي الباقلاني، ومن جهة أخرى ظهرت بذرة الأشعرية نتيجة الحاجة إلى طرائق الاستدلال التي اشتهر بها الأشاعرة في جدال الفرق المختلفة[4]،

وحينما جاء ابن تومرت (524هـ/1129م)، أرسى المذهب الأشعري وسعى بعقيدته المرشدة إلى فرض المذهب بالسلطة السياسية، ونشره بين العامة بعدما كان يختص بالطبقة العالمة فحسب، كما أكد ذلك المراكشي بقوله: "وكان على مذهب أبي الحسن الأشعري في أكثر المسائل"[5]، وشجع حكام الدولة الموحدية بعد ابن تومرت الحركة العلمية والعقلية، فظهرت مؤلفات ابن ماجة (تـ533هـ/1138م) في المنطق والنفس والعقل، ومؤلفات أبي بكر بن الطفيل (تـ581هـ/1181م) في الرياضيات وفي العلوم الطبيعية والفلسفة والكلام وغيرها[6]، لقد كان لوجود المذاهب في المغرب

---

[1])- الشهرستاني: **الفصل**، طبعة دار المعرفة، ص، ص95، 96، 100، 101.

[2])- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور، كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، توفي في بغداد سنة 403هـ/1012م، ينظر، ابن خلكان: **وفيات**، 4/269-270.

[3])- ابن عساكر: **تبيين**، ص120؛ وانظر، توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتى القرن السادس الهجري، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، جامعة المدية، مج.10، ع3، 2018/11/02، ص141.

[4])- إبراهيم التهامي: **دور علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م ص251.

[5])- المراكشي: **المعجب**، ص132.

[6])- توفيق مزاري، المرجع السابق، ص156.

الإسلامي أثر كبير على جميع الأصعدة، إنسانية واجتماعية واقتصادية وثقافية، لذلك كان من الأهمية بمكان أن نفهم أصولها وأن نقف على ظروف نشأتها.

**ثانياً: سيكولوجية القيادة الناجحة عند الأيمة:**

لم يكن المغاربة قوماً سُذّجاً تُبّعْاً لأي داعيةٍ يأتي إلى بلادهم، رغم أن كثيراً من الكتابات المشرقية خاصة تصفهم بذلك ولا تهتم بدراسة الكيفية والظروف، التي جعلت هؤلاء يتبنّون المذاهب الجديدة ويناصرون الأيمة الداعين إليها، فالإمام عبد الرحمن بن رستم والإمام عيسى بن يزيد وأبو القاسم سمكو بن واسول والإمام إدريس الأكبر والإمام عبيد الله المهدي والإمام محمد بن تومرت، جاؤوا إلى المغرب يحملون مشروعاً جديداً يراعي احتياجات الناس ويضع حلولاً لمشاكلهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

**1- الدعاية والإعلام:**

فقد بدأ الأيمة مشروعهم بالدعاية والإعلام، يقول ابن الخطيب: "ولما نزل عيسى بن يزيد سجلماسة بخيامه وماله، ألفى بواديه قبائل ذات عدد من زناتة الصفرية فقدّموه على أنفسهم وملّكوه على بلادهم"[1]، فهذاالتقديم لم يكن ليتحقق، لولا الدعاية التي أقامها الإمام عيسى حول شخصه والتي مكّنت القبائل من معرفته، بفضل العلاقات العامة التي أقامها مع هذه القبائل، والتي تأثرت كما يبدو من كلام ابن الخطيب حين قال "خيامه وماله" بثروة الرجلومكانته الاجتماعية بين أهله وفي قبيلته أما سمكو بن واسول فأهم دعاية قام بها لنفسه، هي عندما تقرّب من الإمام الذي سبقه، وأظهر شجاعته وأمانته وعلمه للناس[2].

ولما وجد الإباضيون في أنفسهم قوة وأنسوا طاقة، أرادوا أن يولوا على أنفسهم إماماً منهم، فلم يجدوا غير الإمام عبد الرحمن بن رستم، الذي استطاع أن يصنع شهرةً كبيرةً بين قبائل المغرب الأدنى والأوسط، بفضل غرابته وشجاعته وفضله، قال أبو زكريا: "فنظروا في عامة القبائل، فوجدوا في كل قبيلة رأساً أو رأسين كل يصلحون للإمارة، فاشتوروا فيما بينهم فقال بعضهم، إن عبد الرحمن بن رستم الفارسي ﷺممن لا تجهلون فضله، وهو أحد الحاملين للعلم وعامل الإمام أبي الخطاب ﷺوقد عرض عليه المسلمون الإمامة قبل تولية أبي الخطاب، فأعرض عنها ودفعها عن نفسه، ولم يردها لاسيما أنه

---

[1]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص139.

[2]- نفسه، ص141.

ليست له قبيلة تمنعه إذا تغيّر وتبّدل"[1]، فبيّن هذا النص أن القبائل كانت على علم بكل المحطات التي مرّ بها الإمام عبد الرحمن في حياته، وهذا ما نعتبره دعاية جيدةً سبقت الإمام، ورجّحت كفّته أمام أي منافس آخر.

كما مثّل الإعلام والأخبار التي كانت تصل تباعاً وبانتظام من المشرق، عن الصراع الذي كان بين الخلافة القائمة والمطالبين بحقهم من هذه الخلافة وهم العلويون، عن طريق رحلة الحج أو الرحلات التجارية، حيث خلقت هذه الأخبار نوعاً من التعاطف مع آل بيت الرسولﷺ، ومهدت الطريق أمام الإمام إدريس الأول، فقال ابن الخطيب عنه، عندما نزل على عبد الحميد الأوربي في المغرب الأقصى: "فأقام عنده أشهراً وجمع له عبد الحميد قومه وإخوانه، لما تعرّف إليه وراقه فضله وهديه وسمته فعرّفهم بمحله من بنوة النبوءة وأعلمهم بفضله وشرفه، فبايعوه"[2]، وهذا ما يدلُّ على أن أوربة لم تبايع إدريس الأول لمجرد أنه من بيت النبوّة حتى اختبره أميرهم، ومكث عنده أشهراً أظهر فيها فضله وعلمه، وكانت كافية للدعاية لشخصه.

أما من كانوا أكثر تنظيماً في مسألة الدعاية والإعلام، فهم الإسماعيلية، فقد أرسلوا الكثير من الدعاة إلى المغرب الإسلامي، واستعملوا كل الطرق المتاحة لذلك، وذلك ببث دعوتهم بين الحجيج في مكة المكرمة، والتنكر بزي التجار ليسهل عليهم التنقل في البلاد الإسلامية، فكان عبد الله المهدي أكثر حظاً من بين أيمة المغرب الإسلامي، لأن غيره مهّد له الطريق، مثل الحلواني وأبي سفيان وبعدهما أبو عبد الله الداعي، الذي يقول عنه ابن عذاري: "فسار أبو عبد الله هذا إلى موسم الحج ليجتمع مع من يحج تلك السنة من أهل المغرب ويذوق أخلاقهم، ويطلع على مذاهبهم ...فرأى قوماً من أهل المغرب فلصق بهم وخالطهم وكانوا نحو عشرة رجال من قبيل كتامة، ملتفين على شيخ منهم، فسألهم عن بلادهم فأخبروه بصفتها وسألهم عن مذهبهم، فصدقوه عنه...ولم يزل يستدرجهم ويخبلهم بما أوتي من فضل اللسان والعلم والجدل إلى أن سلبهم عقولهم بسحر بيانه"[3]، وصف ابن عذاري أبا عبد الله بالساحر وهو تعبير مجازي عن إتقان الرجل لفن الكلام والجدل، وأيضاً عن الأثر الذي تركه في نفوس الرجال الكتاميين، وعندما رحل معهم واستقر عندهم في فج الأخيار قال لهم: "إن للمهدي هجرة تنبو عن

---

[1]- أبو زكريا: **سير**، ص82.

[2]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص191.

[3]- ابن عذاري: **البيان**، 1/168-169.

الأوطان في زمن محنة وافتتان، ينصره فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتمان فأنتم هم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيار"[1].

وبدأ أبو عبد الله في المرحلة الأولى بتعليم الأولاد واجتهد في ذلك، حتى أصبح الجميع يتحدثون عن علمه وبراعته في تعليم أولادهم، عندئذ يقول ابن عذاري: " فجمعوا له أربعين ديناراً وزاد عليها الشيخ وأتى بها إلى أبا عبد الله، فتركها أمامه وردّ يده إلى كيس كان معه وصبّ منه خمس مئة دينار أمام الشيخ، وقال له: لست بمعلم الصبيان إنما الأمر ما أخبرك به فالسمع، إنما نحن أنصار أهل البيت، وقد جاءت الرواية فيكم أهل كتامة، إنكم أنصارنا والمقيمون لدولتنا وإن الله يظهر بكم دينه، ويعز بكم أهل البيت وإنه سيكون إمام منهم أنتم أنصاره والباذلون مهجتهم دونه، وإن الله سيفتح بكم الدنيا كلها ويكون لكم أجركم مضاعفاً، فيجتمع لكم خير الدنيا والآخرة، فقال له الشيخ: أنا أرغب فيما رغّبتني فيه وأبذل فيه مهجتي ومالي أنا ومن اتبعني وأنا أطوع إليك من يدك: فامر ما شئت أمتثله، فقال له ادع الخاصة من بني عمّك، الأقرب فالأقرب فقال: نعم"[2]، وبدأ بنشر الدعوة داخل القبيلة، حتى التفّت كلها حول أبي عبد الله وخرج يدعو القبائل الأخرى بجيشٍ من الكتاميين، الذين تَشَرَّبُوا الدعوة جيداً بفضل جهود الداعية أبي عبد الله.

أما في دولة الموحدين، فالذي تحمّل عبءَ الدعاية والإعلام، هو الإمام نفسه محمد بن تومرت الذي عاد من رحلته المشرقية سنة 510هـ/1116م، فمرّ بطرابلس والمهدية قبل أن يدخل تونس ويواصل منها السفر غرباً، ففي تونس مكث خمسة عشر يوماً، يعطي دروساً لبعض طلبة العلم في هذه المدينة، ويقيم الجمعة ويصلي على الجنائز، قال البيذق: "فنظر الإمام إلى جنازة من وراء الناس فقال لهم: لِمَ لا تصلون على هذه الجنازة؟ قالوا له: يهودي وكان يصلي، فقال لهم ﷺأفيكم من يشهد له بالصلاة؟ فقال الناس له نعم من كل جانب ومكان، فقال لهم: قد شهدتم له بالإيمان، ثم أمر أن يقيم الصفوف وصلّى عليه ونحن من ورائه، فلما صلّى دعا بالفقهاء ووبّخهم وعرّفهم بالسنة وبيّن لهم الكتاب العزيز، فقالوا له بعد أن عرفوا الحق جهلنا يا فقيه، فكانوا يأخذون عنه العلم أياماً عديدة"[3]، وهكذا كان في كل مدينة يدخلها يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدعو فقهاء المدينة ليجادلهم بعلمه ويبيِّن لهم عيوبهم ومن ثمة عيوب الدولة القائمة آنذاك، وكما فعل في تونس فعل في قسنطينة وبجاية وتلمسان وفاس

[1]- القاضي النعمان: **افتتاح**، ص48

[2]- ابن عذاري: **البيان**، 171/1.

[3]- البيذق: **أخبار**، ص-ص11-12.

ومكناسة وسلا ثم مراكش، التي التقى فيها بالأمير المرابطي علي بن يوسف، يقول البيذق: "وذلك أن علي بن يوسف بعث العلماء حتى وصلوا من كل جانب ومكان، فذاكرهم المعصوم فأفحمهم"[1] واستطاع ابن تومرت بهذه الطريقة، أن ينشر دعوته في كل أنحاء المغرب، قبل أن يصل إلى بلده في الأطلس وقبيلته مصمودة.

### 2- اختيار القادة والأصحاب وتدريبهم:

كان أيمة المغرب الإسلامي قادةً حقيقيين، لمجتمعٍ كان لابد له من قيادة تنظم شؤونه وتقيم العدل فيه، لذلك حرصوا على اختار الأصحاب، الذين يشكلون الفريق الذي سيساعدهم على إتمام مهمتهم بنجاح مثلما فعل رسول الله ﷺ، عندما جمع حوله خيرة الرجال وسمّاهم الأصحاب، قال تعالى:﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ﴾[الفتح: 29]، وقال الرسول ﷺ عن صاحبه أبي بكر: (إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتّخذت أبا بكرٍ خليلاً)[2]، فعلى عاتق هؤلاء الصحابة الكرام قامت دولة الإسلام ولا زالت قائمة إلى اليوم.

وسار على نهج النبي ﷺ أيمة المغرب الإسلامي، ففي إمامة بني مدرار كان لهذا الفريق دور محوري لأن عناصره تشكلت من القيادات القبلية، التي كانت تسيطر على إقليم سجلماسة، يقول ابن الخطيب: "ولما نزل عيسى بن يزيد بسجلماسة، بخيامه وماله ألفى بواديه قبائل ذات عددٍ من زناتة الصفرية...وكان عددهم يزيد على أربعة آلاف"[3]، وعندما نقموا عليه أزاحوه عن الإمامة وولّوا على أنفسهم أبا القاسم سمكو بن واسول.

أما الإمام عبد الرحمن بن رستم، فقد اختار صحبته من رجال وقيادات قبيلة نفوسة، التي رافقته في كل مراحل نضاله الذي بدأ من المغرب الأدنى، فأصبحوا رجال دولته وأهل مشورته الذين يعتمد عليهم

---

[1]- البيذق: **أخبار**، ص27.

[2]- الحديث صحيح، ينظر، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ﷺ رقم الحديث: 2382، ص-ص1854-1855.

[3]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص139.

في كل صغيرة وكبيرة، فحافظوا على مكانتهم عبر كل عصور الإمامة الرستمية، وقال عنهم ابن الصغير: "وكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق"[1]، وقال أيضاً متحدثاً عن الإمام أبي اليقظان: "كان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسة يعرف بعيسى بن فرناس وكان عندهم من الورع بمكان ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له ابن الصغير شأنه في الفقه"[2]، فقد أحاطت نفوسة بالأيمة الرستميين من البداية إلى النهاية، وشكّلت عصب الدولة وعمادها، قال أبو زكريا: "وكانت نفوسة لا تعدل بولايته (أبو اليقظان) إلاّ ولاية جدّه عبد الرحمن ﷺوكانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله، طائفة يصلون وطائفة يقرؤون القرآن وطائفة يتحدثون في فنون العلم"[3]، فعندما يكون الإمام جديراً بمنصبه، يصبح المقرّبون منه على استعداد للعمل من أجله.

ولقد تجلّت في الإمامة الإدريسية معاني الصحبة والوفاء للإمام والقائد، من خلال شخصية المولى راشد الذي كان له الفضل بإنقاذ الإمام إدريس مرّتين، المرة الأولى حينما استطاع أن يخرجه من المشرق ويصل به آمناً إلى قبيلته أوربة، والمرّة الثانية عندما أنقذ الدولة الإدريسية من الأفول بعد سنوات قليلة من قيامها يقول ابن الخطيب: "وعاد راشد إلى مدينة وليلي، فأخذ في جهاز إدريس ومواراته، ولم يكن لإدريس يومئذ ولد، إلا أنه ترك جارية بربرية اسمها كنزة مُقرباً بحملٍ منه تناهز الوضع، فجمع القبائل وأخبرهم بذلك فقالوا له: أيها الشيخ المبارك، تقوم بأمرنا كما كان إدريس يفعل فينا حتى تضع الجارية فإن وضعت غلاماً ربيناه وبايعناه تبركاً بأهل البيت بيت النبوءة وذرية الرسول ﷺ"[4]، وعندما ولد الصبي سماه راشدً إدريساً باسم أبيه، وقام بأمره وكفله وأحسن تأديبه، فأقرأه القرآن وأحفظه إياه لثمان سنين، وعلّمه السنة والفقه وأشعار العرب وأيام الناس وسير الملوك، ثم دربّه على ركوب الخيل وأحكام الرماية[5].

وبعد أن قُتِلَ المولى راشد، قام بإدريس أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي، فنشأ إدريس وترعرع فكان عالماً وفقيهاً وشجاعاً، واستطاعت الدولة أن تستمرّ بفضل تخطيط راشد، الذي تربى في بيت أحفاد الرسول ﷺ وعاش محنهم ومآسيهم، فتمرّس على ممارسة السلطة، بالإضافة إلى إيمانه ووفائه وهي صفات

[1]- ابن الصغير: **أخبار**، ص51.

[2]- نفسه، ص81.

[3]- أبو زكريا: **سير**، ص-ص147-148.

[4]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص-ص195-196.

[5]- نفسه، نفس الصفحة.

قلما تتوفر لأي إنسان[1]، ونستطيع أن نقول أيضاً إن المولى راشد، قد تعرض لعملية تدريب طويلة الأمد بفضل نشأته في محيط العلويين، مما مكّنه من التغلب على عوارض الأمور، بل ونجح في تكوين قيادات أخرى، ساهمت في بقاء الدولة الإدريسية، أمثال أبي خالد يزيد الذي اختاره المولى راشد إلى جانبه للإشراف على تربية الإمام إدريس الثاني.

أما الإمام عبد الله المهدي، فيبدو أنه جاء إلى المغرب متأثراً بسياسة الدولة العباسية، وهذا شيء طبيعي لأنه نشأ فيها وترعرع بين أجوائها، فبنو العباس عندما خافوا على كرسي الخلافة، أبعدوا العرب وقرّبوا الموالي والعبيد، وعيّنوا كبار خدمهم وخاصتهم في أكثر الولايات حيوية، كتوليتهم للخادم سبك المفلحي ولاية البصرة سنة 310هـ/922م، وعلى الموصل المولى فاتك سنة 285هـ/898م، وعلى بلاد فارس وولاية دمشق وولاية طرطوس وولاية مصر وولاية الحرمين الشريفين[2].

لذلك لم يأمن عبد الله على ملكه فقرّب الموالي وخاصة الصقالبة منهم، الذين جُلبوا بعد غزوات الجيش الفاطمي على جزيرة صقلية، فكان الأيمة الفاطميون يطلعونهم على الأسرار وما تضمنته التوقيعات، وما جرت به المشافهات، وعلى الرسائل الواردات عليهم من كل الجهات[3]، فقال الجوذري عن المكانة التي كانت للأستاذ جوذر الصقلبي عند الإمام عبد الله: "جرى بين رجال من أوليائه (عبيد الله المهدي) الكتاميين مشاجرات وشرور وخصومات بسبب قسمة السواقي، التي أقطعهم إياها وترافعوا في الشكوى والتخاصم إليه.. فلما وقف من تظلم بعضهم من بعض رأى .. إخراج أحد الثقاة من الصقالبة في الكشف عن صورة ما جرى بينهم والعودة إليه بصحة ما يقف عليه وما يظهر له من ذلك"[4]، فعبارة الثقاة في النص تدل على أن عبد الله استبدل الأصحاب، بموالي ثقاة تربوا على الخنوع والعبودية، فلا يمكنهم بأي حال من الأحوال التخلي عنه أو الغدر به.

وتطور هذا الأمر في عهد الخليفة المنصور، فعندما خرج الإمام لحرب أبي يزيد مخلد بن كيداد، استخلف الأستاذ جوذر على دار الملك وسائر البلاد وأعطاه مفاتيح خزائن المال، يقول الجوذري عن

---

[1])- سعدون نصر الله، المرجع السابق، ص95.

[2])- نورة بنت إبراهيم الدوسري: **خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العاسي الثاني**(232-656هـ/943- 1258م)، إشراف. لمياء بنت أحمد الشافعي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/2015م، ص-ص105-110.

[3])- الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، ص33.

[4])- نفسه، ص37.

عتق المنصور لجوذر: "كتب المنصور رقعة بخطه يقول فيها: يا جوذر أسعدك الله بطاعته...إنا قد أوجبنا على أنفسنا من العتق والصدقات وفعل الخيراتشكر الله عز وجل، على ما أنعم علينا من هذا الفتح العظيم...لكنا لم نجد في باب العتق عملاً ولا أقرب قرباناً عند الله عز وجل، من عتق رقبة مؤمنة طاهرة زكية مثلك فأنت حر لوجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم، وقد أعتقت جسمك وروحك في الدنيا والآخرة وسميناك تشريفاً بمولى أمير المؤمنين"[1]، كما أمر أن يكتبوا اسم جوذر على الطراز من أعمال العبيد الرقّامين بالذهب فيما يلبسه الأيمة وقال: "أكتب لهم يثبتوا في الطراز والبسط "مما عمل على يدي جوذر مولى أمير المؤمنين بالمهدية المرضية"[2]، هذه المكانة لجوذر فتحت الطريق أمام كل الصقالبة، وتمكنوا من الظفر بالمناصب الحساسة في الدولة، فكان منهم جوهر الصقلي قائد جيوش المعز لدين الله الفاطمي، الذي فتح مصر للفاطميين.

أما الإمام ابن تومرت، فقد استغل رحلة عودته في الدعوة إلى الإصلاح، وأيضاً جَمْعُ عددٍ من المؤيدين والأتباع والأصحاب، الذين كان في مقدمتهم عبد المؤمن بن علي، قال البيذق: "قال الإمام لعبد المؤمن: لا يقوم الأمر الذي فيه حياة الدين، إلا بعبد المؤمن بن علي سراج الموحدين"[3]،واستطاع أن يكوّن هيئة من عشرة أشخاص، تأسياً بالعشرة المبشرين بالجنّة، كانوا من خيرة أصحابه والسابقين إلى نصرته، واتبع معهم أسلوباً صارماً يسير وفق منهج تربوي علمي وروحي، فألف كتباً في التوحيد والعبادة توخى فيها أسلوباً ميسراً سهلاً، وألّف منها نظائر باللسان البربري، وقام بتحفيظ أجزاء من القرآن الكريم والحديث الشريف كل يوم إثر صلاة الصبح بنفسه، وعندما تكاثر الأتباع قسّمهم إلى مجموعات عشرية وكلّف بكل واحدة منها نقيباً من أصحابه النابهين، وكان يشدد عليهم فيها وأحدث تعازير قد تصل إلى الضرب بالسياط، مع هذا كان يأخذ أصحابه بتربية قوامها التزهُّد في متاع الدنيا والترغيب في ثواب الآخرة[4].

وكان أصحاب ابن تومرت أو أهل الجماعة بمثابة الوزراء للمهدي، فهم أهل ثقته ومشورته في الأمور العظام، وقد تولوا تنفيذ القرارات، فقد تولى البشير في أغلب الأحوال وعبد المؤمن وعمر أصناج وموسى بن تمارا القيادة العسكرية، وسليمان الحضرمي الكتابة، وإسماعيل الهزرجي القضاء، ومسى بن

[1]- الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، ص، ص44، 51.

[2]- نفسه، ص52.

[3]- البيذق: **أخبار**، ص16.

[4]- عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي بن تومرت، المرجع السابق، ص-ص115-117.

تمارا أمانة الجماعة ومحمد بن سليمان الإمامة في الفرائض عن إذن المهدي، وأيوب الجدميوي تقسيم الإقطاع بين الموحدين في أيامهم الأولى[1]، فكان يُحَضِّرُهُمْ جميعاً للقيادة بعده، لولا أن معظمهم توفي معه في معاركه ضد المرابطين ولم يبق غير نصف عددهم، لكن استطاع من بقي منهم توطيد أركان دولة عظمى لا تزول بسهولة، وتمكّن عبد المؤمن بن علي وأبناؤه من تحقيق حلم الإمام محمد بن تومرت ببناء دولة مزدهرة، اتسمت بالتوسع والعمران والرفاه المادي والنهوض الثقافي والفكري.

**3- أهمية الخطاب السياسي في عملية الإقناع:**

وبعد هذه المرحلة عمد الأيمة إلى الاتصال المباشر برعيتهم، ولم يتأت ذلك إلا من خلال الخطابالذي وجهوه إليهم، والذي يوضّح فيه الإمام سياسته الداخلية والخارجية، ويضع فيه رؤيته المذهبية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

لذلك تضمنت رسالة الإمام أفلح بن عبد الوهاب إلى رعيته، أهم محاور سياسته التي يعتزم اتباعها أيام حكمه، فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من أفلح بن عبد الوهاب، إلى من بلغه كتابنا هذا من المسلمين، فالحمد للّه الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بمحمد عليه الصلاة والسلام...ثم أمر اللّه تعالى بالجهاد في سبيله، والقيام بحقه والأخذ بأمره، والانتهاء عما نهى عنه، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوف والقيام مع المظلوم، والقمع للظالمين... وعليكم بتقوى الله واتباع آثار سلفكم فقد سنوا لكم الهدى وأضحوا لكم طريق الحق...فمن ترك آثار سلفكم الصالحين واتبع غير سبيلهم، فقد أحلّ بنفسه الهلكة ووجب عليكم القيام عليه والبراءة منه...واعلموا أن الله قد أوجب عليكم أن تقوموا لله بالعدل في عباده وبلاده...وجعل لكل زمانٍ رجالاً تسند إليهم الأمور، ويأمرون فيطاع أمرهم ويدعون فيجاب نداؤهم...ثم أحذركم أهل البدع الذين لم يعرفوا حقاً فيتبّعوه..."[2]، فمن خلال هذه الرسالة بيّن الإمام أفلح سياسته في الحكم، التي تقوم على الامتثال لحكم الله وشريعته والجهاد في سبيله، وفرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقيام بالعدل، كما لم يغفل الإمام عن تذكير الناس بمذهبهم الإباضي، ودعاهم إلى البراءة والقيام على أولئك الذين تركوا آثار سلفهم الصالحين، فهو يعلن من رسالته هذه أنه سيكون حازماً ضد كل من تسوّل له نفسه المساس بالمذهب الإباضي، وفي النهاية دعاهم إلى السمع والطاعة لمن أسندت إليه أمورهم.

---

[1])- عز الدين عمر موسى، المرجع السابق، ص-ص69-70.

[2])- الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ص-ص269-271.

وكانت دعوة الإمام إدريس الأكبر إلى المغاربة، كالآتي: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوءِ لمن عانده...أما بعد فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإلى العدل في الرعية والقسم بالسوية ورفع المظالم والأخذ بِيَدِ المظلوم، وإحياء السنة وإماتة البدعة وانفاذ حكم الكتاب على القريب والبعيد، واذكروا الله في ملوك غيّروا، وللأمان خفروا وعهد الله وميثاقه نقضوا ولبني بيته قتلوا، وأذكركم الله في أرامل احتقرت، وحدود عطلت وفي دماء بغير حق سفكت، فقد نبذوا الكتاب والإسلام، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله على أهل طاعته، المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد وباللسان...واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم، وأنا المظلوم الملهوف الطريد الشريد، الخائف الموتور الذي كثر واتره، وقلّ ناصره وقتل اخوته وأبوه وجده واهلوه، فأجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله...وأنا إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عم رسول الله ﷺ، ورسول الله وعلي بن أبي طالب جدّاي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيّار في الجنة عمّاي، وخديجة الصديقة وفاطمة بنت أسد الشفيقة جدّتاي، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ وفاطمة بنت الحسين سيد ذراري النبيئين أمّاي، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواي ومحمد وإبراهيم ابنا عبد الله المهدي والزاكي أخواي...وصلى الله على محمد وآله وسلم"[1]، وجّه إدريس هذا الخطاب إلى البربر، وضمنّه الخطوط العريضة لسياسته في الحكم، التي ستكون وفق أحكام الكتاب والسنة، ودعا إلى العدل والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة وإماتة البدعة.

ثم دعاهم إلى الوقوف معه وجهاد العباسيين أعداءه باليد واللسان، وهو يشير في هذا الموقف إلى محمد بن عبد الله أخيه، الذي بويع له قبل أبي جعفر المنصور، فخرج عليه أبو جعفر رغم قيامه للإمامة، وبايع مالك بن أنس وخيار الأمة محمداً، وأفتى مالك بجواز الخروج معه لأن بيعته كانت في عنق الأمة[2]، ثم أنهى رسالته بذكر سلسلة نسبه، ليؤكد على مشروعيته في الحكم، الذي اغتصبه العباسيون.

أما خطاب عبد الله المهدي فكان سنة 297هـ/910م، بعثه من رقادة لِيُقْرَأَ على منبر القيروان ووجّه نسخاً منه إلى كل النواحي في المغرب الإسلامي، قال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ربّ العالمين، من عبد الله ووليّه أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، إلى أشياعه من المؤمنين وجميع المسلمين، أما بعد...وأنجز جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه، وعده لرسوله ﷺ فردّ إرث النبوة ومقاليد الإمامة

---

[1]- علال الفاسي وآخرون، المرجع السابق، ص-ص18-22.

[2]- نفسه، ص31.

إلى عترة نبيه، وأعزّ الدين والمؤمنين وأيّدهم وأنقذهم من الهلكة، في كل سكون وحركة بعبد الله ووليّه أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، وأظهر بحجة الإسلام وجماله بقيامه وأخذه تراث جدّه النبي ﷺ وأبيه الوصيّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ...وكل من قدح بزنده وأحطب في حبله فمحكوم له بالنصر ومقضيّ له بالظفر، وكل من نكب عنه وخان أمانته ونقض عهده، فقد باء بغضبٍ من الله في الخلاف عليه...وجَدِّدُوا الشكر لله على ما منحكم من رأفة أمير المؤمنين، ورحمته وتعاهده لأموركم وتغمّده لكم فإن الشكر أحرس حفيظة لملابس نعمه، وأحفظ أَمَنَةٍ لفواضل مننه وأبعث مستمداً لمؤتنف صنعه ومواد مزيده"[1] وهكذا بدأ المهدي رسالته بالاحتجاج لأحقِّيّة أهل البيت بإرث الرسول ﷺ، رغم ما ثار حول مسألة نسب الفاطميين، فقد أكّد عبد الله أنه عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[2]، وهو إعلانٌ لقيام نظامٍ سياسي جديد، يقوم على شرعية النسب المتصل بالرسول ﷺ، ودعاهم للامتثال والطاعة الغير مشروطة، ووعدهم بالقيام بشؤونهم وإصلاح أمورهم، وذلك بتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

ولما وصل الإمام محمد بن تومرت إلى قبيلته، واستوثق من منعة موضعه في إيجليز، جلس تحت شجرة الخروب، وبايعه أصحابه الذين تقدمّهم عبد المؤمن بن علي[3]، فقام فيهم خطيباً، وقال: "الحمد لله الفعال لما يريد، القاضي لما يشاء، لا رادّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وصلى الله على سيدنا محمد المبَشِّرُ بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل وأزيل العدل بالجور، مكانه المغرب الأقصى، وزمنه آخر الزمان، واسمه اسم للنبي عليه الصلاة والسلام ونسبه نسب النبي صلى الله تعالى وملائكته الكرام المقربون عليه وسلم، وقد ظهر جور الأمراء، وامتلأت

[1]- إدريس عماد الدين: **عيون الأخبار**، 5/171-172.

[2]- وقال سائر الناس، إنه دعيٌّ وإن انتسابه للطالبيين دعوة باطلة، وذكروا عن أبي القاسم بن طباطبا العلوي أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو ما عبيد الله الشيعي منّا ولا بيننا وبينه نسب، قال مقاتل: هو عبيد الله بن محمد بن عبد الرحمن البصري، وقد فضح القاضي أبو بكر الباقلاني نسبهم في كتاب "كشف الأسرار وهتك الأستار" وذكر أنهم قرامطة، وأن أبا عبد الله الشيعي أحدث لهم هذا المذهب ونسبهم، ينظر، ابن عذاري: **البيان**، ج1، ص188، ويذكر ابن النديم أن عبد الله بن ميمون، ويعرف بميمون القداح وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز، وأبوه ميمون الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالميمونية، التي أظهرت اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب، الذي دعا إلى إلاهية علي بن أبي طالب ﷺوكان عبد الله يظهر الشعابيذ ويذكر أن الأرض تطوي له، فيذهب إلى أين أحب في أقرب مدّة، وكان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان في البلدان الشائعة، ينظر، ابن النديم: **الفهرست**، ص264؛ وانظر ابن خلدون فإنه يؤكد النسب، 6/301.

[3]- البيذق: **أخبار**، ص34.

الأرض بالفساد، وهذا آخر الزمان، والاسم الاسم، والنسب النسب، والفعل الفعل"[1]، حمل هذا الخطاب رسائل مهمة، لأناسٍ ومجتمعٍ لازال يحتفظ ويقدِّس أيام الأدارسة، ويعطي للنسب النبوي مكانة ووزناً، لذلك خاطبهم ابن تومرت بلغة يفهمونها، وانتسب للنبي ﷺ حتى يعطي لنفسه الشرعية، بأن يقودهم ويتقدّمهم، في ثورة لتغيير نظام الحكم، الذي يراه ظالماً وفاسداً.

وبهذا كانت الخطابات عبارة عن المضمون أو الفكرة، التي يرسلها المرسل إلى متلقٍ، وتعد من أقوى أدوات الاتصال، لأنها تعكس طرق الحياة الخاصة بكل مجتمع، ودرجة تقدمه أو تخلّفه، كما تعكس الميراث الثقافي والتاريخي والقيم والمعتقدات، وتمثل الإدراك المشترك بين المرسل والمستقبل، فتسهل عملية الاتصال، وتُشْعِرَ المستقبل بالدفء والانتماء لصاحب الرسالة، فهي وسيلة تفاهم مشتركة وتعد من أقوى أواصر الصلة بين أبناء المجتمع الواحد، ومن ثمة فهي عامل مؤثر بشكل فعال على الرأي العام، إذا أحسن المرسل توظيفها[2]، وقد أحسن أيمة المغرب الإسلامي توظيف خطاباتهم، فكيّفوا محتواها بحسب سياساتهم، واستعملوا الخطاب الديني الذي لاءم تلك المرحلة من تاريخ المغرب الإسلامي.

**ثالثاً: دور القبائل البربرية في إنجاح مشروع دولة الإمامة في المغرب الإسلامي:**

إن قيمة وأهمية دراسة دور القبائل البربرية، في إنشاء الدول في المغرب الإسلامي، تكمن في إبراز مكانة هذا الدور، هل كان دوراً محورياً أم ثانوياً؟ وما نوع هذا الدور؟ هل كان سياسياً أم عسكرياً أم مذهبياً؟

فاللافت للنظر من أوّل وهلةٍ، هو أن جميع قبائل البربر في المغرب الإسلامي، قامت بأدوارٍ مهمة في حياة الدول، وساهمت بنسبةٍ كبيرة في إنجاحها، قد تختلف من حيث الأهمية لكنها أثّرت تأثيراً إيجابياً في عملية التحوُّل والتغيير، فعلماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان، وهما برنس وماذغيس ويلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر، ويقال لشعوب برنس البرانس[3]، وحتى نصل إلى تحليل مفصّلٍ ومُقْنعٍ عن مساهمة القبائل البربرية، في البناء السياسي للمغرب الإسلامي سنبدأ بالبربر البتر لأنهم كانوا سبّاقين لحمل راية الثورة والمعارضة في المغرب.

[1]- ابن القطان: **نظم الجمان**، ص-ص124-125.

[2]- محمود عكاشة: **لغة الخطاب السياسي**، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 1426هـ/2005م، ص-ص24-25.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، ج6، ص117.

ويَجمع بنو ماذغيس الأبتر أربعة أجذام، أداسة ونفوسة وضريسة وبنوا لوا الأكبر، وكلهم بنو زحيك بن ماذغيس[1]، وبعد أن اندمج نسب بنو أداسة في هوارة البرنسية[2]، بقيت نفوسة وضريسة وبنوا لوا الأكبر في نواحي طرابلس وسميت في المصادر القديمة بالقبائل الليبية، هذه القبائل لم تنس يوماً انتماءها الأزلي لأرض شمال إفريقيا، ولم يستطع أي احتلال إخضاعها أو السيطرة عليها، فهذا الإمبراطور البيزنطي جستنيان[3] يقول لقائده يوحنا تروقلينا عن ثورة القبائل الليبية: "...والآن استمع إليّ لتعرف أسباب تصرفاتي واجعلها في خاطرك على الدوام، إن إفريقيا المسكينة ترزح تحت وطأة العديد من الأخطار ويتردد صدى صرخاتها في مسمعي، والواجب يدفعني إلى مدِّ يد المعونة لهذه الأرض المنكوبة، لقد اتخذتُ قراري أيها القائد الشجاع، فأنت قادر على معالجة الأمور في ليبيا، هلمّ بتحريك جيوشك وأعلامك وسارع إلى السفن، وعندما تصل عليك أن ترفع الغبن عن إفريقيا بما عُرِفَ عنك من شجاعة وأخضع بسلاحك المتمردين من اللواتيين (Languantan)، واجعلهم يحنون أعناقهم الذليلة تحت أقدامنا بشجاعتك"[4]، وعندماوصل الجيش البيزنطي إلى بيزاسيوم[5]، وفد على القائد البيزنطي رسل القبائل الليبية وسمح لهم بدخول خيمته، فقالوا: "إن قائد الشعوب اللواتية طلب منا أن نسألك: أنت يا يوحنا...أنت الذي كنت القائد الثاني على شواطئنا، وكنت يوماً ما حامي الرمال على طول البحر، هل تعرف كم عدد جنود سليمان (Solomon)[6]، الذين سقطوا في تلك الحرب الضارية، وكيف امتلأت الأنهار بجثث القوات الرومانية إبان تلك المذبحة، وكم عدد رجالك الذين أفنتهم المعارك فوق الحقول، ألم تسمع بذلك الدمار الذي لحق بقائدك في تلك الحروب، هل تتجاسر الآن على مهاجمة أمم لا تقهر؟ ألست تعرف بأس لواتة في الحرب..."[7]، فكان هذا مثالاً ودليلاً على أن قبائل المغرب الإسلامي قبل الفتح، كانت قد

[1]- ابن خلدون: **العبر**، ص118.

[2]- نفسه، ص119.

[3]- إمبراطور الجزء الشرقي من الأمبراطورية الرومانية (527-565م)، أهم إنجازاته تجميع القانون الروماني، ينظر: إسمت غنيم، **إمبراطورية جستنيان**، دار المجمع العلمي، جدة، 1397هـ-1977م، ص، ص6، 71.

[4]- فلقيوس كريسكونيوس كوريبوس: **ملحمة الحرب الليبية الرومانية**، تر. محمد الطاهر الجراري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1988م، ص-ص27-28.

[5]- منطقة بجنوب قرطاج في تونس الحالية.

[6]- قائد الجيوش البيزنطية في إفريقيا، ينظر، فلقيوس كوريبوس: **ملحمة الحرب الليبية**، ص40.

[7]- نفسه، ص-ص39-40.

قد بدأت بتكوين مجتمعٍ خاصٍ بها، حيث تعرف القبائل بعضها البعض، بل وتتناصر وتجتمع في اتحاداتٍ ضد أي هجومٍ خارجي.

**1- مكناسة**

وقد لا يختلف اثنان في أن الحاضر أساسه الماضي، والقبائل التي حاربت الرومان والوندال والبيزنطيين، حاربت أيضاً المسلمين لأنها كانت تجهل الإسلام، وعندما أسلمت ثارت على الظلم وسوء استخدام السلطة، واعتنقت مذاهب جديدة جاءت من الشرق الإسلامي، واستطاعت أن تكوّن تلك العصبية التي تقوم عليها الدولة الجديدة في العصر الوسيط، فكانت قبيلة مكناسة أول قبيلةٍ بربرية تعلن تأسيس دولة تقوم على المذهب الصفري في المغرب الأقصى، ومكناسة هم أبناء ورصطف بن يحي بن ضري(ضرية) بن زحيك بن ماذغس الأبتر، كانت مواطنهم الأصلية بالمغرب الأدنى في نواحي طرابلس لكنهم رحلوا عنها قبل الفتح الإسلامي لظروف نجهلها، يقول ابن خلدون عنهم: "وكانت مواطنهم على وادي ملوية من لدن أعلاه سجلماسة إلى مصبه في البحر، وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول"[1].

وبعد الفتح عبرت منهم شعوب إلى الأندلس، حتى كان منهم من شارك في الحياة السياسية ودعا لنفسه بالإمامة فكانت بينه وبين عبد الرحمن الداخل حروب، يقول ابن خلدون فيهم: "وكانت لهم بالأندلس رياسة وكثرة"[2]، فكان هذا دافعاً قوياً للمكناسيين لتأسيس دولتهم بسجلماسة، وقد أظهر ابن خلدون المكانة والسلطة التي كانت تتمتع بها مكناسة في الدولة المدرارية بحيث اختطوا مدينة سجلماسة سنة 140هـ/707م، واختاروا عيسى بن يزيد الأسود وولوّه عل أنفسهم، وعندما سخطوا عليه قتلوه سنة 155هـ/771م، ولم يتوقف دور مكناسة عند هذا الحد، بل استمر إلى نهاية الدولة الفاطمية، فكان من رجالاتهم مصالة بن حبوس، الذي اتصل بعبيد الله الشيعي، فكان من أعظم قوّاده وأوليائه، وولاّه تيهرت فضمّ المغرب الأقصى للدولة الفاطمية[3].

وأصبحت مكناسة تهيمن على أرياف المغرب الأقصى وصحرائه، حتى أنها نجحت في إقامة دول في المغربين الأقصى والأوسط، وهي إمارة موسى بن أبي العافية بتازا وتسول، وإمارة بني واسول في

[1])- ابن خلدون: **العبر**، 170/6.

[2])- نفسه، ص171.

[3])- نفسه، نفس الصفحة.

سجلماسة، وإمارة مصالة بتاهرت، هذه الأخيرة كانت تابعة للدولة الفاطمية وهي منحة وهبة للمكناسيين ردا على تعاونهم مع السلطة العبيدية[1].

**2- نفوسة**

أما قبيلة نفوسة فواحدة من أكبر قبائل البربر البتر وأوسعها، فهي تنسب إلى نفوس بن زحيك بن مادغيس الأبتر،وهي بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها[2]، وكانوا من أعظم القبائل البربرية عددا وقوة، ومن أحيائهم المعروفة بنو زمور، وبنو ماطوسة، وبنو مسكور.[3]

يقول اليعقوبي عن نفوسة "ومن أطرابلس إلى أرض نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلهم لهم رئيس يقال له إلياس[4] لا يخرجون عن أمره ومنازلهم في جبال أطرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرة لا يؤدون خراجا إلى سلطان ولا يعطون طاعة إلا إلى إمام لهم بتاهرت وهو رئيس الإباضية يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فارسي"[5]،وذكرت نفوسة في بداية الفتح قرب صبراطة جنوب افريقية، وتسمى الجبل الواقع بين جبلي دمّر وغريان باسمها وتولت أكثر من مرة قيادة القبائل المناهضة لسلطة الخلافة، خلال القرن الثاني للهجرة[6] بالإضافة لاعتناقها المذهب الإباضي، الذي وجدت فيه ضالتها.

وفي عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن، اعتمدت السلطة كليا في سياستها الداخلية والخارجية على عصبية نفوسة، التي أصبحت المحرك الأساسي للحكم وقد وقع بواسطتها الانتقال من مجتمعات قبلية إلى مرحلة الملكية المتطورة، وكانت الحركة النكارية التي قامت في بداية حكم الإمام عبد الوهاب محاولة للرجوع إلى المجتمع البدائي، ورفضا للسلطة الأرستقراطية الناشئة في تيهرت، وفي هذه الفترة شلت نفوسة جهاز السلطة المركزية على كل المستويات، فشاركت في محاربة القبائل البدوية المعتزلة التي أصبحت مهمشة بالنسبة للعاصمة تيهرت، كما حاربت مِنْ قَبْلِ النكار وتغلبت عليهم[7].

---

[1]- بوزياني الدراجي، **القبائل الأمازيغية** (أدوارها – مواطنها – وأعيانها)، ج1، ط4، د.د.ن، دب، 2010م، ص118.

[2]- ابن خلدون، **العبر**، ص149.

[3]- بوزياني الدراجي، القبائل الأمازيغية، المرجع السابق، ص440.

[4]- هو إلياس أبو منصور النفوسي، كان والياً على نفوسة من قبل الإمام أبي اليقظان، انظر، أبو زكريا: **سير**، ص-ص149-150.

[5]- اليعقوبي، **البلدان**، ص-ص184-185.

[6]- محمد بن حسن، **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط**، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م، ص134.

[7]- نفسه، ص150.

قال ابن الصغير: "والذي أعرف من أسمائهم على ما حدّثني به أهل المعرفة، أن فرقة منهم... يسمون أيضا بالعسكرية، وهم أهل العسكر وجلّ من كان عندنا في البلد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم" فالعسكرية إذن هم حماة الدولة الرستمية والإباضية، ولا أدّل على ذلك من قول الإمام عبد الوهاب "إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مُزاتة" فنفوسة كانت جند وعسكر الإمامة الرستمية[1].

وأُضِيفَ إلى الدور العسكري لنفوسة، دور سياسي وإداري داخل المدينة، فتحكمت الفئة النفوسية في تيهرت واستولت على السلطة الحقيقية في عهد الإمام عبد الوهاب، وكانت تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق، وبالموازاة مع ذلك انتعشت الحياة الاقتصادية والتجارية[2].

وتبعا لهذا شهدت نفوسة تحولا تدريجيا في نمط حياتها وإنتاجها، منتقلة من حياة الانتجاع المعتمدة على ملكية الماشية وملكية الأرض، إلى كسب الثروات والحصول على فائض مالي من التجارة الخارجية ومن الوظائف الإدارية والعسكرية[3]،أما عن المجال الجغرافي لقبيلة نفوسة، فقد شكل ارتحال قبائل قبائل المنطقة الطرابلسية خاصة الى المغرب الأوسط، ظاهرة ميزت بدايات القرن الثاني للهجرة، وفي سنة 155هـ/771م قتل أبا حاتم الملزوزي إمام الدفاع في طرابلس، وقُضِي على ثلاثين ألفا من البربر، فكان هذا أقوى سبب في حركة الهجرة من نفوسة ومن هوارة ومن قبائل أخرى فرارا من سلطة يزيد بن حاتم المهلبي[4].

بالإضافة إلى هذا تزايد النمو الديمغرافي في جبل نفوسة، وتعاقب الازمات والمجاعات الدورية الناتجة عن نقص الإنتاج، الذي دفع القبيلة نحو البحث الدائم عن مناطق رعوية جديدة، وأيضا رفض دفع الضرائب للسلطة المركزية، كل هذه العوامل دفعت بالقبيلة إلى الخروج من جهة طرابلس في اتجاه تيهرت والمغرب الأوسط ابتداءً من القرن الثاني[5]، فجاءت نفوسة وهي تحمل معها تنظيمها السياسي

---

[1]- ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص37-38.

[2]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص150.

[3]- نفسه، ص151.

[4]- ابن الصغير، **أخبار**، ص20.

[5]- محمد بن حسن، المرجع السابق، ص139.

والاقتصادي والثقافي، لذلك فرضت هيبتها على القبائل الأخرى، وكانت اليد الحديدية لعبد الرحمن بن رستم، فسكنت مدينة تيهرت واستقلت بأحياء داخلها.

ولما توسع عمران تيهرت وكثر سكانها، وبنيت الدور والقصور والحصون خارج أسوارها، بنت نفوسة العدوة التي تتسمى بها .. وبعد الفتن التي مرت بها الدولة الرستمية عهد الإمام أبي بكر بن أفلح ومن جاء بعده، شيّدت نفوسة في عدوتها حصنا تعلوه أبراج[1].

## 3- أوربة

أما جذم أو فرع البرانس فيمتاز بالكثرة وسعة الانتشار، كما تميز بالاستقرار للزراعة والعناية بالغراسة، وتربية الفصائل الجيدة من المواشي، خاصة بما حباهم الله من تربة طيبة وأرض صالحة وأمطار وفيرة، وساعدهم تنوع البيئة وقربهم من السواحل على الاهتمام بغير الزراعة، فاشتهروا بالغنى وبالثروة الطائلة، وبرقي المستوى الحضاري نتيجة موارهم الداخلية، ومصادر الخارجية من الاسهام في حركة التجارة مع غيرهم، وبين فرع البرانس ظهرت محاولات مبكرة غايتها تكوين أنظمة سياسية في المغرب الإسلامي، وقد أدركت أوربة وكتامة وصنهاجة ومصمودة، مجداً سياسياً عريضاً في ظل الإسلام، سواء بتكوينها لإمارات مستقلة، تنتظم حول قاعدة سياسية وأمير وطني، أو بموالاتها للحركات السياسية والمذهبية[2].

أدت أوربة دوراً سياسياً باكراً في بلاد المغرب الإسلامي، واستطاعت أن تترأس تحالف القبائل البدوية الناقمة على سياسة الفاتح عقبة بن نافع، ووجدت لهذا التحالف دعماً من جيوب المقاومة البيزنطية، إن لم تكن هي المحرك الرئيسي لهذا الدور، ويمكن أن نقول إن هذا الحلف نجح في أن يؤخر من جديد عملية التثبيت النهائي للإسلام بين قبائل المغرب الأوسط.

يعود نسب أوربة إلى أورب بن برنس، وقد تفرعت إلى بطون كثيرة منها بجاية ونفاسة ونجد وزهكوجة ومزياتة ورغيوتة وديقوسة[3]، يقول عنهم ابن خلدون: "وكان التقدم لعهد الفتح لأوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عدداً وأشدّ بأساً وقوةً...وكان أميرهم بين يدي الفتح ستردير بن رومي بن بارزت بن بزريات وليّ عليهم مدّة ثلاث وسبعين سنة، وأدرك الفتح الإسلامي ومات سنة إحدى وسبعين، ووليّ عليهم من

---

[1])- عبد القادر دحدوح، تاهرت – تاقدمت معطيات ميدانية ورؤية جديدة، دراسات في آثار الوطن العربي، (جامعة منتوري قسنطينة)، الجزائر، ع9، 2007، ص679.

[2])- موسى لقبال، المرجع السابق، ص67.

[3])- ابن خلدون: **العبر**، 192/6.

بعده كسيلة بن لزم الأوربي، فكان أميراً على البرانس كلهم"[1]، ونظراً لهذه المكانة التي تمتعت بها أروبة بين القبائل البرنسية، كان مجالها الجغرافي واسعاً فقد امتدّ من تهودة[2] مروراً بالاتجاه غرباً فيما وراء المنحدرات الجنوبية (لما يعرف اليوم بالأطلس الصحراوي)، حيث المغرب الأوسط كان مسرحاً طبيعياً لهؤلاء البرانس فكان حد تواجد القبيلة الجغرافي غرباً قد تجاوز تلمسان، إلى المغرب الأقصى الذي كان البرانس كلهم من المرتادين عليه ذهاباً وإياباً[3].

وبعد أن حققّ كسيلة انتصارات ثمينة على جيوش المسلمين، واستولى على القيروان مدة خمس سنين، أرسل عبد الملك بن مروان زهير بن قيس البلوي والياً على إفريقية، فجهزّ الجيوش وخرج لقتال كسيلة سنة 67هـ/686م، فانهزم البربر وقتل كسيلة[4]، فتفرقت أوربة إلى ثلاثة أقسام، قسم اتجه إلى الشمال حيث جبل الونشريس، وقسم استقرّ بساحل شرق المغرب الأوسط في بونة (عنابة)، وقسم ثالث نعتبره أقوى وأكثر أفراداً من القسمين السابقين، والوحيد الذي ينطبق على تحركه وتنقله مفهوم الهجرة الاصطلاحي، حيث تجاوز إطار المغرب الأوسط إلى إطار آخر هو المغرب الأقصى، أين سيتخذ من وليلي وطناً جديداً له[5]، فقبائل المغرب الأقصى تعرف أوربة ومكانتها، لذلك كان الاندماج معها ممكناً، فلم تذكر المصادر أي ردةِ فعلٍ من القبائل المستوطنة للمغرب الأقصى، على وجود أوربة في منطقة وليلي.

ومما يدل على اختصاص قبيلة أوربة، بدور ريادي في تشكيل العصبية الحاضنة للدعوة الإدريسية هو اتفاق المصادر على استقبال أوربة له، يقول ابن أبي زرع: "جمع عبد الحميد اخوانه وقبائل أوربة فعرفهم بنسب إدريس وفضله وقرابته من رسول الله ﷺ، وشرفه وعلمه وكمال خلال الفضائل المجتمعة فيه"[6]، فضمن إدريس الأكبر بعصبية أوربة كقبيلة قامت على أكتافها دعائم دولته، استقرارا سريعاً منقطع النظير، إذ أن غزواته التي قادها تميزت بالبأس الشديد، مما يدلُ على قوة واستحكام عصبية الملك

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 192/6-193.

[2]- موضع بناحية إفريقية، جنوباً حيث أطراف الصحراء، ينظر، الحموي، **البلدان**، ص64.

[3]- ابن خلدون، **العبر**، ص193؛ وانظر، قادة سبع: هجرة قبيلة أوربة البربرية من المغرب الأوسط (المواطن، الملابسات، والنتائج)، مجلة عصور، جامعة أحمد بن بلة، وهران، مج.10، ع1، 2011/06/30، ص-ص161-162.

[4]- ابن خلدون، **العبر**، ص194.

[5]- نفسه، نفس الصفحة؛ وانظر، قادة سبع، المرجع السابق، ص162.

[6]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص-ص19-20.

من قبيلة قوية ذات بطون كثيرة، استطاعت أن تقود حلفاً من القبائل الأخرى، سواء المستقرة أو الظاعنة وجاءته بعد ذلك قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر منهم زواغة، زواوة، لماية، لواتة، سدراتة، غياثة، مكناسة، وغمارة فبايعوه ودخلوا في طاعته، ثم سار ومعه أوربة لدعوة القبائل الأخرى التي لم تدخل في بيعته، من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية، وهدم معاقلهم منها حصون لبني لاوة وحصون مديونة وبهلولة وقلاع غياثة وبلاد فازان، ثم رجع إلى وليلي، ليعود للزحف على تلمسان وما بها من قبائل مغراوة ويُثَبِّتُ عليها أميرهم محمد بن خزر[1]، لنخلص في الأخير إلى أن إدريس الأكبر لم يكن ليصل إلى ما وصل إليه لولا قبيلة أوربة، التي وضعت تحت تصرفه كل معارفها وخبراتها ليستفيد منها في إخضاع القبائل البربرية في المغرب الأقصى والأوسط.

**4- كتامة**

أما عن حاملة لواء الدولة الفاطمية كتامة، يقول عنها ابن خلدون: "هذا القبيل من قبائل البربر بالمغرب وأشدهم بأساً وقوةً، وأطولهم باعاً في الملك عند نسابة البربر من ولد كِتام بن برنس، ويقال: كتم...موطنين بأرياف قُسَنْطِينَة إلى تخوم بجاية غرباً، إلى جبل أوراس من ناحية القبلة"[2]، لقد كانت قبيلة كتامة عصبية الدولة الفاطمية وأساس ظهورها، فعلى أرضها نمت الحركة الإسماعيلية وعلى سواعد أبنائها قامت الخلافة الفاطمية، على حساب الأنظمة السياسية والمذهبية في إفريقية وبلاد المغرب، وقُضِيَ على كثير من الفتن والثورات، وتعاون دعاتها وجندها على نشر المذهب الإسماعيلي بكل همة ونشاط[3]، وهو ما أكسبها مكانة مميزة بين قبائل المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

وكانت جيملة الكتامية القاعدة القبلية التي اختيرت لإقامة الدولة، لكونها تتميز بالبأس والشدّة والثراء، فالحجاج الذين رافقوا أبا عبد الله من مكة إلى بلادهم، كان من بينهم جيمليان هما: موسى وحريث، أما الذي استقبل الداعي عند وصوله ونزل عنده فهو أبوعبد الله علي بن حمدون بن سماك الجذامي الأندلسي، الذي تربطه علاقة مصاهرة مع ذات القبيلة، كما أن لجيملة السبق في اعتناق المذهب واحتضان دعاته، وأيضاً في حمل السلاح للتمكين للمذهب، فالداعي أبو عبد الله الشيعي استقرّ عند فرعٍ من فروعها وهم بنو سكتان، فكانت جيملة النواة التي كوّنت الجهاز العسكري الفاطمي

---

[1]- ابن أبي زرع، **الأنيس**، ص-ص20-22؛ وانظر، يزير بشير: قبيلة أوربة وجدلية نشوء وارتقاء السلطة في بداية العصر الوسيط (ق2هـ/8م)، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مج.4، ع8، جوان 2017، ص301.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 195/6.

[3]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص434.

في بلاد المغرب، فجيملة تتوفر على عوامل النجاح وأراضيها تصلح للعمل الدعوي، كما تصلح للعمل العسكري بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة، ولأنها تقع على طرف بلاد إفريقية، فهي بعيدة عن قلب الإمارة الأغلبية وفي ذات الوقت تقع على طرفها ومن القرب منها، وهو ما يجعلها صالحة كقاعدة انطلاق نحو القلب، هذا إلى جانب ما تتوفر عليه من ثروات اقتصادية تساعد على تجهيز الجيش[1].

وتماشياً مع حراك كتامة نظّم المهدي عبد الله إدارة جيشه، فدوّن الدواوين وكان ديوان الجند هو الديوان الوحيد الذي أسند إلى كتامي، لأن الجيش كان كتامياً في معظم عناصره، والشخص الذي أسندت له رئاسة هذا الديوان هو عبدون بن حباسة[2]، واستطاع بفضل هذا الجيش إخضاع كل المغرب الإسلامي لسلطة الدولة الفاطمية.

وقد أظهر القاضي النعمان مكانة كتامة، عند الفاطميين في كتاب المجالس والمسايرات، فقال: "سمعت الإمام المعز لدين الله صلوات الله عليه يوماً، وقد قَرُبَ عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال لشهود العيد، فقيل له: يا أمير المؤمنين، يتساربون[3] وقد غصّ القصر بهم، فقال: بارك الله فيهم وكثّر أعدادهم، فما أسرَّني بهم وباحتفالهم، وما أحبّ إليّ أشخاصهم وأزين في عيني مناظرهم، ثم نظر إلي وقال: أرأيت مثلهم في بهائهم وجمال مراكبهم وحسن مناظرهم، أما إني ربما أقول في نفسي إذا أعجبني ذلك منهم، إن ذلك لفرط محبّتي لهم"[4].

ثم ذكر المعز لدين الله دور كتامة في إخماد ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، بقوله: "هم والله الذين أذاقوهم طعم الموت وأحلّوهم محلّ الذلّة وأخرجوهم قصراً بظُبَى السيوف وحدِّ الرِّماح، حتى ألحقوهم بقُنن الجبال في أطراف البلاد، ثمّ استنزلوهم منها قسراً وأبادوهم قتلاً بنصر الله لوليّه وبركة مقامه.. وطاعتهم له وصبرهم معه"[5]، فهذا الارتباط الوثيق الذي كان بين كتامة والدولة الفاطمية في بلاد المغرب لا يفسره سوى أنه كان أثراً لكل ما فعله الداعي عبد الله بكتامة، فقد استطاع أن يغرس في الكتاميين حب المذهب الإسماعيلي والإيمان بحق أبناء علي ﷺ في الخلافة.

---

[1]- بوبة مجاني، من قضايا التاريخ الفاطمي، المرجع السابق، ص81.

[2]- نفسه، ص-ص85-86.

[3]- من السَّرْبْ، جمعه أسراب وهو الجماعة من الطير، أي أنهم يتوافدون على القصر جماعات، ينظر، الرائد، المرجع السابق ص438.

[4]- القاضي النعمان: **المجالس**، ص245.

[5]- نفسه، ص246.

وعندما سمع العبيد الصقالبة كلام المعز لدين الله، قالوا له:"فنحن يا أمير المؤمنين، فما ترى أنّا قصّرنا وقد كان لنا من العناء والجهاد كمثل ما كان لغيرنا، فمن نازعنا في ذلك فَالْيَعُدَّ مشاهدنَا ووقائعنا ومقاماتنا ومن استشهد منا" فأجابهم المعز بقوله: "لا سواء إنّا بهم ملكناكم، ولم نملكهم بكم، أرأيت لو تُرِكْتَ أنت وأمثالك في بلدانكم، أكنتم تأتوننا؟ قال: لا، قال المعز: فهؤلاء أتونا طائعين وبذلوا لنا أنفسهم راغبين، ومضى على ذلك أسلافهم وثبت عليه أخلافهم للسلف منا وللخلف، قرناً فقرناً وجيلاً فجيلاً، والله ما وفت أمة من الأمم لنبي من الأنبياء، ولا لإمام من الأيمة ولا لملك من ملوك الدنيا، ولا وفى لها وفاءهم لنا ووفاءنا لهم... وهؤلاء أجدادُهم مع أجدادنا وآباءهم مع آبائنا، وهم معنا وكذلك يكون أعقابُهم مع أعقابنا إلى يوم الدين إن شاء الله"[1]، وقد أجاد المعز بوصف العلاقة التي جمعت بين قبيلة كتامة والفاطميين، فكتامة أجلّت العلم وقدّمت من كانت تظنهم علماء وأصحاب الحق في الإمامة على المسلمين، يقول القاضي النعمان: "وكذلك شأن كتامة إلى اليوم، يعظِّمون من كان عنده أقلّ شيء من العلم ويقدمونه، حتى المعلم الذي يكون عندهم وإن كان لا يحسن غير قراءة القرآن فإن له عندهم قدراً وحالاً ومكاناً"[2].

وتميزت كتامة عن باقي القبائل في المغرب الإسلامي، بأن دورها لم ينحصر في الرقعة الجغرافية للمغرب، بل تعداه إلى المشرق ورافقت المعز لدين الله في حملته لضمّ مصر والشام، ولم يترك الخلفاء الفاطميون في بدء حياتهم في مصر، فرعاً من فروع الإدارة المدنية أو العسكرية، دون أن ينتدبوا للإشراف عليه عناصر من بين كتامة أو غيرهم من المغاربة، فكان من بينهم عمال الخراج والشرطة وولاة بعض الأقاليم والمحتسبون وقضاة المظالم، ومن بينهم من بلغ مرتبة 'نائب الغيبة' عند خروج الخليفة عن مصر لمباشرة الحرب[3]، وفي ميدان حكم الأقاليم كان لكتامة حظ كبير، فكان من بين رجالها عمال طرابلس وسرت وأجدابية وبرقة، وأسوان وكثير من مدن بلاد الشام الداخلية والساحلية[4]، فكان كل ذلك مكافأة لهذه القبيلة على وفائها وجهودها وتضحياتها، التي قدّمتها للدولة الفاطمية.

---

[1]- القاضي النعمان: **المجالس**، ص246.

[2]- القاضي النعمان: **افتتاح**، ص36.

[3]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص492.

[4]- نفسه، ص494.

**5- مصمودة**

واختلف وضع ومكانة قبيلة مصمودة في تاريخ الدولة الموحدية، عن باقي القبائل التي ساهمت في بناء دول المغرب الإسلامي، إذ كان صاحب الدعوة مصمودياً، فكان هذا من بين الأسباب القوية التي أدت إلى نجاح الدعوة ثم الدولة.

فالمصامدة هم أقحاح البربر الذين لم يختلطوا بسواهم إلا نادراً، وأهل المغرب الأقصى الأوّلون المختصون بسكنى جباله منذ الأحقاب المتطاولة، لم يخرجوا منه إلا بعد مجيئ الإسلام إما لنشره بين من يجاورهم من الأمم والشعوب، أو لتوطيد نفوذ الإمارات والممالك المغربية، وهم أبناء مصمود بن برنس أبي شعوب البرانس، وتشتمل مصمودة على شعوب وعدد كبير من القبائل، من أهمها: هرغة وهنتاتة وتينملل وكدموية وكنفيسة ووريكة وركراكة وهزميرة ودكالة وحاحة وأمادين وازكيت وبنو ماكر وإيلانة ويقال هيلانة[1].

آثر ابن خلدون قبل أن يتحدث عن أصل مصمودة وفروعها، أن يذكر الموقع الجغرافي لهذه القبيلة فقال: "هذه الجبال بقاصية المغرب من أعظم جبال المعمور، ربما أعرق في الثرى أصلها وذهبت في السماء فروعها ومدّت في الجوّ هياكلها، ومثّلت سياجاً على ريف المغرب، سطورها تبتدئ من ساحل البحر المحيط عند أسفي وما إليها، وتذهب إلى المشرق من غير نهاية"[2]، ربما يريد ابن خلدون من وراء هذا أن يقدِّم تفسيراً لطبيعة الإنسان المصمودي الذي ولد وعاش في هذه الجبال، فالإنسان وليد الأرض حضنته وغذّته ووجهت أفكاره في اتجاه خاص، وعلى الجبال زوّدت أرجله بعضلات حديدية يتسّلق بها شاهق المرتفعات، وجعلته من الناحية النفسية ميالاً إلى الحرية، لا يحب الخضوع للقوانين وكثير التمرد والثورات[3].

ويؤكد هذا الأمر أيضاً عبد الواحد المراكشي بقوله: "ولم تزل طاعة المصامدة لابن تومرت تكثر وفتنتهم به تشتدّ وتعظيمهم له يتأكّد، إلى أن بلغوا في ذلك إلى حدِّ لو أمر أحدهم بقتل أبيه أو أخيه أو ابنه، لبادر إلى ذلك من غير إبطاء، وأعانهم على ذلك وهوّنه عليهم ما في طباعهم من خفةِ سفكِ

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 299/6.

[2]- نفسه، 298/6؛ وانظر، عبد الوهاب بن منصور: **قبائل المغرب**، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م، ص321.

[3]- لويس اسكندر: **الإنسان والبيئة**، مكتبة النهضة، مصر، 1936م، ص، ص7، 11.

الدماء عليهم، وهذا أمر جُبِلَتْ عليه فِطرَهم واقتضاء ميل إقليمهم"[1]، وكوّن منهم جيشاً عظيماً من أهل تينملل مع من انضاف إليهم من أهل السوس، وأمَّرَ عليهم عبد المؤمن بن علي[2]، وحارب بهم المرابطين فكان آخر ما استولى عليه من البلاد التي يملكها المرابطون من المغرب الأقصى مدينة مراكش، ثم عبر عبد المؤمن بالمصامدة إلى الأندلس، ولم يرجع حتى ملك أقطارها وولى أعمالها، لأبنائه وبعض شيوخ المصامدة، وعندما عاد إلى المغرب توجّه بجيش المصامدة نحو الشرق، فافتتح القيروان والمهدية وقابس طرابلس، وضمّ بلاد الجريد وتمّ لعبد المؤمن ملك إفريقية والمغرب الأوسط، يقول المراكشي: "فملك (عبد المؤمن) في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة، وأكثر جزيرة الأندلس، وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد قبله، منذ اختلّت دولة بني أمية إلى وقته"[3].

وفي نهاية المبحث خَلُصْنَا إلى أهمية الدور الذي قامت القبيلة البربرية في الحياة السياسية لبلاد المغرب، وكيف كان هذا الدور راسخاً في الواقع السياسي منذ البداية، ورأينا تنوع الأدوار والمهام التي تقلدتها القبيلة في جميع مراحل نشوء الدول ومراحل استمرارها، حتى أصبحت إحدى وحدات النظام السياسي.

**رابعاً: قيمة تجربة الإمامة وآثارها على بلاد المغرب الإسلامي:**

شكّلت الإمامة أو الخلافة في بلاد المغرب الإسلامي، تجربة هامة وضرورية لذلك الزمان والمكان، فقبائل المغرب كانت تبحث منذ أزمان بعيدة عن قاعدة صلبة، لبناء كيانٍ سياسي حقيقي يجمع كل القبائل على اختلافها، واستطاعت الإمامة أن تُحْدِثَ نقلةً نوعيةً من اللادولة إلى الدولة، ومن القبيلة إلى الدولة إلى الإمامة، لذلك كان لهذه التجربة آثار على جميع النواحي نبدؤها من:

**1- الحدود الجغرافية لإمامة المغرب الإسلامي:**

اكتسبت الإمامة أهميتها في بلاد المغرب، في المقام الأول من الناحية الجغرافية، فإذا نظرنا إلى المناطق التي كانت منطلق الإمامة، وجدنا أن كلَّ المساحة الجغرافية للمغرب الإسلامي كانت مسرحاً لها من برقة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً.

فكانت سجلماسة من بلاد السوس الأقصى، أوّلُ محيط جغرافي يسيطر عليه المعارضون للخلافة في المشرق، وكان السوس حَدُّهُ في المغرب الأقصى البحر الأطلسي، أما حدُّهُ في المشرق الصحراء

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص135.

[2]- نفسه، نفس الصفحة.

[3]- نفسه، ص، ص143، 162.

المتّصلة ببلاد لمتونة، التي تتصل ببلاد زناتة في الجنوب، وحدّهُ في الجنوب مدينة نول لمطة، وحدُّهُ في الشمال الجبل الأعظم المسمى بجبل درن[1]، ولسجلماسة من المدن: درعة، تادنقوست، أثرإيلا، ويلميس، حصن ابن صالح، النحاسين، حصن السودان، هلال إمصلي، دار الأمير، حصن برارة، الخيامات، تازروت[2].

عُرِفَتْ سجلماسة بأنها مدينة متوسطة الحجم وحسنة الموقع، تقع في قلب صحراء المغرب الجنوبية في طرف بلاد السودان الغربي، في آخر مرحلة في اتجاه الطريق الصحراوي، مما جعلها ملائمة لعبور القوافل القاصدة بلاد السودان، خاصة غانا، وكذا للقوافل الراجعة منها، أما حدودها فقد اشتملت على مناطق درعة، كما ضمت كل المناطق الشمالية جنوب الأطلس الكبير، في جنوب المغرب الأقصى وامتدت جنوباً إلى قلب الصحراء، مما جعل رقعتها واسعة[3] وملائمةً للحياة البشرية.

كان للأستاذ إبراهيم بحاز رأي صائب، في مسألة الحدود الجغرافية للدول الإسلامية في العصر الوسيط إذ يقول: "لم تعرف الدولة الرستمية حدوداً ثابتة، ظاهرة المعالم خلال كل تاريخها الطويل، مثلها في ذلك مثل سائر الدول الإسلامية المعاصرة لها، إذ أن فكرة الحدود بمعناها الحالي، لم تكن معروفة في تلك العصور، لذلك فإن محاولة وضع حدود لهذه الدولة، إنما تكون من باب التقريب حتى تتضح الرقعة الجغرافية التي جرت فيها الأحداث السياسية والاقتصادية والثقافية لهذه الدولة"[4].

لذلك وصلت الإمامة الرستمية، في أقصى مدٍّ لها عصر الأيمة الثلاثة الأُوَلْ (160-258هـ/777-872م)، إذ كانت الدولة يحدها شرقاً سرت والدولة الأغلبية، وغرباً تلمسان ونهر ملوية، فما سوى ذلك من الصحراء والمغرب الأوسط، فهو داخل ضمن حدودها، وأما في فترات ضعف الإمامة الرستمية، فكانت حدودها تضم الجزء الأكبر من المغرب الأوسط، إضافة إلى جبل نفوسة الذي بقي دوماً مخلصاً في ولائه للأيمة الرستميين بتيهرت[5].

---

[1]- أبو بكر الزهري: **كتاب الجغرافية**، تح. محمّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دس، ص117.

[2]- المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص219.

[3]- عبد الله محمود يعقوب: **مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد** (**إمامة بني واسول الصفرية**) 140-366هـ/757-978م، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، إشراف. التوم الطالب محمد يوسف، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1414هـ/1994م، ص-ص26-27.

[4]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية)، المرجع السابق، ص98.

[5]- نفسه، ص108.

حكمت الإمامة الرستمية من تلول منداس شمالاً إلى قرب غليزان، ومن غليزان إلى فرندة، ثم ينعطف خطها شرقي جبل عمور إلى ميزاب وورجلة(ورقلة) فجنوباً إلى الأغواط (باب الصحراء الجزائرية)، أي أن الدولة الرستمية قد استولت على جميع الزاب الجزائري الحاضر ماعدا الزاب شرقاً (قسنطينة)، وضمّت أيضاً تلمسان[1]، هذه الحدود التي رسمها الرستميون لم تكن حدوداً سياسيةً بقدر ما كانت مذهبية، فهده المناطق لم يفتحها الإباضيون بالسيف، بل اختارت القبائل المنتشرة على ربوع هذه الأرض، المذهب الإباضي وانضمت إلى سلطة الإمامة الرستمية.

وفي المغرب الأقصى تمكّن إدريس الأكبر من تكوين جيشٍ كبير، بدأ به عملية التوسع في البلاد حيث شهدت أولى سنوات حكمه توسع دولته، إلى بلاد تامسنا وبلاد تادلا، يقول ابن خلدون: "ولما استوثق أمر إدريس وتمّت دعوته، زحف إلى البرابرة الذين كانوا بالمغرب على دين المجوسية والنصرانية واليهودية مثل قندلاوة وبهلوانة ومديونة وما زار وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلا...فأسلموا على يديه طوعاً وكرهاً ثم زحف على تلمسان"[2]، هذه الرواية لابن خلدون ترسم طريق إدريس لضمّ بعض مناطق المغرب الأقصى، حيث توجه غرب وليلي نحو تامسنا وعاد إلى وليلي ثم توجه نحو تلمسان، ثم قام إدريس الأصغر بالمزيد من التوسعات بعد وفاة أبيه فجال في بلاد المصامدة وأخذ نفيس وأغمات وغيرهما وهكذا صار نفوذ إمامة الأدارسة ممتداً، في المغربين الأقصى والأوسط من السوس الأقصى إلى غرب وادي شلف[3].

واستطاعت الخلافة الفاطمية، أن تضّم بلاد المغرب كله ليكون مجالاً شيعاً فاطمياً، وذلك بعد إسقاط الدول التي كانت قائمة قبلها، يقول المقريزي: "وزال ملك بني الأغلب من إفريقية، وملك بني مدرار من سجلماسة، وملك بني رستم من تاهرت، وملك المهديُّ جميع ذلك"[4]، ثم كتب المهدي عبد الله إلى قائده على تيهرت مصالة بن حبوس، يأمره بالتوجه إلى المغرب الأقصى، حيث تمكّن سنة 308هـ/920م من دخول مدينة فاس، رغم محاولة أميرها يحي بن عمر بن إدريس الدفاع عنها[5].

---

[1]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص-ص82-83.

[2]- ابن خلدون: **العبر**، 17/4.

[3]- طاهر راغب حسين: **التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري**، ط3، دار النصر، القاهرة 1425هـ/2004م، ص-ص171-172.

[4]- المقريزي: **إتعاظ الحنفا**، 66/1.

[5]- ابن عذاري: **البيان**، 1/ 200-201.

أما عند الموحدين، وبعد أن سيطر عبد المؤمن بن علي على حاضرة المرابطين مراكش سنة 537هـ/1143م، وأحكم قبضته على المغرب الأقصى وجّه اهتمامه إلى الشرق، حيث خرجت الجيوش الموحدية في حملات متتابعة ناحية الشرق، حتى وصلت إلى طرابلس في إفريقية، محققة انتصارات عسكرية متوالية، وبذلك نجحت إمامة الموحدين في تحقيق وحدة سياسية للمغرب الإسلامي[1]، يقول المراكشي: "وتمّ لعبد المؤمن -رحمه الله- ملك إفريقية كلها منتظماً إلى مملكة المغرب، فملك في حياته من طرابلس المغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة، وأكثر جزيرة الأندلس، وهذه مملكة لم أعلمُها انتظمت لأحد قبله منذ أن اختلّت دولةُ بني أميّة إلى وقته"[2].

## 2- حواضر الإمامات في بلاد المغرب:

### أ- سجلماسة

كان أول من بنى سجلماسة وملكها، عيسى بن يزيد المكناسي الصفري سنة 140هـ/757م، وسوّرها وأتقن أسوارها، وقسم مياهها في خلجان بقدر موزون وصرف إلى كل ناحية قدرها من مائه، وأمر بغرس النخل والاستكثار منه[3]، تقع في صحراء المغرب وهي على نهر يقال له زيز، ولسجلماسة اثنا عشر باباً وهي كثيرة العامر مقصد للوارد والصادر، كثيرة النخل والأعناب وجميع الفواكه[4]، وهي مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل على نهر يزيد في الصيف كزيادة النيل، وأهلها قوم مياسير يباينون أهل المغرب في المنظر والمخبر، مع علمٍ وسترٍ وصيانةٍ وجمال واستعمالٍ للمروءة والسماحة والرجاحة، وأبنيتها كأبنية الكوفة وأبوابها رفيعة وقصورها مشيّدة وعالية[5]، وهكذا وبفضل الاستقرار السياسي تطورت ونمت حاضرة الصفريين وقاعدة ملك بني مدرار، حتى أصبحت حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

---

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص-ص 160-162؛ وانظر، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)، المرجع السابق، ص، ص44، 46.

[2]- المراكشي، **المعجب**، ص162.

[3]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص-ص 138-139.

[4]- الحميري: **الروض المعطار**، ص305.

[5]- ابن حوقل: **صورة الأرض**، ص90.

**ب- تيهرت عاصمة إمامة الرستميين**

أما تيهرت، فكانت ثمرة جهاد واجتهاد الإباضيين في المغرب، يقول عنها أبو زكريا: "أن جماعة المسلمين اتفقوا أن ينتخبوا موضعاً، يبنون فيه مدينة تكون حرزاً وحصناً للإسلام، فأرسلوا الروافد في الأرض، فرجعوا فدلُّوهم على تاهرت، فاتفق جمهور المسلمين من أهل تاهرت القديمة على أشياء معلومة أن يأخذوها من غلتها"[1]، وحتى تكون المدينة حرزاً وحصناً للإسلام، اختارت الجماعة موضع تيهرت دون غيره إذ يمتاز بجودة الهواء، وكثرة المياه وخصب الأراضي، وهو قابل للعمارة مأمون من العدو[2]، فوافقت هذه الظروف شرط الإباضية في حاضرتهم الجديدة، التي قال فيها المقدسي: "تاهرت هي اسم القصبة، أيضاً هي بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفّت بها الأشجار وغابت في البساتين ونبعت حولها الأعين وجلّ بها الإقليم، وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب...وهو بلد كبير كثير الخير رحب رفق طيّب رشيق الأسواق، غزير الماء جيد الأهل قديم الوضع، محكم الرصف عجيب الوصف"[3].

وبعد أن اختار الإباضيون هذا المكان في المغرب الأوسط، بعيداً عن عمال الخلافة العباسية وعن كل مخالفيهم حصّنوها بالأسوار، يقول البكري: "ومدينة تيهرت مسوّرة لها أربعة أبواب، باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن، وهي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة، وهو في قبليّها"[4]، وهكذا حازت تيهرت على لقب القصبة الذي يعني العاصمة، أي عاصمة المغرب الأوسط.

**ج- فاس عاصمة إمامة الأدارسة**

لما رأى إدريس الثاني أن الأمر استقام له، وعظم شأنه وضاقت به مدينة وليلي، عزم على بناء مدينة لنفسه يسكنها وخاصة جنوده ووجوه أهل دولته، أرسل وزيره عمير بن مصعب الأزدي ليجد له موضعاً للمدينة، ولما وجد أرضاً واستحسن ما فيها، من كثرة مياهها وطيب تربتها ورطوبة هوائها واعتدالها، رجع إلى إدريس وأعلمه بالمكان فأعجب به[5] وشرع ببناء مدينة فاس، التي قال عنها البكري:

---

[1]- أبو زكريا: **سير**، ص81.

[2]- الشماخي: **السير**، ص-ص124-125؛ وانظر، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص86.

[3]- المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص228.

[4]- البكري: **المسالك**، ص247.

[5]- الجزنائي: **جنى زهرة الآس**، ص-ص18-19.

"ومدينة فاس مدينتان مقترنتان مسوّرتان بينها نهر يطرد وأرحاء وقناطر، وعدوة القرويين في غربي عدوة الأندلس، وعلى باب دار الرجل فيها رحاه وبستانه بأنواع الثمر وجداول الماء تخترق داره"[1].

فكانت أول عدوة بناها إدريس هي عدوة الأندلسيين، حيث بدأ ببناء السور سنة 192هـ/808م، وفيه باب القبلة والباب الفوارة وباب المخفية وباب الشيبوبة، وباب أبي سليمان وباب الكنيسة وباب الخوخة[2]، وقد سميت هذه العدوة بعدوة الأندلسيين وذلك لنزول العرب الوافدين إلى المغرب فيها[3]، أما عدوة القرويين فقد أسسّها إدريس الثاني بعد مرور عام على تأسيس العدوة الأولى، وذلك بداية ربيع الثاني 193هـ /809م، وهي غرب عدوة الأندلسيين ولها من الأبواب: باب إفريقية وباب القوس وباب الفصيل وباب الفرج وباب الحديد وباب القلعة، ثم بنى جامعاً للخطبة متصلاً بمنزله، وهو المعروف بمسجد الشرفاء[4]، هذا كله إن دلّ على شيء، إنما يدل على عظمة الإمام إدريس، الذي استطاع أن يأسس مدينة عظيمة بحجم مدينة فاس الباقية إلى اليوم.

**د- المهدية عاصمة إمامة الفاطميين**

بدأ المهدي الفاطمي ببناء المهدية سنة 303هـ/916م، فبنى أسوارها وراقب أطوار ومراحل بناءها فكان يأمر الصُّناع بما يعملون، ووضع لها باباً مغلقاً، وحفر في أرضها أهراء للطعام، وأحواضاً للماء وبنى فيها القصور والدور، فلما انتهى منها قال: "اليوم آمنت على الفاطميات"[5]، وقال أيضاً عندما رأى إعجاب الناس بها وبحصانتها: "هذه بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار"[6]، تبعد عن مدينة القيروان بـ 60ميلاً (96,56كلم)، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات[7]، وعندما انتهى من بناءها انتقل إليها سنة 308هـ/920م وأنشأ فيها الدكاكين، ورتّب فيها أرباب المهن، فجعل كل طائفة في سوق[8] لذلك كانت المهدية سبباً في توطيد حكم الفاطميين في المغرب، وكانت لهم حصناً منيعاً يَقِيهِم هجمات الخارجين عليهم.

---

[1]- البكري، **المسالك**، ص298.

[2]- الجزنائي، **جنى زهرة الآس**، ص24.

[3]- نفسه، ص26؛ وانظر، سعدون نصر الله، دولة الأدارسة، المرجع السايق، ص155.

[4]- الجزنائي، نفسه، ص25.

[5]- المقريزي: **اتعاظ الحنفا**، ص-ص70-71.

[6]- نفسه، ص71.

[7]- البكري: **المسالك**، ص202.

[8]- محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص29.

**هـ- مراكش عاصمة إمامة الموحدين**

أما عن مراكش فيقول صاحب الحلل الموشية: "واعلم رحمك الله، أن سبب ذلك على ما نقله جماعة من علماء التاريخ، أن الأمير أبا بكر بن عمر بن إبراهيم بن تورفيت اللمتوني، لما خرج من الصحراء باللمتونيين، واحتلوا بأغمات وريكة وكثر الخلق بها، وضيقوا على أهلها وكانوا على حال صعبة شكا أشياخ وريكة وهيلانة، إلى الأمير أبي بكر بن عمر ما يلحقهم في ذلك من العناء والمشقة، وأنهوه إليه المرة بعد المرة، إلى أن قال لهم: عينوا لنا موضعاً نبني فيه مدينة إن شاء الله"[1]، بهذا يكون المرابطون هم من وضعوا الأساس لمدينة جديدة وأسموها مراكش.

ولما جاء الموحدون شهدت مراكش ازدهارا وتقدماً، في ظل خلفاء الموحدين الذين اهتموا بها اهتماماً كبيراً، وذلك ببناء الكثير من المنشآت بها وقصدها الناس من كل مكان، واكتظت العاصمة بسكانها، مما أدى بالخليفة يوسف أبي يعقوب بن عبد المؤمن، إلى إنشاء مدينة أخرى تكون امتداداً للعاصمة مراكش، يقول ابن عذاري: "فاتفق رأيهم على زيادة مدينة متصلة من جهة القبلة، فرجعوا إلى الخليفة وأعلموه بذلك، فرأى رأيهم وأمضى سعيهم، وأمر العبيد والرجال بهدم السور القديم بجهة باب الشريعة"[2]، وزاد يعقوب المنصور في عهده باختطاط حومة الصالحة وإدخالها ضمن محيط مدينة مراكش يقول ابن عذاري: "ولما استوفت همّته وجوه المحاسن وضروب الفضائل...ضاقت عنها مساكن سلفه بقصر الحَجَر، فأمر باختطاط الصالحة وحشد لها العرفاء والصّنّاع، وكل من شهر بالإتقان والأطباع...وقسمت مساكنها وعيّنت لما تحتاج إليه من المنافع أوضاعها وأماكنها، وجمعت لها الآلات...وأوعز إليهم وأكّد عليهم ألا ينشئوا شيئاً من البنيان إلا فوق الغاية من الوثاقة والاتقان...فصارت بها حضرة مراكش مصرَ الأمصار وغايةً في الفخامة وارتفاع المقدار"[3]، وهكذا كانت كانت مدينة مراكش، التي اهتمّ بها الخلفاء الموحدون، فزادوا في توسعتها كلما تطلّب الأمر، وأتقنوا بنيانها باستقدام المهرة من البنائين، حتى صارت مصرَ الأمصار وحاضرة الحواضر في عهدهم.

---

[1]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص15.

[2]- ابن عذاري: **البيان**، 256/3.

[3]- نفسه، 275/3.

## 3- الأثر الاجتماعي والاقتصادي

### أ- الأثر الاجتماعي

لقد كان لتجربة الإمامة في المغرب الإسلامي أثرٌ اجتماعيٌ كبير، خاصة على العناصر المكونة للمجتمع المغربي في ذلك العصر، وحتى لا نطيل في الحديث، سوف تركّز فقط على العنصرين الهامين في تركيبة المجتمع آنذاك وهما: البربر والعرب فقط.

لذلك فإن ظهور الإمامة ونجاحها أدى إلى نزوح قبائل كثيرة، عن مواطنها الأصلية واستقرارها في مناطق أخرى، كقبيلة مكناسة التي استقرت في محيط سجلماسة، بفضل قيام الإمامة المدرارية في تلك المنطقة من المغرب الأقصى[1]، أما في الإمامة الرستمية، فنلاحظ انتقال القبيلة مع الإمام، فكانت نفوسة وهوارة من القبائل، التي اختارت اللجوء مع الإمام عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط[2]، واختارت قبيلة كتامة أن تكون مع الإمامة الفاطمية في المغرب، فرافقت الأيمة الفاطميين في كل تنقلاتهم، وكانت أحد أسباب الفتح الفاطمي لمصر والشام، أما مصمودة قبيلة الإمام محمد بن تومرت، فقد كانت عصب دولة الموحدين، وانتشر أفرادها في جميع أنحاء المغرب والأندلس، وبالإضافة إلى المصامدة هناك القبائل العربية التي رافقت الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى المغرب الأقصى، يقول البيذق: "وأقبل إلى المغرب مع سادة العرب بأجمعهم بأولادهم وعيالهم، فوصل أمير المؤمنين إلى سلا وقسم العرب على البلاد ومشا إلى مراكش وبقي فيها عامين"[3]، ثمجاءت جموع أخرى من العرب في عهد الخليفة أبي يعقوب، يقول ابن خلدون: "واتصل الخبر بالخليفة بمراكش، وقد توافت عنده جموع العرب من أفريقية صحبة أبي زكريا صاحب بجاية، والسيد أبي عمران صاحب تلمسان، وكان يوم قدومهم عليه يوماً مشهوداً، فاعترضهم وسائر عساكره"[4]، وبهذا كانت الإمامة سبباً مباشراً، في تغيير الكثير من القبائل لمجالها الجغرافي، لتعيد تشكيل مجتمع جديد في محيط جديد.

وتميزت الحياة الاجتماعية في هذه الإمامات بالبساطة في أول الأمر، لتتطور بعد ذلك موازاةً بتطور الظروف الاقتصادية فيها، إلا أن أبرز المظاهر الاجتماعية المنتشرة في ذلك العصر، هو انتشار تعاليم الإسلام، الذي يعتبر من أهم مظاهر التغيير الاجتماعي، وهذا يعني تقبلهم للتشريع القاضي بتنظيم

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 171/6.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص20.

[3]- البيذق: **أخبار**، ص80.

[4]- ابن خلدون: **العبر**، 322/6.

الأسرة والمجتمع وفق معايير إسلامية كالأخلاق وآداب السلوك والعلاقات الاجتماعية[1]، وحظيت الأسرة في هذه المجتمعات بمكانة رفيعة، إذ اعتبرت نواة المجتمع وأساسه، لذلك أحيطت بعناية خاصة للمحافظة على كيانها ومبادئها السامية، وقد حددت هذه الدول لكل فرد من أفرادها واجباته وحقوقه تجاه الآخرين في المجتمع، بكل عدل وقسط من أجل استمرارها وأداء دورها على أحسن وجه[2]، فمن هذه الأسرة يخرج الفرد السليم، الذي يدفع بالأمة إلى التطور والحضارة.

وأصبح لكل مجتمع من هذه المجتمعات، نمط وأسلوب خاص به في معيشته، حسب حضارته وثقافته وتقاليده، حيث أن العناصر المكونة لمجتمعات الإمامة، كانت تختلف عن بعضها البعض، فأفراد المجتمع الرستمي مثلاً لهم ميزات خاصة ومظاهر اجتماعية تميزهم عن باقي المجتمعات الأخرى، ومن بين المظاهر الاجتماعية الطعام واللباس والسكن، حيث من الصعب تحديد ألوان الطعام في ذلك العصر، أما اللباس فكان عند الرستميين، عبارة عن ألبسة صوفية غير مفصلة، كالحائك دون أن تغطي الرأس[3]، وعند الموحدين فكان طعام الطبقة الحاكمة مكلفاً جداً، لاحتوائه عل أنواع اللحم وأصناف التوابل والبهارات، وكان لباسهم مختلفاً أيضاً، بحيث أن أغلب ملابسهم كانت مصنوعة من الصوف والقطن والكتان[4].

**ب- الأثر الاقتصادي**

تمثلت الحياة الاقتصادية للإمامة في بلاد المغرب الإسلامي، بممارسة النشاط الزراعي والصناعي والتجاري، فقد ساعد الموقع الجغرافي لدول الإمامة، على تنشيط الحياة الاقتصادية في المنطقة، لذلك يقول المقدسي عن سجلماسة: "صحيحةالهواء كثيرة التمور والأعناب والزبيب، والفواكه والحبوب والرمان"[5].

أما الإمامة الرستمية فقد عُرفت بجغرافيتها المتنوعة، زراعة متطورة ومزدهرة شملت مختلف أقاليمها، كما يقول البكري: "ونهر آخر يجري من عيون تجتمع تسمّى: تاتُش، ومن تاتُش شرب أهلها وبساتينها،

---

[1]- محمود يعقوب، المرجع السابق، ص87.

[2]- محمد بوركبة، المرجع السابق، ص293.

[3]- نفسه، ص331.

[4]- شرقي نورة: الحياة الاجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الإسلامي الوسيط، إشراف. عبد العزيز محمود لعرج، جامعة الجزائر، الجزائر، 1428-1429هـ/2007-2008م، ص، ص155، 196.

[5]- المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ص231.

وهو في شرقيها وفيها جميع الثمار، سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسناً وطعماً وشماً وسفرجلها يسمى الفارس"[1]، ولم تكن منطقة تيهرت مقتصرة على زراعة البساتين وما تحويه من الأشجار المختلفة وإنما هي منطقة زراعة الحبوب خاصة، لكثرة مياهها وبرودة مناخها ووقوعها قرب التلول الصالحة لزراعة تلك الغلة[2].

وليس أدلّ على ازدهار اقتصاد إمامة الأدارسة، من ذيوع الملكية الفردية خصوصاً في المدن وأرباضها وضواحيها، حيث يشير ابن أبي زرع إلى شراء امرأة صالحة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني، موضع جامع القرويين من بعض الخواص، كما أمدّنا المؤرخ نفسه بمعلومات مماثلة عن زراعة محاصيل خاصة للتصدير كالقطن[3]، وازدهرت الصناعة عند الأدارسة بفضل استغلال المناجم التي احتكرت الإمامة بعضها، كمناجم الفضة وأوكل بعضها الآخر إلى الأفراد والجماعات لاستغلالها، مقابل التنازل عن خمس الانتاج،كما أدت هجرة الكثيرين من حرفي الشرق والأندلس، إلى إمامة الأدارسة تحسين وسائل الإنتاج[4].

واهتم الموحدون بالزراعة، وشجعوا المزارعين على استغلال الأرض، وحرصوا على توفير مياه الري اللازمة للزراعة، فكان إنتاجهم متنوعاً ووفيراً من القمح والشعير والذرة والقطن، وقصب السكر والزيتون والكتان والحناء والكمون والكراوية، وإلى جانب هذا شهدت هذه الفترة ازدهاراً في زراعة الفواكه المختلفة، حيث اهتم عبد المؤمن ومن جاء بعده، بغرس البساتين المختلفة التي كانت تنتج مختلف الثمار يقول صاحب الحلل الموشية: "وإن الخليفة عبد المؤمن غرس خارج مراكش بستاناً طوله ثلاثة أميالٍ وعرضه قريب منه، فيه كل فاكهة تشتهيها الأنفس، وجلب إليها الماء من أغمات، واستنبط عيوناً كثيرةقال ابن اليسع: وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة، إلا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن، يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية، على رخص الفواكه بها"[5].

---

[1]- البكري: **المسالك**، ص248.

[2]- إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص147.

[3]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص54؛ وانظر، محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص-ص78-79.

[4]- محمود إسماعيل، نفسه، ص-ص79-80.

[5]- مجهول: **الحلل الموشية**، ص-ص145-146؛ وانظر، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص236-246.

وأما عن التجارة فقد تربعت سجلماسة وتيهرت، على عرش التجارة في العصر الوسيط، وغدت سجلماسة من أكبر المراكز للتجارة الإقليمية في البلاد، فقد كانت معظم القوافل القادمة من الجهات المختلفة، والمتجهة إلى السودان الغربي أو العائدة منها تمر بسجلماسة فحركة القوافل لم تنقطع عنها طول العام، وقصدها التجار من البصرة والكوفة وبغداد، وكان معهم رأس المال والخبرة في المعاملات التجارية فكان لهم الفضل في اثراء حركة التجارة، وتطور نظم المعاملات التجارية، فحققت سجلماسة أرباحاً طائلة وازدادت ثروتها، نتيجة ما تفرضه ضرائب مناسبة على هؤلاء التجار[1].

وكانت التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية في الإمامة الرستمية، لذلك يقول ابن الصغير: "واستعملت السبل إلى بلاد السودان، وإلى جميع البلدان من مشرقٍ ومغربٍ بالتجارة وضروب الأمتعة...والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار تاجرون"[2]، وقال الشماخي عن الإمام عبد الوهاب: "وكان الإمام ﷺكثير المال ممن اتسعت عليه الدنيا، وسببه أنه كان في أيام أبيه رحمه الله تاجراً، وكانت تيهرت لما اشتهر عدل عبد الرحمن، انتقل إليها أهل الأموال والتجار من مصر وإفريقية والمغرب لخوفهم على أموالهم من أئمة الجور، ومن هناك دخلتها الفرق ونفقت فيها السلع، مع كونها كثيرة الخصب فعظمت بها الأموال وكان عبد الوهاب حاذقاً بالتجارة واتسعت أمواله"[3]، وهكذا شجعت التجارة المجتمع الرستمي على الإنتاج بكل أنواعه، وازدهرت الحياة العامة في تيهرت.

أما الخلافة الفاطمية، فورثت كل هذا النشاط الاقتصادي الزراعي والتجاري، الذي طوّرته الإمامات الرستمية والمدرارية والإدريسية، فملكوه ووضعوا عليه الكثير من الرسوم والضرائب، وامتلأت خزائنهم جراء ذلك الانتاج الوفير، وما ضرب عليه من رسوم، فكان سبباً مشجّعاً للانتقال بعاصمة خلافتهم إلى مصر، فبنوا باقتصاد المغرب الإسلامي القاهرة وجامع الأزهر، وانتقل المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة بقافلة عظيمة من أموال المغرب إلى مصر.

لقد وجه ولاة الأمر في الإمامة الموحدية، اهتمامهم بالتجارة والعمل على تنشيطها وذلك بتشجيع التجار على المجيئ إلى البلاد، ووفروا لهم سبل الإقامة بإنشاء الفنادق، التي كانت تقوم بمهمة مزدوجة فوظيفتها الأولى خزن المتاجر والسلع لتوزيعها بعد ذلك بالجملة، والثانية إيواء النزلاء من التجار الوافدين وكلما كانت المدينة عامرة بالمتاجر كلما ازداد عدد فنادقها، وانتظمت الأسواق بالمدن، حيث انفردت

---

[1]- محمود يعقوب، المرجع السابق، ص، ص113،108.

[2]- ابن الصغير: **أخبار**، ص32.

[3]- الشماخي: **السير**، ص-ص139-140.

كل صناعة بناحية معينة، كما أن الأسواق كانت تحت مراقبة أمناء الأسواق، وهؤلاء بدورهم كانوا تحت إشراف ولاة الأمور، الذين يحاسبونهم بصفة المستمرة، وذلك ما كان يفعله المنصور الموحدي: "وكان قد أمر أن يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في شهر مرتين، يسألهم عن أسواقهم وأسعارهم وحكّامهم"[1]، وهو الأمر الذي ساعد الدولة الموحدية، على التقدم والإشعاع الحضاري.

**ج- الأثر الفكري والثقافي**

يعتبر الأثر الفكري والثقافي أحد أهمِّ مخلفات الحضارة في الأمم، فتقاس الحضارة بالمنتوج العلمي والفكري لصانعها، كما أن الدين الإسلامي كان في مضمونه ثورة فكرية، جاءت لتخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم، وعندما جاء الإسلام إلى بلاد المغرب، كان العلماء والقرّاء في مقدمة الجيوش الإسلامية، فأناروا عقول المغاربة بعلوم الدين والدنيا، وبعدها اختار المغاربة مذاهب إسلامية، تدعو في جوهرها إلى العودة لتعاليم الإسلام الصحيحة، التي تقوم على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وكانت الإمامة الصفرية في سجلماسة، أوّل الدول المستقلة التي اختارت المذهب الصفري، ليكون منهجها في الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، لكن لم نجد من آثارهم ما يجعلنا نصل إلى نتائج ملموسة في هذا المجال، فقد يكون إنتاجهم الفكري قد تعرض لعملية إتلافٍ مقصودة وغير مقصودة.

ويكفي الإمامة الرستمية أثراً، أن بقي مذهبها إلى يومنا هذا، هذا البقاء لم يكن صدفةً ولا منحة من الآخرين، بل ثمرة اجتهاد الأيمة الرستميين، الذين قال عنهم أبو زكريا: "وكان بيت الرستميين بيت العلم في فنونه من الأصول والفقه والتفسير، وعلم اختلاف الناس، وعلم النحو والإعراب والفصاحة وعلم النجوم، وبلغنا أن بعضهم قال: معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلةً يبيت فيها القمر"[2] والإمام عبد الرحمن بن رستم كان قد أخذ العلم في المشرق، فكان بالعلم معدوداً من فحول العلماء الراسخين، له تفسير جليل القدر تكّلم عليه المؤرخون، ولا وجود له الآن، وله ديوان خطب نفيسة، ذكر العلامة الوارجلاني رحمه الله أنه رآه، وله رسائل متعددة وجوابات كثيرة مفيدة في فنون العلم، بعضها موجود وبعضها مفقود[3]، وكان الأيمة الرستميين لعد عبد الرحمن مثله في العلم والتأليف، وبرزت تيهرت كمركز ثقافي في المغرب الإسلامي، إلى جانب جبل نفوسة ووارجلان وبلاد الجريد وبلاد سوف وأريغ،

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص203؛ وانظر، حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، المرجع السابق، ص267، 273، 275.

[2]- أبو زكريا: **سير**، ص99.

[3]- الباروني، الأزهار الرياضية، المرجع السابق، ص150.

وفي فترة متأخرة مدينتي تنس ووهران[1]، وبفضل العلم بقي ذكر تيهرت والأيمة الرستميين في كتب الأولين والآخرين.

وساهم الأيمة الأدارسة في عملية تعريب البربر، وذلك بالجلوس والتحدث إليهم باللغة العربية وإقامة المدارس في المساجد التي أسّسوها، فكانت منابر للعلم والعبادة ولم يمض قرن من الزمان على قيام الدولة، إلا وكانت أعداد غفيرة من العلماء، أتقنت اللغة العربية وانطلقت للعمل في أرجاء المغرب في ميادين الثقافة، وكانت مدينة فاس قد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم، قال ابن أبي زرع عن فاس: "فهي في القديم والجديد دار علم وفقه وحديث وعربية وفقهاؤها الفقهاء الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب، ولم يزل ذلك على مرِّ الزمان، وذلك ببركة بانيها مولانا إدريس ﷺفإنه لما أراد الشروع في بنائها رفع يده وقال: اللهم اجعلها دار علم وفقه يُتْلاَ بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها"[2]، وكانت دعوة مستجابة، ففاس أدت دوراً علمياً كبيراً في العصور التالية لإمامة الأدارسة، حيث أنشئت أول جامعة هي جامع القرويين بفاس، ولازالت شامخة إلى اليوم تذكِّر بالإمام إدريس وأعماله الجليلة.

أما خلال فترة الحكم الفاطمي لبلاد المغرب الإسلامي، فقد اجتهد الدعاة والأيمة الفاطميون أن يجعلوا منابر المساجد، قنواتٍ للاتصال بالرعية، لبث علومهم الدينية والدنيوية، لكن قيام الثورات وخاصة ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، حالت دون ذلك.

وجاءت دعوة ابن تومرت، التي يعتقد البعض أنها لم تكن حركة سياسية فقط، بل كانت تجسيداً لثورة فكرية، أوقفت عملية تقويض العقيدة من الداخل، وأثبتت حيوية العقيدة الإسلامية في إقامة دولة مركزية قوية من جديد على أسس نقلية[3]، فمن مظاهر السداد في دعوة المهدي ما انبنت عليه هذه الدعوة من تأصيل علمي، فقد كان ابن تومرت عالماً قبل أن يكون صاحب حركة إصلاح، ومن قاعدة تشبّعه بعلوم الشريعة، انطلق من قاعدة عقدية تقوم على ثلاثة أسس رئيسية هي: التوحيد في العقيدة والتأصيل في الشريعة والعدل في الحكم[4]، لذلك كان لخلافة الموحدين على يد ابن تومرت الفضل في

[1]- عن الحياة الفكرية للدولة الرستمية، ينظر، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، المرجع السابق، ص-ص261-398.

[2]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص36؛ وانظر، سعدون نصر الله، دولة الأدارسة ، المرجع السابق، ص132.

[3]- عبد الهادي الإدريسي، المرجع السابق، ص161.

[4]- النجّار، تجربة الإصلاح في حركة المهدي، المرجع السابق، ص-ص136-137.

انتشار المذهب الأشعري في المغرب الإسلامي خاصة بعد أن أصبح مذهب الدولة الموحدية، وتمّ القضاء على دولة المرابطين التي حاربت علم الكلام وأهله.

لقد كان فضل إمامة الموحدين على المعارف عظيماً، فلقد أسّسوا المدارس، وعمّروا المعاهد وجلبوا كبار العلماء، واقترحوا تدوين الكتب وعقدوا المناظرات والامتحانات، وجمعوا المجامع العلمية المتنوعة، وأسّسوا خزائن الكتب، وسبقوا إلى التعليم الإجباري، وابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج التعليم، وإنهم لرغبتهم في نشر العلم علّموا حتى باللسان البربري، وأمروا بترجمة كثير من الكتب المهمة، وكان كثير من خلفاء الموحدين وأمرائهم فقهاء وعلماء[1]، وفي تلك الفترة بالذات أي في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري، بلغ الفكر الأندلسي ذروة النضج، وتفجرت ينابيع النبوغ، وظهرت طائفة من أعظم أقطاب العلم والأدب[2]، لقد بنت إمامة الموحدين حضارة يحق لكل مسلم أن يفخر بها، لأنها من أعظم الحضارات التي قامت في التاريخ.

**خامساً: أسباب ضعف وسقوط الإمامة في المغرب الإسلامي**

كان لسقوط الإمامة في المغرب الإسلامي، أسباب متعددة وكثيرة، وقد لا يكون سقوطاً بمعنى السقوط، لأن كل إمامة من هذه الإمامات، خلّفت حضارة وكانت سبباً في إحداث التغيير نحو الأفضل كل واحدة حسب طاقتها وما أُتِيحَ لها من ظروف.

فقد تشابهت الأسباب التي أدت إلى نهاية سلطة الإمامة في المغرب الإسلامي، وهو الأمر الذي بيّنه الله ﷻ في قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[الروم: 54]، وهي نظرية ابن خلدون، التي تقول أن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص، ويقول: "وأما أعمار الدول أيضاً، وإن كان يختلف بحسب القِرَانَاتِ، إلا أن الدولة في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال، والجيل هو عمر شخصٍ واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾[الأحقاف: 15]، ولهذا قلنا إن عمر الشخص الواحد هو عمر

[1]- محمد المنوني: **حضارة الموحدين،** ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989م، ص14.

[2]- محمد عبد الله عنان : **دولة الإسلام في الأندلس،** ج4، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1386هـ/1966م، ص437.

الجيل"[1]فحسبابن خلدون تَتَدَرَجُ الدول في تاريخها، عبر ثلاث مراحل: وهي الضعف ثم القوة ثم الضعف.

## 1- سقوط الإمامة المدرارية

وهو ما حصل لكل الإمامات في المغرب، فدولة سجلماسة بدأ فيها الصراع العائلي بين أفراد البيت المدراري على عهد خليفته اليسع بن أبي القاسم، وهو مدرار الملقب بالمنتصر، حيث ظهر الصراع جلياً بين ولداه، اللذان يدعى كل منهما ميموناً، أحدهما كان من أروى ابنة الإمام عبد الرحمن بن رستم والثاني من تقية، فتنازع الأخوان وتقاتلا ثلاث سنين[2]، وابتداءً من سنة 296هـ/908م وفي عهد اليسع بن ميمون بن مدرار، دخلت الدولة المدرارية مرحلة النفوذ الفاطمي، وتمت المواجهة بين أبي عبد الله الشيعي واليسع، وانتهت بهروب اليسع من سجلماسة، في جنح الظلام إلى مجاهل الصحراء مع صحبه وأهل بيته، وتمكن أبو عبد الله من احتلال البلاد، لكن الدولة المدرارية لم تسقط تماماً إلا في سنة 366هـ/977م، حيث يقول ابن خلدون: "وأقام على ذلك مدّة وأمر مكناسة يومئذ قد تداعى إلى الانحلال وأمر زناتة قد استفحل بالمغرب عليهم، إلى أن زحف حرزون بن فلفول من ملوك مغراوة إلى سجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة، وأبرز إليه أبو محمد المعتز فهزمه حرزون وقتله...وانقرض أمر بني مدرار ومكناسة من المغرب أجمع"[3]، وهكذا خضعت دولة المدراريين إلى القانون الرباني، فلم تسقطها الدولة الفاطمية، بل وصلت إلى سن الشيخوخة وأفل نجمها.

## 2- سقوط الإمامة الرستمية

أما إمامة الرستميين في تاهرت، فقد أضعفتها ظروف وأسباب متعددة، كان أولها مطالبة القبائل الإباضية لأن يكون لها دورٌ هي أيضاً في السلطة بتيهرت، فالفتنة الأولى قادها يزيد بن فندين اليفرني من قبيلة بني يفرن الزناتية، والتي أدت إلى ظهور فرقة إباضية جديدة هي فرقة النكار[4]، إذ كان من الستة الذين اختارهم الإمام عبد الرحمن بن رستم لخلافته، أما الفتنة الثانية فجاءت من قبيلة هوارة[5]، التي رافقت قبيلة نفوسة في كل ظروف السلم والحرب، وعندما أرادت أن يكون لها نصيب في السلطة

---

[1]- ابن خلدون: **العبر**، 335/1.

[2]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص142.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 174/6.

[4]- أبو زكريا: **سير**، ص-ص88-99؛ ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص37-44.

[5]- ابن الصغير، **أخبار**، ص-ص45-47.

اصطدمت بجهاز الحكم في المدينة، وقامت الحرب التي عطّلت نمو الدولة وصرفتها عن أمور التنمية والتقدم.

وإلى جانب هؤلاء خلقت فرقة الواصلية المعتزلية، صعوبات للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن يقول أبوزكريا: "وهم قوم من البربر أكثرهم من زناتة...فتكاثفت كلمة الواصلية واجتمعوا من كل نقب وجازوا من كل أوب، فانحازوا عن تاهرت، وأخذوا عن جبالها وهم أصحاب العمود، وأظهروا مخالفة الإمام...وخرج إليهم بعساكر كثيرة، فقاتلهم مرة بعد مرة"[1]، وبهذا تكون هذه الحروب قد استنزفت طاقة الإمام والدولة الرستمية، وزرعت الهشاشة في أركان الدولة الإباضية.

ثم شرعت الدولة الرستمية بالانزلاق، في عهد أبي بكر بن أفلح بن عبد الوهاب ، إذ انتهى الأمر بإمامها أبي بكر إلى أسلوب في الحكم لم تعهده الدولة من قبل، إذ ترك شؤون الدولة في يد وزيره ابن عرفة، وكاد الأمر أن يخرج تماماً من أيدي بني رستم، لولا ظهور أبي اليقظان بن أفلح، محفوفاً بأنصاره من النفوسيين سنة 241هـ/855م[2].

وفي عهد أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان (281هـ/894م)، قامت فتنة عظيمة بين مكونات المجتمع التيهرتي، أدت إلى خروج أبي حاتم من المدينة، وتولي يعقوب بن أفلح عمُّ الإمام للحكم، ليبدأ الصراع بينهما[3]، إلى أن قتل أبو حاتم بأيدي أبناء أخيه اليقظان، ودخلت الإمامة الرستمية في دوامة الانقسام بين أفراد الأسرة الواحدة، وهو ما ساعد وسرّع عملية السقوط، على يد أبي عبد الله الشيعي سنة (296هـ/908م).

### 3- سقوط الإمامة الإدريسية

وتسببت الصراعات العائلية أيضاً في دولة الأدارسة، إلى ضعف كيان السلطة المركزية في فاس، فعندما تولى محمد بن إدريس بن إدريس الأكبر أمور الدولة، قسم بلاد المغرب بين إخوته، حيث لا يهم إن كان هو صاحب الفكرة أو هناك من أوحى له بها، بل المهم في الأمر هو أن هؤلاء الإخوة أصبحوا حكاماً فعليين للدولة، مثلهم مثل محمد بن إدريس في فاس العاصمة، مما شجّع بعضهم على التمرد على

[1]- أبو زكريا، **سير**، ص102.

[2]- ابن الصغير، **أخبار**، ص63؛ بوزياني الدراجي، دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص112.

[3]- ابن الصغير: **أخبار**، ص-ص91-97.

الإمام، يقول ابن الخطيب: "فاستمرت الأحوال إلى أن طالبه أخوه عيسى الذي ولاه شالة ونبذ طاعته"[1].

لتقع الدولة الإدريسية بعد الانقلابات الداخلية في التجاذبات الخارجية، حيث كان المغرب الأقصى مطمع الأمويين في الأندلس والفاطميين في المغرب الأدنى، وبحكم قرب الأندلس من المغرب الأقصى، كان هذا الأخير ملجأً للمعارضين للحكم في الضفة المقابلة، حيث يذكر ابن عذاري أن هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل، اشترط على أخيه سليمان الثائر عليه الخروج عن الأندلس، فركب البحر بأهله وولده متجهاً إلى المغرب، ليعود بعد ثمان سنين وقد أعدّ العدة لحرب الحكم بن هشام الرضي[2] لذلك لا يمكن تفسير هدف الدولة الإدريسية من هذه السياسة، إلا صرف الأمويين عن التفكير في ضمّ المغرب الأقصى أو محاولة السيطرة عليه.

وبظهور الخلافة الفاطمية في إفريقية، وضعف كيان الدولة الإدريسية، بدأ الصراع الفاطمي الأموي للسيطرة على هذا الجزء من المغرب الإسلامي، فأمويو الأندلس تدخلوا في شؤون المغرب الأقصى، خوفاً من غزو فاطمي وشيك لبلادهم، بقدر الحيلولة دون هيمنتهم على موارد التجارة السودانية، وكانت عدتهم في هذا الصراع قبائل زناتة، خاصة تلك التي هاجرت من مواطنها في المغرب الأوسط لتستقر في المغرب الأقصى، تحت ضغط الفاطميين وحلفائهم من صنهاجة.

كما اعتمدوا على العناصر الأندلسية التي استوطنت المغرب الأقصى منذ عصر الإمارة، على ذلك يمكن القول بأن الصراع بين صنهاجة وزناتة لم يكن اثنيا، بقدر ما استهدف مراقبة مسالك تجارة الصحراء، وهذا يفسر لماذا حرص القطبان على تكريس الجهود العسكرية، في المناطق الاستراتيجية كبلاد الريف وسواحل البحر المتوسط ومنطقة تازا ومدن وموانئ المحيط الأطلسي[3]، وهو ما لخصّه ابن الخطيب في قوله: "وكانت مدة ملكهم ما بين إدريس إلى الحسن بن جنون مائتي سنة واثنين وستين وخمسة أشهر، وكانوا بين لحيي أسد يكابدون دولتين عظيمتين من جهتيهما، دولة الشيعة ودولة الأموية، وكان سلطانهم إذا قوي امتدّ إلى تلمسان وإذا اضطرب وانقبض اقتصر على معتصمهم بالجهة السبتية، إلى أن

---

[1]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص-ص205-206.

[2]- ابن عذاري: **البيان**، 94/2، 105.

[3]- محمود إسماعيل، الأدارسة في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص-ص174-175.

ذهب منهم العين والأثر وعُدم الخُبْرُ وسَيُعْدَمُ الخَبَرُ فسبحان من لا تُغَيِّرُهُ الغِيَرُ لا إله إلا هو"[1]، وبقي الأدارسة على هذا الحال إلى انقراض دولتهم سنة 375هـ/985م[2] على يد إمامة الفاطميين.

**4- سقوط الإمامة الفاطمية**

أما الإمامة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، فقد مثّلت أول انتصار لحزب الشيعة على السلطة العباسية، في الجناح الغربي للدولة الإسلامية، هذا النجاح لم يكن ليتحقق لولا إيمان بعض القبائل البربرية بصدق دعاة الشيعة الإسماعيلية الأوائل، لذلك يمكن أن نقول أن سبب نجاح الفاطميين في المغرب هو نفسه سبب سقوطهم ورحيلهم عنها.

لذلك واجهت الدولة الفاطمية منذ قيامها في بلاد المغرب، حركات معارضة عنيفة ومتصلة شغلت عهود خلفائها الأربع الأوائل: عبد الله المهدي والقائم بأمر الله والمنصور بالله والمعز لدين الله قبيل انتقاله إلى مصر، وهي مدة تمتد من عام (297هـ/909م) إلى عام (362هـ/972م)[3]، والذي كان سبب تأججها، الخطأ الفادح الذي ارتكبه المهدي بقتل عبد الله الداعي، هذا الأخير لو كسبه الإمام إلى صفِّه لكان للفاطميين شأن آخر في بلاد المغرب الإسلامي، فالكتاميون لم يعرفوا غير أبا عبد الله، الذي يقول عنه القاضي النعمان: "فأيَّد الله أبا عبد الله لما أراده من ظهور أوليائه في ذلك بتوفيقه، وأيَّده بتسديده...فلم يقدم أحداً ولا أخّره، ولا نوّه به ولا ذكره، ولا أثاب ولا عاقب، ولا ترك ولا طالب، ولا أقبل ولا أدبر، ولا أسرّ ولا أظهر، إلا ما يوجبه الدين والصدق، ويحقُّه الواجب والحق لا يقبل من أحد إلا ذلك، ولا يثيب إلا به ولا يعاقب إلا عليه، ولا يعطي رخصة فيه، فاستعمل ذلك له أهل كل طبقة لما أرادوه"[4]، وعندما مرّ المهدي بإيكجان أخذ الأموال، التي كانت عند دعاة ومشايخ كتامة، الذين استهجنوا هذا الفعل، لأنهم كما يقول القاضي النعمان: "وتوهموا أنهم يكونون كما عوّدهم أبو عبد الله يأمرون وينهون ويقبضون ويبسطون"[5]، وبعد قتلِ أبي عبد الله الداعي وأخيه أبي العباس في سنة

---

[1]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص224.

[2]- ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص95.

[3]- علاء عباس حسن أبو رغيف: **الحركات المعارضة للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي** (297-362هـ/909-972م)، رسالة مقدمة انيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، إشراف. سادسة حلاوي حمود، جامعة واسط، العراق، 1434هـ/2013م، ص77.

[4]- القاضي النعمان: **افتتاح**، ص-ص118-119.

[5]- نفسه، ص289.

298هـ/911م، قامت فتنة عظيمة قال عنها المقريزي: "وثارت فتنة بسبب قتلهما، وجرّد أصحابها السيوف، فركب المهدي وأمَّن الناس فسكنوا، ثم تتبعهم حتى قتلهم"[1]، هذه الإجراءات التي طبّقها المهدي، كانت عند الكتاميين انقلابا على الشرعية، التي أسّس لها أبو عبد الله الداعي.

وتوالت الثورات على المهدي الفاطمي، ففي نفس السنة التي قُتِلَ فيها الداعي أبو عبد الله، ثار أهل سجلماسة على عامل الدولة الفاطمية وقتلوه، وقدّموا عليهم الفتح بن الأمير مدرار[2]، ولم يعودا للسلطة الفاطمية إلا سنة 309هـ/921م، عندما زحف عليهم القائد مصالة بن حبوس في جموع كتامة ومكناسة، ثم عادوا للتمرد من جديد، حتى عهد المعز لدين الله الفاطمي، الذي أرسل لهم قائده جوهر الصقلي بجيش من كتامة وصنهاجة، وأخضعهم سنة 347هـ/958م[3]، هذه المقاومة والرفض للسلطة الفاطمية استمرت عبر كل عهود الدولة المدرارية، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على أن المذهب الشيعي لم يُوَفَقْ لأن يكون مذهباً بديلاً للمذهب الصفري في سجلماسة.

وتسبب مقتل أبي عبد الله الداعي في ثورة أخرى، من جماعة من بني الأغلب في رقّادة، فعندما سمعوا بمقتله قال أحدهم: "قُتِلْتُم والله كلكم! قالوا: وما ذنبنا نحن؟ قال: هذا الذي أمنّكم قد قتل، وهو صاحب هذا الأمر وسبب هذا الملك، فكيف بكم وأنتم تُعدّون من الأعداء، ومَنْ قَتَلَ وَلِيَّهُ كان إلى قتل عدوّه أسرع"[4]، لذلك جاهر بنو الأغلب تمردهم وعصيانهم على المهدي وأعلنوا الحرب عليه، وقتلوا جماعة من الكتاميين، وعندما دبّ الضعف فيهم انسحبوا إلى منازلهم ودورهم، إلى أن أمر المهدي بالقبض عليهم، وقتلوا على باب رقّادة وجعلت رؤوسهم عليه[5]، كل هذا ولم ينتهي لهيب الثورات في عهد الإمام الفاطمي الأول، فقامت ثورة في القيروان وفي طرابلس ورجع الكتاميون إلى بلادهم، ونصّبوا على أنفسهم إماماً، كان غلاماً حدثاً وزعموا أنه المهدي، وقالوا: أبو عبد الله حي لم يمت، واجتمعت كل كتامة على ذلك، وزحفوا على ميلة وأخضعوها لسلطتهم، فخرج إليهم القائم بأمر الله الفاطمي

[1]- المقريزي: **اتعاظ**، 68/1.

[2]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص145.

[3]- ابن خلدون: **العبر**، 173/6-174.

[4]- القاضي النعمان، **افتتاح**، ص320.

[5]- نفسه، ص-ص320-321.

وهزمهم وقتل منهم خلقاً عظيماً، كما قامت ثورة أخرى في تيهرت، كل هذه الثورات كانت سنة 299 هـ/911م[1].

لم تنته التمردات والمخالفات على الخليفة الفاطمي، فشملت أهل طرابلس وبرقة وصقلية، وتيهرت ونكور وفاس وورجلان وجبل نفوسة[2]، فكلما هدأت منطقة ثارت أخرى، حتى توفي المهدي وترك وراءه حملاً ثقيلاً لمن سيخلفه، ففي السنة التي توفي فيها المهدي سنة 322هـ/934م، بلغت حركات الرفض والمعارضة للخلافة الفاطمية أوجها، وتكللت بظهور حركة أبي يزيد مخّلد بن كيداد[3]، التي اعتبرت من الحركات الأكثر تنظيماً، بحيث تبنّت المذهب الإباضي النكّاري ودعت إلى العودة إليه، وسلكت نهجاً سياسياً مختلفاً عن السلطة الفاطمية، واستطاعت أن تجمع كل المعارضين للشيعة، من المذاهب غير الإباضية، وأعلن فقهاء وصلحاء القيروان تأييدهم لها واتفقوا مع أبي يزيد على جهاد الشيعة[4]، وتقدم ابن كيداد حتى وصل أسوار المهدية، يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "واشتدّ الحصار على المهديّة ونزل الجوع بهم"[5]، ولكن عندما دبّ الخلاف والشقاق صفوف أبي يزيد، تمكّن المنصور ثالث الخلفاء الفاطميين من القضاء عليه سنة 336هـ/948م[6]، وانتهت بذلك ثورة المغرب الإسلامي كله على الخلافة الشيعية بعد مرور عشرين عاماً من بدايتها.

ولم يَسْلَمْ عهدا المنصور بالله والمعز لدين الله من الثورات، فبعد القضاء على أبي يزيد حشد فضل بن أبي يزيد عدداً كبيراً من الأنصار في جبل أوراس، من قبيلة زناتة ومن البربر، واحتل المدن والقرى وامتدّ نشاطه إلى قسطيلية وقفصة، وبالإضافة إلى هذا ظهرت عدة تمردات من بعض قوّاد الجيش الفاطمي، لكن المنصور بالله استطاع أن يقضي عليها[7]، أما عهد المعز لدين الله فقد بدأه بمقاومة حركات المعارضة في جبل أوراس، يقول الداعي إدريس: "وقصد إلى جبل أوراس على حصانته ومنعته وكثرة أهله، والناس

---

[1]- القاضي النعمان: نفسه، ص-ص322-327؛ ابن عذاري: **البيان**، 191/1.

[2]- ابن عذاري، نفسه، ص-ص192-205.

[3]- هو مخّلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخّلد بن عثمان بن ورنمت بن حونيفر بن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة، ينظر، ابن خلدون: **العبر**، 18/7.

[4]- ابن عذاري، **البيان**، 229/1.

[5]- ابن خلدون، **العبر**، 21/7.

[6]- ابن عذاري، **البيان**، ص-ص231-232.

[7]- علاء عباس، المرجع السابق، ص-ص162-166.

بعقِبِ فتنة...فنهض إليهم أمير المؤمنين بجنوده المنصورة، وأعلامه المشهورة فأنزلهم من صياصيهم"[1]، ثم أعلن أبو العيش أحمد بن القاسم بن كنون بن إدريس خروجه عن طاعة الفاطميين، يقول عنه ابن الخطيب: "وخطب بدعوة عبد الرحمن الناصر من بني أمية، في جميع عمله في مدينة بني داود والبصرة وأصيلا وطنجة وسبتة وما إلى ذلك، إلى أن انتزع الناصر سبتة وطنجة، فتملّكها واستولى على أقطار العدوة"[2]، وهذا يعطي صورة واضحة عن الضغط الكبير، الذي تسببت فيه الدولة الأموية في الأندلس والذي أربك المعز لدين الله الفاطمي.

وتطورت المنافسة بين الخلافتين الأموية والفاطمية، للسيطرة على المغرب الإسلامي، حتى وصلت إلى التحالف مع الروم والصدام العسكري بينهما، وهو ما أكّده القاضي النعمان بقوله: "وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينية ومراكب بني أمية بالأندلس"[3]، لتبدأ بعد هذه المعارك حركات المعارضة في في تيهرت والمغرب الأقصى، والتي استدعت خروج القائد جوهر الصقلي سنة 347هـ/957م، الذي أعاد الهدوء النسبي إلى المنطقة، ليعود التوتر من جديد بعد خروج المعز لضمّ مصر، لكن هذه المرة كلّف المعز حلفاءه من بني زيري الصنهاجيين، مهمة القضاء على هذه التمردات[4]، واتجه نحو الشرق ليؤسس لدولة جديدة بعيدة عن بلاد المغرب الإسلامي.

يقول أحدهم عن أسباب هذا الانتقال: "ما طاب للمعز ولا لأحد من آبائه عيش بالمغرب، لأنها كانت موطن الفتن ومهد الحروب، وأهلها جفاة الأخلاق غلاظ الأكباد لا يصبرون على حال واحد من الاستقرار ولا يملون مدّ الأعناق إلى بلاد الأندلس وملوكه، ولقد قضى غالب أيامه كما قضى آباؤه نيفاً وستين عاماً في تلك البلاد الجبلية، في حروب مستعرة وقتال لا هوادة فيه ولا رحمة، تتخطّفهم القبائل من بين أيديهم ومن خلفهم، ويفترص عدوهم الأموي كل سانحة للبطش بهم وإيقاد الثورات والمعاثر لهم"[5]، رغم أن هذا النص يحمل الأسباب الحقيقية، لانتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، إلا أنه يحمل حكمًا قاسياً على أهل المغرب الإسلامي، الذين رفضوا جملة وتفصيلاً الدعوة الشيعية، لأنها جاءت متأخرة بعد أن تشبّعوا بتعاليم مذاهب أخرى، ورفضوا أن يُبَدِّلُوا مذاهبهم كما تُبَدَّلُ الثياب.

[1]- الداعي إدريس: **عيون الأخبار**، ص549.

[2]- ابن الخطيب: **أعمال**، ص-ص218-219.

[3]- القاضي النعمان: **المجالس**، ص166.

[4]- علاء عباس، المرجع السابق، ص-ص179-191، وانظر الملحق رقم 06.

[5]- إبراهيم جلال: **المعز لدين الله**، دائرة المعارف الإسلامية، مصر، 1944م، ص55.

**5- سقوط الإمامة الموحدية**

أما عن أسباب سقوط الدولة الموحدية، فكان أهمها طمع بني غانية في التغلب على إفريقية، ففي سنة 580هـ/1184م خرج أبناء علي بن إسحاق المعروف بابن غانية، وهو من أعيان الملثمين، من جزيرة مُيُرقة قاصدين مدينة بجاية، فأخضعوها وأخرجوا من بها من الموحدين[1]، فخرج إليهم الخليفة يعقوب المنصور، وأعادها إلى حظيرة دولته، وبقيت هذه الحركة تستنزف قوى الموحدين وتبعثر مجهوداتهم إلى سنة 601هـ/1205م، حيث تصدى لها الخليفة محمد الناصر، وأقام على إفريقية أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر إينتي[2]، شيخ قبيلة هنتاتة وجدُّ الحفصيين في تونس.

كما شكّل اختلاف بني عبد المؤمن وطمعهم في السلطة، أحد مشاكل الدولة الموحدية، يقول المراكشي: "وحين كان أمير المؤمنين أبو يوسف غائباً في هذا الوجه الذي ذكرنا، طمع في الأمر أخوه أبو حفص عمر المتلقب بالرشيد، وعمُّهُ سليمان بن عبد المؤمن، وكان أحدهما بشرقيّ الأندلس بمدينة مرسية والآخر بتادلا من بلاد صنهاجة"[3]، وهو ما شجّع آخرين من غير العائلة المؤمنية، على الثورة ضد السلطة الموحدية، من أمثال عبد الرحمن الجزولي الثائر بالسوس.

وتعتبر وقعة العقاب وهزيمة المسلمين فيها، من أبرز أسباب سقوط الدولة الموحدية، والتي جرت بين الخليفة محمد الناصر ونصارى الأندلس سنة 609هـ/1212م[4]، حيث اجتمعت لحرب المسلمين قوات نصرانية كبيرة، فقد كان فيها ملوك قشتالة وليون ونافار وأرجون ومعظم كبار فرسان إسبانيا النصرانية وقوات ألمانية وفرنسية وبرتغالية، مما أدى إلى هزيمة المسلمين، وهو ما شجّع ملوك النصارى ومضوا يستولون على الحصون الإسلامية دون مقاومة تقريباً.

ولكن بداية الهزيمة الحقيقية كان سنة 624هـ/1227م، عندما قام أبو العلاء إدريس عامل إشبيلية، بالمناداة بنفسه خليفة للموحدين، منافساً لأبي زكريا يحي بن الناصر، الذي بويع له بمراكش في ذلك الوقت، وكذلك منافساً لأخيه أبي عبد الله محمد الذي كان والياً على مرسية في شرق الأندلس، فترك أبو عبد الله هذا ولايته ومضى إلى مراكش حيث بايعته مشيخة الموحدين ولقّب بالعادل، وقد أخذ أبو العلاء إدريس الذي تلقّب بالمأمون، كل ما استطاع من القوات الإسلامية في الأندلس، وترك البلاد

---

[1]- المراكشي: **المعجب**، ص189.

[2]- نفسه، ص-ص227-228.

[3]- نفسه، ص196.

[4]- نفسه، ص230.

بدون حماية وعبر إلى مراكش ليطلب الخلافة، فأخذت كبريات العواصم تسقط، وبدأت الحروب الأهلية والمنافسات التي انتهت بقيام حلفائهم القدامى، وهم بنو مرين الزناتيون بدخول مراكش والقضاء على آخر الموحدين في سنة 668هـ/1270م، وكان على رأس بني مرين أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق[1]، وبدءاً من هذا التاريخ تنتهي أسرة الموحدين ويحل محلهم في المغرب الأقصى بنو مرين[2]، وبالموازاة مع ظهورهم ظهرت قوى أخرى اقتسمت المغربين الأدنى والأوسط، وهما الزيانيون في تلمسان سنة 633هـ/1236م، والحفصيون في تونس سنة 634هـ/1237م.

كما يرى بعض الباحثين أن سبب سقوط خلافة الموحدين، هو التخلي عن عقيدة ابن تومرت، ففي عهد الخليفة أبي العلاء إدريس المأمون، تأتي مرحلة هدم أراء ابن تومرت، فإذا كان المنصور لم يصرّحِ بآرائه علناً، فإن المأمون الموحدي أعلنها صريحة فوق المنابر، مطالباً بهدم هذه الدعوة، حيث يقول ابن عذاري: "وكتب أيضاً أبو العلى المأمون بخطِّ يده إلى بلاده كلها، بزوال اسم المهدي من السكة والخطبة"[3].

وينقل ابن عذاري رسالة كتبها الخليفة أبو العلاء إلى رعيته يقول فيها: "...ولتعلموا أنا نبذنا الباطل وأظهرنا الحق، وأن لا مهديَّ إلا عيسى بن مريم، وما سمي مهدياً إلاّ أنه تكلّم في المهد، وتلك بدعة قد أزلناها...وقد أزلنا لفظ العصمة عمن لا تثبت له عصمة، فلذلك أزلنا عنه رسمه، فتَسقُطُ وتبتُّ وتمحى ولا تثبت"[4]، لقد أعلن المأمون ثورته التصحيحية الجريئة، التي قلبت الحياة الدينية والفكرية والاجتماعية في المجتمع الموحدي، وكانت من الناحية السياسية عاملاً زاد في حدة الصراع الداخلي وسط المصامدة، الذين انقسموا بين الولاء للخليفة المأمون، وبين الولاء لابن أخيه يحي المعتصم الذي لجأ إلى سجلماسة، فَضَعُفَ أداء أشياخ الموحدين، ومن ثمّ ضعفت السلطة ككل[5]، وهو أمر طبيعي إذا نظرنا إلى

---

[1])- هو أمير المسلمين عبد الله، يعقوب ابن الأمير عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد الزناتي ثم المريني الحمامي، بويع له بالخلافة سنة 656هـ/1258م، فتح البلاد من أقصى السوس إلى وجدة، وفتح حضرة مراكش وقطع ملك الموحدين، ينظر، ابن أبي زرع: **الأنيس**، ص-ص298-299.

[2])- المراكشي، نفسه، ص-ص238-241؛ حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، مصر، 2004م، ص234.

[3])- ابن عذاري: **البيان**، 406/3.

[4])- نفسه، 406/3-407.

[5])- عبد الجبار عماري، بن موسى محمد: العوامل العقدية المؤثرة في سقوط الدولة الموحدية (ق 6 وق 7هـ/ق 12 وق13م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة لونيسي علي، البليدة، مج4، ع1، جوان 2020م، ص629، وانظر الملحق رقم02.

القانون الإلهي ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[الرحمن: 26]، لكن يكفيها شرفاً دولة محمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي أن وحّدت بلاد المغرب الإسلامي، ودافعت عن الإسلام في بلاد الأندلس.

وخلاصة القول إن هذه الإمامات ببلاد المغرب الإسلامي، استمرت من عام 140هـ/757م حتى عام 668هـ1270م، أي خمسة قرون وربع، تربعت في بلاد المغرب من أقصاه إلى أقصاه، ومن شماله إلى جنوبه، وتركت بصماتها القائمة إلى يومنا هذا، فالإمامة ببلاد المغرب كانت من أبرز المحطات في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي.

# الخاتمة

**الخاتمة:**

وفي نهاية بحثنا في النظم في المغرب الإسلامي، الذي تناولت فيه الإمامة أنموذجاً خَلُصت إلى العديد من النتائج المهمة أعرضها فيما يلي:

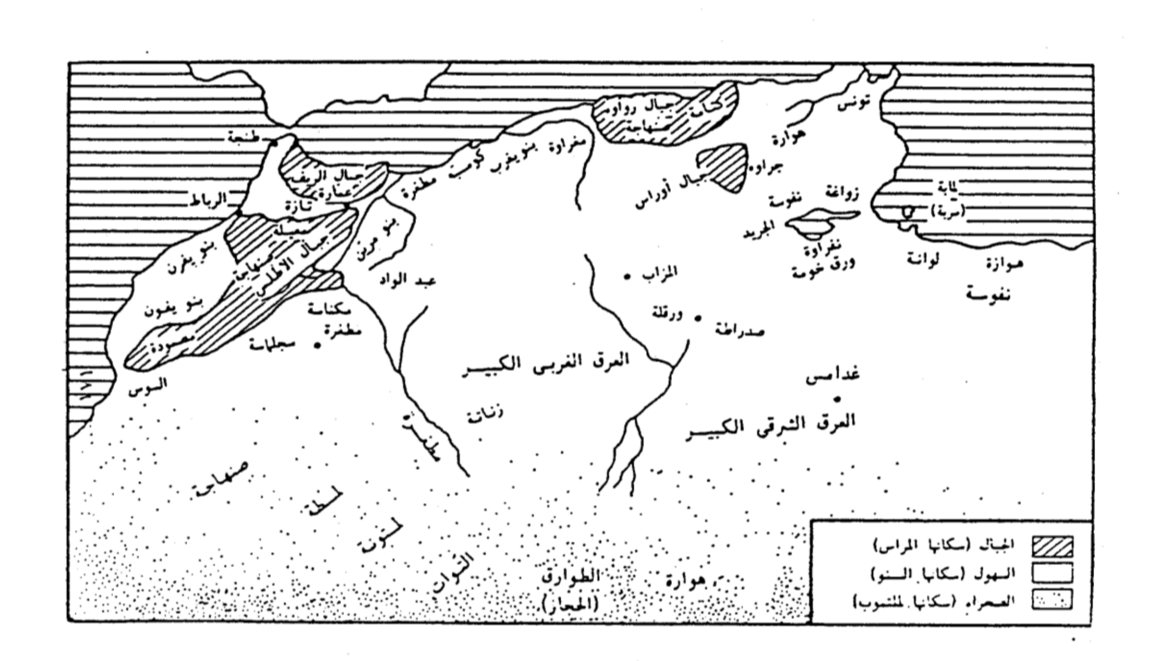
- ✓ لقد عبّرت الإمامة في بلاد المغرب الإسلامي عن مستوى النضوج الفكري والسياسي للمغاربة، وكوّنت معارضة حقيقية للسلطة المركزية في المشرق الإسلامي فكانت المذاهب والقبائل والقيادة الحكيمة للأيمة، من أهم الأسس التي بنت عليها المعارضة نفسها.
- ✓ كانت الخلافة الراشدة نموذجاً للحكم العادل، حيث حققت الانصاف والمساواة ونشرت الإسلام في أقاصي البلاد، فأضحت النموذج الأمثل للخلافة في الإسلام لتلبيتها حاجات الأمة من خلال بناء مؤسسات الدولة، العسكرية والمالية والقضائية والإدارية.
- ✓ انتشرت المذاهب في بلاد المغرب الإسلامي، بفضل دعاة مخلصين في بيئة كانت تتحضر لإعلان التمرد والثورة، فنشاط واجتهاد دعاة المذاهب الجديدة تكلّل بظهور الإمامة لأول مرة في بلاد المغرب الإسلامي عام 140هـ/757م، تمثلت الإمامات في إمامة بني مدرار الصفرية، وإمامة الرستميين الإباضية، وإمامة الأدارسة الزيدية، وإمامة الفاطميين الإسماعيلية، وإمامة الموحدين التي استقرت في سلالة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي الندرومي
- ✓ الإمامة عند الإباضية والصفرية، فرض وواجب دون التعصب لجنس أو عرق، أما عند الأدارسة والفاطميين فلا تكون إلا في علي وأولاده من بعده، والإمامة عند الموحدين بدأت بابن تومرت، الذي قيل إن نسبه يعود لعلي بن أبي طالب ﷺ ثم استمرت من بعده في عبد المؤمن وأبنائه.

- ✓ عبّرت كل الإمامات عن شرعيتها في الحكم، واستدلّت بالكتاب والسنة ولكن بوجهات نظر وتفسيراتٍ مختلفة، وإن لم تعترف بها خلافة العباسيين، فكان الهدف والغاية من إقامة الإمامة في المغرب الإسلامي هو إصلاح الأوضاع والاستقلال عن خلافة العباسيين.
- ✓ نجحت الإمامة في المغرب، بفضل الأيمة الذين كانوا يملكون مؤهلات النجاح، من علم وشجاعة وحسن قيادة، فأقاموا دولاً وفروا فيها لرعاياهم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية الملائمة.
- ✓ قام الأيمة بوظائفهم المنوطة بهم، فكانت دينية ودنيوية، كإقامة الجمعة والصلاة بالناس والوعظ والإرشاد، إلى جانب حراسة العقيدة الإسلامية بتطبيق أحكام الله ﷻ من كتابه وسنة نبيه ﷺ، وقادوا فريضة الجهاد، لنشر الإسلام في الأندلس وبين قبائل المغرب، التي كانت على دينٍ غير دين الإسلام، كما سعوا لنشر مذاهبهم الخاصة، في بلاد السودان الغربي.

وبناءً على ما تمّ التوصل إليه من نتائج، فإنه من الضروري إعادة التاريخ إلى مكانه الطبيعي في العلوم الاجتماعية، لأن فصل التاريخ عن منبعه أدى إلى إفراغه من محتواه وأهميته، وأدى أيضاً إلى صعوبة البحث فيه، فالعلوم الاجتماعية التي تهتم بدراسة السلوك الإنساني، الذي يشمل جوانبه الاجتماعية والثقافية، هي ضرورة للباحث في مجال علم التاريخ، لأنها تساعده على تفسير الظواهر التي يصادفها في بحثه، لذلك من المهم أن يتلقى طلاب التاريخ شيئاً من علوم الاجتماع، حتى نجد الإبداع والتجديد في بحوثهم العلمية.

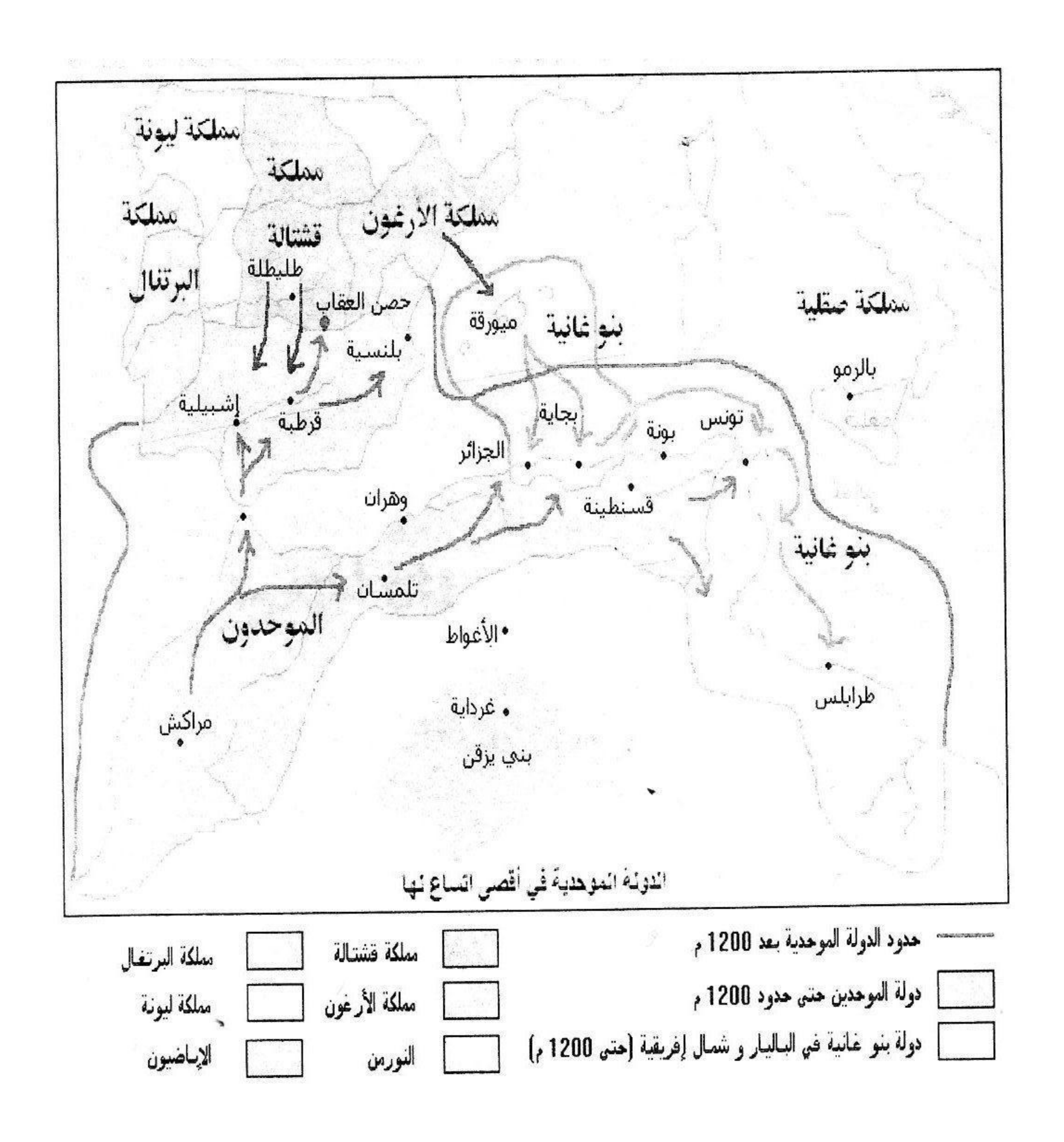
# الملاحق

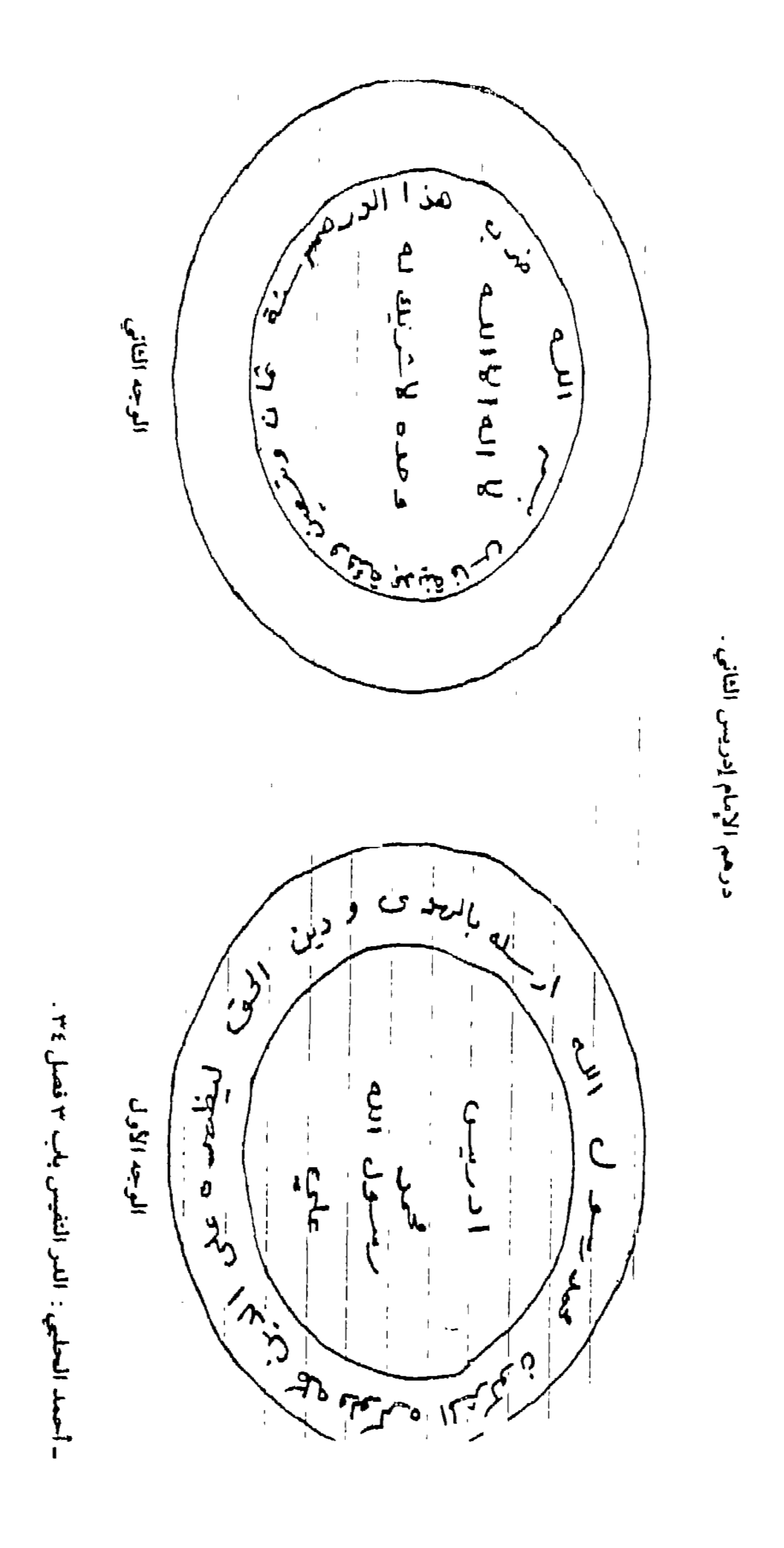
الملحق رقم 01: نقلاً عن / وفاء يعقوب جبريل. دولة بني مدرار الصفرية بالمغرب الأقصى الإسلامي، ص145.




قبائل البربر في المغرب

الملحق رقم 02: نقلاً عن/ محمد طهراوي. الحركة الدينية عند المرابطين والموحدين، ص86، والخريطة تعبّر عن المناطق التي وصلت إليها الإمامة الموحدية وأخضعتها لها.






الملحق رقم 03: نقلاً عن سعدون نصر الله. دولة الأدارسة في المغرب، ص195، وهو درهم الإمامة الإدريسية وشارة من شارات هذه الإمامة في المغرب الأقصى.

الملحق رقم 04: نقلاً عن وفاء يعقوب جبريل. دولة بني مدرار الصفرية في المغرب الأقصى، ص147، وهو عبارة عن دينار مدراري وشارة من شارات الإمامة المدرارية الصفرية في سجلماسة.

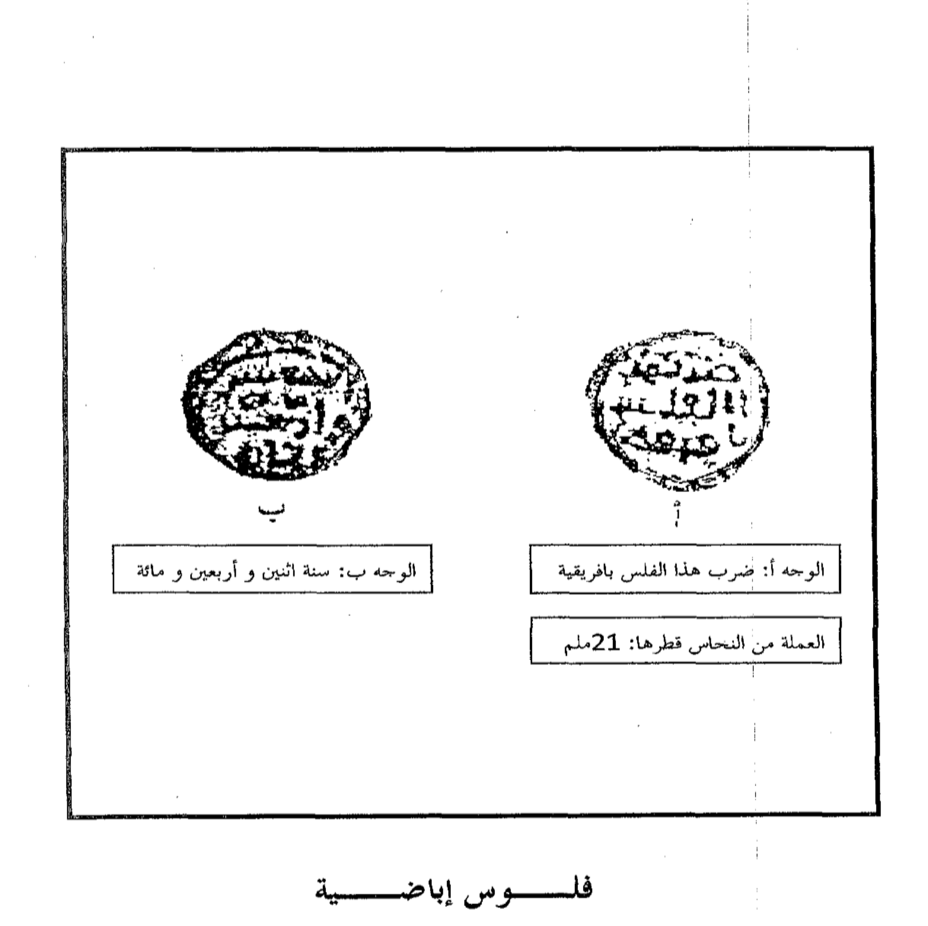



شكل (٧)

دينار بني مدرار ضرب بسجلماسة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائةباسم الشاكر لله

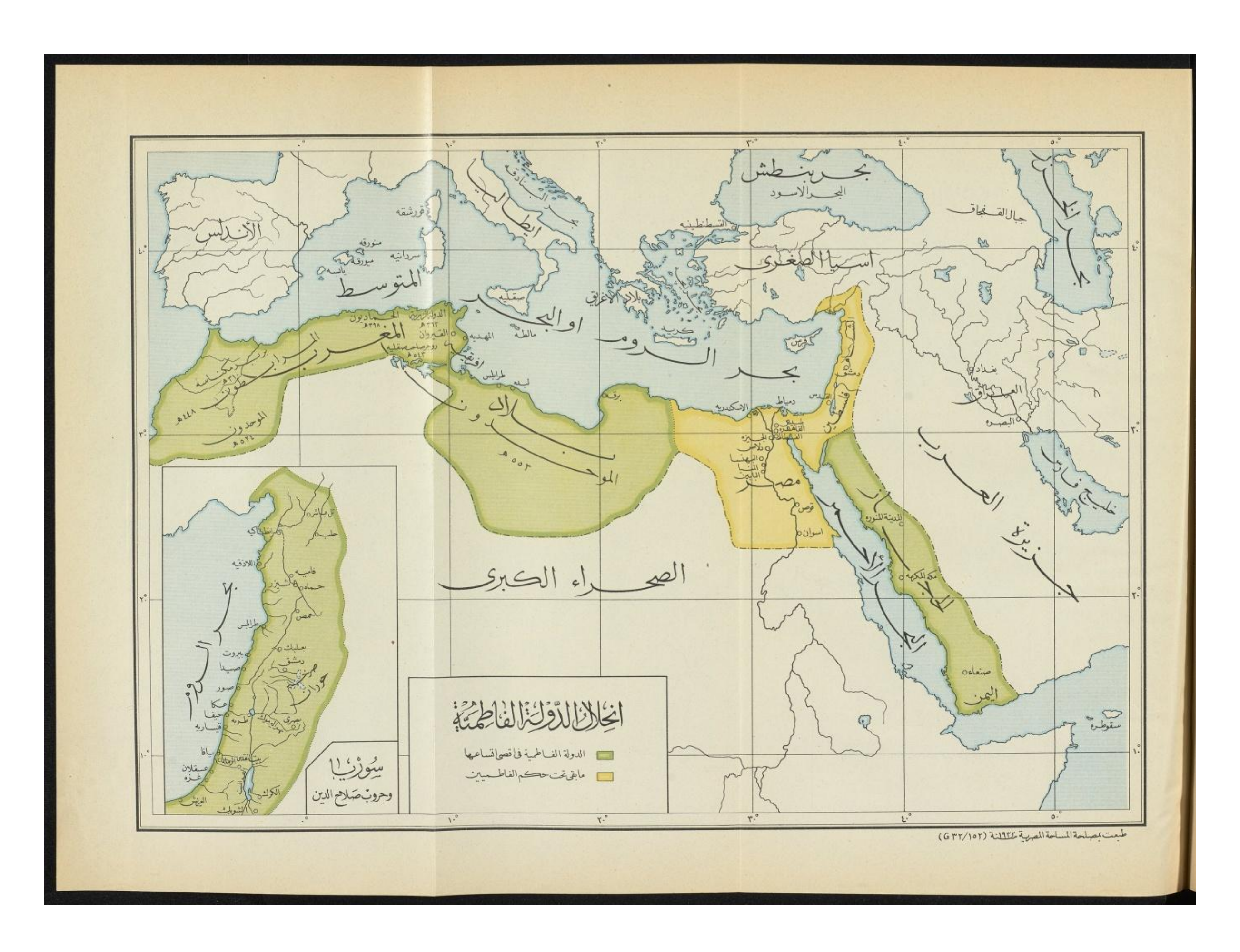
نقلا عن / مجلة الأكاديمية المغربية . عبد الهادي التازي . العملة ودور السكة في المغرب

الملحق رقم 05: نقلاً عن/ إبراهيم بحاز. الدولة الرستمية (دراسة في الأوضاع الاقتصادية ...) ص184.



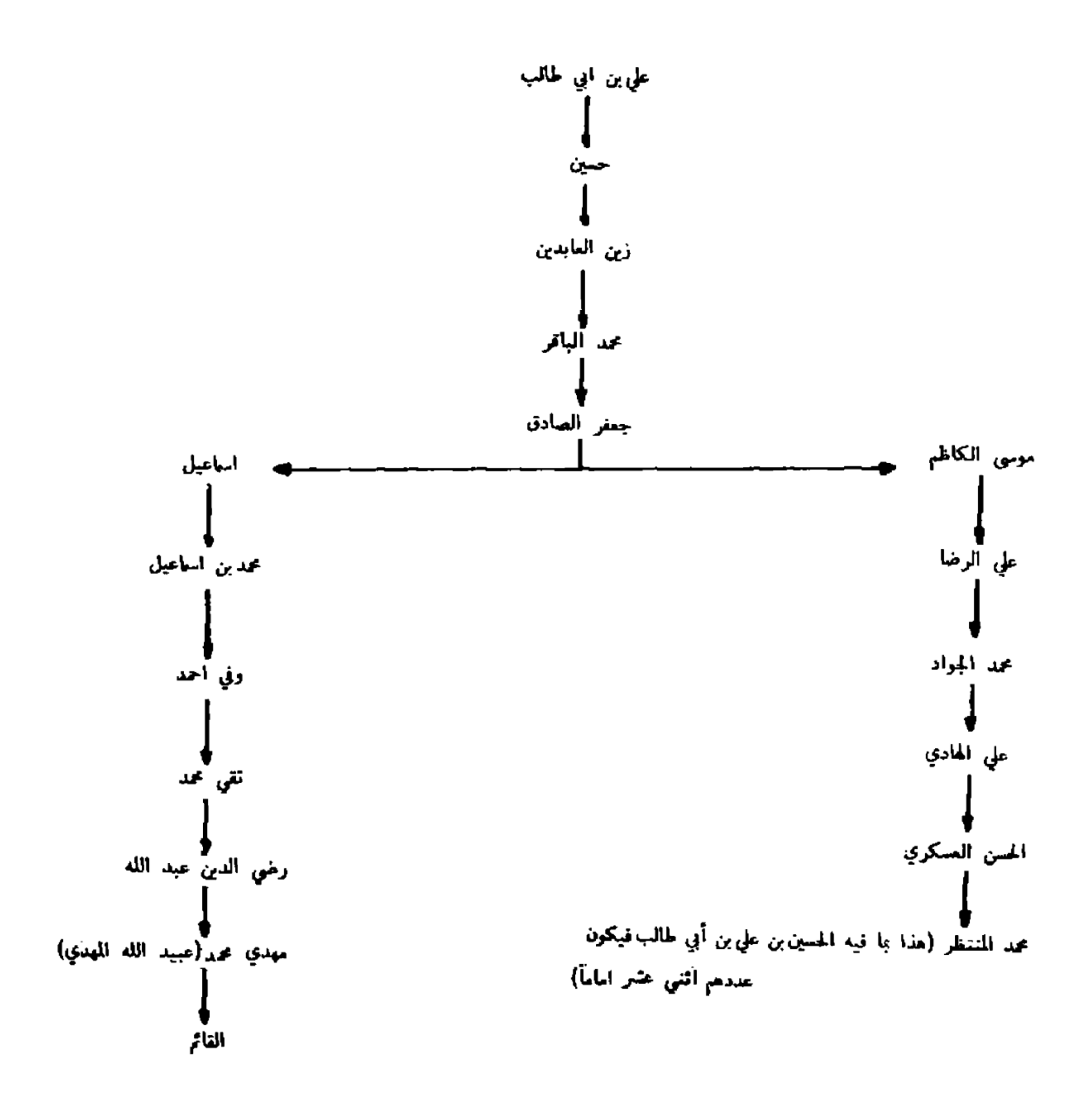

فلـــــوس إباضـــــية

الملحق رقم 06: نقلاً عن / حسن إبراهيم حسن. الفاطميون في مصر، ص293.



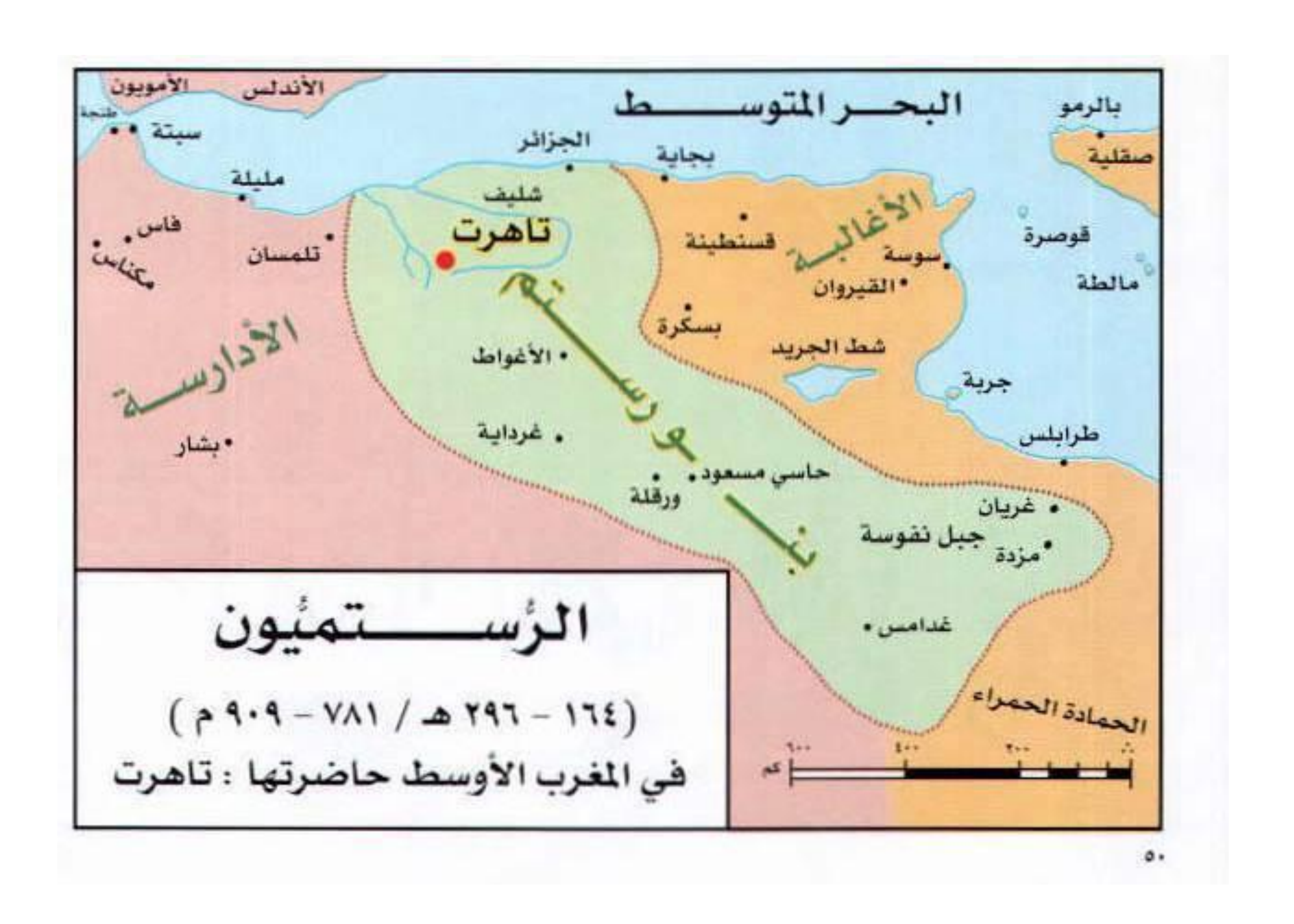

تعبّر الخريطة عن تقلص الإمامة الفاطمية، بعد انفصال المغرب الإسلامي والحجاز عنها.

الملحق رقم 07: نقلاً عن / عارف تامر. القائم والمنصور الفاطميان، ص119.



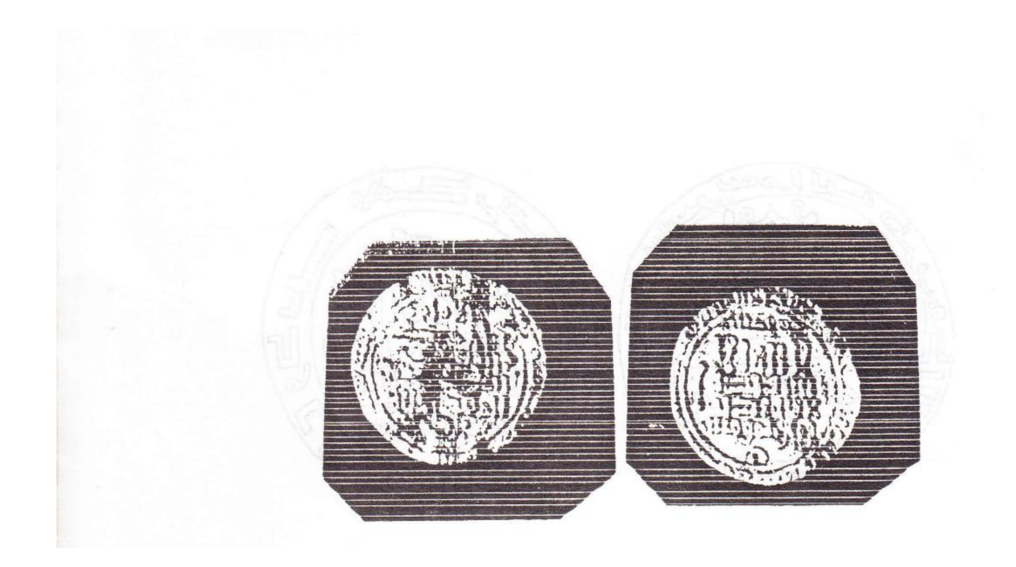

شجرة نسب الفاطميين، التي تظهر أحقية أبناء عبد الله المهدي في الإمامة وحكم المسلمين.

الملحق رقم 08:شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر، دمشق، ط12، 1425هـ/2006م، ص50.




حدود الدولة الرستمية

الملحق رقم 09: نقلاً عن صالح بن قربة. المسكوكات الفاطمية في حضارة المغرب الإسلامي، ص50.



دينار عبد الله المهدي بالله الفاطمي

ضربت هذه الدنانير على طراز الدنانير الأغلبية شكلاً ومحتوى، باستثناء ظهور اسم المهدي وألقابه الشيعية تحمل نصوصاً كتابية على الوجه والظهر، في الهامش: محمد رسول الله، أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله، المركز: عبد الله، وفي الظهر الهامش: بسم الله ضرب هذا الدينار سنة...وثلاث مئة، المركز: الإمام، وتعتبر هذه الدنانير إحدى شارات الإمامة الفاطمية في المغرب.



## فهرس الأعلام


إ

إدريس الثاني........................276، 152، 151

إدريس بن عبد الله

127, 153, 161, 162, 169, 185, 207, 225, 280

إدريس عماد الدين ................................134

أ

أطفيش

28, 36, 55, 67, 68, 69, 70, 113

أفلح ابن عبد الوهاب ..........................80

ا

البيذق

24, 185, 187, 190, 193, 194, 196, 200, 207, 220, 221, 225, 227, 228, 229, 231, 232, 234, 242, 243, 251, 252, 256, 257, 274, 278, 281, 299

الحسين بن علي

11, 123, 124, 125, 127, 128, 129, 130, 131, 137, 138, 142, 154, 157, 166, 168, 268, 281

الدرجيني

53, 54, 56, 57, 74, 75, 76, 78, 97, 113, 158, 263

الشماخي

18, 53, 54, 55, 74, 75, 97, 113, 117, 296, 302

الطبري

17, 36, 39, 40, 42, 43, 44, 45, 46, 47, 48, 52, 53, 150, 263, 264, 265, 267, 268

القاضي النعمان

23, 125, 128, 129, 133, 136, 137, 138, 140, 141, 142, 143, 147, 155, 156, 158, 159, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 168, 172, 173, 174, 175, 181, 273, 289, 290, 309, 310, 312

القائم بأمر الله

145, 157, 158, 165, 168, 169, 180, 310

القلقشندي

35, 38, 177, 178, 244

الكندي

64, 65, 66, 68, 70, 90

الماوردي

34, 35, 38

المراكشي

22, 25, 185, 186, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 196, 198, 208, 215, 221, 222, 223, 224, 225, 233, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 242, 243, 244, 245, 248, 254, 257, 258, 271, 292, 295, 303, 313, 314

المعز لدين الله

23, 144, 160, 161, 162, 163, 164, 165, 169, 172, 174, 180, 278, 289, 290, 302, 310, 311, 312

المقريزي

24, 143, 154, 156, 157, 158, 159, 160, 161, 184, 295, 297, 309, 310

المنصور الفاطمي

25, 63, 125, 127, 148, 158, 159, 160, 162, 164, 165, 168, 169, 177, 180, 181, 185, 187, 190, 233, 234, 236, 237, 238, 239, 240, 243, 244, 245, 250, 256,

257, 258, 277, 280, 298, 303, 311, 313, 314

ا

ابن إباض

52, 55, 56, 264

ابن أبي زرع

127, 151, 152, 153, 170, 171, 185, 186, 189, 190, 192, 194, 196, 220, 221, 248, 288, 301, 304, 309, 314

ابن الأثير

6, 37, 41, 42, 43, 44, 47, 52, 156, 214, 215

ابن الخطيب

71, 74, 91, 103, 106, 108, 112, 126, 167, 272, 273, 275, 276, 295, 306, 308, 309, 310, 311, 312

ابن الصغير

20, 21, 69, 72, 77, 78, 79, 81, 82, 84, 86, 87, 88, 89, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 103, 104, 105, 107, 108, 109, 110, 113, 114, 115, 275, 285, 286, 299, 302, 306, 307

ابن الصفار .........................52, 57

ابن بدر الدين..........     131, 132, 137, 139

10, 12, 13, 19, 24, 25, 27, 183, 184, 185, 186

ابن تومرت

, 187, 188, 189, 190, 191, 192, 193, 194, 195,196

, 197, 198, 199, 200, 201, 202, 203, 204, 205, 206, 207, 208, 209, 210, 211, 212, 213, 214, 215, 216, 217, 218, 219, 220, 222, 223, 224, 225, 226, 228, 230, 241, 242, 243, 246, 247, 248, 249, 250, 251, 254, 255, 256, 257, 258, 271, 274, 278, 281, 304, 314

ابن حزم

35, 36, 43, 123, 199, 213, 220, 266

ابن خلدون

7, 31, 36, 61, 71, 72, 73, 74, 90, 91, 112, 116, 118, 122, 128, 129, 130, 149, 150, 153, 185, 186, 187, 188,

190, 191, 192, 194, 195, 196, 198, 207, 214, 218, 220, 221, 223, 224, 226, 228, 229, 235, 243, 245, 246, 247, 249, 255, 256, 281, 282, 283, 284, 287, 288, 291, 294, 299, 300, 305, 306, 310, 311

ابن عباس
54, 58, 61, 91, 117, 249

ابن عذاري
50, 63, 64, 76, 101, 149, 150, 160, 161, 171, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 232, 234, 237, 243, 245, 246, 249, 250, 251, 252, 254, 258, 273, 274, 281, 295, 298, 299, 308, 310, 311, 314

ابن قتيبة.........................................48، 46


أ


أبو بكر بن أفلح..............................110، 84

أبو زكريا
54, 58, 74, 75, 76, 80, 85, 92, 95, 96, 99, 101, 102, 107, 113, 114, 117, 225, 256, 272, 275, 276, 284, 296, 303, 306, 307

أبو القاسم سمكو............91، 71، 61

أبو عبيدة مسلم.............................101، 75، 55

أبوعبد الله الشيعي ................................155

أبواليقظان........................................110، 98، 86، 85

أبو يعقوب................. 221, 233, 234, 235, 236, 237, 240


ج


جابر بن زيد.................................53، 54، 264


ز


زيد بن علي ..............................124، 268


س


سلمة بن سعد.............................56، 57، 58، 60، 61، 75


ع


عبد الله المهدي .......................... 328، 309، 280، 162، 154، 27

عبد المؤمن
12, 24, 25, 183, 184, 191, 194, 195, 196, 205, 206, 208, 215, 221, 222, 223, 224, 225, 226, 227, 228, 229, 230, 231, 232, 233, 234, 236, 237, 240, 241, 242, 244, 245, 246, 247, 248,249, 251, 253, 256, 257, 258, 259, 278, 281, 292, 295, 298, 299, 301, 313, 317

عكرمة مولى ابن عباس.........149، 103، 91، 72، 61

علي بن أبي طالب
11, 23, 30, 46, 47, 48, 51, 121, 123, 124, 125, 131, 134, 137, 138, 140, 141, 142, 148, 153, 154, 157, 161, 166, 176, 185, 225, 261, 262, 263, 266, 268, 280, 281

عيسى بن عبد الله ......................126

**ك**

كرماني
19, 133, 134, 135, 140, 143, 145

**م**

محمد بن إسماعيل
37, 126, 154, 157, 163, 281

**ي**

يعقوب المنصور ..........................239

# فهرس الأماكن


## إ

إيجليز................ 186, 193, 221, 282

إيكجان ..............................131

## ا

افريقية

22, 23, 27, 51, 59, 63, 64, 73, 83, 94, 123, 127, 128, 130, 131, 152, 153, 157, 181, 228, 229, 231, 236, 239, 241, 242, 286, 289, 290, 294, 296, 297, 299, 301, 310, 314

الإسكندرية

58, 70, 157, 186, 189, 191, 200, 220, 247

الأندلس

17, 22, 25, 36, 51, 85, 92, 104, 155, 161, 187, 196, 200, 228, 231, 232, 233, 234, 235, 236, 237, 238, 239, 240, 241, 251, 252, 254, 259, 285, 294, 297, 298, 307, 309, 310, 313, 314, 315, 316, 320

البصرة

53, 54, 56, 58, 59, 61, 62, 69, 70, 76, 78, 103, 199, 263, 265, 268, 271, 278, 303

الجريد.......................57, 60, 294, 305

79, 111, 120, 159, 174, 295, 303, 304, 320............ السودان

الشام

27, 49, 51, 52, 53, 55, 58, 108, 123, 155, 157, 179, 292

العراق

46, 52, 57, 60, 75, 76, 123, 124, 126, 134, 135, 151, 167, 222, 263, 267, 268, 311

القيروان

62, 64, 69, 71, 76, 77, 79, 90, 93, 103, 119, 123, 128, 145, 156, 160, 272, 281, 289, 294, 299, 312

الكوفة

47, 48, 55, 58, 125, 129, 135, 264, 267, 268, 269, 297

المشرق

6, 11, 12, 22, 49, 50, 51, 55, 57, 58, 59, 62, 63, 72, 76, 78, 80, 83, 85, 89, 97, 100, 103, 117, 122, 124, 127, 128, 130, 131, 148, 188, 189, 190, 192, 193, 200, 232, 260, 266, 270, 274, 277, 292, 293, 294, 305, 319

المغرب

6, 7, 8, 9, 10, 11, 12, 13, 14, 16, 17, 18, 20, 21, 22, 23, 24, 25, 26, 27, 28, 49, 50, 51, 52, 54, 56, 57, 58, 59, 61, 62, 63, 65, 69, 70, 71, 72, 73, 75, 76, 77, 79, 80, 81, 84, 93, 94, 101, 102, 103, 110, 115, 117, 120, 121, 122, 123, 124, 126, 127, 128, 129, 130,

131, 134, 136, 138, 145, 148, 149,
150, 151, 152, 153, 154, 156, 157,
158, 159, 165, 169, 170, 171, 172,
173, 176, 177, 179, 180, 181, 183,
184, 185, 186, 187, 189, 190, 191,
192, 199, 200, 201, 206, 207, 208,
216, 220, 223, 226, 228, 229, 232,
234, 236, 240, 242, 246, 247, 249,
253, 256, 260, 261, 262, 264, 266,
270, 272, 273, 274, 276, 278, 281,
282, 283, 284, 285, 287, 288, 289,
290, 291, 292, 293, 294, 295, 296,
297, 298, 299, 300, 301, 302, 303,
304, 305, 306, 307, 309, 310, 311,
313, 314, 315, 316, 319, 320, 322,
324, 325, 330

المغرب الإسلامي
, 10, 12, 22, 24, 26, 48, 57, 58, 61,
120, 122, 170, 176, 228, 259, 274,
283, 290, 297, 311, 314, 316, 319

المغرب الأوسط
77, 80, 93, 94, 185, 288, 289, 298,
301, 310

المهدية
121, 156, 160, 166, 178, 191, 217,
229, 299, 313

الموصل.............................17, 58, 278
19, 23, 119, 131,
اليمن..........................132


## ب

بغداد
17, 57, 85, 86, 87, 97, 98, 126, 151,
177, 189, 221, 263, 271, 272

بقدورة.............................65

بلاد السوس 294 ,229 ,209 ,186 ,151 ,128


## ت

تاورغا........................................64

تلمسان
26, 79, 80, 107, 115, 128, 129, 151,
153, 154, 208, 226, 228, 229, 230,
236, 248, 289, 290, 295, 296, 301,
310, 315

تونس
37, 51, 60, 129, 191, 224, 229, 239,
275, 284, 286, 314, 315

تينملل
188, 195, 196, 222, 224, 229, 234,
241, 244, 246, 252, 293

تاهرت
70, 77, 78, 79, 80, 82, 83, 85, 86, 90,
91, 93, 94, 96, 98, 100, 288, 296,
297, 298, 308

تيهرت
9, 20, 21, 69, 72, 73, 76, 77, 78, 79,
81, 82, 84, 85, 86, 89, 90, 92, 93,
95, 97, 99, 100, 101, 104, 109, 110,
113, 114, 115, 119, 120, 122, 150,

174, 265, 285, 286, 287, 288, 296,
297, 298, 302, 304, 305, 308, 312,
313, 329

## ج

جبل نفوسة
20, 60, 61, 63, 80, 81, 84, 90, 287,
295, 305
جربة.................................20, 64, 84

## س

سجلماسة
9, 16, 19, 28, 65, 72, 73, 74, 75, 92,
107, 109, 113, 119, 121, 123, 151,
175, 229, 273, 276, 285, 294, 295,
296, 297, 300, 302, 303, 305, 307,
311, 316
127, 129, 155, 157,
سلمية.................169
سوريا.............................63, 155

## ط

طرابلس
58, 60, 63, 64, 71, 77, 80, 84, 93, 115,
116, 156, 191, 228, 284, 285, 287,
292, 294, 296, 312
51, 65, 128,
طنجة..........................129

## ع

20, 40, 54, 55, 56, 66, 67,
عمان................76

## ف

فاس
22, 24, 121, 123, 128, 152, 153,
154, 159, 180, 187, 192, 221, 227,
228, 229, 257, 296, 298, 299, 306,
309
فج الأخيار..............................131, 274
126, 128,
فخ......................................150

## ق

**قنطرارة.........................................84**

## ل

60, 62, 202,
ليبيا.....................................284

## م

مراكش
24, 25, 153, 159, 187, 192, 194, 196,
197, 224, 225, 228, 229, 230, 232,
233, 234, 235, 236, 237, 239, 241,
242, 246, 254, 276, 293, 296, 299,
300, 301, 303, 315
مصر.......................................52
مغمداس..................................60
مكة

53, 57, 126, 130, 143, 147, 191, 254,
265, 274, 290

و

وادي ملوية..................285 ,127 ,
وليلي
26, 129, 152, 168, 170, 277, 289, 290,
296, 298

# فهرس الدول والجماعات والمذاهب

## الجماعات


الإباضية 18, 20, 21, 26, 48, 49, 53, 54, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 61, 62, 63, 64, 65, 66, 67, 68, 69, 70, 71, 72, 74, 75, 77, 78, 79, 80, 81, 83, 85, 87, 88, 89, 90, 92, 93, 94, 95, 96, 98, 99, 100, 105, 109, 113, 114, 116, 119, 120, 122, 264, 286, 298, 308, 312, 319

الإسماعيلية 8, 10, 19, 22, 23, 27, 28, 125, 126, 128, 129, 133, 134, 135, 136, 138, 139, 142, 145, 147, 148, 157, 159, 162, 163, 270, 274, 290, 310, 319

الأشاعرة 203, 212, 271, 272

الإمامية 124, 125, 128, 148, 187, 217, 218, 246, 267, 270

الزيديون 137

السبئية 123

الشيعة 11, 27, 35, 120, 121, 122, 123, 124, 125, 130, 133, 134, 137, 138, 141, 142, 143, 145, 147, 148, 154, 155, 161, 169, 187, 218, 259, 266, 267, 268, 270, 310, 312

الصفرية 8, 9, 11, 28, 49, 57, 58, 61, 63, 64, 71, 72, 73, 91, 103, 116, 120, 266, 273, 276, 295, 305, 319, 322, 325

الصفريين 64, 71, 181, 297

العلويين 123, 124, 149, 169, 176, 278

المحكّمة 51, 56, 259, 262, 264, 265

المهاجرون 40, 194, 223

الموحدون 27, 184, 193, 195, 196, 220, 224, 227, 230, 234, 240, 243, 244, 246, 249, 250, 300, 303

النكار 80, 87, 101, 103, 109, 111, 286, 308

أنصار ابن مسالة 85

بني العباس 72, 125, 127, 149, 154, 202

بني أمية 50, 51, 62, 124, 160, 252, 265, 294, 297, 313

جماعة ابن إباض 52, 53, 56, 265

جماعة ابن الأزرق 52, 53, 265

جماعة ابن الصفار 52, 53

شيعةعلي بن أبي طالب 51

فرقة الأنصار 40


## الدول


الإمامة الرستمية 9, 11, 20, 21, 26, 49, 81, 116, 277, 287, 295, 296, 301, 302, 304, 305, 308, 309

الإمامة الشيعية 11, 121, 122, 165

الإمامة الفاطمية 10, 22, 27, 122, 135, 136, 172, 244, 301, 310

الإمامة المدرارية 11, 26, 49, 50, 90, 116, 300, 307

الأمويين 50, 54, 55, 60, 64, 124, 126, 178, 236, 270, 309, 310

الخلافة الفاطمية 10, 11, 27, 28, 122, 136, 157, 158, 175, 181, 290, 296, 304, 310, 314

الخلافة الموحدية 12, 183, 223, 257

الخليفة أبو بكر الصديق 39

الدولة الإدريسية 152, 154, 214, 277, 278, 309, 310

الدولة الإسلامية 39, 51, 102, 105, 110, 111, 209, 264

الدولة الرستمية 9, 20, 21, 26, 63, 68, 69, 70, 71, 77, 78, 79, 80, 82, 84, 85, 88, 89, 90, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 99, 100, 101, 102, 103, 104, 105, 106, 107, 108, 109, 111, 113, 114, 115, 116, 119, 286, 288, 295, 298, 302, 305, 309, 326, 329

الدولة الفاطمية 22, 23, 27, 122, 123, 128, 137, 148, 168, 178, 180, 184, 270, 285, 290, 291, 308, 310, 311

الدولة المدرارية 9, 74, 122, 285, 308, 312

السلطة الأموية 50, 62

السلطة العباسية 9, 35, 55, 60, 72, 76, 84, 122, 126, 147, 156, 176, 249, 278, 298, 310

خلافة الحسن بن علي 30, 47

خلافةعثمان بن عفان 30, 43, 46

خلافة علي بن أبي طالب 30, 46

خلافة عمر بن الخطاب 30, 41, 111

دولة الأغالبة 122

دولة الأدارسة 11, 21, 22, 26, 114, 120, 121, 122, 127, 128, 143, 144, 146, 148, 149, 153, 162, 163, 167, 170, 171, 174, 175, 182, 187, 199, 207, 270, 283, 296, 298, 299, 303, 305, 306, 309, 310, 319, 324

دولة الموحدين 24, 25, 184, 230, 252, 255, 275, 301


## المذاهب


الإباضي 18, 21, 49, 50, 53, 55, 56, 57, 58, 59, 60, 68, 69, 73, 79, 83, 88, 102, 105, 109, 119, 280, 286, 296, 312, 319

الإسماعلية 139, 155

الأشعرية 190, 192, 198, 200, 201, 264, 272

التشيع 267

المذهب الزيدي 19, 124, 270

المذهب الصفري 11, 49, 57, 58, 61, 64, 72, 74, 90, 91, 285, 297, 305, 312

الظاهرية 199, 200

المذهب المالكي 199

المعتزلة 83, 128, 198, 199, 200, 211, 212, 271, 272, 286

مذهب ابن تومرت 199

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر:


1) القرآن الكريم

2) ابن أبي زرع (ت 726هـ/1326م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.

3) ابن الأثير (ت 630هـ/1233م): تاريخ ابن الأثير، اعتنى به. أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، دس.

4) ابن بَشْكُوَال (ت 578هـ/1183م): الصلة، تح. ابراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.

5) ابن تومرت (ت 524هـ/1130م): أعز ما يطلب، تح. عمار طالبي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

6) ابن حزم (ت 456هـ/1065م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تصحيح. عبد الرحمن خليفة، ج1، ج4، ط1، مطبعة محمد علي صبيح، مصر، 1347هـ.

// : تح. محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، ج2، ط2، دار الجيل، بيروت 1416هـ/1996م

7) ابن الخطيب (ت 776هـ/1374م): أعمال الأعلام، تح. أحمد مختار العبادي، محمد ابراهيم الكتاني، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964م.

8) ابن خلدون (ت 808هـ/1406م): العبر، تح. عبد الله محمد الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق، 1425هـ/2004م.

9) ابن سعد الزهري (ت 800هـ/1398م): كتاب الطبقات الكبير، تح. علي محمد عمر، ج3، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1421هـ/2001م.

10) ابن الصغير (290هـ/903م كان حياً): أخبار الأئمة الرستميين، تح. محمد ناصر، ابراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، دب، 1405هـ/1985م.

11) ابن عذاري (ت 695هـ/1296م): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح. بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، ج1،ج2، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 1434هـ/ 2013م.

12) ابن عساكر الدمشقي (ت 572هـ/1176م): تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، مطبعة التوفيق، دمشق، 1347هـ.

13) ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/889م): الإمامة والسياسة، تح. علي شيري، ج1، ط1، دار الأضواء، بيروت، 1410هـ/1990م.
14) ابن القطان (ت 628هـ/1230م): نظم الجمان، تح. محمود علي مكي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

15) ابن كثير (ت 775هـ/1373م): البداية والنهاية، ج7، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ/1992م.
: تفسير القرآن العظيم، تح. مصطفى السيد محمد وآخرون، ج3، ط1، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1421هـ/2000م.
16) ابن منظور (ت 711هـ/1311م): لسان العرب، ج2، دار صادر، بيروت، دس.

17) ابن النديم (ت 384هـ/994م): الفهرست، دار المعرفة، بيروت، دس.
18) أبو بكر الشاشي (ت 365هـ/976م): من فوائد أبو بكر الشاشي، تح. سمير بن حسين، مكتبة الرشد ج2، ط1، الرباط، 1418هـ/1998م.
19) أبو جعفر الصدوق (ت 381هـ/991م): معاني الأخبار، تح. محمد كاظم الموسوي، ج1، ط1، العتبة الحسنية المقدسة، العراق، 1435هـ/2014م.

20) أبو الحسن علي الماوردي (ت 450هـ/1058م): الأحكام السلطانية، تح. أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 1427هـ/ 2006م.
21) أبو زكريا (ت 471هـ/1078م): سير الأئمة وأخبارهم، تح. اسماعيل العربي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1402هـ/1982م.
22) أبو العباس أحمد الناصري (ت 1315هـ/1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر ومحمد الناصري، ج2، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.
23) أبو محمد الحريري البصري (ت 516هـ/1122م): مقامات الحريري، دار بيروت، بيروت، 1398هـ/1978م.
24) أبو عمار عبد الكافي(ت569هـ/1173م): الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الردّ على أهل الخلاف، تح. عمار الطالبي ج2، موفم، الجزائر، 2013م.
25) أبي بكر الزهري (ت 549هـ/1154م): كتاب الجغرافية، تح. محمّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، دس.
26) أبي جعفر الطوسي (ت 460هـ/1050م): تلخيص الشافي، تقديم، تعليق. حسين بحر العلوم، ج1، ط1، مؤسسة انتشارات المحبين، إيران، 1382هـ/1962م.

27) أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ/936م): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تح. محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، المكتبة العصرية، بيروت، 1411هـ/1990م.
28) أبي علي منصور الجوذري (سنة 350هـ كان حياً): سيرة الأستاذ جوذر، تح. محمد كامل حسين، محمد عبد الهادي شعيرة، دار الفكر العربي، مصر 1962م.

29) أبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت774هـ/1373م): تفسير القرآن العظيم، تح. سامي بن محمد السلامة، ج5، ط1، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1418هـ/1997م.
30) أحمد بن الحسن الرّصاص(ت 584هـ/1188م): مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم، تح. المرتضى بن زيد الحسني، ط2، مكتبة بدر، اليمن، 1424هـ/2003م.
31) أحمد بن عبد الله كرماني(ت 411هـ/1021م) : المصابيح في إثبات الإمامة، مركز القائمية بأصفهان، ايران، 1384هـ/2007م.
32) أحمد الكندي (ت 557هـ/1162م): المصنف، تح. مصطفى بن صالح باجو، مج.7، ج10، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عُمان 1437هـ/2016م.
33) أحمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح. إحسان عباس، ج4، دار صادر، بيروت، 1388هـ/1968م.

34) أحمد الناصري (ت 1314هـ/1897م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح. جعفر الناصري، محمد الناصري، ج1، دار الكتاب، الدار البيضاء 1418هـ/1979م.
35) إدريس عماد الدين (ت872هـ/1467م) : عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الخامس الخاص بتاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح. محمد اليعلاوي ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1985م.
: عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الأول، تح. أحمد شليلات، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، 2003.
36) الادريسي (ت 559هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.

:أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1433هـ/2012م.
37) البكري (ت 952هـ/1545م): المسالك والممالك، تح. جمال طلبة، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م.
38) البيذق (ت 560هـ/1164م): أخبار المهدي بن تومرت، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1971م.
: المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب، تح. عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، المغرب، 1971م.

39) تقي الدين أحمد المقريزي(ت 845هـ/1442م): إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تح. جمال الدين شيال، ج1، ط1، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، 1416هـ/1996م.

: الخطط المقريزية، تح. محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ج3، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م

40) الحسن النوبختي(ت 310هـ/922م)، سعد القُمِّي: فرق الشيعة، تح. عبد المنعم الحفني، ط1، دار الرشاد، القاهرة، 1412هـ/1992م.

41) الحسين بن بدر الدين (ت663هـ/1263م): ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، تح. المرتضى بن زيد الحسني، ط2، مكتبة بدر، اليمن، 1422هـ/2001م.

42) الدرجيني (توفي حوالي670هـ/1271م): طبقات المشائخ في المغرب، تح. ابراهيم طلاي، ج1، ج2، مطبعة البعث، الجزائر، 1394هـ/1974م.

43) الذهبي (ت748هـ/1348م): سير أعلام النبلاء، رتبه، حسان عبد المنان، ج1، بيت الأفكار الدولية، لبنان.

44) زين الدين عبد الرؤوف المناوي (ت1031هـ/1621م): الجواهر المضيّة في بيان الآداب السلطانية ، تح. عبد الله بن إبراهيم بن عبد اللهالناصر، النشر العلمي والمطابع، الرياض، 1434هـ/ 2013م.

45) سالم السّيابي السمائلي: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تح. سيّدة اسماعيل كاشف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1979م.

46) سعد الدين التفتازاني(ت792هـ/1390م): ، متن تهذيب المنطق والكلام، ط1، طبعة السعادة، مصر، 1330هـ/1912م.

47) السَّيد محمود الألوسي: مختصر التحفة الاثني عشرية، تح. محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1373هـ/ 1953م.

48) الشماخي(ت928هـ/1522): كتاب السير، تح. أحمد بن سعود السيّابي، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1407هـ/1987م.

49) شمس الدين أحمد بن خلكان(ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان، تح. إحسان عباس، ج3، ج4، دار صادر، بيروت، 1397هـ /1977م.

50) شمس الدين الأصفهاني(ت688هـ/1289م): مطلع الأنظار على متن طوالع الأنوار، ط1، دار الكتب، مصر، 1424هـ/ 2008م.

51) الشهرستاني(ت548هـ/1153م): الملل والنحل، تح. محمد سيد كيلاني، ط2، دار المعرفة، بيروت، 1395هـ/1975م.

// : تح. عبد العزيز محمد الوكيل، ج1، مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة، 1387هـ/1968م.
52) الشيخ الصدوق علي بن بابويه القمي(ت381هـ/991م):الاعتقادات، تح. مؤسسة الإمام الهادي، ط3، بيام إمام هادي، إيران، 1392هـ.
53) تبغورين بن عيسى(ت471هـ/1078م): أصول الدين، تح. ونيس الطاهر عامر، ط1، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عمان، 1426هـ/2005م.

54) الطبري(ت310هـ/923م): جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرستاني،مج. 1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ/ 1994م.

: تاريخ الأمم والملوك، اعتنى به. أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، دس.
55) عبد القاهر البغدادي(ت429هـ/1038م): الفرق بين الفرق، تح. محمد الكوثري، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، دمشق، 1367هـ/1948م.
56) عبد الملك بن صاحب الصلاة(ت594هـ/1197م): المن بالإمامة، تح. عبد الهادي التازي، ط3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1987م.

57) عبد الملك بن عبد الله الجويني(ت478هـ/1085م): غياث الأمم في التياث الظلم، تح. عبد العظيم الديب، ط2، مكتبة امام الحرمين، دب، 1401هـ.
58) عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1250م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ/ 2005م.
59) علي الجزنائي(عاش في القرن التاسع هجري /الخامس عشر ميلادي): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح. عبد الوهاب بن منصور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط 1411هـ/1991م.
60) فلقيوس كريسكونيوس كوريبوس(سنة 565م كان حياً): ملحمة الحرب الليبية الرومانية، تر. محمد الطاهر الجراري، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1988م.
61) القاسم بن محمد بن علي(ت1029هـ/1920م): الأساس لعقائد الأكياس، ط2، مكتبة أهل البيت، اليمن، 1436هـ.

62) القاضي النعمان(ت363هـ/974م): شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تح. السيد محمد الحسيني الجلالي، ج3، ط2، مؤسسة النشر الاسلامي، إيران، 1431هـ/2010م.
: افتتاح الدعوة، تح. فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986م.

: دعائم الاسلام، تح. آصف بن علي أصغر فيضي، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1383هـ/1963م.

:الهمة في آداب اتباع الأئمة، تح. محمد كامل حسين، دار الفكر العربي، مصر، 1988م.

: المجالس والمسايرات، تح. الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، 1996م.

63) القلقشندي(ت821هـ/1418م): مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تح. عبد الستار أحمد فراج، ج1، عالم الكتب بيروت، دس.

: صبح الأعشى، ج1، ج3، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1332هـ/1914م.

64) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشروتعليق. سعد زغلول عبد الحميد، الكويت، دس.

65) مجهول: الحلل الموشية، تح. سهيل زكار، عبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م.

66) محمد الخطابي الإدريسي(ت1272هـ/1856م): الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية، مطبعة الشباب، مصر، 1349هـ.

67) محمد بن إبراهيم الزركشي(ت794هـ/1392م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح. محمد ماضور ، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1965م.

68) محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ/890م): صحيح البخاري، كتاب الأحكام، الباب الأول، ط1، دار ابن كثير، دمشق 1422هـ/2002م.

69) محمد بن حماد الصنهاجي(ت628هـ/1231م): اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح. التهامي نقرة، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1401هـ/1981م.

70) محمد بن خليل السكوني(سنة 652هـ كان حياً): شرح مرشدة محمد بن تومرت، تح. يوسف احنانا، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1993م.

71) محمد رضا المظفر(ت1383هـ/1964م): عقائد الإمامية، مطبعة النعمان، العراق، 1388هـ/1968م.

72) المستنصر بالله الفاطمي(ت487هـ/1094م): السجلات المستنصرية، تح. عبد المنعم ماجد، ط1، دار الفكر العربي، مصر، 1954م.

73) المقدسي(ت381هـ/991م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ/1991م.

72) نصير الدين الطوسي(ت673هـ/1274م) : تجريدالعقائد، تح. عباس محمد حسن سليمان، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1996م.

73) ياقوت الحموي(ت626هـ/1229م): معجم البلدان،ج2، ج4، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

قائمة المراجع:

1) ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الاسلامي 524-936هـ/1130-1529م، دار المعارف، مصر، 1405هـ/1985م.
2) إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909) دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2 جمعية التراث -القرارة -، الجزائر، 1414هـ/1993م.
: الدولة الرستمية(دراسة في المجتمع والنظم)، ط1، مؤسسة كتابك، الجزائر، 1440هـ/2019م.
: القضاء في المغرب الإسلامي، ط2، جمعية التراث، الجزائر، 1427هـ/2006م.

3) إبراهيم التهامي: دور علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ/2005م.
4) إبراهيم جلال: المعز لدين الله، دائرة المعارف الإسلامية، مصر، 1944م.
6) إحسان عباس: الحسن البصري سيرته شخصيته تعاليمه وآراؤه، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1990م.

5) إسحاق رباح: الحضارة العربية الاسلامية في النظم والعلوم والفنون، ط1، دار كنوز المعرفة، الأردن، 1422هـ/2010م.
6) أبو الأعلى المودودي: تدوين الدستور الإسلامي، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ/1981م.

: الخلافة والملك، تعريب. أحمد إدريس، ط1، دار القلم، الكويت، 1397هـ/ 1978م.

7) أحمد إلياسحسين: الإباضية في المغرب العربي، ط1، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1416هـ/1996م
8) أحمد فارس: مقاييس اللغة، تح. عبد السلام محمد هارون، ج.5، دار الفكر، مصر، 1399هـ/1979م

9) أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، دس.
: معجم اللغة العربية المعاصرة، مج.1، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م.
10) أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، علم الكتب، القاهرة، 1429هـ/2008م

11) أحمد مختار عمر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ط1، مؤسسة سطور المعرفة الرياض، 1423هـ/2002م.
12) أسماء عبد الله محمد الموسى: حجية خبر الآحاد عند الأصوليين، كلية الآداب، جامعة البنات، الرياض، 1467هـ/2006م.
13) إسماعيل العربي: دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
16) إسماعيل علي محمد: مدخل إلى دراسة النظم الإسلامية، ط1، دار النداء، تركيا،2014م.

14) إسمت غنيم: إمبراطورية جستنيان، دار المجمع العلمي، جدة، 1397هـ-1977م.

15) أمبروسيو هويثي ميراندا: التاريخ السياسي للإمبراطورية الموحدية، تر. عبد الواحد أكمير، ط1، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004م.

16) محمد أطفيش: شرح عقيدة التوحيد، تح. مصطفى وينتن، ط1، جمعية التراث (القرارة)، الجزائر، 1422هـ/2001م.

17) أميرة فرحات: الخوارج في التاريخ والسياسة والفقه وعلم الكلام والخطب والشعر والطرائف، ج1، ط1، دار المحجة البيضاء، بيروت، 1430هـ/2009م.

18) بوبة مجاني: النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي 296-362هـ/909-973م، ط1، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/2009م.

19) بوبة مجاني وآخرون: من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تنسيق. بوبة مجاني، ط1، دار بهاء الدين للنشروالتوزيع، قسنطينة، 2007م.

20) بوزياني الدراجي: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والاندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

: القبائل الأمازيغية (أدوارها – مواطنها – وأعيانها)، ج1، ط4، د.د.ن، دب، 2010م.

: دول الخوارج والعلويين في بلاد المغرب والأندلس، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م.

21) جاسم عثمان مرغي: الشيعة في شمال افريقيا، ط1، مؤسسة البلاغ، سوريا، 1425هـ/ 2004م.

22) جبران مسعود:الرائد، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.

23) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي، ج1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

24) الجوهري: الصحاح، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ج.1، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

25) حسن ابراهيم حسن: الفاطميون في مصر، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1932م.

// ، طه أحمد شرف: عبيد الله المهدي ( إمام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب) مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1947م

26) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج1، ط14، دار الجيل، بيروت، 1416هـ/1996م.

27) حسن الواركلي: لسان الدين بن الخطيب في آثار الدارسين، مطابع عكاظ، الرباط، 1990م.

28) حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس " عصر المرابطين والموحدين "، ط1، مكتبة الخانجي، مصر، 1980.

29) حسني محمد العطار: نظرية الخلافة عند الخوارج (عرض ونقد)، نافذ للبحث العلمي، فلسطين، 1442هـ/2021م.

30) حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004م.

31) خير الدين الزركلي: الأعلام، ج2، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.

32) سالم الحارثي: العقود الفضية في أصول الإباضية، ط2، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، 1437هـ/2017م.

33) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج2، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1979م.

34) سعدون عباس نصر الله: دولة الأدارسة في المغرب، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1408هـ/1987م.

35)سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضية، ط5، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 1416هـ/1995م.

: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ط1، دار الحكمة، لندن، 2005م.

36) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1982م.

37) شاكر مصطفى:التاريخ العربي والمؤرخون، ج3، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1990م.

38) شحادة الناطور وآخرون: النظم الاسلامية التشريعية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية، ط2، دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، 1413هـ/1996م.

39) شعبان عبد العاطي وآخرون: المعجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1424هـ/1979م

40) صبحي صالح: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، ط1، مطبعة أمير، قم، إيران، 1417هـ.

41) صلاح الصاوي: الوجيز في فقه الخلافة، دار الإعلام الدولي، القاهرة، 2008م

42) طاهر راغب حسين: التطور السياسي للمغرب من الفتح الإسلامي إلى آخر القرن العاشر الهجري، ط3، دار النصر، القاهرة 1425هـ/2004م.

43) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، دار الورّاق، بيروت، 2012م.

44) طه جابر العلواني: نحو موقف قرآني من اشكالية المحكم والمتشابه، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،القاهرة، 2010م.

45) طه خضر عبيد: الحضارة العربية الاسلامية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ/2012م.

46) عارف تامر: القائم والمنصور الفاطميان أمام ثورة الخوارج، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1402هـ/1982م.

47) عبد الإله بلقزيز: النبوة والسياسة، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011م.

48) عبد الحميد حسين حمودة: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 14هـ/2007م.

49) عبد الرحمان الجويبر: النظم الإسلامية وحاجة البشرية إليها، ط1، دار المآثر، المدينة المنورة، 1423هـ/2002م.

50) عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الوسيط، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1999م.

51) عبد القادر البحراوي: أشهر ثورات الخوارج، ط1، الفتح للطباعة والنشر، فلسطين، 1992م.
52) عبد القادر باش أعيان العباسي: البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصري، بغداد، 1381هـ/1961م.
53) عبد القادر جغلول: مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم والوسيط، تر. فضيلة الحكيم، ط2، دار الحداثة، بيروت 1988م.

54) عبد القادر زلوم: نظام الحكم في الاسلام، ط1، مشورات حزب التحرير، دب، 1372هـ/ 1953م.
55) عبد الكريم فيلالي: التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، ج3، ط1، شركة ناس للطلبة، القاهرة، 2006م.
56) عبد المجيد النجار: تجربةالاصلاحفيحركةالمهديبنتومرت،ط2،المعهدالعالميللفكرالاسلامي،الولاياتالمتحدةالأمريكية، 1415هـ/1995م.

: المهدي ابن تومرت ( حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثرة بالمغرب )، ط1، دار الغرب الاسلامي بيروت، 1403هـ/1983م.
57) عبد المنعم ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج1، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1985م.
58) عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج2، مطابع فضالة (المحمدية)، المغرب، 1406هـ /1986م.
59) عبد الوهاب بن منصور: قبائلالمغرب، ج1، المطبعة الملكية، الرباط، 1388هـ/1968م.

عبد بن عمر الدميجي: الإمامة العظمى، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1407هـ.

60) عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش(1236-1332هـ /1818-1914م، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، دس.
61) عز الدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الاسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب السلامي، بيروت، 1990م.

62) عطية عدلان: النظرية العامة لنظام الحكم في الإسلام، ط1، دار الكتب المصرية، مصر، 1432هـ/2011م.
علال الفاسي وآخرون: الإمام إدريس مؤسس الدولة المغربية، سلسلة في سبيل وعيٍ إسلامي، ع. 31، شركة بابل للطباعة والنشر، الرباط، 1988م.
63) علي الهادي الادريسي:الإمامةعندابنتومرت،إشراف. أبوعمرانالشيخ،بحثمقدم لنيلشهادةالماجستير،جامعةالجزائر،السنةالجامعية 1986/1987م.

64) علي حسني الخربوطلي: أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، العراق، 1972م.

65) علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مر. الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم، ط3، مكتبة الضامري، سلطنة عمان 1429هـ/2008م.

66) عمر عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الاسلامي، ط2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ/1987م.

67) عوض الشرقاوي: التاريخ السياسي والحضاري لجبل نفوسة ( في القرنين الثاني والثالث الهجريين)، مؤسسة تاوالت الثقافية ليبيا، دس.

68) فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب(296-365هـ/909-975م)، نقله إلى العربية. حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1994م.

69) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تح. محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1424هـ/2005م.

70) لويس اسكندر: الإنسان والبيئة، مكتبة النهضة، مصر، 1936م.

71) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم وتصحيح. محمد الميلي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، دس.

72) محمد الرازي: مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 2010م.

73) محمد أبو زهرة: مالك حياته وعصره ~ آراؤه وفقهه، ط2، دار الفكر العربي، مصر، 1947م.

74) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، مر. حمادي الساحلي، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1415هـ/1995م.

75) محمد المنوني: العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397هـ /1977م.

76) محمد المنوني: حضارة الموحدين، ط1، دار توبقال للنشر، المغرب، 1989م.

77) محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع للنشر، تونس، 1986م.

78) محمد بن يوسف أطفيش: شرح كتاب النيل وشفاء العليل، ج14، ط2، دار الفتح، بيروت، 1392هـ/1972م.

79) محمد بوركبة: الجزائر الاجتماعية في عهد الدولة الرستمية(160-296/777- 909م)، دار الكفاية، الجزائر، دس.

80) محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995م.

81) محمد حسن قدردان قراملكي: أجوبة الشبهات الكلامية(الإمامة)، ج4، ط1، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، العراق، 1437ھ/2016م.

82) محمد سهيل طقوش: التاريخ الاسلامي الوجيز، ط5، دار النفائس، بيروت، 1432ھ/2011م.

83) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ط3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1386ھ/1966م.

84) محمد عبد الله عنان: دولة الاسلام في الأندلس(عصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس)، ج3، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411ھ/1990م.

85) محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج3، مؤسسة تاوالت الثقافية، القاهرة 1384ھ/1964م.

86) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تح. عبد العليم الطحاوي، ج31، ط1، التراث العربي، الكويت، 1421ھ/ 2000م.

87) محمد يوسف موسى، ابن رشد الفيلسوف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

88) محمود اسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1406ھ/1985م.

: الأدارسة في المغرب الأقصى، ط1، مكتبة الفلاح، الكويت، 1409ھ/1989م.

: فرق الشيعة بين التفكير السياسي والنفي الديني، ط1، سينا للنشر، مصر، 1995م.

: فرق الشيعة، ط1، سينا للنشر، القاهرة، 1995م.

89) محمود عكاشة: لغة الخطاب السياسي، ط1، دار النشر للجامعات، مصر، 1426هـ/2005.

**90**) محمود عكاشة: محمد شفيق، السلوك الاجتماعي، بلد برنت للطباعة والتصوير، مصر، **1998**م، ص**104**.

91) مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2009م.

92) مفيد رائف محمود العابد: معالم تاريخ الدولة الساسانية، ط1، دار الفكر، دمشق، 1460ھ /1999م.

93) موسى لقبال: دور كتامة في الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979م.

94) هشام جعيط: الفتنة، تر. خليل أحمد خليل، ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000م.

95) يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام (الخوارج والشِّيعة)، تر. عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1985م.

**المجلات والدوريات:**

1) إبراهيم بحاز: ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي ابتداء من سنة 122هـ/739-740م في المصادر العربية قديماً ودراسات المدرسة الغربية حديثاً، مجلة الدراسات التاريخية، الجزائر، مج.3، ع2، 1988/06/01م.

2) توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي حتى القرن السادس الهجري، مجلة البحوثالعلمية والدراسات الإسلامية، جامعة المدية، مج.10، ع3، 2018/11/02م.

3) صالح محمد فياض أبو دياك: المظاهر السياسية والحضارية للدولة الرستمية في المغرب( 144-296هـ/761-909م)،مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، سوريا،ع. 55-56، السنة السابعة عشر، (مارس- جوان 1996م).

4) صالح بن قربة: المسكوكات الفاطمية في حضارة المغرب الاسلامي، مجلة الدراسات الأثرية، الجزائر، مج1، ع1، دس.

5) عبد الجبار عماري، بن موسى محمد: العوامل العقدية المؤثرة في سقوط الدولة الموحدية (ق 6 وق 7هـ/ق 12وق13م)، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة لونيسي علي، البليدة، مج4، ع1، جوان 2020م 6) عبد القادر دحدوح، تاهرت – تاقدمت معطيات ميدانية ورؤية جديدة،دراسات في آثار الوطن العربي، (جامعة منتوري قسنطينة)، الجزائر، ع9، 2007م.

7) عبيد بوداود: ثورات الحركة الخارجية الصفرية في بلاد المغرب الإسلامي وتداعياتها(120-132هـ)، مجلة المواقف، المركز الجامعي معسكر، عدد خاص، الجزائر، (أفريل 2008).

8) عطلاوي عبد الرزاق، الأحمر قادة، المنهج الإصلاحي في فكر الشيخ محمد بن يوسف أطفيش القطب من خلال رحلاته العلمية وآرائه الفكرية، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، مج.9، ع1، الجزائر، 31. 03. 2018.

9) فطيمة مطهري، دور وجهود الأستاذ إبراهيم بحاز في تحقيق التراث الجزائري المخطوط "أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير أنموذجاً"، مجلة القرطاس للدراسات الفكرية والحضارية، جامعة تلمسان، مج.7، ع.02، الجزائر، 2020/07/30.

10) قادة سبع: هجرة قبيلة أوربة البربرية من المغرب الأوسط (المواطن، الملابسات، والنتائج)، مجلة عصور، جامعة أحمد بن بلة، وهران، مج.10، ع1، 2011/06/30 م.

11) قاسم شهيد محمد غياض، محمد عباس نعمان الجبوري، تأويل الآيات القرآنية المتعلقة بالمسائل الدينية بين الاسماعيلية والامامية الاثني عشرية "الإمامة أنموذجا" دراسة مقارنة، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف، ع.1997،49م.

12) محمد العرائشي : أوليات، مجلة الدعوة، المغرب، ع.229، ماي 1983م.

13) موموش محمد: تاريخ المغرب الأوسط من خلال المسكوكات الاسلامية من سنة (85هـ/704م) إلى غاية (1246هـ /1830م)، مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد بوضياف، ع10، المسيلة، جوان 2016م.

14) يوسف الكتاني: نظام الحكم الإسلامي المغربي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط، المغرب، ع.1، السنة 30 ، 1981م.

15) يزير بشير: قبيلة أوربة وجدلية نشوء وارتقاء السلطة في بداية العصر الوسيط (ق2هـ/8م)، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور، الجلفة، مج.4، ع8، جوان 2017م.

**الأطروحات والمذكرات الجامعية:**

1) فطيمة مطهري: مدينة تيهرت الرستمية دراسة تاريخية حضارية (2-3ه/8-9م)، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف. معروف بلحاج، جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، الجزائر، 1430-ه1431/2009/2010م.

2) التوم الطالب محمد يوسف، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 1414هـ/1994م.

3) عبد الله محمود يعقوب: مظاهر الحضارة في سجلماسة في عهد (إمامة بني واسول الصفرية) 140-366هـ/757-978م، رسالة قدمت لنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، إشراف.

4) علاء عباس حسن أبو رغيف: الحركات المعارضة للخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي (297-362ه/909-972م)، رسالة مقدمة انيل شهادة الماجستير، تخصص التاريخ الإسلامي، إشراف. سادسة حلاوي حمود، جامعة واسط، العراق، 1434ه/2013م.

5) مهدي طالب هاشم: الحركة الإباضية في المشرق العربي(نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري)، بحث مقدملنيل شهادة الماجستير، في التاريخ الاسلامي، إشراف. فاروق عمر فوزي، جامعة بغداد، العراق، 1977م.

6) مغنية غرداين: نظام الحكم في بلاد المغرب في عهدي المرابطين والموحدين دراسة مقارنة ( 5-7ه/11-13م)، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، تاريخ المغرب الاسلامي، إشراف. لخضر عبدلي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية 1436-1437ه/ 2015-2016م.

7) مزوزية حداد: سياسة الدولة الموحدية من خلال الرسائل الديوانية(515-668ه/1121-1269م)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف. مسعود مزهودي، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، السنة الجامعية 1433- 1434ه /2012-2013م.

8) نورة بنت إبراهيم الدوسري: خدم دار الخلافة ودورهم السياسي والحضاري في العصر العاسي الثاني(232-656هـ/943- 1258م)، إشراف. لمياء بنت أحمد الشافعي، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1436هـ/2015م.

المراجع **الأجنبية:**

1) Virginie Prévost, la légitimation du pouvoir du Maghreb médiéval( L'ibadisme berbère), éd. Annliese Nef et Elise Voguet, collection de la Casa de Velazquez (1271, Madrid, 2011).

2)Garcia-Arenal Mercedes, la conjonction du sufisme et du sharifisme au Maroc : le Mehdi comme sauveur, Revue du monde Musulman et de la Méditerranée, N°55-56, Aix-en-provence, 1990, pp.233-256.
3) Remmm, le Mahdi dans le Maghreb médiéval, Mchael brett, 23/03/2021, h : 14 :40, http://journals.openedition.org/remmm/250
4) Mehdi Ghouirgate : ‘’Asmas, le plat emblematique des Almohades’’,
ARABICA , N°62, Leiden, 2015, p(10,19) .
5) academia.edu, un palais en mouvement : le camp califal almohade, Mehdi Ghouirgate, 25/04/2021, h :15 :30 https://academia.edu/9437055/un palais-en-mouvement-le camp-califal-almohade

## فهرس الموضوعات


المقدمة ..........................................................1- 23

الفصل التمهيدي: النظم والإمامة المفهوم والتعريف..........................23

أولاً: مفهوم النظم ............................................25-27

ثانياً: مفهوم الإمامة ونشأتها................................................27

1- الإمامة لغة واصطلاحاً............................................27- 31

2- نشأة الإمامة................................................................ 31

3 - وجوب الإمامة...............................................31- 32

ثالثاً: الخلفاء الراشدون النموذج الأمثل للإمامة.........................32- 42

الفصل الأول: الإمامة الصفرية والإباضية في المغرب الإسلامي(140-296هـ/757-909م)...43

أولاً: الوضع السياسي للمغرب قبيل قيام الإمامة المدرارية والرستمية..........44

ثانياً: ظهور المذهبين الإباضي والصفري في المشرق ولجوؤهما إلى المغرب..........44- 58

ثالثاً: الإمامة في الفكر السياسي الصفري الإباضي..........................58- 65

رابعاً: الأيمة المدراريون والرستميون...........................................65- 84

خامساً: البيعة والاستخلاف في الإمامة المدرارية والرستمية.....................85- 95

سادساً: مهام وسلطات الإمام الرستمي..........................................95- 105

سابعاً: ألقاب الحكام المدراريين والرستميين..........................105- 111

ثامناً: شارات الإمامة الرستمية...........................................111- 114

الفصل الثاني: الإمامة الشيعية في المغرب الإسلامي(172-362هـ/788-973م)..........115

أولاً: الوضع السياسي في المغرب قبيل قيام إمامة الأدارسة والفاطميين.......... 116

ثانياً: ظهور التشيع في المشرق وانتقاله إلى المغرب.......................................117

1- ظهور التشيع في المشرق.........................................................120-117

2- انتقال التشيع إلى المغرب الإسلامي...........................................120- 124

ثالثاً: الإمامة والوصيّة عند الشيعة الزيدية و الإسماعيلية ..............................124- 142

رابعاً: الأيمة الأدارسة والفاطميون في المغرب.....................................142- 155

خامساً: الوِلاية أوطاعة الإمام ...........................................................155- 161

سادساً: ولاية العهد عند الأدارسة والفاطميين............. ........................161- 162

سابعاً: البيعة أو العهد على الطاعة عند الأدارسة والفاطميين........................163- 165

ثامناً: سلطات ووظائف الإمام عند الأدارسة والفاطميين...........................165- 168

تاسعاً: الألقاب الخلافية وشارات الملك...........................................168- 173

عاشراً: حاشية الخليفة الفاطمي وآداب اللقاء في حضرته...........................173- 175

الفصل الثالث: الإمامة الموحدية في المغرب الإسلامي (524-668هـ/1130-1270م).....177

أولاً: الأوضاع السياسية في المغرب قبيل ظهور ابن تومرت.................................178

ثانياً: محمد بن تومرت إمام الموحدين..................................................179

1- نسبه ومولده.....................................................................179- 181

2- رحلته إلى المشرق..............................................................182- 183

3- عودة ابن تومرت إلى المغرب وإشهار دعوته...................................184- 187

4- تنظيم ابن تومرت للموحدين........................................187- 189

5- المهدي وأحداث الثورة على المرابطين....................................189- 190

6- مذهب الإمام محمد بن تومرت........................................191- 194

ثالثاً: الإمامة في عقيدة المهدي بن تومرت.........................................195

1- مفهوم الإمامة......................................................195- 197

2- وجوب الإمامة......................................................197- 199

3- طبيعة الإمام عند ابن تومرت........................................199- 203

4- أركان الإمامة......................................................203- 214

5- بيعة ابن تومرت على الإمامة........................................214- 217

رابعاً: الخلافة الموحدية في عهد عبد المؤمن بن علي.............................217

1- مرحلة الخلافة الشورية بقيادة عبد المؤمن بن علي..........................217- 222

2- مرحلة الخلافة بالنظام الوراثي........................................223- 227

خامساً: خلفاء عبد المؤمن بن علي....................................227- 235

سادساً: البيعة وولاية العهد عند الموحدين...............................235- 237

سابعاً: سلطات الإمام الموحدي ووظائفه...............................237- 239

ثامناً: الألقاب الخلافية وشارات الملك..........................................240

1- الألقاب الخلافية......................................................240- 244

2- شارات الملك......................................................244- 250

تاسعاً: أهل الدار (الحاشية)........................................................250- 251

عاشراً: آداب اللقاء مع الإمام والخليفة الموحدي....................................251- 253

**الفصل الرابع: مسوّغات نجاح الإمامة وآثارهاعلى بلاد المغرب الإسلامي.................255**

أولاً: جينالوجيا المذاهب الوافدة على المغرب الإسلامي............................255- 266

ثانياً: سيكولوجية القيادة الناجحة عند الأيمة.........................................266- 276

ثالثاً: دور القبائل البربرية في إنجاح مشروع دولة الإمامة في المغرب الإسلامي...........276- 287

رابعاً: قيمة التجربة وآثارها على المغرب الإسلامي...................................287- 300

خامساً: أسباب الضعف والسقوط للإمامة في بلاد المغرب الإسلامي.................300- 310

الخاتمة..............................................................................312- 313

الملاحق.............................................................................314- 323

الفهارس.............................................................................324- 334

قائمة المصادر والمراجع..........................................................335- 349

فهرس الموضوعات.................................................................350-353

**ملخص الرسالة باللغتين العربية والإنجليزية**

يهدف هذا البحث إلى إبراز جانب من النظم الإسلامية، في المغرب الإسلامي الوسيط، والمتمثل في الإمامة أو الخلافة، وربطها بمتغيرات الزمان والمكان، والكيفية التي ظهرت بها والأسباب التي ساعدت على نجاحها.

وقد اشتملت الدراسة على جانب نظري، احتوى على أربعة فصول وفصل تمهيدي، واعتُمِدَ في هذا البحث على المنهج الوصفي والتحليلي، اللذان يتناسبان مع موضوع البحث، حيث المادة الخبرية تكون فيه غزيرة، ولإنجاز هذا البحث، قمت بجمع المادة العلمية من المصادر والمراجع، التي تحصلت عليها من بعض المكتبات وعبر شبكة الأنترنت.

أظهرت هذه الدراسة الدول، التي تشكلت وفق النظام الإسلامي، وتحت مظلة الإمامة أو الخلافة الإسلامية، من سنة 140هـ/757م إلى سنة 668هـ/1270م، وقد ضمت كلً من الإمامة المدرارية من سنة 140هـ/757م إلى 296هـ/909م في المغرب الأقصى، والإمامة الرستمية من سنة 160هـ /777م إلى سنة 296هـ/909م في المغرب الأوسط، والإمامة الإدريسية من سنة 170هـ/787م إلى 296هـ/909م في المغرب الأقصى، والإمامة الفاطمية من سنة 296هـ/909م إلى 361هـ/972م في كل المغرب الإسلامي، وإمامة ابن تومرت ثم خلافة عبد المؤمن بن علي من سنة 524هـ/1130م إلى سنة 668هـ/1270م.

وخلصت الدراسة، إلى إظهار حركية وحيوية المجتمع المغربي، في العصور الوسطى حيث تفاعل مع الوجود الإسلامي، وتكيّف مع تعاليم الدين الجديد، وقام بإنجاح مشروع الإمامة، رغم أنه كان عبارة عن مجموعات قبلية متفرقة، وخلصت إلى أهمية وجود الإمامة في حياة الأفراد والمجتمع، وما يمكن أن تقدمه من حضارة وتطور في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية.

**الكلمات المفتاحية:** النظم – الإمامة – المجتمع – الحضارة

## Summary

This research aims to highlight an aspect of the Islamic systems, in the mediated Islamic Maghreb, represented in the Imamate or the Caliphate, and linking it to the variables of time and place, the way in which it appeared and the reasons that helped its success.

The study included a theoretical aspect, which contained four chapters and an introductory chapter. In this research, it relied on the descriptive and analytical approach, which are appropriate to the topic of the research, where the news material is abundant. To accomplish this research, I collected the scientific material from the sources and references, which I obtained It is obtained from some libraries and via the Internet.

This study showed the countries that were formed according to the Islamic system, and under the umbrella of the Imamate or Islamic Caliphate, from the year 140 AH / 757 AD to the year 668 AH / 1270 AD. From the year 160 AH / 777 AD to 296 AH / 909 AD in the Middle Maghreb, the Idrisid Imamate from the year 170 AH / 787 AD to 296 AH / 909 AD in the Far Maghreb, the Fatimid imamate from 296 AH / 909 AD to 361 AH / 972 AD in all the Islamic Maghreb, and the Imamate of Ibn Tumart and then the caliphate Abdul Mumin bin Ali from the year 524 AH / 1130 AD to the year 668 AH / 1270 AD.

The study concluded by showing the dynamism and vitality of Moroccan society in the Middle Ages, as it interacted with the Islamic presence, adapted to the teachings of the new religion, and succeeded in the Imamate project, although it consisted of separate tribal groups, and concluded the importance of the presence of the Imamate in the lives of individuals and society, and what It can provide a civilization and development in political, social, economic and intellectual life.


Keywords: systems, imamate, society, civilization.